

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذَكَرَ مَا وَصَفَتْ بِهِ الْعَرَبُ الْخَيْلَ :

من ترتيبها في السنّ، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها،
وشبّاتها، وغرّرها، ومجّولها، وعصمها، ودوائرها، وما قيل
في طبائعها وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها، والعلامات
الدالة على جودتها ونجابتها، وعدّ عيوبها التي تكون في خلقها
وجريها، والعيوب التي تطرأ عليها وتحدّث فيها

أما ترتيبها في السنّ — فالعرب تقول : سنّ الفرس إذا وضعته أمه
فهو "مُهرٌ" . ثم هو "فُلُوٌّ"^(١) . فإذا استكمل سنة فهو "حَوْلِيٌّ" . ثم هو في الثانية
"جَدَعٌ" . ثم في الثالثة "دَبِّيٌّ" . ثم في الرابعة "رَبَاجٌ" . ثم في الخامسة "قَارِحٌ" .
ثم هو إلى نهاية عمره "مُدَاكٌ" .

وأما ما قيل في تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها — فقد قالوا :
الخيّل مؤنّثةٌ، ولا واحد لها من جنسها، وجمعها خيول . ويقال في صفاتها : "أذن مؤلّلة"^(٢)
و"مُرْهفةٌ"^(٣) ، أي محدّدة الطرف . قال عدّي بن الرّاقع :

ملاحظة — يحدّث هذا الجزء في صفحة ٤٨ من الجزء التاسع الفلوجغرافي من هذا الكتاب وهو أحد
أجزاء النسخة التي اصطلحنا على تسميتها بالحرف « أ » والتي سيرد ذكرها كثيرا في التعليقات .

(١) ويقال فيه أيضا "فلو" (وزان حمل) .

(١) تَجْوُضٌ فِي فُرْجَاتِ النَّعَقِ دَائِمَةٌ * كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَفْلامٍ

و"حَشْرَةٌ": صغيرة مُستديرةٌ . و"مَمْدُودَةٌ": مَدْرَةٌ . وَأُذُنٌ "غَضَنْفَرَةٌ"
أى غليظةٌ . و"زَبْرَاءٌ" أى غليظةٌ شَعْرَاءٌ . و"خُدَاوِيَةٌ" أى خفيفةُ السمعِ .
قال عدي بن زيد :

له أذنان خُدَاوِيَتَا * نِ وَالعينُ تُبَصِّرُ ما فى الظلمِ

ثم "الناصية" وهى الشعرُ السائلُ على الجبهة، يقال : "واردة" وهى الطويلة .
و"جَثَلَةٌ" وهى الكثيرةُ الملتفةُ . و"الفاشغة" و"الغماء" وهى الكثيرةُ المنتشرةُ .
و"السفواء" وهى القليلةُ . و"عُصْفُورُهَا" : أصلُ منبتِ شعرِها . و"قوسها" :
العظمُ الناتئُ بين الأذنين .

- ١٠ وأما الوجهُ وما فيه مما لم يذكر فى خَلْقِ الإنسانِ - "النواهِقُ"^(٧)
وهما عَظْمَانِ شاخِصانِ فى وجهه من الجبهة الى المَنخَرَيْنِ . و"اللّهزِمَتانِ" : ما اجتمع
من اللحمِ فى مُعَظَمِ الجبينِ . و"عَيْنٌ مُغْرَبَةٌ" أى بيضاءُ الحماليقِ وما حوّلها .
و"خَيْفَاءُ" : إذا كانت إحداهما سوداءَ والأخرى زرقاءَ . و"المُحَمَّاقَةُ" : التى
حوّل مقلتيها بياضاً لم يُخالِفِ السوادَ .

- ١٥ (١) ورد هذا الشطر فى كتاب رشحاتِ المدادِ فإما يتعلقُ بالصافاتِ الجيادِ للبخشي (ص ٢٤ طبع حلب)
هكذا : « يخرج من مستطير النعق... الخ » . (٢) فى التكلة للصاغاني : « وبالعين يبصر... الخ » .
(٣) فى الأصلين : « النعق » ، وهو تحريف . (٤) فى الأصلين : « السفواء » بالسين والعين
المعجمتين ، وهو تصحيف . (٥) فى الأصلين : « قويسها » بالياء المتناة بدل التون ، وهو تصحيف .
(٦) فى الأصلين : « من » وهو تحريف . (٧) عبارة القاموس : « والناهقان : عظامان
شاخصان من ذى الحافر فى مجرى السمع ويقال لهما : النواهِقُ أيضا » .

و«أَنْفٌ مُصَفَّحٌ» أَي مُعْتَدِلُ الْقَصَبَةِ . و«السَّمُّ» : ثَقْبُهُ ، قَالَ :^(١)^(٢)

* وَمَنْخِرًا وَاسِعَةً سُمُومُهُ *

وقال مزراحم بن طفيل الغنوي ، وقيل : العباس بن مرداس السلمي ، :

مِلءُ الْحِزَامَيْنِ وَمِلءُ الْعَيْنِ * يَنْفُشُ عِنْدَ الرَّيِّوِ مَنْخَرَيْنِ^(٣)^(٤)

* كَفَشَ كَثِيرِينَ بِكَفِّي قَيْنِ^(٥) *

و«الْجَحْفَلَةُ» : الشَّفَّةُ . و«الْفَيْدُ» : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَيْهَا . و«الشَّدْقَانُ» :

مَشَقُّ النَّفْمِ إِلَى حَدِّ الْجَامِ .

وأما العنق وما فيه - «فالمعرفة» : موضع العُرف . و«العُرفُ» :

شعر أعلى العنق . و«العُدْرَةُ» : ما على المِنْسَجِ يَقْبِضُ عَلَيْهِ الْفَارْسُ إِذَا رَكِبَ .

و«العُرْشَانِ» : اللِّجَامُ مِنْ جَانِبِي الْعُرْفِ . و«الْحِرَارَاتُ»^(٦) : جِلْدُ أَسْفَلِ الْعُنُقِ .

و«الدَّسِيعُ» : مُرَكَّبُ الْعُنُقِ فِي الْكَاهِلِ . قَالَ سَلَامَةُ [بْنِ جَنْدَلٍ]^(٧) :

يَرَقِي الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِيعُ * فِي جُؤْجُؤٍ كَدَاكَ الطَّيِّبِ مُحْضُوبِ^(٨)^(٩)

(١) في الأصلين : «تقبا» بالنون وهو تحريف . قال الأصمعي : «سمومه منخراه وعيناه وأذناه

وكل ثقب سم» . (٢) في الأصلين : «يقال» .

(٣) نسب هذا الشعر في ديوان الماني لأبي هلال العسكري (ج ٢ ص ٧٤ من النسخة المخطوطة

المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) للعباس بن مرداس . ونسب فيه لمزاحم بن طفيل

شاهد آخر وهو : * من منخر كوجار الثعلب الخرب *

وقال : «بجعله خربا ليكون أوسع» .

(٤) التزوي : البهروانتفاخ الجوف . (٥) القين : الحداد .

(٦) كذا في المخصص ولسان العرب (مادة جرن) . وفي أ : «الحرار» وفي ب : «الحراز» ،

وكلاهما تحريف . (٧) الزيادة عن المخصص ولسان العرب مادة «بتع» .

(٨) كذا في المخصص ولسان العرب مادة «بتع» وكتاب الخليل للأصمعي (ص ١٣ طبع أوروبا) .

والبتع (بالتحريك) : شدة العنق وإشرافها . والوصف منه أبتع وبتع (وزان فرح) . وفي رواية أخرى :

«تلع» والتلع : طول العنق . وفي الأصلين : «بتع» بتقديم التاء المثناة على الباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٩) الجؤجؤ : الصدر . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

٤٤١

و"الْبَابُ": ما جرى عليه اللَّبُّ. ويقال: "عَتَقَ قَوْدَاءً" أى طَوِيلَةً. و"سَطَمَاءُ" أى طَوِيلَةً مُتَّصِبَةً غَلِيظَةً. و"تَلَمَاءُ": مُتَّصِبَةٌ غَلِيظَةٌ الْأَصْلُ مَجْدُولَةٌ الْأَعْلَى. و"دَنَاءٌ" أى مَطْمِئَنَةٌ مِنْ أَصْلِهَا. و"هَنَعَاءُ": مُطْمِئِنَةٌ مِنْ وَسَطِهَا. و"وَقَصَاءُ": قَصِيرَةٌ. و"مُرْهَفَةٌ": رَقِيقَةٌ^(١).

٥. وأما الظهر وما اتصل به من الِوَرِكَيْنِ — فنه: "الْمَتْنَانُ" وهما لِحْمَانٌ يَكْتَنِفَانِ الظَّهْرَ مِنْ مُرَكَّبِ الْمُتَّقِ إِلَى عُلُوِّ ظَهْرِ الذَّنْبِ. و"الْحَارِكُ": عَظْمٌ مُشْرِفٌ مِنْ بَيْنِ فَرْعِي الْكَتِفَيْنِ. و"الْقُرْدُودَةُ": حَدُّ الْفَقَارِ. و"الْفَقَارُ": الْمُنْتَظِمَةُ فِي الصُّلْبِ. و"الصَّهْوَةُ": مَقْعَدُ الْفَارِسِ. و"الْقَطَاةُ": مَقْعَدُ الرَّذِفِ خَلْفَهُ. و"المَعْدَانِ": مَوْضِعُ السَّرْحِ مِنْ جَنْبَيْهِ. قال شاعر^(٢):

١٠. فَمَا زَالَ سَرِحِي عَنْ مَعَدِّ * وَأَجْدِرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا^(٤)

و"الصُّرْدُ": بَيَاضٌ عَلَى الظَّهْرِ. و"الْفَرَابَانِ": مُتَّقِي أَعَالَى الْوَرِكَيْنِ فِي نَاحِيَةِ الصُّلْبِ. و"الصَّلَوَانِ": مَا أَسْهَلَ مِنْ جَانِبِي الْوَرِكَيْنِ. و"العَجَبُ": مَا أَرْتَفِعُ مِنْ أَصْلِ الذَّنْبِ. و"العُلُوَّةُ": أَصْلُهُ. و"العَسِيبُ": عَظْمُ الذَّنْبِ. وَالْأَعْوَجُ الْعَسِيبُ: "أَعَزَلُ".

١٥ (١) لعلها «دقيقة» بالذال المهملة . (٢) هو عمرو بن أحر الباهلي يخاطب امرأته، كما في لسان العرب (مادة معد) . (انظر ترجمته في الشعر والشعراء ص ٢٠٧ طبع أوروبا) .

(٣) في الأصلين: «سرح» بالخاء المهملة . والتصويب عن لسان العرب . ثم استطرد صاحب اللسان في تفسير البيت قائلا: «وقال ابن الأعرابي: معناه إن عزي فرسي من سرجي وميت» . وجواب الشرط مذكور في البيت بعده وهو:

٢٠. فلا تصل بمطروق اذا ما * مرى في القوم أصبح مستكينا

(٤) في الأصلين: «فأجدر» بانفاء بدل الواو، وهو تحريف .

(٥) في الأصلين: «بيض» وهو تحريف .

وأما الصدر وما اتصل به من البطن - فنه: "الكلكل": ما مس الأرض من فهدتيه. و"الفهدتان": اللحمتان الناتنتان في الصدر. و"المحزيم": ما شد عليه الحزام. و"النحراين": عرقان يودج منهما.

وأما الذراعان ومادونهما - "المرفقان": ما خير رهوس الذراع. و"الحصيلة": لحمه الذراع مع العصب. و"الصفان": عرق الذراع. و"الحبال": عصبها. و"الرفقان": لحمان في باطنهما لا تبتنان شعرا. و"الركبة": موصل ما بين الذراع والوظيف. و"الوظيفان": العظمان تحت الركبتين والعرقوين. و"الرصفتان": عظمان مستديران على الركبة. و"السنبك": طرف مقدم الحافر. و"النسر": ما يتطاير من أسفله كالنوى. و"المنقل": مجتمع الحافر من باطنه. و"آلية الحافر": مؤخره. ويقال: حافر أرح: منبطح السنايك. و"فرشاح": أى منبطح. و"وآب": مقعب. و"منزور": مضموم صغير. و"مكذب": أى كثيف. والله أعلم بالصواب.



وأما ألوانها وشياتها وغررها وجولها وعصمها وما فيها من الدوائر - من ألوانها: "البيهم والمضمت": كل ذى لون واحد لا شية فيه،

(١) في الأصلين: «النايزان» بالجم والزاي المعجمتين، وهو تصحيف.

(٢) في الأصلين: «الحصيلة» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٣) في الأصلين: «والرفقان»: جئان في باطنها لا يبتنان شعرا.

(٤) في الأصلين: «الركوبة»، وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «الرصفتان» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.

(٦) في الأصلين: «أزج» بالزاي والجم المعجمتين، وهو تصحيف.

(٧) في الأصلين: «مكذب» بالثين المعجمة، وهو تحريف.

إلا الأشهب فإنه لا يقال له بهيم . يقال : فرس مُصَمَّتٌ ، والأُنثى مُصَمَّتَةٌ ، والجمع مَصَامِيتٌ . وكذلك يُقال في قوائم الفرس إذا لم يكن بين تحجيل^(١) . قال أبو حاتم :
* مبهمَةٌ مُصَمَّتَةٌ القوائم *

ومن ألوان الخيل : "الدهم" ، وهي ستة : "أدهم غيب" وهو أشدها سوادا ، والأُنثى غَيْبَةٌ . والغَيْبُ : الظلمة ، والجمع غِيَابٌ . وكذلك "الغريدب" . و"الحالك" . و"أدهم دجوجي" : صافي السواد ؛ وقيل : هو ما خرد من الدججة ، وهي شدة السواد والظلمة . و"أدهم يحموم وأدهم أحم" وهو الذي أُشْرِبَتْ مِرَاتُهُ وَحِجْرَتُهُ حُمْرَةً . قال أبو تمام :

أو أدهم فيه كنة^(٢) أمم * كأنه قطعة من الغليس

ثم "أدهم أكهب" وهو إلى الكدرة .

ثم "أحوى" والجمع حَوْءٌ وهو أهون سوادا من الجون ، ومناخره حمرة ، وشاكلة مصفزة . والأحوى أربعة ألوان : "أحوى أحم" وهو المشاكل للدهمة والخضرة ؛ ولا فرق بينه وبين الأخضر الأحمر إلا بأحمرار مناخره وأصفرار شاكلته . و"أحوى أصبح" وهو الذي تقل حمرة مناخره فتصير إلى السواد ويكون البياض فيه غالبا على أطراف المنخرين . و"أحوى أطل" وهو الذي تعتريه صفرة وخضرة

(١) في كتاب فضل الخيل للامام الحافظ شرف الدين الديماطي المصري المتوفى سنة ٧٠٥ هـ

(ص ٤٨ طبع حلب) : «أنشد أبو حاتم» .

(٢) سواد الفرس : أعلى منه . وفي الأصلين «سراة» ، وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٩ م (ص ١٥٠) وشرحه للعلامة التبريزي (نسخة

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش ص ٣٢٨) . وفي الأصلين : «أدهم

في كنة تزيينه» ، وهو تحريف .

مُحَالِطَانِ لِكُدْرَةٍ. و"أَحْوَى أَكْهَبُ". وَالكَهَبُ: قَلَّةُ مَاءِ اللَّوْنِ وَكُدْرَتُهُ فِي مَوْضِعِ
الْمَخْرَجِ فِي حَمْرَتِهَا وَفِي سَوَادِ السَّرَاةِ فِي بَيَاضِ الْأَقْرَابِ .

ومنها الخضر - وهي أربعة: "أخضر أحم" وهو أدناها إلى الذهبية. قال
الشاعر:

* خَضْرَاءُ سَمَاءٍ كُلُّوْنَ الْعَوْهَقِ *

وهو اللَّازِزُ وَرَدُّ . و"أخضر أدغم" وهو الأخطب لون وجهه وأذنيه ومناخره .
وهذا اللون يُسَمَّى بِالْفَارَسِيَّةِ "دِرْجَا" . و"أخضر أطل" وهو الذي تعلو خضرتة
صُفْرَةٌ . و"أخضر أورق" وهو الذي كلون الرماد .

ومنها الكُمَيْتُ - والجمع كُمْتُ، والذكر والأُنثى فِيهِ كُمَيْتٌ، وهي تِسْعَةٌ .
قالوا: وَكُمَيْتٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَصْفَرَّةِ الْمُرْتَمَّةِ الَّتِي لَا تَكْبِيرُ لَهَا، مِنْ أَكَمْتُ بِمَنْزِلَةِ حُمَيْدٍ
مِنْ أَحْمَدَ، غَيْرَ أَنَّ أَكَمْتُ لَمْ يُسْتَعْمَلْ . وَالْكُمَيْتُ بَيْنَ الْأَحْوَى وَالْأَصْدَأَ، وَهُوَ أَقْرَبُ
مِنَ الشُّقْرِ وَالْوِرَادِ إِلَى السَّوَادِ وَأَشَدُّ مِنْهَا حَمْرَةً . وَالْفَرْقُ مَا بَيْنَ الْكُمَيْتِ وَالْأَشْقَرِ
بِالْعَرَفِ وَالذَّبِّ، فَإِنْ كَانَا أَحْمَرَيْنِ فَهُوَ أَشْقَرُ، وَإِنْ كَانَا أَسْوَدَيْنِ فَهُوَ كُمَيْتٌ، وَالْوَرْدُ
بَيْنَهُمَا . وَالْكُمَيْتُ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إِلَى الْعَرَبِ . وَمِنْ أَلْوَانِهِ: "كُمَيْتٌ أَحْمٌ"
وهو الذي يُسَاكِلُ الْأَحْوَى، غَيْرَ أَنَّهُ تَفْصِيلٌ بَيْنَهُمَا حُمْرَةُ أَقْرَابِهِ وَمَرَاقَهُ وَمُرْبَطَانِهِ .
والمُرْبَطَاءُ: الْجِلْدَةُ الَّتِي بَيْنَ الْعَانَةِ وَالسَّرَّةِ . وَالْأَقْرَابُ: مِنَ الشَّاكِلَةِ الَّتِي هِيَ الْخَاصِرَةُ

(١) في الأصلين: «ومنها الخضرة». وقد حذفنا التاء ليتسق كلام المؤلف؛ فقد ذكر سائر الألوان
بصفة الوصف .

(٢) جاء في كتاب قطر السيل في أمر الخليل للبلقيني (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٢١٤ فنون حربية): «ويقال: إن الحجاج قال لصاحب دوابه: أسرج الأُدغم . نفخ الرجل
لا يدرى ما قال له، فسأل يزيد بن الحكم (لعله يعني يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج ومستشاره) . فقال:
أفي دوابه ديزج؟ قال: نعم فيها ديزج . قال: أسرجه له .»

الى مَرَّاقِ البطن، واحدها: قُرْبٌ وقُرْبٌ . قال الأصمى: أشد الخليل جلوداً
 وحوافر الكُمَّتِ الحُمِّ . و"كُيْتُ أَحْمَمٌ" وهو الأسود الذي يضرب الى الصفرة .
 و"كُيْتُ أَطْحَمٌ" والطَّخْمَةُ: سوادٌ في مُقْتَمِ الأنف . و"كُيْتُ مُدَمِّي" وهو الشديد
 الحمرة وكلما انحدر الى مَرَّاقِ البطن يزدادُ صفاءً . و"كُيْتُ أَحْمَرٌ" وهو أشدُّ حمرةً
 من المدمى، وهو أحسنُ الكُيْتِ . و"كُيْتُ مُدْهَبٌ" وهو الذي تعلقو حمرة صُفْرَةً .
 و"كُيْتُ مُحْلَفٌ" وهو أدنى الكُمَّتِ الى الشقرة وظاهرُ شعرِ ذنبه وعُمرُفه كلون جسده
 وباطنه أسودٌ، والأثني مُحْلَفَةٌ . وأنشدوا:

كُيْتُ غَيْرُ مُحْلَفِيَةٍ وَلَكِنْ * كَلَّوْنَ الصَّرْفِ عُلٌّ بِهِ الأَدِيمُ^(٤)

قال أبو خيرة: المُحْلَفُ بين الأصهب والأحمر، وهو من الإبل الأصحُر . و"كُيْتُ
 أَكْلَفٌ" وهو الذي لم تصفُ حمرة ويرى في أطرافِ شعره سوادٌ . و"كُيْتُ أَصْدَأٌ"
 وهو الذي فيه صدأةٌ أى كُدرةٌ بصفرة قليلة، شَبَّهت بلون صدأ الحديد .

ومنها الوِوَادُ — وهى جمع وَرْدٍ وهى ثلاثة — والوَرْدُ هو الذى تَلَوُّه حمرةٌ
 الى الشقرة الخَلُوقِيَّةِ وجِلْدُهُ وأصولُ شعرِهِ سُودٌ . وقيل: الوَرْدَةُ: حمرةٌ تضربُ

(١) فى الأصلين: «أخضم» بالمعنتين، وهو تصحيف .

(٢) قائل هذا البيت هو ابن كلجة اليربوعى وأمه هيرة بن عبد مناف وكلجة أمه، كما فى لسان

العرب مادة «حلف» .

(٣) قال صاحب اللسان فى تفسير كلمة محلفة: «يعنى أنها خالصة اللون لا يخلف عليها أنها ليست

كذلك» .

(٤) الصرْف (بالكسر): صبغ أحمر يصبغ به شرك النعال . يعنى أنها خالصة الكمته كلون الصرْف .

(٥) الخَلُوقِيَّة (بالخاء المعجمة): نسبة الى الخَلُوق، وهو ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من

أنواع الطيب .

الى الصفرة . وتحقيقه أنه بين الكُبتِ الأحمرِ وبين الأشقرِ — منها : ”وردٌ خالصٌ“ و ”وردٌ مصاصٌ“ وهو الخالص أيضا ، والأثنى مصاصٌ . و ”وردٌ أغبسٌ“ تدعوهُ العجمُ ”السمندُ“ وهو الذى لونه كلون الرماد .

ومنها الشُّقرُ — وهى تسعة — والأشقرُ : أشدُّ حمرةً من الوردِ — يقال : ”أشقرُ أدبسٌ“ وهو الذى لونه بين السوادِ والحمرة . و ”أشقرُ خلوقى“ . و ”أشقرُ أصبحٌ“ وهو قريب من الأصهب . والصُّبَّةُ : الشُّقْرَةُ فى شعر الرأس . و ”أشقرُ سلغندٌ“ وهو الذى خلصت شُقرتُهُ ، والأثنى سلغندةٌ ، والجمع سلغنداتٌ . قال شاعرٌ :

أَشْقَرُ سَلْغَنْدٌ وَأَحْوَى أَدْعِجُ * أَصْكُ أَطْمَى وَحِفْيسٌ أَفْلَجُ^(٢) ^(٣) ^(٤)

و ”أشقرُ قريفٌ“ والأثنى قريفَةٌ ، والجمع قروفٌ وقرفاءٌ وهو كالسلغند . و ”أشقرُ مدمى“ وهو الشديدُ الحمرة . و ”أشقرُ أقهبٌ“ . والقُهبةُ : غُبرةٌ الى سوادٍ . وقال ابن الأعرابى : الأَقْهَبُ : الذى فيه حمرةٌ فيها غُبرةٌ . و ”أشقرُ أمقرٌ“ ، وهو الذى تعلو شُقرتُهُ مَغْرَةٌ ، أى كدرةٌ . و ”أشقرُ أفصحٌ“ : بين الفُضحة ، وهى البياض ليس بالشديد .

ومنها الصُّفْرُ — وهى أربعةٌ : ”أصفرُ فاقعٌ“ . و ”أصفرُ أعفرٌ“ وهو بياضٌ تعلوه حمرةٌ . و ”أصفرُ ناصعٌ“ . و ”أصفرُ ذهبيٌ“ وهو الذى يضربُ الى البياض ، وهو السُّوسِنِيُّ^(٥) .

(١) فى الأصلين : «أغبش» بالعين والشين المعجمتين ، وهو تصحيف .

(٢) كذا فى كتاب فضل الخليل للديماطى . والأطمى : الذى ليس به رهل (استرخاه اللحم من السمّن) .

وفى الأصلين : «أطمى» بالطاء المهملة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا فى كتاب فضل الخليل للديماطى ومعاجم اللغة . والقصير الغليظ . وفى الأصلين :

«وحفيس» بالشين المعجمة وتقديم الفاء على الياء ، وهو تحريف . (٤) الفلج : تباعد ما بين الساقين .

(٥) كذا فى كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى (ص ٢٢ طبع باريس سنة ١٩٢٢ م)

والسوسنى : نسبة الى السوسن ، وهو نبات طيب الرائحة ، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض .

وفى الأصلين : «السوسى» بدون النون ، وهو تحريف .

ومنها الشَّهْبُ — وهي خمسة . والأشهبُ : كلُّ فرس تكونُ شعرته على لوزين ثم تفترق شعراته فلا تجمع واحدا من اللوزين شعراتٌ تَخْصُ بلون كقَدْرِ النُّكْتَةِ (١) فما فوقها . وقيل : الأشهبُ الأبيضُ الشعرة ليس بالبياض الصافي القِرطَاسِيَّ وجلده أسودُ يقال له "أشهبُ أبيضُ" . والشَّهْبَةُ في الألوان : البياض الذي يَقلب على السواد . ويقال للأشهب أيضا : أَسْحَى ، والأثني ضيَاء . وأسماء ألوانه : "أشهبُ ناصِعٌ" . و"أشهبُ أحمٌ" وهو أسودُ تنفذه شعراتٌ بيضٌ . و"أشهبُ زُرْزُورِيٌّ" وهو الذي اعتدل فيه السواد والبياض . و"أشهبُ مفلِسٌ" وهو الذي خالط بياضه سوادٌ أو حُمْرة . و"أشهبُ سامِرِيٌّ" وهو الذي شُهِبته بسواد أورق .

ومنها الجَلْجُونُ (٢) — وهو اختلاط بياض بجمرة الأشقر أو الكُمَيْت .

- ١٠ ومنها الصَّنَابِيَّ — وهو دُهْمَةٌ فيها شُهْبَةٌ ، أو نُكْتَةٌ فيها شُهْبَةٌ أَقل من بياض الأشهب . نُسِبَ إلى الصَّنَاب وهو الخردل بالزيب .
- ومنها الأَغْبَرُ — وهو أشقرٌ شَمِلَتْ شُقرته شُهْبَةٌ .

- ومنها الأَبْرَشُ — وهو الذي فيه لَمَعٌ بياض كالرَّقْطِ ، وقيل : هو الذي يكون في شعره نُكْتٌ صِنَاغٌ مُخَالِفٌ سائر لونه ، وإنما يكون ذلك في الدَّهْمِ والشُّقْرِ خَاصَّةً ، وربما أصابها ذلك من شدة العطش . فإذا عَظُمَتِ النُّكْتُ فهو "مُدْرَجٌ" . وإذا كان في جسده بَقَعٌ مُتَفَرِّقَةٌ مُخَالِفَةٌ لَلونهِ فهو "مُلَمَعٌ" و"أَبْقَعٌ" و"أَشِيمٌ" . وقيل : الأَشِيمُ : أن تكون
- (١) كذا في كتاب ريشات المداد فيما يتعلق بالصفات الجياد . وفي الأصلين : « فترق شعرته » .
 (٢) كذا في كتاب فضل الخيل للديلمي وقطر السيل للبقيني . وفي الأصلين : « كدود » ، وهو تحريف .
 (٣) كذا في ب . وفي أ : « أحم » بزيادة الراء المهملة .
 (٤) في الأصلين : « الجلجون » ، وهو تحريف .
 (٥) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : « لدع » .
 (٦) الرقط : جمع أرقط ، والرقطه : سواد يشوبه قط بياض أو بياض يشوبه قط سواد .

فيه شامة بيضاء؛ وقيل : قد تكون الشامة غير بيضاء . وإذا كان في الشامة استطالة فهو "مولع"^(١) . وقال ابن بنين : إذا كانت في الدابة عدة ألوان من غير بلقي فذلك التوليع ، يقال : برذون مولع . وإذا كانت الشامة في مؤخره أو شقه الأيمن كرهت . ومنها العرسي - وهو الذي يشبه لون ابن عرس .

ومنها الأنمر - وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى من أي لون كان . ومنها الأبلق - وهو ما يكون نصف لونه أو ما قارب النصف أبيض ، والنصف الآخر أسود أو أحمر .

ومنها الأغشى (بالعين المعجمة) - وهو ما أبيض رأسه دون جسده مثل الأرخم^(٢) .

ومنها الأبيض - وهو الذي أبيض شعره بياضا مثل بياض الأوضح أشد ما يكون من البياض وأصفاه لا يخالطه شيء من الألوان فيقال ، فيه : أبيض قرطاسي . وربما كان أزرق العين أو أسود أو أحمر^(٣) . ويدعى بما في عينيه من زرقه وسواد وكحل ؛ ولا يكون أحمر حتى تسود أشفاره عينيه وجفونه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى في كتابه "فضل الخيل" : « وألوان الخيل أدهم ، وأخضر ، وأحوى ، وكثيت ، وأشقر ، وأصفر ، وأشهب ، وأبرش ، وملمع ، ومولع ،

(١) هو سليمان بن بنين بن خلف النحوي المصري المتوفى سنة ٥٦١ هـ له عدة مؤلفات ذكرها السيوطي في كتابه بنية الوعاة : منها كتاب آلات الجهاد وأدوات الصافيات الجياد الذي نقل عنه الحافظ الديلمي في كتابه فضل الخيل . (٢) أورد صاحب اللسان للأغشى معنيين أولها : الذي غشيت غرته وجهه واسمعت وثانها ما ذكره المؤلف . (٣) كذا في كتاب ريشات المداد . وقد ورد في الأصلين وكتاب فضل الخيل هكذا « ... لا يخالطه شيء من الألوان وربما كان أزرق العين أو أسود أو أحمر فيقال فيه أبيض قرطاسي . ويدعى ... الخ » . (٤) المراد به الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الديلمي المصري المتوفى سنة ٥٧٠ هـ مؤلف كتاب فضل الخيل . وقد طبع بمدينة حلب سنة ١٣٤٩ هـ . وما ساقه عنه المؤلف هنا يقع في ص ٤٧ من الكتاب المذكور .

وأشيم . هذا قول أبي عبيدة . وقال الأسيوردي في رسالته : الدُّهْمَةُ ، ثم الحُوَّةُ ، ثم الصُّدَاةُ ، ثم الحُضْرَةُ ، ثم الكُنْثَةُ ، ثم الوُرْدَةُ ، ثم الشُّقْرَةُ ، ثم الصُّفْرَةُ ، ثم العُفْرَةُ ، ثم الشُّبْهَةُ . هذا ما وقفنا عليه من ألوانها . والله أعلم .



• وأما الشَّيْبَةُ وجمعها شَيَاتٍ - فقالوا : كلُّ لَوْنٍ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَوْنِ الفَرَسِ فهو "شَيْبَةٌ" . فإذا لم يكن فيه شَيْبَةٌ فهو "أصمٌ" و"بهمٌ" من أى الألوان كان ، والأُنثَى أيضا بهم . وكذلك فرس "مُصَمَّتٌ" بمنزلة البهم من أى لون كان ، والأُنثَى مُصَمَّتَةٌ ، والجمع مَصَامِثٌ . وقد تقدّم ذكر ذلك . فلنذكر الشَّيَاتِ .

• من الشَّيْبَةِ - : العُرَّةُ ، والقُرْحَةُ ، والرُّثْمَةُ ، والتَّحْجِيلُ ، والسَّعْفُ ، والنَّبْطُ ، والصَّبْغُ ، والشَّعْلُ ، والأَلْظُ ، واليعسوبُ ، والتعميمُ ، والبَلَقُ .

• فالعُرَّةُ - : البياضُ في الوجه ، وهى أنواع : لَطِيمٌ ، وشادِخَةٌ ، وسائِلَةٌ ، وشِمْرَاخٌ ، ومُتَقَطَّعةٌ ^(١) ، وشَبَّاءٌ .

• "اللطيمُ" : الذى يُصِيبُ البياضُ عينيه أو إحداها أو خديه أو أحدهما ، والأُنثَى أيضا لَطِيمٌ . فإذا فَشَّتْ في الوجه ولم تُصَبِ العينَ فهى "شادِخَةٌ" . فإذا اعتدلت على قَصَبَةِ الأنفِ وإن عَرَضَتْ في الجبهة فهى "سائِلَةٌ" . وإذا دَقَّتْ وسالت في الجبهة وعلى قَصَبَةِ الأنفِ ولم تَبْلُغِ الجفلة فهى "شِمْرَاخٌ" . وكلُّ بياضٍ في جبهة [الفرس] فَشَا أو قَلَّ ينحدر حتى يَبْلُغَ المَرَسِينَ ثم ينقطع فهى عُرَّةٌ "مُتَقَطَّعةٌ" ^(٢) . وإذا كان البياضُ في مَنْخَرَيْهِ ثم ارتفع مُصْعِدًا حتى يَبْلُغَ بين عَيْنَيْهِ ما لم يَبْلُغِ جَبْهَتَهُ فهى أيضا عُرَّةٌ متقطعة .

(١) كذا في لسان العرب والقاموس (مادة قطع) . وفي الأصل : «متقطعة» بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) الكلمة من كتاب فضل الخيل وكتاب قطر السيل .

(٣) المرسن (فتح الميم وكسر السين) : موضع الرسن من أنف الفرس .

وإذا كان في العزة شعر يخالف البياض فهي غُرَّةٌ "شهباء" . وقال ابن قتيبة : «إن سالت غُرَّتَه ودَقَّت فلم تُجَاوِز العينين فهي "العصفورُ" . وإن أَخَذَتْ جميعَ وجهه غير أنه يَنْظُرُ في سوادٍ فهي "المبرِقةُ" . فإن فَشَّت حتى تأخذ العينين فبيض أشْفَارُهُما فهو "مُغْرَبٌ" . فإن كانت إحدى عَيْنَيْهِ زرقاء والأخرى كحلاء فهو "أخيفٌ" .

وأما القُرْحَةُ — وهي دُونَ العُرَّةِ ؛ فقال ابن قتيبة : العُرَّةُ : ما فوق الدرهم ، والقُرْحَةُ : قدرُ الدرهم فما دونه . قالوا : والقَرَحُ : كلُّ بياض كان في جبهة الفرس ثم أقطع قبل أن يبلغ المرْسَن . وتُنسَبُ القُرْحَةُ إلى خِلْقَتِهَا في الاستدارة والتثليث والتربيع والاستطالة والقِلَّةُ ؛ فإذا قَلَّتْ قيل : "خَفِيَّةٌ" . وإذا كان في القُرْحَةِ شعر يخالف البياض فهي "قُرْحَةٌ شهباء" .

وأما الرُّمَّةُ (بالئاء المثناة) — فكلُّ بياض أصاب المحفلة العليا قل أو أكثر فهو "رُمٌّ" إلى أن يبلغ المرْسَن . وتُنسَبُ الرُّمَّةُ إذا هي فَشَّت إلى الشُدُوح . وإذا لم تُجَاوِزِ المَنْخَرَيْنِ نُسِبَتْ إلى الاعتدال . وإذا قَلَّتْ وأشدت بياضها نُسِبَتْ إلى الاستدارة . وإذا لم يظهر بياضها للناظر حتى يدنو نُسِبَتْ إلى الحِجْفِيَّةِ .

واللُّظَّةُ — كلُّ بياض أصاب المحفلة السفلى قل أو أكثر فهو "لَمَظٌ" والفرس المظ .

والبِعْسُوبُ — كلُّ بياض يكون على قِصْبَةِ الأنفِ قل أو أكثر ما لم يبلغ العينين . وإذا شاب الناصية بياض فهو "أسعفٌ" . فإذا خَلَصَ البياضُ في الناصية فهو "أصبغٌ" . فإذا انحدر البياضُ إلى منبت الناصية فهو "المعَمُّ" . وإذا كان في عَرْضِ الذَّنْبِ بياضٌ فهو "أشعلٌ" . والعرب تكوه شُعْلَةَ الذَّنْبِ . وإذا كان في قَمْعَةِ الذَّنْبِ ، وهي طَرْفُهُ ، بياضٌ فهو "أصبغٌ" . وإذا أرتفع البياضُ حتى يبلغَ الطَّنَّ

- فهو "أنبط". وإذا ظهر البياض وزاد فهو "أبلق". وقال ابن قتيبة وآبن الأجدابي: (٢)
 إذا كان الفرس أبيض الظهر فهو "أرحل"، وإن كان أبيض البطن فهو "أنبط".
 وقال غيرهما: "الأدرع" من الخيل والشاء: الذي أسود رأسه ولون سائر أبيض،
 والأثني "درعاء"، من الدرعة. (٣) و"الأخصف" من الخيل والغنم: الأبيض
 الخالصين الذي ارتفع البلق من بطنه الى جنبه، ولونه كلون الرماد فيه سواد
 وبياض. وقيل: كل ذي لونين مجتمعين فهو خصيف وأخصف؛ وأكثر ذلك
 السواد والبياض. ويقال: فرس "أزر" إذا كان أبيض العجز.



- ومن الشية التحجيل — وهو البياض في قوائم الفرس الأربع، أوفى ثلاث
 منها، أوفى رجله قل أو أكثر إذا استدار حتى يطيف بها. وأصل المجلة من
 الجمل (بفتح الحاء وكسرها) وهو القيء والخلخال. قال ابن الأجدابي: فإن كانت
 قوائمه الأربع بيضاء لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو "محجل" (٤). وطلق اليد
 وطلق اليد (بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمهما أيضا): إذا كانت على لون البدن
 ولم يكن بها بياض. فإذا أصاب البياض القوائم كلها فهو "محجل أربع". وإن

- (١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٤٩ طبع مطبعة الوطن بمصر سنة ١٣٠٠ هـ).
 (٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن اسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجدابي الطرابلسي. (راجع
 ما كتبه على ألوان الخيل في كتابه كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ص ٢٦ طبع مطبعة وادي النيل).
 (٣) الدرعة: اسم من الدرع (بالتحريك) وهو سواد مقدم الفرس أو الشاة وبياض سائرهما؛
 وقيل: هو مواد الجسد وبياض الرأس. وإنما سميت بذلك تشبيها باليالي الدرع وهي ليلة ست عشرة
 وسبع عشرة وثمان عشرة أسودت أوائلها وبياض سائرهما. أو هي اليالي التي يطلع القمر فيها عند وجه
 الصبح وسائرهما أسود مظلم.
 (٤) كذا في كفاية المتحفظ لابن الأجدابي ومخاب فضل الخيل للدمايطي. وفي الأصلين:
 «الوركين» وهو تحريف.

كان في ثلاث قوائم فهو "مُجْبَلٌ ثَلَاثٌ" مُطْلَقٌ يَدِ أَوْ رِجْلٍ يُنْبِئُ أَوْ يُسْرِي . وَكَلَّ قَائِمَةٌ بِهَا بِيَاضٌ فَهِيَ "مُتَمَسِّكَةٌ" . وَكَلَّ قَائِمَةٌ لَيْسَ بِهَا وَضَعٌ فَهِيَ "مُطْلَقَةٌ" . فَإِنْ كَانَ الْبِيَاضُ فِي الرَّجْلَيْنِ جَمِيعًا فَهُوَ "مُجْبَلُ الرَّجْلَيْنِ" . وَإِنْ كَانَ فِي إِحْدَاهُمَا فَهُوَ "الْأَرْجَلُ" ؛ وَقَدْ ذَكَرْنَاهُ .

وَلَا يَكُونُ التَّحْجِيلُ وَقَعًا بِيَدٍ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ ، وَلَا بِيَدَيْنِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمَا رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ أَوْ وَضَعٌ بِالْوَجْهِ . فَإِنْ كَانَ التَّحْجِيلُ فِي يَدٍ وَرِجْلٍ مِنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ فَهُوَ مُتَمَسِّكُ الْإِيَامِنِ مُطْلَقُ الْإِيَّاسِرِ ، أَوْ مُتَمَسِّكُ الْإِيَّاسِرِ مُطْلَقُ الْإِيَّامِنِ ، وَيُقَالُ : الْإِيَّامِنِيُّ وَالْإِيَّاسِرِيُّ . وَإِنْ كَانَ مِنْ خِلَافٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ فَهُوَ "مَشْكُولٌ" ؛ وَهُوَ مَكْرُوهٌ فِي الْحَدِيثِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

+ +

ومنها العَصَمُ - وهو إذا كان البياض بإحدى يديه قلَّ أو كثر فهو "أَعْصَمُ" اليمنى أو اليسرى . وَأَسْمُ الْعُصْمَةِ ، أَخُوذٌ مِنَ الْمِعْصَمِ وَهُوَ مَوْضِعُ السَّوَارِ مِنَ السَّاعِدِ . فَإِنْ كَانَ الْبِيَاضُ فِي يَدِهِ الْيَسْرَى قِيلَ : "مَنْكُوسٌ" ؛ وَهُوَ مَكْرُوهٌ . وَإِنْ كَانَ الْبِيَاضُ بِيَدَيْهِ جَمِيعًا فَهُوَ أَعْصَمُ الْبَيْدَيْنِ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِوَجْهِهِ وَضَعٌ فَهُوَ "مُجْبَلٌ" ذَهَبَ عَنْهُ الْعَصَمُ . فَإِنْ كَانَ بِوَجْهِهِ وَضَعٌ وَبِإِحْدَى يَدَيْهِ بِيَاضٌ فَهُوَ أَعْصَمٌ ، لَا يُوقَعُ عَلَيْهِ وَضَعٌ الْوَجْهِ أَسْمَ التَّحْجِيلِ إِذَا كَانَ الْبِيَاضُ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ .

وَوَضَعُ الْقَوَائِمِ : الْخَلَاتِمُ ، وَالْإِنْعَالُ ، وَالتَّخْدِيمُ ، وَالصَّبْغُ ، وَالتَّجْبِيبُ ، وَالْمُسْرُولُ ، وَالْأَنْحَرَجُ ، وَالتَّسْرِيجُ . فَأَقْلُ وَضَعِ الْقَوَائِمِ "الْخَلَاتِمُ" وَهُوَ شَعْرَاتٌ بِيَضٌ . فَإِذَا جَاوَزَ ذَلِكَ حَتَّى يَكُونَ الْبِيَاضُ وَاضِحًا فَهُوَ "إِنْعَالٌ" مَا دَامَ فِي مَوْثَرِ رُسْغِهِ مِمَّا يَلِي الْحَافِرَ . فَإِذَا جَاوَزَ الْأَرْسَاغَ فَهُوَ "تَخْدِيمٌ" . وَإِذَا أَبْيَضَتِ الثَّنَّةُ كُلُّهَا وَلَمْ يَتَّصِلْ

(١) لعله يريد ما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الشكال في الخليل . (٢) الثنة : الشعرات التي في مؤثر رسغ الدابة .

(١)
 بياضاً بياض التحجيل فهو "أصْبَغُ". وإذا ارتفع البياض في القوائم إلى الجَبَبِ
 فما فوق ذلك ما لم يبلغ الركبتين والعُرْقَوَيْنِ فهو "التجيبُ". فإذا بلغ التجيبُ
 الركبتين والعُرْقَوَيْنِ فهو "مُسْرَوْلٌ" حتى يخرج من الذراعين والساقين . فإذا خرج
 من الذراعين والساقين فهو "أحْرَجُ". وكلُّ بياض في التحجيل مُسْتَطِيلٌ فهو
 "تَسْرِيحٌ". والله أعلم .



وأما ما في الفرس من الدوائر — فمنها : "دائرةُ الحيا" وهي اللاصقة
 بأسفلِ الناصية . و"دائرةُ اللطمة" في وسطِ الجهة، فإن كانت دائرتان في الجهة
 قيل : فرسٌ تطيح . و"دائرةُ الأهرين" التي تكون في اللّهزيمة . و"دائرةُ العمود"
 وتُسمى العموداً أيضاً وهي في موضعِ القلادة . و"دائرةُ السّامة" في وسطِ العنق .
 و"دائرتا البيّقين" وهما اللتان في نحرِ الفرس . و"دائرةُ النّاحر" التي في الجِهران
 إلى أسفل من ذلك . و"دائرةُ القالع" التي تكون تحت اللبّد . و"دائرةُ الحقعة"
 في الشّفتين ، وتُدعى النافذة أيضاً ، وقيل : هي التي تكون في عرضِ زوره .
 و"دائرةُ النّافذة" وهي دائرة الحزام . و"دائرتا الصّقرين" في الجببتين والقُصْرَيْنِ —

- ١٥ (١) الجبة : مفرز الوظيف في الخافر .
 (٢) في الأصلين : « بطيح » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .
 (٣) كذا في ١ وقد جاء في المخصص (ج ٦ ص ١٤٧) : « والدائرتان اللتان في نحر الفرس
 يقال لهما : البيّقان ، الواحدة بنية بالهاء ، والثنية بنيرها . » وفي ن واللسان (مادة بتق) :
 « البيّقتين » بإثبات هاء التأنيث في الثنية .
 ٢٠ (٤) الناحران (بالحاء المهملة) : عرقان في صدر الفرس . والجهران : باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق
 من مذبح البعير إلى منحره .
 (٥) كذا في لسان العرب (مادة نفذ) وتكتاب فضل الخيل للديماطي . وفي الأصلين : « الشفتين »
 بالفاء والتاء ، وهو تحريف .

والجَبَّةُ : رأس الـوَرِكِ ، والقَصْرَى : الضَّلَعُ التي تلى الشاكلة — و«دائرة الحَرْبِ» تكون تحت الصَّقْرَيْنِ . و«دائرة الناخس» تكون تحت الجَاعِرَتَيْنِ الى الفَائِلَيْنِ . وهما عِرْقَانِ فِي الفَيْخِذِ . والجَاهِرَتَانِ : حَرْفَا الـوَرِكَيْنِ المُشْرِفَانِ عَلَى الفَيْخِذَيْنِ ، وهما مَضْرِبُ الفَرَسِ بِذَنبِهِ عَلَى نِخْذِيهِ ، وهما مَوْضِعُ الرِّقْمَتَيْنِ مِنْ أَسْتِ الحِمَارِ .

وكانت العرب تَسْتَحِبُّ من هذه الدوائر: المَعُوذُ، والسَّامَةُ، والهَقْمَةُ. وقيل: أَسْتَحَبُّوا الهَقْمَةَ ثم كَرِهَواها . يقال : إن المهقوع لا يَسْبِقُ أبدا . وكانوا يكرهون النَّطِيحَ ، وَاللَّاهِزَ ، والقَالِجَ ، وقيل : الناخس أيضا . وما سوى هذه الدوائر فغير مكروه .

وقال ابن قتيبة: «والدوائر ثمانى عشرة دائرة. تُكْرَهُ منها "الهقمة" وهي التي تكون في عَرْضِ زوره ، ويقال : إن أبقى الخيل المهقوع . و«دائرة القالِج» هي التي تكون تحت اللبذ . و«دائرة الناخس» هي التي تكون تحت الجَاعِرَتَيْنِ الى الفَائِلَيْنِ . و«دائرة اللطاة» في وسط الجبهة ، وليست تُكْرَهُ إذا كانت واحدة ؛ فإذا كانت هناك دائرتان قالوا : فرس نَطِيحٌ ؛ وذلك مكروه . وما سوى هذه الدوائر غير مكروهة» .

ومن الدوائر التي ذكرتها الهند في البركة والشؤم — قالوا: إذا كان في موضع حَكْمَتِهِ دائرةٌ أو على جَحْفَلَتِهِ العُلْيَا دائرةٌ كان مما يُرْتَبَطُ . وما كان منها ليس في وجهه ولا في صدره دائرةٌ فمكروه ارتباطه . وما كان في صدره دائرةٌ الى التربيع ، أو كان في رأسه دَارَتَانِ ، أو على خَاصِرَتِهِ أو على مَذْبِجِهِ دائرةٌ ، أو في عَقْبِهِ أو على خَطْمِهِ أو على أُذُنِهِ شَعْرٌ نابت كرهرة النبات ، كان ذلك مما يُرْتَبَطُ وتُقَضَى عليه الحوائج ، ويكون صاحبه مظفراً في الحروب ولا يرى في أموره إلا خيرا .

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٥١ طبع مصر) . (٢) الدارة بمعنى الدائرة .

وذكروا أيضا : أنه لا ينبغي أن يرتبط من الدواب ما كان منها في مُقَدِّم يده
 دائرة، وما كان أسفل من عينيه دائرة، أو في أصل أذنيه من الجانبين دَارَتَانِ،
 أو على مَائِضِهِ دَائِرَةٌ، أو على مَحْجِرِهِ دَائِرَةٌ، أو في خَدِّهِ أو في جَحْفَلَتِهِ السُّفْلَى أو على
 ملتقى لَحْيَيْهِ دَائِرَةٌ، أو في بطنه شعر منتشرٌ، أو على سُرَّتِهِ دَائِرَةٌ، أو كانت أسنانه طالعةً
 على جحفلته، أو له سَنَانٌ ناتئان بمنزلة أنياب الخنزير، أو في لسانه خُطَطٌ سُودٌ لا خُضْرَ،
 وما كان منها أَدْبَسٌ أو أبيض أو أصفر أو أشهب تعلوه حمرةٌ وداخل جحافله ولهُوَاتِهِ
 وخارج لَحْيَيْهِ سَوَادٌ، وما كان منها أدهم وداخل جحافله أبيض، أو في لهواته وداخل
 شِدْقِهِ قَطُّ سُودٌ وجحفلته خارجها مُنْقَطِعٌ كَحَبِّ السَّمْسَمِ، أو على مِئْسَجِهِ دَارَتَانِ،
 أو على خُصْيَيْهِ وبر أسودٌ مَخَالِفٌ لَلْوَنِهِ، أو كان في جَبْهَتِهِ شَعْرَاتٌ [مُخَالِفَةٌ لَلْوَنِهِ]،
 أو ما كان منها حين يُنْتَجِ يَرى خُصْيَاهُ ظَاهِرِينَ - فهذه العلامات زعم حنّة الهندى
 أنه لا ينبغي لأحد أن يرتبط دابةٌ بها شيءٌ منها . وزعم أنه يُسْتَحَبُّ أن يرتبط ما كان
 في صدره أربعُ قَطِيطٍ في أربعة مواضع ، أو شعرٌ ملتفٌ عَرَضًا وطولًا ،
 أو شعرٌ ملتوٍ .

(١) المائض : باطن الركبة .

(٢) محجر العين (بتقديم الحاء على الجيم مثال مجلس) : ما يبدو من القناب .

(٣) الدبسة : حمرة مشربة سوادا ، وتكون في الشاء والخليل .

(٤) اللهوات جمع اللهاة : لحمه حمراء في الخنك معلقة على عكدة اللسان .

(٥) التكلة عن كتاب رشحات المداد .

(٦) في الأصلين : « ظاهرة » .

(٧) كذا في كتاب فضل الخليل للديلماطى (ص ٦٩) ورسحات المداد (ص ١٠٣) . وفي الأصلين :

« جنة » بالجيم المعجمة .



وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها، ومحاسنها،
والعلامات الدالة على جودة الفرس ونجابتة :

قالت العرب : والخيل نوعان : عتيق وهو المسمى فرسا، وهجين وهو المسمى
برذونا . والفرق بينهما أن عظم البرذون أغاظ من عظم الفرس ؛ وعظم الفرس
أصلب وأثقل من عظم البرذون ؛ والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من
البرذون ؛ والعتيق بمنزلة الغزال، والبرذون بمنزلة الشاة .

وفي طبع الفرس : الزهو، والخيلاء، والعُجب، والسرور بنفسه، والمحبة لصاحبه .
وفي طبعه : أنه لا يشرب الماء إلا كدرا؛ حتى إنه يرد الماء وهو صاف فيضرب
بيده فيه حتى يكدره ويعكزه . وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى خياله
فيه فيتحاماه ويأباه، وذلك لفزعه من الخيال الذي يراه في الماء . وهو يُوصف بحدة
البصر . وفي طبعه : أنه متى وطئ أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك،
ويخرج الدخان من جلده؛ وإذا وطئته الأثني وهي حامل أزلقت^(١) . والأثني من الخيل
تحمِل سنة كاملة ؛ هذا هو المعروف من عاداتها . وأخبرني بعض من أثق إلى قوله
أنه كان يملك حجرا تحمِل ثلاثة عشر شهرا . وسمعتُ أن عند التتر جنسا من خيلها^(٢)
تحمِل الفرس منها تسعة أشهر وتضع . وقال لي الناقل : إن هذا أمر مشهور عندهم
معروف مألوف لا ينكرونه ولا يتعجبون .

(١) أزلقت الفرس : أسقطت حملها لغير تمامه .

(٢) الحجر (بالكسر) : الأثني من الخيل .

(٣) كذا في شرح القاموس ، وهم جيل بأفاسي بلاد المشرق يتأخون الترك . وفي الأصلين :
« التار » .

فصل - والعلامات الجامعة لتجابه الفرس الدالة على جودته، ما ذكره أيوب^(١) ابن القريّة وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال : القصيرُ الثلاث، الطويلُ الثلاث، الرَّحْبُ الثلاث، الصافي الثلاث. فقال : صِفْهُنَّ ؛ فقال : أما الثلاث الطّوال فالأذن^(٢) والعنق والذراع . وأما الثلاث القصار فالظهر والساق والعسيب . وأما الثلاث الرّجة فالجبهة والمنخر والجوف . وأما الثلاث الصافية فالأديم والعينان والحافر . وقد جمع بعض الشعراء ذلك في بيت واحد فقال :

وقد أغتدى قبل ضوء الصّباح * وورد القَطَا في الغَطَا الحَنَات^(٣)
بصافي الثلاث عريض الثلاث * قصير الثلاث طويل الثلاث

وهذه الحكاية أيضا نقلت عن صعصعة بن صوحان وقد سأله معاوية : أتى الخيل أفضل؟ فقال : الطويلُ الثلاث، العريضُ الثلاث، القصيرُ الثلاث، الصافي الثلاث. قال معاوية : فسّر لنا؛ قال : أما الطويل الثلاث فالأذن والعنق والحزام. وأما القصير الثلاث فالصُّلب والعسيب والقضيب . وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك . وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والحافر .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لعمر بن مَعِدِ يَكْرِب : كيف معرفتك بعَرَاب الخيل ؟ قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده؛ فأمر بأفراس فَعْرِضَتْ

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس، والقريّة أمه . وهو من بني هلال . وكان لسانا خطيبا . قتله الحجاج لاتهامه بالميل الى ابن الأشعث . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١١٥ طبع بولاق) .
(٢) كذا في كتاب نخبة عقد الأجياد في الصافات الجياد (ص ١١١ طبع بيروت) . وفي الأصلين : « فالأنف » .

(٣) الغطاط : ضرب من القطا، الواحدة غطاطة .

عليه ؛ فقال : قَدَّمُوا إِلَيْهَا الْمَاءَ فِي التَّرَاسِ ، فَمَنْ شَرِبَ وَلَمْ يَكْتِفِ فَهُوَ مِنَ الْعَرَابِ ،
وَمَا تَتَى سُنْبُكَ فَلَيْسَ مِنْهَا .^(٣)

وقيل : أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ثلاثين فرساً من خيل
مصر ؛ فَعُرِضَتْ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ عَثْبَةُ بِنْتُ سَفِيَانَ بْنِ يَزِيدِ الْحَارِثِيِّ ؛ فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : كَيْفَ
تَرَى هَذِهِ يَا أَبَا سَفِيَانَ ؟ فَإِنْ عَمَّرَ قَدْ أَطْبَقَ فِي وَصْفِهَا ؛ فَقَالَ : أَرَاهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
كَمَا وَصَفَ ؛ وَإِنَّمَا لِسَامِيَةُ الْعَيُونَ ، لِأَحَقَّةِ الْبَطُونِ ؛ مُضْغِيَةُ الْأَذَانِ ، قَبَاءُ الْأَسْنَانِ ؛
ضِحَامُ الرَّجَبَاتِ ، مُشْرِفَاتُ الْحَجَبَاتِ ؛ رِحَابُ الْمَنَاخِرِ ، صِلَابُ الْحَوَافِرِ ؛ وَضَعُهَا تَحْلِيلُ ،
وَرَفْعُهَا تَقْلِيلُ ؛ فَهِيَ إِنْ طُلِبَتْ سَبَقَتْ ، وَإِنْ طُلِبَتْ لَحِقَتْ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
إِصْرِفْهَا إِلَى دَارِكَ ، فَإِنْ بَنَى عَنْهَا غَتَّى ، وَبَقِيَانَاكِ إِلَيْهَا حَاجَةٌ .

وقال أبو عبيدة : يُسْتَدَلُّ عَلَى عِتْقِ الْفَرَسِ بَرَقَةً بِجَافِلِهِ وَأُرْبَتِهِ ، وَسَعَةً مَنَحْرِيهِ ،
وَعُرْيَ نَوَاقِهِ ، وَدِقَّةَ حَقْوِيهِ وَمَا ظَهَرَ مِنْ أَعْلَى أُذُنِيهِ ، وَرَقَّةَ سَالْفَتِيهِ وَأَدِيمِهِ ،
وَلَيْنَ شَعْرِهِ ؛ وَأَبِينُ مِنْ ذَلِكَ كَلَّةٌ لَيْنٌ شَكِيرٌ نَاصِيَتُهُ وَعُرْفُهُ .^(٦)

(١) التراس : جمع ترس وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٢) كفت الخيل : ارتفعت فروع أكتافها .

(٣) قال ابن عبدربه في العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) بعد سياقه هذا الخبر : « قلت :
إنما المحفوظ أن عمرشك في العناق والهجن فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء فوضع بالأرض
ثم قدم إليها الخيل فرسا فرسا ، فأتى سنبله وشرب منه » اه .

(٤) في الأصلين : « أقباء » وهو تحريف . يقال : قبت نابه إذا صوتت وطمقت .

(٥) يريد : أن مواصلها بين خطوطها كموصلة الحالف يمينه بالتحلة لا تراخي بينهما . والتحلة قول

الحالف : ان شاء الله عقب الخمين . (عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري — الكتاب العاشر) .

(٦) كذا في كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هنتيل الأندلسي (ص ١٧) . وقد ورد

في الأصلين محزفا . والشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر ، وهو مما يستدل به على العتق .

وكانوا يقولون : إذا اشتدَّ نَفْسُهُ ، وَرَحِبَ مُتَنَفِّسُهُ ، وطال عتقه ، وأشدَّتْ حِقْوُهُ ، وَأَنْهَرَتْ شِدْقُهُ ، وَعَظُمَتْ نِغْدَاهُ ، وَأَنْشَجَتْ أَنْسَاؤُهُ ، وَعَظُمَتْ فِصْصُهُ ، وَصَلَبَتْ حَوَافِرُهُ وَوَحَّتْ^(٢) ، لِحِقِ بِيَادِ الْخَيْلِ . والله أعلم .

ومما يستحبُّ من أوصافها في الخلق — الأذُنُ المؤلِّمةُ ، والناصية المعتدلة التي ليست بسَفْوَاءٍ ولا غَمَاءٍ ، والجبهةُ الواسعةُ ، والعينُ الطامعة السامية ، والخذ الأسيل ، وَرُحْبُ الْمُتَخَرِّينَ ، وَهَرَّتِ الشَّدَقِينَ — قال الشاعر^(٣) :

هَرِيَّتْ قَصِيرُ عِدَارِ الْجَمَامِ * أَسِيلٌ طَوِيلُ عِدَارِ الرَّسَنِ^(٤)

قوله : "قصير عذار الجمام" : لم يُرد به قِصَرُ خَدِّهِ ، وإنما أراد طولَ شِقِّ الفِئَمِ .^(٥)
ويدلُّ على ذلك قوله في البيت :

* أَسِيلٌ طَوِيلُ عِدَارِ الرَّسَنِ *

١٠

(١) الشنج : تقلص الجلد والأصابع وغيرها ، يقال : فرس شنج النسا : متقبضه . وهو مدح له .
والنسا بالفتح : عرق من الورك إلى الكعب .

(٢) كذا في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) . ووحَّت (من باب ضرب وعلم وكرم) : صلبت . وورد في الأصلين محرفاً .

(٣) هو تميم بن أبي بن مقبل ، كما في شرح القاموس (مادة قبل) ولسان العرب (مادة رسن) وهو أحد شعراء الجاهلية ، مضمزم عاش مائة وعشرين سنة .

(٤) الهريث : الواسع الشدين الطويل شق الفم ، كما في كتاب شرح أدب الكاتب لموهوب بن أحمد ابن محمد الجواليقي (ص ١٩٢ من النسخة المتروغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) . وقد جاء هذا البيت في كتاب الخليل للأصمعي طبع فينا هكذا :

٢٠

وأحوى قصير عذار الجمال * م وهو طويل عذار الرسن

(٥) هذا التفسير لابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب (ص ٤٢) طبع مطبعة وادي النيل . وقد نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) .

يريد طولَ خَدِّه — وَقَوْدُ العنقِ (لِئِنها حَتَّى لا تَكُون جاسئةً) ^(١)، وَرِقَّةُ الجَحْفَلَتَيْنِ ،
وَأرتفاعُ الكَتِفَيْنِ والحارِكَ والكاھلِ .

قالوا : ويستحبُّ أن يَشْتَدَّ مُرْكَبُ عُنُقِهِ في كاهله لأنَّه يَتَسانَدُ إليه إذا
أخْضَرَ ، وَعِرَضُ الصِّدْرِ ، وَضيقُ الزَّوْرِ ، وَأرتفاعُ اللسانِ ، وَأَنْ يَشْتَدَّ حَقْوُهُ
لأنَّه مُعَلَّقٌ وَرِكَيْهِ وَرِجْلِيهِ في صُلْبِهِ ، وَعِظْمُ جَوْفِهِ وَجَنبِيهِ ، وَأَنْطِواءُ كَشْحِهِ ،
وَإشْرافُ الفِطَّاءِ ، وَقصرُ العَسيبِ ، وطولُ الذَّنْبِ ، وَشَنجُ النِّساءِ ، وَأستواءُ الكَفَلِ
حَتَّى لا يَكُونُ أَقرَنَ ، وَمِلاَسَةُ الكَفَلِ ، وَقصرُ الساقينِ ، وطولُ الفِخْدَيْنِ ، وَتَوثيرُ
الرَّجْلينِ حَتَّى لا يَكُونُ أَفْسطَ ، وَتأنيفُ العِرقوبينِ حَتَّى لا يَكُونُ أَفْعَ ، وَغِلْظُ الرُّسْعِ ،
وَأَنْ تَكُونُ الحِوافرُ صِلاباً سَوِداً أو خَضِرا .

وَحكى أَنَّ هارونَ الرِّشيدَ رَكِبَ في سَنَةِ خَمسٍ وَثَمانيْنَ وَمِائةً إلى المِيدانِ لِشَهودِ
الحَلْبَةِ ، قالَ الأَصمعيُّ : فَدَخَلتِ المِيدانَ لِشَهودِها ، بَقاءَ فَرَسٍ أَدهمُ هارونَ الرِّشيدَ
سابقاً يُقالُ لَه "الرِّبْدُ" ؛ فَسُرَّ بِهِ الرِّشيدُ وَأَبتهجَ وقالَ : عَلَيَّ بِالأَصمعيِّ ، فَنوَدِيتُ مِنْ كُلِّ
جانبٍ ، فَأقبَلْتُ سَريعا حَتَّى مَثَلْتُ بَينَ يَدَيْهِ ؛ فقالَ : يا أَصمعيُّ ، خذْ بِناصِيَةِ "الرِّبْدِ"
ثُمَّ صَفِّهِ مِنْ قَوْنِسِهِ إلى سُنْبُكِهِ ، فَإِنَّه يُقالُ : إِنْ فِيهِ عَشْرينِ أَسْماءَ مِنْ أَسْماءِ الطَّيْرِ ؛
فَقُلْتُ : نَعَمْ يا أَميرَ المُؤمِنينِ ، وَأُنسَدُكَ شَعرا جامعا لها مِنْ قولِ أَبِي حَزْرَةَ ؛ قالَ :
فأَنسَدنا لَه أوبوك ! ؛ فَأَنسَدتَه :

(١) كذا في كتب اللغة . والجاسئة : الصلبة الخشنة . ووردت في الأصلين محرفة .

(٢) سيذكر المؤلف « الأفسط » ويفسره في العيوب التي تكون في الخلفة .

(٣) تأنيف العرقوبين : تمديد طرفيهما . ويستحب في الفرس أن يكون حديد طرف العرقوب .

والقمع في العرقوب : غلظ قمعه (رأسه) ، وهو عيب .

(٤) في العتد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٦١ طبع بولاق) : « ... لشهودها فيمن شهد من خواص

أمير المؤمنين ، والحلبة يومئذ أفراس للرشد ولولديه الأمين والمأمون ولسليمان بن أبي جعفر المنصور ولعيسى

ابن جعفر بقاء ... الخ » . (٥) كذا في الأصلين وحلية الفرسان لابن هذيل . وفي العقد الفريد :

« الربد » . ولعل صوابه « الربد » (وزان فرخ) . بالذال المعجمة . والربد من الخيل : السريع .

(٦) هي كنية جرير بن عطية الخطفي الشاعر المشهور .

(١) وَأَقْبُ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ * مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ

الهامة : أعلى الرأس . والنسر : ما أرتفع من بطن الحافر من أعلاه . وهما من أسماء الطير .

(٢) رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوَفَّرَ فَرْخُهُ * وَتَمَكَّنَ الصُّرْدَانِ فِي النَّحْرِ

النعام : جلدة الرأس التي تغطي الدماغ . والفرخ : الدماغ . والصردان : عرقان في أصل اللسان، ويقال : إنهما عرقان يكتنفان باطن اللسان . وفي الظهر أيضا صرد يكون في موضع السرج من أثر الدبر . والنعام والفرخ والصردان من أسماء الطير .

(٣) وَأَنَافٌ بِالْعَصْفُورِ فِي سَعَفٍ * هَامٍ أَشْمٌ مَوْثِقُ الْجَذْرِ (٤)

العصفور : أصل منبت شعر الناصية ، وهو أيضا عظم ناتئ في كل جبين ، وهو أيضا من الغزر . والسعف : يقال : فرس أسعف إذا سالت ناصيته . وهام أي سائل . والشمم : ارتفاع قصبه الأنف . وموثق الجذر أي شديد . والجذر : الأصل من كل شيء .

وَأَرْدَانٌ بِالذِّيكَ يَنْ صَلَّصَلَهُ * وَنَبْتُ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ (٥)

الديكان : واحدهما ديك وهو العظم الناتئ خلف الأذن ، وهو الذي يقال له الخشاء والخششاء . والصلصل : بياض في طرف الناصية ، ويقال : هو أصل

(١) الأقب : الضامر . والرحان : الذئب . وقد ذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد هذا التصديده وشرح الألفاظ الغريبة في أبحاثه عند ذكره «سوابق الخليل» (راجع ج ١ ص ٦١ - ٦٣ طبع بولاق).

(٢) رحب : اتسع . ووفر : تم وكل .

(٣) أناف : أشرف . ويروي : «هاد أشم» ، يريد عقبا مرتفعا .

(٤) قال الأصمعي وغيره : هو بالفتح ، وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

(٥) كذا في العقد الفريد وحلية الفرسان . وفي الأصلين : «على» .

الناصية . والدجاجة : اللحم الذي على زوره بين يديه . والديك والصلصل
والدجاجة من الطير .

والتاهضان أمره جازها * فكأنما عينا على كسر

التاهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكبين ، ويقال : هو اللحم الذي يلي
العضدين من أعلاهما . والتاهض : فرخ العقاب . وقوله : « أمره جازها » أى
قتل وأحكم ، يقال : أمرت الحبل أى فتلته . والجأز : الشد . وقوله :

* فكأنما عينا على كسر *

أى كأنهما كسرا ثم جبرا . والعثم : الجبر على عقدة وعوج .

مُسْحَنَفِر الجنيين ملتئم * ما بين شيمته الى الفتر

قوله : « مسحنفر الجنيين » أى متفخهما . ملتئم أى معتدل . والشيمة : من
قولك : فرس أشيم : بين الشامة . والفتر^(٢) فى الطير الأغلب الذى يسمى الرنحة .
وهى من الفرس عَضَلَةُ الساق .

وصفت سماناه وحافرُه * وأديمه ومنابت الشعر

السمانى : طائر وهو موضع من الفرس ربما أراد به السمامة ، وهى دائرة تكون
فى سالفة الفرس . والسمامة أيضا من الطير . وأديمه : جلده .

(١) عبارة ابن عبد ربه فى العقد الفريد : « وشيمته : منخره ، والشيمة أيضا من قولك فرس بين
الشيمة وهى بياض فيه » .

(٢) عبارة العقد : « والفتر فى الأغلب على الذى يسمى الرنحة من الفرس وهى عضلة الساق » . وكلتا
العبارتين غير واضحة .

(٣) عبارة ابن عبد ربه فى كتاب العقد : « وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السمامة
وهى دائرة ... الخ » .

(٤) فى الأصلين : « السمانه » بالنون ، وهو تحريف .

وسما الغرابُ لموقعيه معاً * فأبينَ بينهما على قدر

الغراب : رأس الوريك ، ويقال للصَّالِوَيْنِ الغرابان ، وهما مُكْتَنِفَا عِجْمِ الذنَبِ ^(١) ،
ويقال : هما ملتقى أعلى الوريكين . والموقعان : ما في أعلى الخاصرتين . وقوله :

* فأبينَ بينهما على قدر *

أى فرَّقَ بينهما على استواء واعتدال .

وأكتنَ دون قبيحه خُطَّافُه * وناتَ سمَّته على الصقر

قوله : واكتنَ أى استتر . والقبيحُ : ملتقى الساقين ، ويقال : إنه مُرْتَبِ
الذراعين في العَضْدَيْنِ . والخُطَّافُ : هو حيث أدركت عَقِبَ الفارسِ إذا حَرَكَ
رجليه ؛ ويقال لهذين الموضعين من الفرس المَرْتَكَلَانِ . وناتَ أى بَعَدَت .

والسَّامَةُ : دائرة تكون في عنق الفرس . والصقر : دائرة في الرأس . والخُطَّافُ
والسَّامَةُ والصقر من أسماء الطير .

وتقدَّمت عنه القَطَاةُ له * فَنَاتُ بموقعها عن الحُرِّ

القَطَاةُ : مَقْعَدُ الرِّدْفِ . والحُرُّ : سوادٌ في ظاهر أذني الفرس . وهما من الطير .
يقال : إن الحُرَّ ذَكَرَ الحمام .

وسما على تقويته دون حداته * نحرَبانِ بينهما مدى الشِّبْرِ

النَّحْوَانِ : واحدهما نَقْوٌ والجمع أنقاء ، وهو عظم ذُو مِخْ . وعنى هاهنا عظام
الوَرِيكَيْنِ ، لأن الخَرْبَ هو الذى تراه مثل المَدْهُنِ في وركِ الفرس . وهو من الطير
ذَكَرَ الحَبَّارِي . والحِدَاةُ : سالفَةُ الفرس . وهى من الطير .

(١) العجم : أصل الذنب ، وهو العصص ، لغة في «العجب» بالباء الموحدة .

(٢) العقب : مؤنر القدم .

(٣) عبارة ابن عبد ربه في كتاب العقد : «والصقر : أحسها دائرة في الرأس وما وقفت عليها» وقد

جاء في اللسان : أن الصقرين : دائرتان من الشعر عند مؤنر البدن من ظهر الفرس .

(٤) كذا في العقد الفريد . والمدهن : ما يجعل فيه الدهن . وفي الأصلين : «الدهن» بدون ميم .

يدع الرُّضِيمَ إِذَا جَرَى فَلَقًّا * بَتَوَائِمِ كَوَاسِمِ سُمَيْرِ

الرُّضِيمُ : الحجارة ، يَفْلُقُهَا بَتَوَائِمِ أَي بِحَوَافِرِهِ . وَالْمَوَاسِمُ : جَمْعُ مَيْسَمِ الْحَدِيدِ ؛ أَي أَنَّهَا كَوَاسِمِ الْحَدِيدِ فِي صَلَابَتِهَا . وَقَوْلَا : سُمَيْرِ أَي لَوْنِ الْحَافِرِ . وَالْحَافِرُ الْأَسْمَرُ هِرَّ الصُّلْبِ .

رُكْبَنٌ فِي مَحْضِ الشَّوَى سَيْطٌ * كَفَّتِ الْوُثُوبُ مُشَدِّدِ الْأَسْرِ

الشَّوَى هَاهُنَا : الْقَوَائِمُ ، يُقَالُ : فَرَسَ مَحْضُ الشَّوَى إِذَا كَانَتْ قَوَائِمُهُ مَعْصُوبَةً . سَيْطٌ : سَهْلٌ . كَفَّتِ الْوُثُوبُ أَي جُمِعَتْ . مُشَدِّدِ الْأَسْرِ أَي الْخَلْقَى .

قال الأصمعيّ : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

فهذه جُمْلٌ مِنْ أَوْصَافِ مَحَاسِنِهَا . وَسَنَدُ كِرَانٍ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا وَصَفَهَا بِهِ الشُّعْرَاءُ فِي أَشْعَارِهَا وَالْفَضَلَاءُ فِي رِسَائِلِهَا ، عَلَى مَا تَقَفَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ .
فلنذكر عيوب الخيل :



وأما عيوبها التي تكون في خَلْقَتِهَا ، وَفِي جَرِيهَا ، وَالتّي تَطْرَأُ

عليها وَتُحَدِّثُ فِيهَا - فَهِيَ مِائَةٌ نَذَرُهَا :

فَأَمَّا التّي فِي خَلْقَتِهَا - فَهِيَ أَنْ يَكُونَ الْفَرَسُ "أَخَذَى" وَهُوَ الْمُسْتَرْتَحِي أَسْوَاطِ الْأُدُنِ . وَ"أَمْرٌ" ^(١) وَهُوَ الَّذِي ذَهَبَ شَعْرُ نَاصِيَتِهِ . وَ"أَسْفَى" وَهُوَ الْخَفِيفُ النَّاصِيَةِ ، وَهُوَ مَجْمُودٌ فِي الْبَغَالِ . وَ"أَعْمٌ" وَهُوَ الَّذِي غَطَّتْ نَاصِيَتُهُ عَيْنَهُ . وَ"أَسَعَفٌ" وَهُوَ الَّذِي فِي نَاصِيَتِهِ بَيَاضٌ . وَ"أَحْوَلٌ" وَهُوَ الَّذِي أَبْيَضَ

(١) فِي الْأَطْلِينِ : « أَمْرٌ » بِأَزَايِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَصْغِيرٌ .

مُؤخِرِينِهِ وَغَارِ السَّوَادِ مِنْ قَبْلِ مَا قَبْلِهِ . وَ «أَزْرَقٌ» وَهُوَ الَّذِي فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ أَوْ زُرْقَةٌ . وَ «أَقْفَى» وَهُوَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ أَحْدِيدَابٌ . وَ «مُغْرَبًا» وَهُوَ الَّذِي أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ بَيَضٌ مَعَ زُرْقَتِهَا . وَ «أَدْنٌ»^(١) وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَنَّنَتْ عُنُقُهُ مِنْ أَسْفَلِهِ . وَ «أَهْنَحٌ» وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَنَّنَتْ عُنُقُهُ مِنْ وَسْطِهَا . وَ «أَوْقَصٌ» وَهُوَ الَّذِي فِي عُنُقِهِ قِصْرٌ وَيَسُّ مَعَطْفٌ . وَ «أَكْتَفٌ» وَهُوَ الَّذِي فِي أَعْلَى كَتْفَيْهِ أَنْفَرَاجٌ . وَ «أَزُورٌ» وَهُوَ الَّذِي تَدْخُلُ إِحْدَى فَهْدَتَيْ صَدْرِهِ وَتَخْرُجُ الْأُخْرَى . وَ «أَقْعَصٌ» وَهُوَ الْمُطْمَأَنِّنُ الصُّلْبِ مِنَ الصَّهْوَةِ الْمُرْتَفِعِ الْقَطَاةِ . وَ «مُحْطَاقًا» وَهُوَ الَّذِي لَحِقَ مَا خَلْفَ تَحْزِمِهِ مِنْ بَطْنِهِ . وَ «أَهْضَمٌ»^(٤) وَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ الضَّلُوعِ الَّذِي دَخَلَتْ أَدْيَالُهُ . وَ «صَقْلًا» وَهُوَ الطَّوِيلُ الصُّقْلَةِ . وَ «أَمْجَلٌ»^(٦) وَهُوَ الَّذِي خَرَجَتْ خَاصِرَتُهُ وَرَقَّ صِقَاقُهُ . وَ «أَفْرَقٌ» وَهُوَ الَّذِي قَدْ أَشْرَفَتْ إِحْدَى وَرَيْكِهِ عَلَى الْأُخْرَى . وَ «أَرْشَحٌ»^(٨) وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ الصَّمَلَا . وَ «أَعَزَّلٌ» وَهُوَ الْمُتَوَيِّعُ عَسِيبِ الذَّنْبِ حَتَّى يَبْرُزَ بَعْضُ بَاطِنِهِ . وَ «أَكْشَفٌ» وَهُوَ الَّذِي آتَى عَسِيبُ ذَنْبِهِ . وَ «أَصْبَغٌ» وَهُوَ الْمُبْيَضُّ الذَّنْبِ . وَ «أَشْعَلٌ» وَهُوَ الَّذِي فِي عُرْضِ ذَنْبِهِ بَيَاضٌ . وَ «أَشْرَحٌ»^(٩) وَهُوَ الَّذِي بَيْضَةٌ وَاحِدَةٌ . وَ «أَفْحَجٌ» وَهُوَ الَّذِي تَبَاعَدَ كَعْبَاهُ . وَ «أَبْدٌ» وَهُوَ الَّذِي تَبَاعَدَتْ

- ١٥ (١) فِي الْأَصْلِينَ : «أَذْنٌ» بِالذَّالِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
 (٢) الْعَنْقُ يَذْكَرُ وَيؤنثُ .
 (٣) كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَّةُ زُور) . وَفِي الْأَصْلِينَ : «أَحْدَى نَهْدَى صَدْرِهِ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٤) فِي الْأَصْلِينَ : «أَهْضَمٌ» بِالضَّاءِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
 (٥) الصُّقْلَةُ : الْخَاصِرَةُ .
 (٦) فِي الْأَصْلِينَ : «أَمْجَلٌ» بِالنُّونِ وَالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
 (٧) الصَّفَاقُ : جِلْدُ الْبَطْنِ .
 ٢٠ (٨) فِي الْأَصْلِينَ : «أَرْشَحٌ» بِالشَّيْنِ الْمَجْمُوعَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
 (٩) فِي الْأَصْلِينَ : «أَشْرَحٌ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

يَدَاهُ . و "أَصَكُّ" وهو الذى تَصَكُّ كَبَاهُ إِذَا مَشَى . و "أَحَلُّ" وهو مُتَمَسِّحُ النِّسَاءِ ^(١)
 رِخْوُ الكَتَبِ . و "أَقْفَدُ" وهو المُتَّصِبُ الرُّسْعُ المُقْبِلُ عَلَى الحَافِرِ وَيَكُونُ فِي الرَّجْلِ
 خَاصَّةً . و "أَصْدَفٌ" وهو الذى تَدَانِي ذِرَاعَاهُ وَتَبَاعَدُ حَافِرَاهُ . و "مُوجَّهَةٌ" وهو
 الذى بِهِ صَدْفٌ يَسِيرٌ . و "أَفْسَطٌ" وهو الذى رِجْلَاهُ مُتَّصِبَتَانِ غَيْرِ مُتَّحِنَتَيْنِ .
 و "أَمْدَسٌ" وهو المُصْطَكُ بِوَاطِنِ الرُّسْنَيْنِ . و "أَحْنَفٌ" ^(٢) وهو المُتَّسَوِي الحَافِرَيْنِ
 يُقْبِلُ كُلُّهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ . و "مُتَلَقِّفًا" وهو الذى يَتَّخِطُّ بِيَدِهِ . و "أَرْجَرٌ" ^(٣)
 وهو المُضْطَرِبُ الرَّجْلَ وَالكَفْلَ إِذَا قَامَ أَضْطَرَبَتْ نَفْسُهُ . و "شَخْتًا" وهو القليل
 اللَّحْمِ الحَمِيشِ العِظَامِ . و "رَطَلًا" وهو الضعيف الخفيف . و "مَكْبُونًا" وهو ^(٤)
 القَصِيرُ الدَّوَارِجِ القَرِيبِ مِنَ الأَرْضِ الرَّحِيبِ الجُوفِ . و "عَشًّا" وهو الضَّاحِي ^(٥)
 العِظَامِ لِقَلَّةِ لَحْمِهِ . و "سَغَلًا" وهو الصَّغِيرُ الحَرْمِ . قال الواسِئِيُّ رَحِمَهُ اللهُ : ^(٦)
 لَيْسَ بِأَسْفَى وَلَا أَحَقُّ وَلَا * أَهْضَمَ طَاوِي الحَسَا وَلَا سَفِيلٌ
 و "جَابِيًا" وهو القَصِيرُ الغَلِيظُ . و "مِلْوَحًا" وهو السَّرِيعُ العَطِيشُ . و "صَلُودًا" وهو
 البَطِيءُ العَرَقُ . و "ضَاوِيًا" وهو الذى أَضْوَاهُ أَبْوَاهُ . و "مُقَرِّفًا" وهو الذى أُمَّهُ

(١) متمسح النساء : ضعيف النساء .

(٢) فى الأصلين : « أخيف » بالخاء المعجمة والياء المنناة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « يقتل » بالفاء واد . وهو تصحيف .

(٤) كذا فى كتاب رشحات المداد . وفى الأصلين : « أزر » ، وهو تحريف .

(٥) الحميش العظام : دقيقها .

(٦) دوارج الدابة : قوائمها ، الواحدة دارجة .

(٧) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن وسان بن محمد المعروف بالواساني ، أعجوبة الزمان ونادته ،

وفريد عصره وباقته ؛ وهو أحد الفضلاء المجيدين فى الهجاء ؛ وكان فى زمانه ، كاهن الروم فى أوامته .

(راجع ترجمته فى يتيمة الدهر للتعاليج ج ١ ص ٢٦١ طبع بيروت) .

(٨) الأحق : الذى يضع حافر رجله موضع يده .

١٥

٢٠

عتيقة وأبوه غير عتيق . و"هَيْبَانَا" وهو الذى أبوه عتيق وأمه رِدْوَنَةُ . و"مُجِحَّقَا" وهو الذى لا يُتَبَّحُّ منه [إلا أحق] . و"كُوسِيَا" وهو الذى إذا جرى نكس كالحمار . و"جَاسِيَا" وهو الذى تُرى معاقدهُ وَقْفَارُ ظهره وعتقه جَاسِيَةٌ غَيْرَ لَيْتَةٍ . والله أعلم .



- ٥ . وأما العيوب التى فى جريها - فنها : "الطَّمُوحُ" وهو السامى يبصره صُعْدًا . و"الْمُنْكِسُ" وهو الذى يُطَاطى رأسه إذا جرى . و"المُعْتَرِمُ" وهو الذى يَجْمَحُ أحيانًا . و"الجَمُوحُ" : الصُّلْبُ الرأس . و"الغَرْبُ" : المَدَادُ المَرَامَى . و"الشَّمُوسُ" : الذى يمنع السرجَ والمس . و"الحُرُونُ" : الذى إذا أدْرَجَرِيه قام لا عن كلال . و"البَالِحُ" إذا قَطَعَ جَرِيه ضَعْفًا . و"الضَّغِينُ" هو الذى يَتَلَكَّأُ [فى] الحُضْرِ وَيَقْصُرُ عن الحِرَانِ . و"الحَفَاشُ" هو الذى يَشِبُّ حُضْرًا ثم يرجع الفَهْقَرَى . و"الرَّوَاغُ" هو الذى يَجْمِدُ فى حُضْره يمينًا وشمالًا . و"الفَيُوشُ" هو الذى يُظَنُّ به الجرمى وليس عنده شيء منه . و"الحَيُوصُ" وهو الذى يَعْلِلُ يمينًا وشمالًا فى أَسْتِقَامَةِ حُضْره .

(١) التكلة عز رشحات المداد (ص ٢٥) .

(٢) فى الأصلين : « كوشيا » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

١٥ (٣) فى الأصلين : « حاشتا » بالحاء المهملة والشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) فى الأصلين : « جاشية » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٥) يريد : إذا طلب منه الجرى وقف عصيانًا لا إعياء . وفى الأصلين : « إذا در جريه

قام إلا عن كلال » .

(٦) فى الأصلين : « الناجح » ، وهو تحريف .

٢٠ (٧) زيادة يقتضيا السياق .

(٨) كذا فى الأصل ورشحات المداد . والذى فى كتب اللغة أن الحفاش هو الذى يعقب جريا بعد

جرى ولم يزد إلا جودة .

(٩) فى الأصلين : « يستب » .

(١٠) فى الأصلين : « الرواغ » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .

٢٥ (١١) عبارة رشحات المداد : « فى حضره » .

و"المُشْتَقُّ" هو الذى يدع طريقه ويعدل ثم يمضى على عدوله لا يروغ. و"السُّبُوبُ": الذى يقوم على رجله ويرفع يديه. و"العَاجِرُ" و"المُعَاجِرُ": الذى يعجزُ برجله كقباص الحمار. و"العُدُومُ" و"العَضُوضُ": الذى يعصُّ ما سآيره. و"الشَّادِخُ": يعدل عن طريقه ولا يبالي ما ركب. و"الجُرُورُ": البِطِيُّ. و"المُنْعِثُ": الذى يفرق بين قوائمه فإذا رفعها فكأنما يترعها من وَحَلٍ يَخْفِقُ برأسه ولا يتبعه رجلاه. و"المُجْرِيذُ": الذى يُقَارِبُ الخطوَ يقرب سناكه من الأرض ولا يرفعها رفعاً شديداً. و"المُسَاعِرُ": الذى يُطِيحُ قوائمه جميعاً متفرقة ولا يضربه. و"المُتْرَادُ": الذى ينقص حُضْرَهُ من ابتداء جريه. و"الفَاتِرُ": إذا قتر في حُضْرِهِ ولم تساعده قوائمه على ما تطالبه به نفسه. و"المُؤَاكِلُ": الذى لا يسير إلا بسير غيره. و"الْحُرُوطُ": الذى يَجْرِطُ رَسَنَهُ عن رأسه. و"الرَّمُوحُ": الذى يَرْمِحُ بإحدى رجله. و"الضَّرُوحُ": الذى يَرْمِحُ بكليهما. قال: وهذه الزيادة على الأربعة والعشرين إنما هي من سوء العادة وفساد الرياضة.



وأما العيوبُ التى تَطْرَأُ عليها وتحدثُ فيها — فمنها: "الانتِشَارُ" وهو أنتفاخ العَصَبِ. و"الشَّطْيُ": تحرك العظم اللاصق بالركبة. و"الْفُتُوقُ":

- (١) فى الأصلين: «المجرب» بالبدال المهملة، وهو تصحيف.
- (٢) كذا فى لسان العرب مادة «سر» ويقال فيه: «سمر» (كثير) . وفى «الشاعر» . وفى ب: «والشاعر» بالثين المعجمة، وكلاهما تحريف.
- (٣) كذا فى لسان العرب. والضبر (بالضاد المعجمة): الثوب مع جمع القوائم. وفى الأصلين: «صبر» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.
- (٤) هذه عبارة وشحات المداد. وفى الأصلين: «والفائر إذا مجزعن نفسه وقتر... الخ» .
- (٥) يرمح: يضرب.
- (٦) فى الأصلين: «تحرريك» .

- (١) أفتناق من العصب على الأَرْضْفَة . و "الدَّخْسُ" : ورم في [أطْرَة] الحافر .
 و "الزوائد" : أطراف عصب تَفْرُق عند العُجَايَة [وتنقطع عندها وتَلصِقُ بها] .
 و "العَرْنُ" : جِسْوَةٌ في رُسْغِ الرَّجْلِ خَاصَّةً لَشِقَاقٍ أو مَشَقَّةٍ . [و "الشَّقَاقُ" :
 يصيبه في أرساغه] وربما أرتفع الى أوظفته ، [وهو تشقق يصيبها] ، وتسمى
 الحلامة . « والجُرْدُ » ، ما حَدَثَ في عُرْضِ عُرْقُوبَيْهِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا من تَرِيدٍ
 وَاِتِّفَاقِ عَصَبٍ ويكون مع المِفْصَلِ طَوِيلًا كَالْمَوْزَةِ . و "المَلْحُ" : اِتِّفَاقٌ من
 العَصَبِ أَسْفَلَ العُرْقُوبِ لِمَادَّةٍ تَنْصَبُ إِلَيْهِ كَالْبَلُوطَةِ . و "القَمَعُ" هو عِظْمُ
 قَمْعَةِ العُرْقُوبِ . و "المَشْشُ" : كَلٌّ ما شَخَّصَ فِي الوَظِيفِ وَلَهُ حِمْمٌ وَبَلِيسَتْ
 لَهُ صِلَابَةُ العِظْمِ . و "الْأَرْتِهَاشُ" : أَنْ يَصُكَّ بَعْرُضُ حَافِرِهِ عُرْضَ مُجَايَتِهِ مِنَ اليَدِ
 الأُخْرَى . و "الرَّهْصَةُ" : مَا يَصِيرُ فِي الحَافِرِ . و "الْوَجَا" : مَا يُصِيبُ الحَافِرَ مِنْ

(١) رصف الركبة ورضافها : ما كان تحت الداغصة (عظم يوج فوق رأس الركبة) .

(٢) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب . وأطرة الحافر : ما أحاط به من اللحم .

(٣) في الأصلين : « الفحانة » . والتصويب والتكملة عن المخصص وأدب الكاتب . والعجاية :

عصبة باطن الوظيف من الفرس .

(٤) في الأصلين : « حشو » ، وهو محريف .

(٥) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب .

(٦) كذا وردت هذه الجملة في ١ . وفي ب : « وتسمى الخلافة » . ولم نجد في المظان

ما يوضح هذه العبارة أو يبرر وجودها في هذا الموضع .

(٧) ويقال فيه « الجرد » بالذال المعجمة أيضا . وفي الأصلين : « الجراد » زيادة ألف بعد الراء ،

وهو محريف .

(٨) في اللسان : « والمالح (بالتحريك) : ورم في عرقوب الفرس دون الجرد ، فان اشتد فهو الجرد » .

(٩) البلوط : ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره .

(١٠) في العبارة تصور . وفي اللسان « ... والرهصة أن يدوى باطن حافر الدابة من بمر تطؤه مثل

الوقرة » . وفي الأصلين : « الرهضة » بالمعجمة ، وهو تصحيف .

الخشونة . و"الرِّقُّ" : ضَعْفٌ وَرِقَّةٌ فِي الحَافِرِ . و"الْمَلَّةُ" : شَقٌّ فِي الحَافِرِ مِنْ
 الأشْعَرِ إِلَى طَرَفِ السُّنْبِكِ . و"المَرَطَانُ" : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الرُّسْغِ فَيُبَيِّسُ عُرْوَقَهُ حَتَّى
 يَقلِبُ حَافِرَهُ . و"العَزَلُ" : أَنْ يَعْزِلَ ذَنْبَهُ فِي شَقِّ عَادَةٍ . و"الحِقَاقُ" : صَوْتٌ
 مِنْ ظِيَّةِ الأَنْثَى . و"البَجْرُ" : أَنْ تَكُونَ الرُّهَابَةُ غَيْرَ مُلْتَمِئَةٍ فَيَعْظُمُ مَا وَالاها مِنْ
 جِلْدِ السَّرَّةِ .

وحيث ذكرنا العيوبَ فلنذكر الخيلَ النبويةَ على صاحبها أفضلُ الصلاة
 والسلام .

ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أولُ فرسٍ ملكه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فرسٌ آتباعه بالمدينة من رجلٍ من
 بني قِزارةٍ بعشرِ أواقٍ، وكان اسمُه عند الأعرابيِّ "الضَّرِيسَ" فسماه النبيُّ صلى الله
 عليه وسلم "السَّكْبَ". فكان أولُ ماغزاهُ عليه أحدًا، ليس مع المسلمين فرسٌ غيرهُ وفرسٌ

(١) أشعر الفرس : ما بين حافره الى منتهى شعر أرسانه .

(٢) لا خلقة .

(٣) الظية : الحياء من المرأة وغيرها . وعبارة أبي عبيدة في كتاب الخيل : « الحقاق صوت يكون
 في ظية الأنثى من الخيل من رخاوة خلفتها وارتفاع ملتفها . فاذا تحركت لعنق أو غيره احتشت رحمها للريح
 فصوت ذلك الحقاق ، ويقال للفرس من ذلك الحقاق » .

(٤) الرهابة (بضم الراء وفتحها) : غضروف كاللسان معلق في أسفل الصدر مشرف على البطن .

(٥) الأواق بالتخفيف ومثله الأواق بالتشديد : جمع أوقية بالتشديد ، وهى أربعون درهما . قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . وهى مائتا درهم ، والدرهم
 = ٣٠٠٨٩٨ من الجرامات كما قدره رجال المجمع العلى المصرى الذى انعقد في عهد محمد على باشا للبحث
 في ذلك . (راجع رسالة مخطوطة للامام تقى الدين أحمد الشهير بآين المقرئى في المكايل والأوزان الشرعية
 محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ رياضة ورسالة في المقاييس والمكايل العملية بالديار المصرية
 لمؤلفها محمود باشا الفلكى طبع مطبعة الجوائب بالأستانة) . ويقدر في كتب الحساب المتداولة الآن
 ب ٣١٢ من الجرامات .

لأبي بردة بن نيار يقال له ملاح . وكان السكب كميناً أغرَّ مجبلاً مُطلقَ النبي ،
وقيل : إنه أدهم . رواه الطبراني في المعجم الكبير .

- وعن عمارة بن خزيمة الأنصاري أن عمه حدثه - وهو من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - : أن النبي صلى الله عليه وسلم آتباع فرساً من أعرابي ، فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقبضه ثمن فرسه ، فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم وأبطأ الأعرابي ؛ فطفق رجال يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس ولا يشعرون أن النبي صلى الله عليه وسلم آتباعه ، حتى زاد بعضهم الأعرابي في السوم على ثمن الفرس الذي آتباعه به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فنادى الأعرابي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن كنت مبتائاً هذا الفرس فأبتعه وإلا بعته ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "بلى قد آبتعته" ؛ فطفق الناس يلودون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالأعرابي وهما يتراجعان ، وطفق الأعرابي يقول : هلمَّ شهيداً يشهد أني قد بايعتكَ . فمن جاء من الناس قال للأعرابي : ويلك ! إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقول إلا حقاً ! حتى جاء خزيمة بن ثابت فأسمع لمراجعة النبي صلى الله عليه وسلم ومراجعة الأعرابي ؛ فطفق الأعرابي يقول : هلمَّ شهيداً يشهد أني قد بايعتكَ ؛ فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنك قد بايعته . فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم على خزيمة فقال : "يَمَّ تشهد" ؟ فقال : بتصديقك يا رسول الله ؛ فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : "شهادة

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كان ثقة صدوقاً واسع الحفظ بصيراً بالعلل . ومعجمه الكبير رتبة في الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث . والطبراني نسبة إلى طبرية مدينة بالأردن . وفي الأصلين : «الطبري» ، وهو خطأ .
(٢) هو سواء بن قيس المحاربي ، كما في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري في ترجمته له وخزيمة بن ثابت .

خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين“، وفي لفظٍ : فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنه قد باعك الفرس يا رسول الله ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” وهل بَحَصْرْتَنَا يا خزيمة“؟ فقال : [لا ؛ فقال : ^(١) ” فكيف شهدت بذلك“ ؛ فقال خزيمة : بأبي أنت وأمي ! يا رسول الله ، أَصَدَّقَكَ عَلَى أَخْبَارِ السَّمَاءِ وما يكون في غَدٍ ولا أَصَدَّقَكَ فِي آبَتِياعِكَ هذا الفرس ! . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” إنك لذو الشهادتين يا خزيمة“ .

وقد اختلف في أسم هذا الفرس ، فقال محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة : هو ”المرتمجز“ ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه المرتمجز . قال ابن الأثير : وكان أبيض . وقال ابن قتيبة في المعارف : المرتمجز ، وفي أخرى : ”الطرف“ ^(٢) ، وفي أخرى : ”التنجيب“ .

ومنها ”البحر“ ، وهو الذى سبق الخيل لما سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسماه البحر في ذلك اليوم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتراه من تجر قديموا من اليمن ، فسبق عليه مرات . قال ابن الأثير : وكان كُبيْتًا ، وقيل : كان أدهم .

ومنها ”سبحة“ ، ذكرها ابن بنين فقال : وكانت فرسا شقراء ابتاعها النبي صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جُهينة بعشر من الإبل ، وسابق عليها يوم خميس

(١) التكمة من كتاب فضل الخيل للديماطى ورشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبختى .

(٢) سمى المرتمجز لحسن صهيله .

(٣) هذا يوافق ما في كتاب فضل الخيل الذى ينقل عنه المؤلف . ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر

«الطرف» ضمن جملة خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها في آخر كلامه عليها .

ومد الحيل بيده ثم خلى عنها وسُبحَ عليها؛ فأقبلت الشقراءُ حتى أخذ صاحبها العلمَ وهي تَبْرُفِي وجوه الخيل؛ فسُمِّيت سَبْحَةً . وسبحة من قولهم : فرس ساجح إذا كان حسنَ مَدِّ اليدين في الجري . وسَبَّحَ الفرس : جَرَّه .

ومنها "ذو اللثة" ، ذكره ابن حبيب في أفراس النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها "ذو العقال" ، قال بعضُ العلماء : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له ذوالعُقَال . وكان له صلى الله عليه وسلم فرس يقال له "اللَّحِيف" ^(٢) وقيل : "اللَّحِيف" بالخاء ، وقيل فيه : "التحيف" . أهداه له فروة ^(٣) بن عمرو من أرض البلقاء ، وقيل : أهداه له ابن أبي البراء ^(٤) ، وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في مَذاهبه . وسمى اللحيف لطول ذنبه .

١٠ وروى ابن مَدَّة من حديث عبد المهيم بن عباس بن سهل عن أبيه عن جده قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس يسمين : "اللزاز" و"اللحيف" و"الظرب" . فأما لزاز فأهداه له المقوقس . وأما اللحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، فأنابه عليه فرائض من نَم بنى كلب . وأما الظربُ فأهداه له فروة بن عمرو بن النافرة الجُدَامِي . الظربُ واحد الظراب وهي الروابي ^(٦) الصغار . سُمِّي به لكبره وسمنه ، وقيل : لقوته وصلابة حافره .

١٥

(١) تغبر في وجوه الخيل : تسبقها .

(٢) في كتاب فضل الخيل : « ... وقيل فيه أيضا : اللحيف بضم اللام وفتح الحاء مصغرا ... الخ » .

(٣) كان فروة هذا عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حوله من أرض

الشام . فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

٢٠

(٤) أبو البراء : كنية ملاعب الأسة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٥) جمع فريضة وهي ما فرض في السائمة من الصدقة .

(٦) في الأصلين : « الرواسي » بالسین المهملة . والتصويب والتكلمة عن كتاب فضل الخيل ومعاجم اللغة .

وأهدى تميم الداربي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً يقال له "الورد" فأعطاه عمر، فحمل عليه عمر رضى الله عنه في سبيل الله .

وذكر على بن محمد بن حنين بن عبدوس الكوفي في أسماء خيل النبي صلى الله عليه وسلم قال : وكانت له أربعة أفراس : أحدها يقال له "السكب" و"المرتجز" و"السجل"^(١) و"البحر" . وقال ابن الأثير : وكان له أفراس : "المرتجز" و"ذوالعقال" و"السكب" و"اللحيف" و"اللزاز" و"الظرب" و"سبعة" و"البحر" و"الشحاء"^(٢) (بالشين المعجمة والحاء المهملة) .

وحكى ابن بنين عن ابن خالويه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الخيل : "سبعة" و"اللحيف" و"لزاز" و"الظرب" و"السكب" و"ذوالمة" و"السرхан" و"المرئجل" و"الأذهم" و"المرتجز" . وذكر في موضع آخر : و"ملاوح" و"الورد" و"اليعسوب" .

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل : "اليعسوب" و"اليعبوب" فرسين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن سعد في وفادات العرب عن محمد بن عمر

(١) كذا في شرح الزرقاني على المواهب (ج ٣ ص ٦٣ طبع بولاق) وورد فيه أنه : « اسم بلفظ الوادى المذكور في القرآن » . يريد قوله تعالى : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) . وفي الأصلين : «الحسن» وهو تحريف .

(٢) قال الإمام الدبائبي في كتابه فضل الخيل : «... والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم ، كذلك ألفيته مضبوطا . فإن كان محفوظا غير مصحف فلعله مأخوذ من قولك : سجلت الماء فانسجل ، أى صيته فانصب ، وأسجلت الحوض : ملأته ... إلى أن قال : والشحاء بالشين المعجمة والحاء المهملة من قولهم : فرس بيد الشحوة ، أى بعيد الخطوة ... وأخاف أن يكون السجل مصحفاً من الشحاء أو العكس . والله أعلم . » وفي اللسان (مادة شحاء) : «... كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها الشحاء ، هكذا روى بالمد ، وفسر بالواسع الخطوة ... » .

قال : حدثني أسامة بن زيد عن زيد بن طلحة التيمي قال : قدم خمسة عشر رجلا

من الرهاويين (وهم حتى من مدحج) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فتزلوا^(١)

دار رَملة بنت الحارث ؛ فأتاهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم] فتحدثت عندهم

طويلا ؛ فأهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له "المِرواح" ؛

- ٥ . فأمر به فشُور بين يديه فأعجبه ؛ فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض ؛ وأجازهم كما يُجيز^(٢)
الوفد : أرفقهم ثنتي عشرة أوقية ونساء وأخفصهم خمس أواق^(٣) .^(٤)

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت

تسعة عشر فرسا ، وهي : "السكب" و "المرتبز" و "البحر" و "سبحة" و "ذوالله" و

و "ذوالأقال" و "النجيف" — وقيل فيه بالخاء المعجمة ، وقيل : "النجيف" بالنون —

- ١٠ . و "اللزاز" و "الظرب" و "الورد" و "السجل" و "الشعاء" و "السرحان" و "المرتبجل" و

و "الأدهم" و "ملاوح" و "اليعسوب" و "اليعبوب" و "المِرواح" .

وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر ، فتكون ثمانية عشر فرسا . والله عز وجل

أعلم .

(١) الزيادة عن طبقات ابن سعد (ج ١ قسم ٢ ص ٧٦ طبع أوروبا) .

١٥ (٢) شار الدابة وشورها : عرضها أو أجزاها ليعرف قوتها . وفي الأصلين : « فتور » بالثاء المثلثة ،

وهو تحريف .

(٣) كذا وردت هذه العبارة في طبقات ابن سعد . ووردت في الأصلين هكذا « ... لرقيمهم

ثنتي عشرة أوقية ونساء ول بعضهم ... الخ » .

(٤) النش : نصف أوقية والأوقية أربعون درهما ، سلت عائشة رضى الله عنها : كم كان صداق

٢٠ النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان صدقاته اثنتي عشرة ونشاً ، قالت : والنش نصف أوقية . وفي النش

أقوال أخرى . (راجع لسان العرب مادة «نش») .

ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب

من أقدم خيل العرب "زادُ الرَّكَبِ"^(١)؛ وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام . حكى محمد بن السائب الكلبي^(٢) : أن الصائفات الجياد المعروضة على سليمان ابن داود صلى الله عليهما وسلم كانت ألف فرس ورثها عن أبيه ؛ فلما عُرِضَتْ عليه أَلْمَتْهُ عن صلاة العصر حتى توارت الشمسُ بالحجاب ، فردّها وعَرَفَهَا إِلَّا أفراسا لم تُعَرَضْ عليه ؛ فوَقَدَ عليه قوم من الأزدِ ، وكانوا أصهاره ، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبيَّ الله ، إن أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا ؛ فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال : اذا نزلتم متزلا فأحملوا عليه غلاما وأحطبوا ، فإنكم لا تُورُونَ ناركم حتى يأتىكم بطعام ؛ فساروا بالفرس ، فكانوا لا يتزلون متزلا إلا ركبهُ أحدُهم للقص ، فلا يُفْلِتُ شَيْءٌ تقع عينُه عليه من ظبي أو بقرة أو حمار ، إلى أن قدموا بلادهم ؛ فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم إلا "زاد الركب" فسموه به . فاصلُ فحول العرب من نتاجه . ويقال : إن "أعوج" منها . قال امرؤ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا * تعالوا إلى أن يأتى الصيدُ نَحْطِبِ^(٣)
وقال عُمارة :

(١) كذا في الأصلين وأنساب الخيل لأبن الكلبي والعقد الفريد (ج ١ ص ٥٩ طبع بولاق) وقطر السيل للبليني . وفي كتاب أسماء الخيل لأبن الاعرابي (ص ٥٠ طبع ليدن) ولسان العرب مادة «زود» : «زاد الركب» . وقال : وإياه عنى الشاعر بقوله :

فلما رأوا ما قد رآته شهوده * تادوا إلا هذا الجواد المؤمل

أبوه ابن زاد الركب وهو ابن أخته * معم لعمرى في الجياد ومغسول

(٢) راجع كتابه أنساب الخيل (ص ١٢ طبع بولاق و ص ٤ طبع ليدن) .

(٣) في الأصلين «نحطب» وهو تحريف ؛ إذ هذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

خيلِي مرّابى على أم جنسندب * لقصى حاجات الفؤاد المعبذب

(١) وأرى الوحش عن يميني إذا ما * كان يوماً عنائه في شمالي

ومن خيل العرب المشهورة ما حكاه أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي في كتابه المترجم بالعمدة عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : ” الغراب ” و ” الوجيه ” و ” لاحق ” و ” المذهب ” و ” مكتوم ” كانت كلها لغتي .

- ٥ . وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان ” أعوج ” أولاً ليكندة ، ثم أخذته سليم ، وصار لبني [عامر] ثم لبني هلال . قال ابن حبيب : ركب رطباً فأعوجت قوائمه ، وكان من أجود خيل العرب . وأمه ” سبل ” لغتي . وأم سبل [” سواده ” . وأم سواده] (٣) ” القسامة ” (٤) ، وكانت لجمدة .

وحكى أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد في كتابه : أنه لما أتتجه أمه

- ١٠ . ببعض بيوت الحى نظروا الى طرف يضع بحفلة على كاذتها (على الفخذ مما يلي الحياء) ، فقالوا : أدركوا ذلك الفرس لا يتزو فرسكم ؛ لعظم ” أعوج ” وطول قوائمه ؛ فقاموا إليه فإذا هم بالمهر ؛ فسموه ” أعوج ” . ولهم أيضاً ” الفياض ” .

قال ابن سعد : ” الوجيه ” و ” لاحق ” لبني أسد ، ” وقيد ” و ” حلاب ” (٥) لبني تغلب ، ” والصريم ” لبني نهشل — وزعم غيره أنه كان لآل المنذر —

- ١٥ (١) في الأصلين : « وأى » بدون را . مع تشديد الياء . والتصويب عن كتاب ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٧٤ أدب) .
 (٢) التكلة عن كتاب العمدة لابن رشيق (ص ١٨٢ ج ٢ طبع مصر) .
 (٣) التكلة عن كتاب أنساب الخليل (راجع فيه ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ طبع بولاق) .
 (٤) وردت « القسامة » في بعض أصول كتاب أنساب الخليل بالألف واللام كما في الأصلين هنا ، وفي بعضها بدرهما . وفي بعضها « القسامية » . وضبطها النندجانى « قسام » بضم القاف . (راجع كتاب أنساب الخليل ص ١٥ ، ٢١) .
 (٥) كذا في ب ، وهو الموافق لما في القاموس . وفي أ : « جلاب » بالجم ، وهو تصحيف .

و"جَلَوَى" لبني تَعْلَبَة بن يَرْبُوع، و"ذو العُقَال" ^(١) لبني رِيَّاح بن يَرْبُوع، وهو أبو "دَاحِس". وكان "دَاحِس" ^(٢) و"الغَبْرَاء" لبني زُهَيْر. والغَبْرَاء خالة دَاحِس وأخته من أبيه. و"ذو العُقَال" و"قُرْزُل" و"الْحَطَّار" و"الْحَنَفَاء" ^(٣) لِحَدَيْفَة بن بَدْر. والْحَنَفَاء هي أخت دَاحِس من أبيه وأمه. و"قُرْزُل" آخر ^(٤) لِلطُّفَيْل بن مالك. و"حَدَفَة" ^(٥) لخالد بن جعفر بن كِلَاب. و"حَدَفَة" أيضا لَصَحْر بن عمرو بن الشَّرِيد. و"الشَّقْرَاء" لزُهَيْر بن جَدِيمة العَبْسِي.

(١) وفيه يقول جرير:

إنت الجياد بيتن حول قبائنا * من نسل «أعوج» أو «لدى العقال»

(راجع القناض ص ٨٤ طبع أودبا).

(٢) راجع في القناض (ص ٨٦) تفصيله الوافي لحديث «داحس» و«الغبراء».

(٣) كذا في اللسان (مادة حنف). وفي الأصلين: «الحيفاء» بالياء. المثناة من تحت وهو تصحيف.

(٤) قال سلمة بن الخرشب يخاطب عامرا ابنه:

فانك يا عام ابن فارس «قرزل» * معبد على قيل الخنا والهواجر

وقال فيه ضبيعة بن الحارث العبسي:

وفعلت فعل أليك فارس «قرزل» * إنت الندود هو ابن كل ندود

الندود: المنهزم الذي اذلق الحرب قر. ولصاحبه الطفيل يقول أوس بن حجر:

هربت وأسلمت ابن أمك عامرا * يلاعب أطراف الوشيج المززعع

وتجآك تحت الليل شدات «قرزل» * يمر بخذروف الوليد المنزعع

المنزعع: السريع الخفيف من كل شيء. (راجع كتاب أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ٧٥ طبع ليدن،

وكتاب أنساب الخليل لابن الكلابي ص ٧٧ طبع بولاق و ص ٢٦ طبع ليدن).

(٥) وفيها يقول خالد المذكور من قصيدة:

أريضوني إراضكم فاني * و«حذفة» كالشجاعت تحت الرريد

أسقيا بجباري أو بجزء * وألحفها رداي في الجليد

(راجع أنساب الخليل لابن الكلابي ص ٦٦ طبع بولاق).

و"الزَعَمَرَان" لِسَطَامِ بْنِ قَيْسٍ . و"الْوَرِيعة"^(١) و"نِصَاب" و"ذَوَالْمِجَار"^(٢)
 لمالك بن نُورِة . و"الشَّقْرَاء" أخرى لِأَسِيدِ بْنِ حِنَاءة . و"الشَّيْط"^(٤) لِأُنَيْفِ بْنِ
 حَبِلة الصَّبِي . و"الْوَحِيف"^(٦) لعامر بن الطَّفِيل . و"الكَلْب" و"المَزْنُوق"^(٧)

(١) هذه الفرس وهما الأحوص بن عمرو لمالك بن نورية ، فقال في ذلك مالك :

- ٥ سَاهِدِي مَدْحِي لِنِي عَدِي * أَحْصَ بِهَا عَدِي بَنِي جَنَابِ
 شَكُوتِ الْيَمِّ رَجُلِي فَقَالُوا * لِسَيِّدِهِمْ أَطْعَنَا فِي الْحِوَابِ
 وَرَدَّةَ حَلِيفِنَا بَعْطَاءَ مَدَقِ * وَأَعْقَبَهُ الْوَرِيعةَ مِنْ نِصَابِ
 تَرَاثِ الْأَحْوَصِ الْخَيْرِ بْنِ عَمْرِو * وَلَا أَعْنِي الْأَحْوَصُ مِنْ كَلَابِ
 فَأَصْبَحَ خَلْقِي قَدْ جَشَّ مَرَجِي * بِسَلْهَبَةِ وَسَاعِ فِي الْجَنَابِ
 ١٠ (راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ١٠٣ طبع بولاق وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .
 وفي الأصلين : «الوديعة» بالبدال المهملة ، وهو تحريف .
 (٢) قال فيه مالك المذكور :

جَزَانِي دَرَوَاتِي ذَوَالْمِجَارِ وَصَنَعْتِي * إِذَا نَامَ أَطْوَاءُ بَنِي الْأَصَاغِرِ

(راجع أسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .

- ١٥ (٣) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٤٧ طبع بولاق) وكتاب أسماء الخليل لابن الأعرابي
 (ص ٦٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة شقر) . وفي أ : «حنارة» . وفي ب : «جناره» وكلاهما تحريف .
 (٤) كذا في المختص (ح ٦ ص ١٩٥) وأنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٤٥ طبع بولاق) وأسماء
 الخليل لابن الأعرابي (ص ٥٨ طبع ليدن) . وفيه يقول أنيف :
 أَضْرَبُ بَخْرَ الشَّيْطِ الطَّلَنْ فَاثْنَسِي * فَأَجْشَمْتُهُ الْإِصْعَابَ حَتَّى تَقْدَمَا
 ٢٠ وفي الأصلين : «السايط» وهو تحريف .
 (٥) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي وأسماء الخليل لابن الأعرابي والقاموس واللسان
 (مادة شيط) . وفي أ : «حلة» وفي ب : «حلقة» وكلاهما تحريف .
 (٦) في شرح القاموس (مادة وحف) نقلا عن ابن الأعرابي أن الوحيف فرس عامر بن الطفيل .
 وفيه يقول يوم الزخم :

- ٢٥ وَتَحْتِي «الْوَحِيفُ» وَالْجُلُودُ سَيْفِي * فَكَيْفَ يَمْلَأُ مِنْ لُومِي الْمَلِيمِ
 ثُمَّ جَاءَ فِيهِ أَيْضًا : «وَالْوَحِيفُ كَرِيرُ فَرَسِ عَتِيلِ بْنِ الطَّفِيلِ أَوْ عَمْرُو — وَفِي نَسْخَةِ عَامِرٍ — بْنِ الطَّفِيلِ .
 وَالصُّوَابُ الْأَتُولُ ، قَالَ جِبَارُ بْنُ سَلْمَى :

يَدْعُو عَتِيلًا وَقَدْ مَرَّ الْوَحِيفُ بِهِ * عَلَى طَوَالِهِ يَمْرَى الرِّكْضُ بِالْعَقْبِ

(٧) كذا في أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٦٤ طبع بولاق) وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٧٦

- ٣٠ = طبع ليدن) والقاموس واللسان (مادة زق) . وفيه يقول عامر المذكور :

و"الورد" له أيضا. و"الخثي" لعمرو بن عمرو بن عدس. و"هداج" فرس الرب (٤)

لقد علم المزونق أنى أكره * على جمعهم كرم المنخ المشير
إذا أزود من وقع الرماح زجرته * وقتل له أرجع مقبلا غير مدبر
وأنبأته أن الفرار خزاية * على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
ألت ترى أرماعهم في شرمًا * وأنت حسان ماجد العرق قاصبر
فبئس الفتى إن كنت أعور عاقرا * جبانًا فأرجى لدى كل محضر
لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شان حر الوجه طعة مسهر
وفي ١ : «المرنون» . وفي ب : «المزون» وكلاهما تحريف .

(١) وفيه تقول تيممة بنت أهبان العيسية في يوم الرق :

ولولنا نجاء «الورد» لاشئ غيره * وأمر الإله ليس لله غالب

إذا لسكنت العام نقشا ومنعجا * بلاد الأعدى أربكنك الحيات

(منعج : قرية في طريق البصرة إلى مكة . وقفه : مكان بالقرب منها) . (راجع أنساب الخليل لابن

الكلبي ص ٦٥ طبع بولاق و ص ٢١ طبع ليدن) .

(٢) لعمرو بن عمرو بن عدس هذا فرسان : إحداهما هذه وهي التي طلبه عليها مرداس بن أبي عامر السلمي

يوم جبلة فقات ، فقال مرداس :

تمطت كيت كاهراوة صلدم * بعمرو بن عمرو بعد ما مس باليد

فلولا مدى الخثي وطول جرائها * لرحت بطيء المشي غير مقبسد

والأخرى الحشاء ، وكان لها ما للفعل وما للأنثى ، وكانت لا تجارى ، وكانت ضبو با .

وقد أورد هاتين الفرسين صاحب شرح القاموس كل منهما في مادتها ، وأورد الأخيرة ابن الكلبي في كتابه

أنساب الخليل .

(٣) وفيه تقول الحارثية ترفى من قتل من قومها في يوم أرمام وكان لباهلة على بن الحارث ومراد

وخشم :

شقيق وجرى أرقا دمانا * وفارس «هداج» أشاب النواصيا

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ١٠١ طبع بولاق) .

(٤) كذا في كتاب العمدة لابن رشيح الذي اعتمد عليه المؤلف في النقل وكتاب أنساب الخليل لابن الكلبي

(ص ١٠١ طبع بولاق و ص ٣٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة هـج) . وفي الأصلين : «لزينب بنت

رشيق» ، وهو تحريف .

أَبْنُ شَرِيقِ السَّعْدِيِّ وَ"وَحْزَةَ"^(٢) فَرَسٌ يَزِيدُ بْنُ سِنَانَ الْمُرِّيِّ فَارِسٌ عَطْفَانٌ .
 وَ"النَّعَامَةُ"^(٣) لِلْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ . وَ"أَبْنُ النَّعَامَةِ" لَعْنَتَةٌ . وَ"النَّحَامُ"^(٤) فَرَسٌ لِلْسَّلِيكِ
 ابْنِ السُّلَيْكَةِ السَّعْدِيِّ . وَ"العَصَا"^(٦) فَرَسٌ جَذِيمَةٌ بِنِ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ . وَ"الهِرَاوَةُ"^(٧)

(١) وفيها يقول يزيد المذكور :

لَمَّا أَنْ رَأَيْتَ بَنِي حَيٍّ * عَرَفْتَ شَنَاقِي فِيهِمْ وَوَتْرِي

رَمِيْتَهُمْ «بِوَحْزَةٍ» إِذْ تَوَاصَوْا * لِيَرْمُوا نَحْرَهَا كُنْبًا وَنَحْرِي

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٦٩ طبع بولاق وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٧٠ طبع ليدن) .
 وقال في اللسان : «سمى من الوجز وهو السرعة» .

(٢) كذا في الأصلين وكتاب أسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٧٠ طبع ليدن) والأغاني (ح ١٠

ص ٤٦ طبع بولاق) والنقائض (ص ٥٧٦ و ١٠٦٨ طبع ليدن) ولسان العرب والقاموس وشرحه (مادة
 وجز) وفي أنساب الخليل لابن الكلبي : «زيد» .

(٣) وفيها يقول الحارث المذكور :

قَرَّبَا مَرِبِطَ النَّعَامَةِ مَسْنَى * لَقَعَتْ حَرْبٌ وَأَثَلَتْ عَنْ حِيَالِ

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٨٤ طبع بولاق) .

(٤) قد ورد هذا الاسم بما يوجب هذا الضبط في قول الفرزدق :

تَرَبَّكَ نَجُومُ اللَّيْلِ وَالشَّمْسُ حِيَةً * كَرَامٌ بَنَاتُ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ

(٥) وفيه يقول سليك المذكور :

قَدَّمَ «النَّحَامَ» وَأَجْمَلَ يَا غَلَامُ * وَأَطْرَحَ السَّرَجَ عَلَيْهِ وَالنَّجَامَ

وقال فيه :

قَطَعْتَ وَتَحْتِي «النَّحَامُ» يَهْوِي * كَمَا اقْتَضَتْ عَلَى الْحَزْزِ الْعُقَابُ

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٦١ و ٦٢ طبع بولاق ، وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٢
 طبع ليدن) .

(٦) ولها يقول عدى بن زيد :

نَخَبِرْتُ «العَصَا» الْأَنْبَاءَ عَنْهُ * وَلَمْ تُرْ مَثَلُ فَارِسِهَا هَجِينَا

(راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٩٤ طبع بولاق) .

(٧) قال في شرح القاموس (مادة هرو) : الهراوة فرسان : إحداهما فرس الريان بن حويص
 العبدي ، والأخرى هراوة الأعزب لعبد القيس بن أفضى . وقال في (مادة عزب) : هراوة الأعزب
 فرض للريان بن حويص العبدي ، وهذا ما ذهب إليه المؤلف وسيذكره بعد قليل ، وفيها يقول لبيد : =

لعبد القيس بن أقيص . و "اليحموم" ^(١١) فرس الثعنان بن المنذر . و "كامل" ^(٢) فرس زيد الخيل . و "الزبد" ^(٣) فرس الحوفزان وهو أبو "الزعفران" فرس بسطام . و "الجمالة" ^(٤) فرس الكَلْحَبَة اليربوعي . هذا ما أورده أحمد بن سعد .

لا تسقني بيدك إن لم أتمس * نعم الضجوع بغارة أعراب

تهدى أوائلهن كل طمسة * جرداء مثل "هراوة الأعراب"

وكانت لا تدرك جعلها موقوفة على الأعراب من قومه فكانوا يفتنون عليها ويستيدون المال ليرتوجوا فإذا استفاد واحد منهم مالا وأهلا دفعها إلى آخر منهم فكانوا يتداولونها كذلك فضربت مثلا قتيلا : أعز من هراوة الأعراب . وفي الأصلين : «اهراوة» .

(١) سمى باليحموم لشدة سواده . وفيه يقول الأعشى :

و يأمر "اليحموم" كل عشية * بقت وتعلق فقد كاد يست

ويستق ، أى تصيبه نجمة من كثرة الشرب ومن كثرة الأكل . (راجع أنساب الخليل لابن الكلبى ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٢) في الأصلين : «كابل» بالياء الموحدة وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس وشرحه واللسان (مادة كبل) وإياه عن زيد الخليل بقوله :

* ما زلت أرمهم بشفرة كامل *

وكامل أيضا أفراس لموسى بن مميون المرئي والرقاد بن المنذر الضبي وقد أورده ابن الأعرابي في أسماء الخيل ، واللقام الكلبى ، والحوفزان بن شريك الشيباني ، وسنان بن أبي حارثة المرى ، وشيبان النهدي ، وزيد الفوارس الضبي وقد أورده ابن الكلبى في أنساب الخيل . واستشهد بقول لعائف الضبي فيه :

نعم الفوارس يوم جيش محرق * لحقسوا وهم يدعون بالضرار

زيد الفوارس كروأبنا منذر * والخليل تصنعها بنو الأحرار

يرمى بفرقة "كامل" وبنخره * خطر النفوس وأى حين خطر

ولعمركم جتك ما الرقاد بطأنش * رعش بديهته ولا عتوار

(٣) كذا في شرح القاموس (مادة زعفر) . وفي الأصلين : «الريد» بالراء المهملة والياء المنثاة من

تحت ، وهو تصحيف .

(٤) الذى أورده ابن الكلبى وابن الأعرابي في كتابيهما أن لكلجة اليربوعي فرسا اسمه «العرادة»

وفيه يقول :

تسألني بنو جشم بن بكر * أغراء العرادة أم بهم

وقال ابن دُرَيْدٍ: «الْقَطِيبُ»^(١) و«البَطِينُ»^(٢) فرسان كانا للعرب . و«اللَّعَابُ»^(٣)
و«العَبَايَةُ»^(٤) فرسا حرى بن صَمْرَةَ . و«المِدْعَاسُ»^(٦) فرس التَّوَّاسِ بْنِ عَامِرٍ^(٧)

وَأما الجمالة فأفراس لني سليم وللطفيّل بن مالك (ثم صارت لابنّه عامر بن الطفيل) ولطبر بن الأشيم
ولعباية بن شكس وللطفيّل بن نحو بلد (راجع القاموس وشرحه واللسان «مادة حمل» وأنساب الخليل
لابن الكلبي ص ١٠ و١٢ و٢٥ طبع ليدن وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٥٦ و٧٢ و٧٦ و٨٣ .
طبع ليدن) .

(١) القطيب فرسان ، الأول وزان أمير وهو لصردي بن حمزة بن شدّاد اليربوعي (عم مالك ومتمم
ابن نورية) سابق به أبا سواج الضبي على فرسه بذرة فسبقه أبو سواج؛ فقال :

ألم تر أن بذوة إذ جرينا * وجد الجنة منا والقطيبا

كانت قطيبهم يتلو عقابا * على الصلحاء وازمة طلبوا

والآخر وزان زيبر وهو لسابق بن صرد .

(٢) ضبطه شارح القاموس كأمير، وذكر أنه وأباه بطانا (ككتاب) فرسان لمحمد بن الوليد بن عبد الملك

ابن مروان .

(٣) ذكره الهذلي في قوله :

وطاب عن «اللعب» نقسا وربة * وغادر قيسا في المكرّ وعغزرا

(اللسان مادة لعب) .

(٤) كذا في القاموس وشرحه (مادة عبي) . وفي الأصلين : «العباة» .

(٥) كذا في شرح القاموس (مادة عبي) والعمدة لابن رثيق وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٦٦

طبع ليدن) وكذلك ورد في النقاوض (ص ٩٤٣ طبع أوربا) في بيت الفرزدق :

ولو كان حرى بن صمرة فيكم * لقال لكم لستم على المتخير

وشرح أشعار الحماسة للبريزي (ص ٢٥٥ طبع أوربا) . وفي الأصاين وشرح القاموس واللسان (مادة هج)

وأنساب الخليل لابن الكلبي (ص ١٠١ طبع بولاق) : «حرى» .

(٦) والمدعاس أيضا فرس الأقرع بن حابس كما في القاموس وشرحه واللسان (مادة دعس) .

(٧) كذا في العمدة والنقاوض . وفي الأصلين : «لرايس» وهو خطأ .

المجاشعي. و"صهبي" فرس الثميرين تولب. و"حافل" فرس مشهور. و"العسجدى" (٣)
 لبني أسد. و"الشموس" (٤) فرس يزيد بن خذاق العبدي. و"الضيف" (٦)
 لبني تغلب. و"هراوة العزاب" (٧) فرس الريان بن حويص العبدي، (٨) يقال إنها
 جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة، فتصدق بها على العزاب يتكسبون عليها في السباق

(١) ولها يقول النمر المذکور :

أيذهب باطلا عدوات "صهبي" * وركض الخيل تخرج اختلاجا
 وركى في الكريمة كل يوم * اذا الأصوات خالطت المعاجا
 كبت اللون شائلة الذنابي * نخال بياض قرحتها سراجا

(راجع أسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٥٨ طبع ليدن وأنساب الخيل لابن الكلبي ص ١١٠ طبع

بولاق و ص ٤٠ طبع ليدن) .

(٢) في كتاب العمدة : «فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار في قوله :

كبت عناية السراة نمي بها * الى نسب الخيل الصريح و«حافل»

(٣) وفيه قال النابغة الذبياني :

فيهم بنات "العسجدى" و"لاحق" * ورق مراكلها من المضار

ويردى : «ورقا» بالنصب . والمراكل : جمع مركل يكحفرو وهو الموضع الذي يصيب رجل الفارس

من الجانبين اذا استوى على السرج . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٣٣ طبع بولاق) .

(٤) وفيها يقول يزيد المذکور :

ألاهل أتاها أن شكة حازم * لدى وأنى قد صنعت "الشموسا"

وداويتها حتى شنت حبشية * كأن عليها سندسا وسندسا

(راجع هذين البيتين وتفسيرهما في لسان العرب مادة «سندس») .

(٥) كذا في لسان العرب وتاج العروس وأنساب الخيل لابن الكلبي وأسماء الخيل لابن الأعرابي .

وفي الأصلين : «حلاق» وهو تحريف .

(٦) سيذكر المؤلف بعد أسطر قول الشمر دل البروعى فيه .

(٧) راجع الحاشية (٥) ص ٤٤ من هذا الجزء .

(٨) كذا في كتب اللغة . وفي الأصلين : «العنبرى» ، وهو تحريف .

والغارات . و "الحرون"^(١) فرس تنسب إليه الخيل، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلي . و "الزائد" فرس مشهور وهو من نسل الحرون . و "مناهب" فرس تُنسب إليه الخيل أيضا، قال الشمر دل :^(٢)

[تلقى الحيات المقربات فينا] * لأفيل ثلاثة يميننا^(٣)

* "مناها" و "الضيف" و "الحرونا" *

و "العلهان"^(٤) فرس أبي مليح عبد الله بن الحارث اليربوعي .^(٥)

هذا ما اتفق بإيراده من أسماء كرام الخيل ومشهورها . فلنذكر ما ورد في أوصافها وتشبيهها .

ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظما ونثرا

- ١٠ أول من شبه الفرس بالطي والسرحان والنعامه، ثم أتبعه الشعراء وحدّوا مثاله وأقتدوا به، هو امرؤ القيس بن مُجَر حيث قال :

(١) راجع ما ورد من الكلام عليه في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١١٧ طبع بولاق)، وفيه يقول بعض الشعراء لما رأى غلبة مسلم بن عمرو على السبق :

إذا ما قرّيش حوى ملكها * فإن الخلافة في باهله

رب «الحرون» أبي صالح * وما تلك بالسنة العادله

١٥

(٢) كذا في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١٢١ طبع بولاق) . وفي الأصلين :

«السمول»، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي .

(٤) المقربات من الخيل : التي صُحرت للركوب .

(٥) كذا في شرح القاموس ولسان العرب (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي (ص ٦٤

٢٠

و ٦٥ طبع ليدن) . وفي الأصلين : «العلها» وهو تحريف .

(٦) كذا في لسان العرب وشرح القاموس (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي . وفي الأصلين :

«ملك» بالكاف في آخره، وهو تحريف .

له أَيَّطَلًا ^(١) ظَبِي وساقا نعامية * وإِرْحَاءُ ^(٢) سِرْحَانٍ وتقريبٌ ^(٣) تَمَقِّلُ
 كَأَنَّ عَلَى الْمُتَمَتِّينَ ^(٤) مِنْهُ إِذَا اتَّخَى * مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَرَايَةَ حَنْظَلٍ
 مَكْرًا مَفْرَمًا ^(٥) مُقْبِلٍ مُذِيرٍ مَعًا * بِكَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عِلٍ
 دَرِيرٍ ^(٦) تَخْذَرُوفٍ ^(٧) الْوَلِيدِ أَمْرِهِ * تَقَلَّبُ ^(٨) كَفَيْهِ ^(٩) بَحِيْطٍ مُوَصِّلٍ
 كَبَيْتٍ يَزِلُّ ^(١٠) اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ * كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ ^(١١) بِالْمَتَزَلِّ ^(١٢)

وقال أيضا :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً ^(١١) * كَسَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ ^(١٢)

- (١) الأيطل : الخاصرة، وهي ما بين الأضلاع الى الورك .
- (٢) الإرحاء : السير دون الحضر الشديد . والسرхан : الذئب .
- (٣) التقريب : ضرب من العدو . والتقلل : ولد الثعلب .
- (٤) كذا في المملقات . وفي الأصلين : « الكففين » . والمتنان : ما اكتنفا فقار الظهر . والانتحاء : الاعتقاد والتقصد . واندالك : الحجر الذي يسحق عليه الطيب . والصراية : الحنظلة الخضراء البراقة (كما في شرح أبي جعفر النحاس لمعلقة امرئ القيس) أو هي الحنظلة الصفراء (كما يقول الأحمسي) . ويروى : « صلاية حنظل » . والصلاية : الحجر الأملس الذي يسحق عليه حب الحنظل . ويروى الشطر الأول : « كأن سراته لدى البيت قائما » .
- (٥) الدرير : الفرس السريع العدو .
- (٦) الخذروف : عود أو قصب مشقوقة يفرض في وسطه ثم يشد بحيط فاذا أمر دار وصمعت له حفيفا يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعته . وهو الذي يسمى « الخرارة » .
- (٧) أمره : قلبه ثم إداره بين كفيه . ويروى : « تنابع كفيه » .
- (٨) الحال : وسط الظهر . يريد أن لجه قد اكنز على ظهره فأمّلس ، فاذا ألقي عليه اللبد زل فلم يثبت عليه .
- (٩) الصفواء : الصخرة المساء التي لا يثبت فيها شيء .
- (١٠) المنزول : الذي يزل عليها فيزلق عنها .
- (١١) الخيفيائة : الجراد . شبه الفرس بها في الخفة والسرعة .
- (١٢) السعف : يريد به الناصية . شبه ناصية الفرس بسعف النخل .

لها حافرٌ مثلُ قَعْبِ الوليدِ * سد رُكْبٌ فيه وَظِيفٌ عَجْرٌ^(١) ^(٢)
 لها عَجْرٌ كَصَفَاةِ المَسِيءِ * بلِ أْبْرَزَ عنها بِجَحَافٍ مُضْرٌ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦) ^(٧)
 لها ذَنْبٌ مثلُ ذَيْلِ العروءِ * س قَسْدٌ به فَرْجَها من دُبُرٍ^(٨) ^(٩)
 لها جَبْهُ كَمِرَاةِ المِجْنِ حَذْفُه الصانِعُ المُقْتَدِرُ^(١٠)
 إذا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ دِبَاةٌ * من الخُضْرِ مغموسةٌ في القَدْرِ^(١١) ^(١٢)
 وإن أَعْرَضَتْ قَلَّتْ سُرْعُوْفَةٌ * لها ذَنْبٌ خَلَقَها مُسْبِطٌ^(١٣)
 وإن أدْبَرَتْ قَلَّتْ أَثْفِيَةٌ * مَلْمَدَةٌ ليس فيها أُثْرٌ^(١٤)

(١) القعب : الفتح . شبه حافر الفرس بقعب الوليد لأنه صغير لطيف .

(٢) الوظيف : عظم الساق والرجل .

(٣) العجر ككفف ورجل : الصلب الشديد .

(٤) صفاة المسيل : الحجارة التي تكون في الماء وهي أصلب من غيرها .

(٥) أبرز : كشف .

(٦) كذا في ديوانه ، أى عن الصفاة . وفي الأصلين : «ع» .

(٧) الجحاف : السيل الذي لا يمر بشئ ، إلا حمله وقشره .

(٨) السراة : الظهر . والمجن : القرس .

(٩) حذفه : أخذ من جوانبه ما يسويه به . وقيل : هبأه وصنعه .

(١٠) الدبابة : واحدة الدباء وهو القرع . وشبه الفرس بها لسعة مؤخرها ودقة مقدمها ، وذلك محبوب

في إناث الخيل . يقول : هي مجتمعة الخلق ، دقيقة الصدر ، عظيمة العجز . مغموسة في القدر : يريد أنها ربا .

(١١) السرعوفة : الجرادة .

(١٢) مسبط : طويل .

(١٣) الأثفية : الحجر المدثور الصلب الذي يوضع عليه القدر . والململة : المستديرة الصلبة .

يقول : مؤخرها كأنه صخرة مدقورة مجتمعة . والأثر (بالضم وبضمتين) : أثر الجرح . يريد أنها ليس

بها خدش .

وقال أبو دُوَادُ الإيَادِي [يصف فرسا] :^(١)

له ساقا ظَلِيمَ حَا * ضِبِّ فُوجِي بِالرُّعْبِ^(٢)
حديدُ الطَّرْفِ وَالْمَنِكَ * ب والعُرُقُوبِ وَالقَلْبِ

وقال آخر :

له صدرُ طَاوِيسٍ وَنَحْدُ نَعَامِيَةِ * وَوَيْبَةُ نَمِيرٍ وَأَلْتَفَاتُ غِرَالِ
وَأعجب من ذا كلِّمَا حَطَّ حَافِرًا * يَخْطُ هَلَالًا مِنْ وَرَاءِ هَلَالِ
وقال البَحْتَرِيُّ وَكَانَ وَصَافًا لِلخَيْلِ :

وَأَعْرَفِي فِي الزَّمَنِ الْبَهِيمِ مُحَجَّلٍ * قَدْ رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أَعْرَ مُحَجَّلِ
كَلِمَيْ كُلِّ الْمَبْنِيِّ إِلَّا أَنَّهُ * فِي الْحَسَنِ جَاءَ كَصُورَةٍ فِي هَيْكَلِ
ذَنْبٌ كَمَا يُحِبُّ الرِّدَاءُ يَدْبُ عَنْ * عُرْفٍ، وَعُرْفٌ كَالْقِنَاعِ الْمُسَبَّلِ
جَدْلَانِ يَنْفُضُ عُدْرَةَ فِي عُرْمَةٍ * يَقْبُ تَسِيلُ^(٤) جُجُولَهَا فِي جَنْدَلِ
كَالرَائِحِ النَّشْوَانِ أَكْثَرُ مَشِيهِ * عَرْضًا عَلَى السَّنَنِ الْبَعِيدِ الْأَطْوَلِ
تَسْوَهُمُ الْجَوْزَاءَ فِي أَرْسَاعِهِ * وَالْبَدْرِ عُرْمَةٌ وَجْهَهُ الْمُتَهَلَّلِ^(٥)

(١) في ب : « وقال زهير » . وقد سقط اسم الشاعر من أ . والتصويب والزيادة عن لسان
العرب (مادة خضب) وشرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ج ١ ص ١٩٠
من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) .

(٢) الخاضب : الضليم الذي اغتم فاحمرت ساقاه . وقيل : هو الذي قد أكل الربيع فاحمر ظنوبه
أواصفرا وأواخضرا .

(٣) العُدْرَةُ : عرف الفرس وناصيته .

(٤) اليق (محرّكة وككف) : المتناهي في البياض .

(٥) عرضا : يحتمل أن يكون بالفتح من قولهم : عرض الفرس يمرض عرضا إذا عارضه
صدره ورأسه مائلا من النخوة والنشاط ، وأن يكون بضمين وهو السير في جانب ، وهو محمود في الخيل
مذموم في الإبل .

(٦) رواية الديوان (ج ٢ ص ٢١٨ طبع مطبعة الجوانب بالقسطنطينية) :

* والبدر فوق جبينه المتهلل *

صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا عُنَيْتَ بِهِ * لَصَفَاءُ تُقْبِتُهُ مَدَاوِسُ صَيْقِلِ^(٣)
 وَكَأَنَّمَا نَفَضْتَ عَلَيْهِ صِبْغَهَا * صَهْبَاءُ لِلْبَرْدَانِ أَوْ قُطْرِبِلِ^(٤)
 وَتَحَالَهُ كُيْسِي الْخُدُودَ نَوَاعِمًا * مَهْمَا تَوَاصَلَهَا بِلَحْظٍ تَحْجَلِ^(٦)
 وَتَرَاهُ يَسْطَعُ فِي الْغُبَارِ لَهْيُهُ * لَوْنًا وَشَدًّا كَالْحَرِيقِ الْمُشْعَلِ^(٧)
 هَزِجُ الصَّهِيلِ كَأَنَّ فِي نَفَاتِهِ * نَرَاتٍ مَعْبِدٍ فِي الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ^(٨)
 مَلَكُ الْعِيُونَ فَإِنْ بَدَأَ أُعْطِنَتْهُ * نَظَرَ [الْحَبِّ] إِلَى الْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ^(٩)

وكتب إلى محمد بن حميد [بن عبد الحميد] الطوسي يستهديه فرسا، ووصف

له أنواعا من الخيل؛ فقال من أبيات:

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عنيت له * بصفاء... الخ » .

(٢) النقبة : اللون .

(٣) المداوس : جمع مدوس وهو المصقلة . والصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٤) بردان : قرية من قرى بغداد على شاطئ دجلة الشرق وبينها وبين بغداد فرائح .

(٥) اسم قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر .

(٦) رواية الديوان : « وكأنا » .

(٧) شدا : مصدر، وشدت النار ارتفعت . أى وترى لهيبه يسطع في الغبار كالحريق المشعل

في اللون والشدة، أى ارتفاع اللهب، وقد أجمعت كل نسخ الديوان المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية على هذه الرواية، على أنه لا يبعد أن تكون الرواية فيه : « يسطع في الغبار إياه » .

(٨) قال أبو العلاء المعري في كتابه عبث الوليد عند كلامه على هذا البيت (ص ١٢٧) : « الذى يوجه رأى أهل البصرة كسر الدال في معبد، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة » .

(٩) التكلمة عن ديوانه .

(١٠) في الأصلين : « سمعيد بن حميد الطوسي » والزيادة والتصويب عن الديوان . وقد ذكر

في الديوان جملة قصائد مدح بها محمد بن حميد هذا، ومنها هذه القصيدة التى اقتبس المؤلف بعض أبياتها، وبين هذه القصائد دالية صرح فيها باسم محمد هذا فى أحد أبياتها وهو :

محمد بن حميد أى مكرمه * لم تحوها بيد بيضاء بعد يد

فَاعِنَ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بِمَنْطَوٍ * أَحْشَاؤُهُ طَى الرَّدَاءِ الْمُدْرَجِ^(١)
 إِذَا بِأَشْقَرٍ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَعَى * مِنْهُ بِمِثْلِ الْكُوكَبِ الْمُتَاجِّجِ
 مُتَسَرِّبِلٍ شَيْبَةً طَلَّتْ أَعْطَافَهُ * بِدَمٍ فَمَا تَلْقَاهُ غَيْرَ مُضْرَجِ
 أَوْ أَدْهِمٍ صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ * تَحْتَ الْكَيْمَى مَظْهَرٌ بِرِنْدَجِ^(٢)
 ضَمِيرٌ يَهِيحُ السَّوْطُ مِنْ شُؤْبُوهُ * هَيْجَ الْجَنَائِبِ مِنْ حَرِيْقِ الْعَرِجِ^(٣)
 خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْنِهِ فَلَوَّانَهُ * يَجْرِي بِرَمَلَةٍ عَاجِلٌ لَمْ يَرْهَجِ^(٤)
 أَوْ أَشْهَبٍ يَبْقَى يُضَىءُ وَرَاءَهُ * مَتْنٌ كَمَنْ الْجُبَّةِ الْمُتْرَجِحِ^(٥)
 تَخْفَى الْجُحُولُ وَلَوْ بَلَّغْنَ لَبَّانَهُ * فِي أَيْضٍ مُتَالِقٍ كَالدَّمْلَجِ^(٦)^(٧)^(٨)

(١) رواية الديوان : « طى الكتاب » .

(٢) في ديوانه : « صافي السواد » .

(٣) كذا في ديوانه ، واليرندج : السواد يسود به الخلف أو هو الزاج يسود به . وفي الأصلين :

« بالنبرج » .

(٤) الشؤبوب : شدة العدو .

(٥) الجنائب : جمع جنوب وهي التي تقابل الشمال .

(٦) العريج : ضرب من النبات سهل طيب الريح . قال أبو حنيفة : وأخبرني بعض الأعراب

أن العريفة أصلها واسع يأخذ قطعة من الأرض تنبت له قضبان كثيرة بقدر الأصل ، وليس لها ورق له
 بال إنما هي عيسدان دقاق وفي أطرافها زرع يظهر في رومها شيء . كالشعر أصفر ولهبه شديد الحمرة ويبالغ
 بحمرته فيقال كأن لحية ضرام عريفة .

(٧) عالج : رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بختر من طى ، وهي متصلة بالثعلبية على طريق مكة

لا ماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيها .

(٨) لم يرهج : لم يثر الغبار من خفة وطئه .

(٩) اللبان : الصدر .

(١٠) الدملج : حلى يلبس في المعصم .

أَوْفَى بَعْرِفٍ أَسْوَدٍ مُتَفَرِّدٍ ^(١) * فِيمَا يَلِيهِ وَحَافِرٍ فَيُرْوِزِجِي
 أَوْ أَبْلَقٍ مَلَأَ الْعَيُونَ إِذَا بَدَا * مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِمَوْذَجِ
 جَدْلَانَ مُحْسَدَهُ الْجِيَادُ إِذَا مَشَى * عَنَقًا بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُنَسَّجِ ^(٢)
 وَعَرِيضٍ أَعْلَى الْمَتْنِ لَوْ عَلِيَّتَهُ * بِالزَّبْيَقِ الْمُنْهَالِ لَمْ يَتَدَخَّرِجِ ^(٣)
 خَاضَتْ قَوَائِمُهُ الرَّوْثِيقُ بِنَاؤُهَا ^(٤) * أَمْوَاجَ تَحْنِيبٍ بَيْنَ مُدَرِّجِ ^(٥)
 وَلَأَنْتَ أَعْبَدُ فِي السَّاحَةِ هِمَّةٌ * مِنْ أَنْ تَضِنَّ بِمُلْجِمٍ أَوْ مُسْرَجِ ^(٦)

وقال أيضا يصف فرساً أدهم :

بَادَهُمُ كَالظَّلَامِ أَغْرَى يَحْمَلُو ^(٨) * بُغْرَتَهُ دِيَاجِيرَ الظَّلَامِ
 تَرَى أَحْجَالَه يَصْعَدُن فِيهِ * صَعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوْنِ الْغَامِ ^(٩)

- ١٠ (١) رواية الديوان : « متغرب » .
 (٢) العنق (بفتح ن) : ضرب من السير فسيح سريع .
 (٣) في ديوانه : « يترجرج » .
 (٤) في الأصلين : « القويم » .
 (٥) التحنيب : احديداب في وظيفي يدي الفرس وليس ذلك بالاعوجاج الشديد ، وهو مما يوصف
 صاحبه بالشدّة . وقيل : هو بعد ما بين الرجلين من غير فجج ، وهو مدح .
 ١٥ (٦) رواية الديوان : « في المكلام » .
 (٧) رواية الديوان : « بموكف » والموكف : ما وضع عليه الوكاف (ويقال فيه الإكاف على
 الإبدال) وهو : البرذعة .
 (٨) كذا في ديوانه : وهو متعلق ببيت قبله وهو :
 ٢٠ أراجعتي يذاك بأعوجي * كفدح النبع في الريش اللوام
 (الأعوجي : نسبة الى الأعوج وهو فرس لبني هلال تنسب اليه الأعوجيات . وليس في العرب لخل
 أشهر ولا أكثر نسلا منه) . وفي الأصلين : « وأدهم » بالواو .
 (٩) الجون : الأسود . ورواية الديوان : « في النعم الجهام » .

وقال أيضا في أدهم :

أما الجَوَادُ فقد بَلَّوْنَا يَوْمَهُ * وكفى بيومِ خَيْرًا عن عامِهِ
 جَارِي الجِيَادِ فطار عن أوهامها * سَبَقًا وكاد يطيرُ عن أوهامِهِ
 جذلان تَلَطَّمَهُ جوانبُ غُرَّةِ^(١) * جاءتُ مَجِيءَ البدرِ عندَ تَمَامِهِ
 وأسودتْ ثم صَفَّتْ لِعَيْني ناظِرِ * جَنَابَتُهُ فأضاءَ في إظلامِهِ
 مالتْ نواحي عُرفِهِ فكأنها * عَذَابَاتُ أنثى مال تحت حَمَامِهِ
 ومقدم الأذنين تحسب أنه * بهما يرى الشخصَ الذي لأمامِهِ
 وكأن فارسَهُ وراءَ قَدَالِهِ * رَدْفٌ فليستَ تراه من قُدَامِهِ
 لانتْ معاطِفُهُ خفيل أنه * لَلخَيْرِ زَانٍ مَناسِبٌ لِعِظَامِهِ
 في شُعْلَةٍ كالشَّيبِ مرَّ بمفرِقِ^(٢) * غَزِيلٌ لها عن شَيْبِهِ بغرامِهِ
 وكان صَهْلَتُهُ إذا استعلَى بها * رَعْدٌ يَقَعُّعُ في أزدحامِ عَمَامِهِ
 مثل الغرابِ غدا يبارى صَحْبَهُ^(٣) * بسوادِ صِبْغَتِهِ وحسنِ قوامِهِ
 والطَّرْفُ أجلبُ زائرٍ لمؤونةِ * مالم تُزِرْهُ بسرجه وِلجامِهِ

وقال علي بن الجهم :

فوق طِرْفٍ كالطَّرْفِ في سرعة الطَّرِّ * في وكالقلبِ قلبُهُ في الذكاءِ^(٤)
 لا تراه العيونُ إلا خيالًا * وهو مثل الخيالِ في الأنطواءِ

(١) لظمت الغرة الفرس : سالت في أحد شق وجهه فهو لطيم ، الذكر والأنثى فيه سواء .

(٢) لها : من اللهو .

(٣) رواية الديوان : « شئى يباهى » .

(٤) الطرف (بالكسر) من الخليل : الكريم العتيق . والطرف (بالفتح) : العين . والطرف الأخيرة

(وهى بالفتح أيضا) : إطباق الجفن على الجفن . أى فوق جواد كريم يشبه في جريه البصر في سرعة الغمض .

وقال العباس بن مرداس :

جاء كلع البرق سام ناظرة^(١) * تسبح أولاه ويطفو آخره
* فإيمس الأرض منه حافره *

وقال أبو الطيب المتنبي :

وجرداً مددنا بين آذانها القنا^(٢) * فبتن خفافاً يتبعن العوالي^(٣)
تماشي بأيد كتما وافيت الصفا^(٤) * نقش به صدر البراة حوايفاً^(٥)
وينظرن من سود صوادق في الدبحي^(٦) * يرين بعيدات الشخوص كما هيا^(٧)
وتنصب للجرس الخفي سوامعاً^(٨) * يحلن مناجاة الضمير تناديا^(٩)
تجاذب فرسان الصباح أعتة^(١٠) * كأن على الأعناق منها أفاعيا

- ١٠ (١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٦٤) . وفي الأصلين : « جاش ناظره » وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « جاش ماطره » وجاش ماطره : اضطرب أو تدفق بالماء .
- (٢) الجرد من الخيل : القصار الشعر . والقنا : الرماح . والعوالي : جمع عالية وهي صدر الرمح على السنان .
- (٣) الصفا : الصخر ، واحده صفاة . والبراة : جمع باز . وحوايفا : جمع حاف نصب على الخيل من فاعل « تماشى » . أى إن هذه الخيل تمشى بأيد اذا وطئت الصخر وهي حافية من غير نعال نقشت حوافرها فيه أثرا مثل صدور البراة لشدة وطئها .
- (٤) من سود ، أى من أعين سود . أى وتتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظره في ظلمة الليل ، فرى الشخص البعيد عنها كهينته اذا كان قريبا منها .
- (٥) الجرس : الصوت أو الخفي منه . والسوامع : الآذان ، واحدها سامعة . ويحلن : يحسب . وصفها بحدة السمع ، فهى اذا سمعت الخفى نصبت آذانها فسمعتة . وهذا من عاداتها أنها اذا سمعت أخفى ما يكون نصبت آذانها حتى إن ما يباحى به الضمير عندها كالمناداة لحدة سمعها .
- ٢٠ (٦) المراد بالصباح هنا الغارة لأنهم كانوا أكثر ما يفترون في ذلك الوقت ؛ فسميت الغارة به .
- (٧) الأعتة : سيور الجم . يصف هذه الخيل بالفتوة والنشاط وأنها تجاذب فرسانها أعتها . ثم شبه أعتها في طولها وامتدادها بالأفاعي .

وقال أيضا :

وَجِيَادٍ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَاءَ * وَيَخْرُجْنَ مِنْ دِيمٍ فِي جِلَالِ (١)
وَاسْتِعَارِ الْحَدِيدِ لَوْنًا وَأَلْوِي * لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ (٢)

وقال أبو الطيّب أيضا :

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَتُّهُ * أُرَاقِبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَقْرُبُ (٤)
وَعَيْنِي عَلَى أَذُنِي أَغْرَّ كَأَنَّهُ * مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنِهِ كَوْكَبُ (٥)
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ * تَجِيءُ عَلَى صَدْرِي رَحِيبٌ وَتَذْهَبُ (٦)
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلْمَاءَ أَذُنِي عِنَانَهُ * فَيَطْنِي وَأُرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ (٧)

(١) في شرح الكبرى لديوان المتنبي : « بلياد » باللام الجارة ؛ إذ هو متصل بالبيت الذي قبله وهو واغتنار لور غير السخط منه * جعلت هامهم نعال النعال

وعلى هذا فالجار والمجرور متعلق بالبيت الذي قبله ، ويكون فيه تضمين ، وهو مما عيب على المتنبي .
(٢) أعراء : جمع عري (بالضم) . يقال : دابة عري ، وأفراص أعراء ، ولا يقال : رجل عري ، وإنما يقال : رجل عريان وامرأة عريانة إذا عريا من ثيابهما . ورجل عار إذا أخلقت أثوابه .
(٣) يقول : إن السيوف والرماح اكتست الدم لما باشرت القتل فاستعارت لونا غير لونها ، وألقت لونها ، وهو البياض ، في رموس الأطفال ؛ فانهم يشبهون من شدة ما يناهم من الفرع .
(٤) يقول : رب يوم طال على كما يطول ليل العاشقين اختفيت فيه خوفا على نفسي أراقب حين تقرب الشمس حتى أسير اليكم .

(٥) يقول : إنه كان ينظر الى أذني فرسه ؛ وذلك أن الفرس أبصر شئ . ، فإذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه ، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه بأنه أسود في وجهه غرة ؛ وذلك قوله : « ... كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب » أي كأنه قطعة من الليل غمت نجومها فلم يبق فيها إلا كوكب .
(٦) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . يريد أن يصف الفرس باتساع الجلد وأن له فضلة عن جسمه في إهابه تجيء وتذهب على صدره الرحيب . واتساع الجلد مما يسر للحيوان شدة العدر .

(٧) يطني ، أي ينشط ويمرح . يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس أجذب عنانه إلى فيطني .
ويتب مرحا ونشاطا ، وأرخيه له فيلعب كما يشاء .

وَأَصْرَعُ أَيُّ الْوَحْشِ قَفِيئَهُ ^(١) بِهِ * وَأَنْزِلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
وقال أيضا يصف فرساً :

إِنْ أَدْبَرْتَ قَلْتَ لَا تَلِيلَ ^(٢) لَهَا * أَوْ أَقْبَلْتَ قَلْتَ مَا لَهَا كَفْلُ
وقال أبو الفرج البيهقي :

إِنْ لَاحَ قَلْتَ أَدْمِيَّةً أَمْ هَيْكُلُ * أَوْ عَنَ قَلْتَ أَسَاجِ أَمْ أَجْدُلُ ^(٣)
تَتَخَاذَلُ الْأَلْحَاطُ فِي إِدْرَاكِهِ * وَيَحَارُ فِيهِ النَّاطِرُ الْمُتَأَمِّلُ
فَكَأَنَّهُ فِي اللَّطْفِ فَهْمٌ نَاقِبٌ ^(٤) * وَكَأَنَّهُ فِي الْحَسَنِ حِطٌّ مُقْبِلُ
وقال أيضا من أبيات :

رَمَاهُمْ بِالْحَاطِ الْجِيَادِ وَلَمْ تَكُنْ * لِنَيْئِ عَلَيْهَا الْمُنْزِلِ الْمُتَبَاعِدُ
مِنَ اللَّاءِ يَهْجُرْنَ الْمِيَاهَ لَدَى السَّرَى * وَيَعْتَضْنَ شَمَّ الْجَوْ وَالْجَوْ رَاكِدُ
مَرْنٌ عَلَى لَدَعِ الْقَنَا فَكَأَنَّمَا * عَلَيْهِنَ مِنْ صَبْغِ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ ^(٥)
نَسَجْنَ مِلاءَ النَّعْقِ ثُمَّ تَحَرَّفْنَ ^(٦) * بِكَرِّهَا مِنْهُ إِلَى النَّصْرِ قَائِدُ
عَلَيْهِنَّ مِنْ نَسْجِ الْغُبَارِ غَلَائِلُ * رِفَاقٌ وَمِنْ نَضْحِ الدَّمَاءِ قَلَائِدُ ^(٧)

(١) قفئته : أتبعته . يقول : إنه ياحق أي الوحش يتبعه به فيصرعه دون أن يناله تعب فهو حين ينزل عنه مثله حين يركبه .

(٢) التليل : العتق . يقول : إنها مشرفة الكفعل مريضة الصدر، فإذا أدبرت منع إشراف كفلهما من رؤية عتقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلهما . (راجع شرح الديوان لليازجي ص ١٣٦ طبع بيروت سنة ١٨٨٣ م) .

(٣) الأجدل : الصقر .

(٤) كذا في قيمة الدهر للتعاليبي (ج ١ ص ٢٠٤ طبع بيروت) . وفي الأصلين : «خييط يفتل» .

(٥) في الأصلين : «لدع» بالبدال المهملة ، وهو تصحيف .

(٦) المجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران .

(٧) في أ : «حرفه» ، وفي ب «حرفه» وكلاهما تصحيف .

وقال أبو الفتح كشاجم :

ماءٌ تدفق طاعةً وسلاسةً * فإذا استند الحضر منه فنارٌ
 وإذا عطف به على ناورده ^(١) * لتديره فكانه بركار ^(٢)
 قصرت فلادة نحره وعذاره * والرُغ، وهي من العتيق قصارُ
 يرُد الضاحح غيرَ نانٍ سُبكا ^(٤) * ويروُد طرفك خَلقه فيحارُ ^(٥)
 لو لم تكن للخيل نسبة خَلقه * خالته من أشكالها الأطيَارُ

وقال آخر :

وأقب تَحمله رياحُ أربع ^(٦) * لولا اللجامُ لطار في الميدان
 من جُملة العقبان إلا أنه ^(٧) * من حُسنه في طلعة الغزنان
 يمشى إلى ميدانه متبختراً * من تيهه كتبختر النشوان

وقال ابن المعتز :

وحيل طواها القود حتى كأنها ^(٨) * أنايبُ سمرٍ من قنا الخط ذبلُ

(١) في شفاء الغليل : « ناورد : لفظ فارسي هو في لغتهم بمعنى القتال وجولان الخيل في الميدان . وفي اللغة الجديدة ناورد جنك وجولان أسب . وبالمعنى الثاني استعمله المولدون كالبحتري وغيره . واستشهد بهذا البيت ، وورد الشطر الثاني فيه هكذا : « فكانه من ليه بركار » .

(٢) كذا في ديوان كشاجم وفي الأصلين : « لترده » .

(٣) بركار (بالكسر) : آلة ذات ساقين ترمم بها الدوائر ، وهو فارسي معرب .

(٤) الضاحح : جمع ضحح وهو الماء القليل يكون في الغدير وغيره .

(٥) السبك : طرف الحافر وجانباه من قدم ، وجمعه سنابك .

(٦) الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٧) العقبان : جمع عقاب وهو طائر من الجوارح تسميها العرب الكاسر . وقيل : تقع على الذكر والأُنثى .

(٨) القود : قويض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، أوله يريد مطلق السير . والأناييب : الرماح ، واحدها أنبوب . والخط : موضع بالجماعة تنسب إليه الرماح الخطيبة . وذبل : دقاق ، واحدها ذابل .

صَبِينَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا * فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلٌ^(١)
وقال أبو بكر الصنوبري :

طَرَفٌ نَاتٍ سَمَاوُهُ عَنِ أَرْضِهِ * وَمَا نَأَى كَاهِلُهُ عَنِ الْكَفَلِ
ذُو أَرْبَعٍ مِنْ أَرْبَعٍ مِنَ الْقَبْوِ * لِ الدَّبُورِ وَالْجُنُوبِ وَالشَّمَلِ
وَهُوَ إِذَا أَعْمَلَهَا أَلْفَى لَهَا^(٢) * فَوْقَ الَّذِي يُطْلِيهِ مِنَ الْعَمَلِ
كَالْبَرْقِ إِنْ أَوْمَضَ أَوْ كَالرَّعْدِ إِنْ * أَجْلَبَ^(٣) أَوْ صَوَّبَ الْحَيَا إِذَا أَحْتَمَلَ^(٤)
وقال آخر :

يَجْرِي فَيُعَدُّ مِنْ مَدَى مُتْقَارِبٍ * أَبْدًا وَيَدْنُو مِنْ مَدَى مُتْبَاعِدِ
إِنْ سَارَ فَهُوَ غَدِيرٌ مَاءٍ مَائِحٍ * أَوْ قَامَ^(٥) فَهُوَ غَدِيرٌ مَاءٍ جَامِدِ
وقال أبو الفضل الميكالي :

خَيْرٌ مَا اسْتَرْفَ الْفَوَارِسُ طَرَفٌ * كُلُّ طَرَفٍ بِجَسَنِهِ مَبْهُوتٌ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلَى وَفِي السَّهْلِ * لِي نَعَامٌ وَفِي الْمَعَابِرِ حُوتٌ
وقال آخر :

وِطْرِفٌ إِذَا مَا جَرَى خَلَّتَهُ * عُقَابًا مِنَ الْوَكْرِ يَنْغِي الْمَزَارَا
تَرَى فِي الْجَبِينِ لَهُ سَوْسَنَا^(٦) * وَتَلْمَحُ فِي لَوْنِهِ الْجُلُنَارَا^(٧)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني في معنى هذا البيت مانصه : « ذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئا من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الفاءها » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أو كالبرق إن * أخلب... الخ » بالخاء المعجمة ، وهو تحريف .

(٤) الحيا : المطر .

(٥) قام : وقف ولم يسر .

(٦) السوسن : نبات طيب الرائحة .

(٧) الجلتار : زهر الزمان .

ويمشى على الماء من خفة * ويقدح في الجأمد الصخر نارا
فلو كان ينبغي به راكب^(١) * إلى مطلع الشمس سيرا لطارا
وقال عبد الجبار بن حمديس :

ومجرر في الأرض ذيل عسيه * حمل الزبرجد منه جسم عقيق
يحمري ولمع البرق في آثاره^(٢) * من كثرة الكبوات غير مفيق^(٣)
ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق
وقال ابن طباطبا :

عجبا لشمس أشرقت في وجهه * لم تمح منه دجى الظلام المطبق^(٤)
وإذا تمطر في الرهان رأيت^(٥) * يحمري أمام الريح مثل مطرق

وقال تاج الملوك بن أيوب :
وخيل كأمثال السعالي شوارب^(٦) * تكاد بنا قبل المجال تجبول^(٧)
سوابق تكبو الريح قبل لحاقها^(٨) * لها مرح من تحتنا وصهيل
وقال إبراهيم بن خفاجة يصف فرسا أشهب :

رُبَّ طريف كالطارف ماعة عدو * ليس يسرى سراه طيف الخيال

(١) في الأصلين : « راكبا » بالنصب .

(٢) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « فلع » .

(٣) هذه رواية الديوان . وفي الأصلين : « صديق » .

(٤) تمطرت الخيل : ذهبت مسرعة .

(٥) المطرق : الذي عهد الطريق ليسلك .

(٦) السعال : الفيلان أو سمرة الجن .

(٧) الشوارب : الضوامر من الخيل . وقد وردت في الأصلين : « شوارب » بالراء المهملة ،

وهو تصحيف .

(٨) المرح : التبخر والاختيال .

١٥

٢٠

إن سرى في الدجى فبعض الدرارى * أو سعى في الفلا فأحدى السعالي
 لست أدري إن قيد ليلة أسرى * أو تمطيته غداة قتال
 أجنوب تقاد لي أم جنيب^(١) * أم شمال عنانها بشمالى
 أشهب اللون أنقلته حلي^(٢) * خب فيهن وهو ملق الحلال^(٣)
 فبدا الصبح ملجأ بالثرىا * وجرى البرق مسرجا بالهلال
 وقال أيضا في أشهب :

وظلام ليل لا شهاب بأفقه * إلا لنصل مهتد أو لهذم
 لا طمت لجنته بموجة أشهب * يرمى بها بحر الظلام فيرتى
 قد سال في وجه الدجنة غرة * فالليل في شبه الأغر الأدهم
 أطلعت منه ومن سنان أزرقي * ومهتد عصب ثلاثة أنجم

وقال أبو الصلت يصف فرسا أشهب :

وأشهب كالشهاب أضحي * يحول في مذهب الحلال
 قال حسودى وقد رآه * يحنب حانئى إلى القتال
 من أجم الصبح بالثرىا * وأسرج البرق بالهلال

وقال ابن خفاجة وقد أهدى مهرا بهيا :

تقبل المهر من أحنى ثقة * أرسل ريثما به الى المطر
 مستملا بالظلام من شية * لم يشتمل ليها على تحر
 متسببا لوته وغرته * الى سواد الفؤاد والبصر

(١) الجنيب : الفرس الذى يقاد الى جنب الراكب .

(٢) خب الفرس : راجح بين يديه ورجليه أى قام على إحداهما مرة وعلى الأخرى مرة .

(٣) الحلال (بالكسر) : جمع حل (بالضم) وهو ما تلبسه الدابة لتسان به .

تَحْسَبُهُ مِنْ عُلَاكَ مُسْتَرِقًا * بهجة مرأى وحسن مُخْتَبِرٍ
 حَتَّى إِلَى رَاحَةِ تَهْيِضِ نَدَى * فَمَالَ ظِلُّ بِهِ عَلَى نَهْرِ
 تَرَى بِهِ وَالنَّشَاطُ يُخْفِضُهُ * مَا شِئْتَ مِنْ خَمَةِ وَمِنْ شَرِّ
 لَوْ حَمَلَ اللَّيْلُ حَسَنَ دُهْنِهِ * أَمْتَعِ طَرْفَ الْحَبِّ بِالسَّهْرِ^(١)
 أَحْمَى مِنَ النِّجْمِ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ * ظَهَرَ وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَدْرِ
 إِسْوَدًا، وَأَبْيَضَ فَعَلَهُ كَرَمًا * فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ فِيهِ عَنِ حَوْرِ
 فَازْدَدَ سَنَا بِهِجَةٍ بِدُهْنِهِ * فَالْلَيْلُ أَذْكَى لِعُرَةِ الْقَمْرِ
 وَمِثْلُ شُكْرَى عَلَى تَقْبَلِهِ * يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسِيمِ وَالزَّهْرِ

وقال في فرس أشقر :

وَمُنْظُهُمْ شَرِقَ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا * أَلْفَتْ مَعَاظِفَهُ النَّجِيعَ خَضَابًا^(٢)
 طَرِبُ إِذَا غَنَى الْحُسَامُ، مُمَزَّقٍ * ثَوْبَ الْعَجَاجَةِ جَيْشَةً وَذَهَابًا
 قَدَحَتْ يَدَ الْهَيْجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا * مِثْلَهُبًا يُزْجِي الْقَنَامَ سَحَابًا
 [وَرَمَى الْحِفَاظُ بِهِ شَيَاطِينَ الْعِدَا * فَانْقَضَ فِي لَيْلِ الْغُبَارِ شَهَابًا]^(٣)
 بَسَامُ نَفْسِ الْحَلِيِّ تَحْسَبُ أَنَّهُ * كَأَنَّ أُنَارَ بَهَا الْمِرْجَاجِ حَبَابًا

وقال في أدهم أغر مجمل :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَيْبِيهِ * فَانْقَضَ مِنْهُ نَخَاضٌ فِي أَحْشَائِهِ

(١) كذا في ديوانه (ص ٦٧ طبع مصر سنة ١٢٨٦ هـ) . وفي الأصلين : « لو وهب الليل
 جودته » . (٢) النجيع : الدم ، وقيل : هودم الجوف خاصة ، وفيه أفعال غير ذلك .
 (٣) زيادة عن ديوانه . (٤) السياق يدل على أن هذا البيت لابن خضاعة . والصاب أنه لابن نيابة
 السعدى كما سيذكره له المؤلف بعد أسطر ضمن أبيات . وقد وردت هذه الأبيات في ديوانه (نسخة مخطوطة
 محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ أدب ش) كما وردت له في كتاب عنوان المرتضات والمطربات
 (ص ٤٠ طبع مصر) وابن خلكان والبيهقي ، يمدح بها سيف الدولة وقد حمل على فرس أدهم أغر مجمل .

وقال ابن نباتة السعديّ في أدهم :^(١)

وأدهمَ يَسْتَمِدُّ اللَّيْلَ مِنْهُ * وَتَطْلُعُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ الثَّرِيَا
سَرَى خَلْفَ الصَّبَاحِ يَطِيرُ مَشِيَا * وَيَطْوِي خَلْفَهُ الْأَفْلَاكَ طَيًّا
فَلَمَّا خَافَ وَشَكَ الْقَوِيَّ مِنْهُ * تَعَلَّقَ بِالْقَوَائِمِ وَالْمُحَيَّا^(٢)

وقال في فرس أدهم أغرَّ محجلٌ أهدي له :

قَدْ جَاءَنَا الطَّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ * هَادِيَهُ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ^(٣)
أَوْلَايَةَ وَلَيْتَنَا فَبِعَثَّتِهِ * رُمْحًا سَيْبُ الْعُرْفِ عَقْدُ لَوَائِهِ
تَخَالٍ مِنْهُ عَلَى أَغْرَّ مَجْجَلٍ * مَاءَ الدِّيَابِجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ
وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ * فَأَقْتَصَّ مِنْهُ نَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ
مُتَمَهِّلًا وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ * مُتَبَرِّقًا وَالْحَسَنُ مِنْ أَكْفَائِهِ
مَا كَانَتْ النِّيرَانُ يَكُنُّ حَرْهَا * لَوْ أَنَّ لِلنِّيرَانِ بَعْضَ ذِكَائِهِ
لَا تَعَلَّقُ الْأَلْحَاظُ فِي أَعْطَافِهِ * إِلَّا إِذَا كَفَفَتْ مِنْ غُلُوَائِهِ

(١) قال ابن خلكان في ترجمته (ج ١ ص ٤١٨ - ٤١٩) مانصه : « أبو نصر عبد العزيز بن

عمر بن محمد بن أحمد بن نبأة السعدي . كان شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف
البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان غرر القصائد ونخب المدائح ...
ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير ، وكان قد وصل الى الري وامتدح أبا الفضل محمد بن العميد ... ولد
سنة ٣٢٧هـ وتوفى في ثالث شوال سنة ٤٠٥هـ ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران من الجانب الشرقي » . وراجع

ترجمته أيضا في قيمة الدهر (ج ٢ ص ١٤٣ - ١٥٧)

(٢) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « منها » .

(٣) ورد هذا البيت في عنوان المرقصات والمطربات هكذا :

قد جاءنا المهر الذي أهديته * جدلان يخلط أرضه بسمايه

(١)
وقال محمد بن الحسين الفارسي النحوي أحد شعراء البيتمة في فرس أدهم أغر:
ومطهم ما كنت أحسب قبله * أن السروج على البوارق توضع^(٢)
وكانما الجوزاء حين تصوبت * لبب عليه والثريا برقع

طرائف في ذم الخيل

بالمزال والعجز عن الحركة

كتب بعضهم إلى صديق له :

ما فعلت حَجْرُكَ^(٣) تلك التي * أفضل من فارسها التراجل
عَهْدِي بها تبكي وتشكو الضنى * لما أحشاه البدن الناحل
وهي تقنيني غنا صبة * غايتها وجدان ما تأكل
يارب لا أقوى على كل ذا * موت وإلا فرج عاجل

وقال آخر :

يا نصر حَجْرُكَ ألبى الجوع جَدَّتْهَا * وأصبحت شبحاً تشكو تجافيك

- (١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي أحد أفراد الدهر، وأعيان العلم، وأعلام الفضل، وهو الامام اليوم في النحو بعد خاله أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي، ومنه أخذ، وعليه درس، حتى استغرق عليه، واستحق مكانه...» وكان خاله أوفده على الصاحب بن عباد الى جهة الري فأرتضاه وأكرم مثواه وقد نزل نيسابور دفعات وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت بذكره الركبان وآل أمر الى أن وزر للامير شاد عرسي ستان ثم اختص بالامير اسماعيل بن سبكتكين بغزوة ووزر له ثم توجه الى عدة جهات واستوطن جرجان الى أن مات وقرأ عليه أهلها، منهم الامام عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه. وللصاحب بن عباد مكاتبات اليه مدونة. مات سنة ٢١٤ هـ. (راجع بيتمة الدهر ج ٤ ص ٢٧٠ ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٣ وبنية الوعاة للسيوطي). وفي الأصلين: «الحسن» وهو تحريف.
- (٢) كذا في البيتمة. وفي الأصلين: «عن» وهو تحريف.
- (٣) الحجر (بالكسر): الأثني من الخيل.

إذا رأته تينة قالت مجاهرة * ياتين لي حسة ما تقضى فيكا
ترجوه طورا وتبكي منه آيسة * حتى إذا عرضت بات تغنيكا:
هذي - فديتك - حالي قد علمت بها * فلم يكون الجفا أفديك أفديكا

(٦٦)

وقال آخر :

أعطيتني شهباء مهلوبة^(١) * بُدِكرُ مُروذُ بنِ كنعان^(٢)
سفينة الحشر إلى عدوها * أسبق^(٣) من أشقر مروان
كأنني منها على زورق^(٤) * بلا مجاديف وسكان^(٥)
فأنظر إلى حجرى ترى شهرة * أخبارها جامع سفيان^(٥)

وقال آخر :

حلتني فوق مُقرِفِ زمين * ليس لذي رحلة بنفّاع
جلدٌ على أعظم محللة * فليس يمشى إلا بدفّاع
كأنني إذ علوت صهوته * ركبتُ منه سرير ففّاع^(٦)

(١) يقال : فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب ، قد حلب ذنبه ، أى استوصل جزا .

(٢) اسم ملك من الجبارة معروف .

(٣) أشقر مروان فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان ، وكان يعدل شديزا أبروز
في الحسن والكرم واستيفا . أقسام الجوده والعتق ثم في أشتهار الذكر حتى صار مثلا لكل طرف عتيق وفرس
كريم . ويريد به هنا السخرية (راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف اليه للحبي المحفوظ منه نسخة
خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م) .

(٤) السكان : ذنب السفينة الذي به تعدل .

(٥) هو جامع سفيان الثوري وهو كتاب في الفقه كبير يضرب به المثل للنبي . الجامع كل شيء ، وكان
أبو بكر الخوارزمي إذا رأى جامعا أو كتابا قال : ما هو إلا سفينة نوح ، وجامع سفيان ، ومخلط خراسان .

(راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف اليه) .

(٦) الففّاع : نبات يابس .

وكتب زهير بن محمد الكاتب :^(١)

وفرس على المسَا * وى كلِّها مُحْتَوِيَةٌ
راكبًا في نَجْمَةٍ * كأنه في مُحْزِيَةٍ
مُسْتَقْبِحًا رُكُوبَهَا * مثل رُكُوبِ الْمَعْصِيَةِ
فما مَسَاوِيها لَمَن * عَدَدُها مَسْتَوِيَةٌ
يا قُبْحَها مُقْبِلَةٌ * وقُبْحَها مَوْلِيَةٌ

وقال برهان الدين ابن الفقيه نصر :

لصاحب الديوانِ رِذْوَنَةٌ^(٢) * بعيدةُ العهدِ من القِرْطِ^(٣)
إذا رأت خَيْلاً على مَرَبِيطٍ * تقول سُبْحَانَكَ يا مُعْطِي
تمشي إلى خَلْفِ إذا ما مشَتْ * كأنها تكتب بالقَبِطِي



هذا ما اتفق إيراده مما قيل في أوصاف الخيل من النظم . فلندكر ما وُصِفَتْ
به في الرسائل المنشورة ، والفقر المسجوعة ، والألفاظ المزدوجة ؛ مع ما يتصل بذلك
من الأبيات في ضمنها .

(١) قال ابن خلكان في ترجمته (ج ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٥) ما نصه : « أبو الفضل زهير بن محمد
ابن علي الملقب بهاء الدين الكاتب ، من فضلاء عصره وأحسنهم نظماً وثراً وخطاً ، ومن أكرمهم مروءة .
كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبي الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية ،
وتوجه في خدمته إلى البلاد الشرقية ... أنشدني شيئاً كثيراً من شعره ، وشعره كله لطيف ، وهو كما يقال الصل
المنتع . وأجازني رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدي الناس ... توفي رابع ذي القعدة سنة ٦٥٦ هـ
ودفن بالقرافة الصغرى بترته بالقرب من قبة الإمام الشافعي رضي الله عنه في جهتها القبلية » .

(٢) في الأصلين : « يوذونه » وهو تحريف .

(٣) القِرْط : نبات تألفه الدواب وهو شبيه بالرطبة إلا أنه أجل منها وأعظم ورقاً .

فن ذلك ما حكى أن المهديّ - سأل مطربن درّاج عن أيّ الخليل أفضل ؛
فقال : الذي إذا استقبلته قلت نافر ، وإذا استدبرته قلت زاجر ، وإذا استعرضته
قلت زافر . قال : فأىّ هذه أفضل ؟ قال : الذي طرفه إمامه ، وسوطه عنائه .
ومن هذا أخذ المتنبي وعلّي بن جبلة والعسكري . فقال المتنبي :

* إن أدبرت قلت لا تليل لها *

وقد تقدّم .

وقال عليّ بن جبلة :

تحسبه أقمعد في استقباله * حتى إذا استدبرته قلت أكب

وقال أبو هلال العسكري :

١٠ طرف إذا استقبلته قلت حبا * حتى إذا استدبرته قلت كبا

ووصف أعرابي فرسا أجريّ في حلبة فقال لما أرسلت الخيل : جاءوا
بشيطان ، في أشطان ؛ فأرسلوه فلمع ألمع البرق ، وأستهل استملال الودق ؛ فكان
أقرب الخيل إليه ، تقع عينه من بعد عليه .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨) . وفي أ : « ناجر » وفي ب : « ناجر »

وكلاهما تحريف .

(٢) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « زاجر » بفتح الميم .

(٣) كذا في ديوانه شرح العكبري وفيما تقدّم من هذا الكتاب . وفي الأصلين هنا : « أقبلت »

وهو خطأ .

(٤) أشطان : جمع شطان ، وهو الجبل الطويل الشديد الثقل يستقى به وتشدّ به الخيل .

(٥) الودق : المطر كله ، شديده وهيبه .

ووصف محمد بن الحسين بن الحرّون فرسا فقال : هو حسن القميص ، جيد
 الفصوص^(١) ؛ وثيق القصب ، نقي العصب ؛ ينصر بأذنيه ، ويتبوع بيديه ، ويداخل
 رجليه .

ووصف آخر فرسا فقال : الريح أسيرة يديه ، والظلم^(٢) فريسة رجليه ؛ إن حرّ
 أستعر في آتياه ، وإن جدّ مرق من إهابه .

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون مع فرس أهداه إليه : قد بعثت إلى
 أمير المؤمنين فرسا يلحق الأرنب^(٥) في الصعداء ، ويجاوز الظباء في الاستواء ، ويسبق
 في الحدور جرّى الماء ؛ إن عطف حار ، وإن أرسل طار ؛ وإن حيس صفن^(٦) ،
 وإن أستوقف قطن ؛ فهو كما قال : أبط شرا :

ويسبق وقد الريح من حيث ينتحي * بمنخري من شدّه المتتابع
 ووصف آخر فرسا فقال : كأنه إذا علا دعاء ، وإذا هبط قضاء . كأنه محلول
 من قول الشاعر في صفة فرس :

مثل دعاء مستجاب إن علا * أو كقضاء نازل إذا هبط

ووصف أيوب بن القرية فرسا فقال : أسيل الحد ، حسن القد ؛ يسبق
 الطرف ، ويستغرق الوصف .

(١) الفصوص من الفرس : مفاصل رقبته وأرساغه ، وفيها السلاميات وهي عظام الرسغين . (راجع
 لسان العرب مادة فصوص) .

(٢) تبوع الفرس في جريه : أبعده الخطو بيديه . قال الجبائي : والله لا تبلغون تبوعه ، أي لا تلحقون
 شأوه في خطاه .

(٣) الظلم : الذكر من النعام .

(٤) كذا في أ وحز : اشتد . وفي ب : «حرك» .

(٥) يقال : أكمة ذات صعداء : يشتد صعودها على الرائي .

(٦) صفن الفرس : قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم .

وقال محمد بن عبد الملك لصديق له : **أَبِغْ لِي فَرَسًا بِرَدُونًا، وَشِيقَ الْيَدِينِ، قَائِمَ الْأَذِينِ، ذَكَرَ الْعَيْنِينَ، يَأْتَفُ مِنْ تَحْرِيكِ الرَّجْلَيْنِ .**

ومن الكلام الجيد في وصف الخيل ما أنشأه الشيخ ضياء الدين بن القُرطبيّ من رسالته التي كتبها إلى صاحب الوزير شرف الدين الفَائِزِيّ ، وقد تقدّم ذكرها في باب الكتاب في الرسائل، فلا فائدة في إعادتها؛ وإنما أوردنا ذكر الخيل هناك لأن الرسالة تشتمل على أوصاف الخيل والعساكر والسلاح وغير ذلك، فأردنا بإيرادها بجملة ما ثم أن يكون الكلام فيها سياقاً يتلو بعضه بعضاً. وهذه الرسالة في السفر السابع (١) من هذه النسخة .



١٠ ومن إنشاء المولى الفاضل العالم الأديب البليغ شهاب الدين أبي النّناء محمود ابن سليمان الحلبيّ الكاتب رسالةً (٢) في الخيل عملها تجربةً ورياضةً لخاطره، ولم يكتب بها؛ سمعها من لفظه، ونقلها من خطه؛ وهي :

أدام الله إحسان الجناب الفلاني، ولا زالت الآمال في أمواله مُحْكَمَةً، والأمانى كالحامد في أبوابه مُجَيَّمَةً، والمعالي كالعوالي إليه دون غيره مسأمة، والمكارم تُقرّبه في الندى حتى يبذل ما حُبب إليه من الخيل المسومة . المملوك يقبل اليد التي ما زالت بسطتها في الكرم عليه، وقبضتها بتصرف أعة الزمن ملبه؛ ومواهبها تتنوع في الندى، ومذاهبها في الكرم تهب الأولياء ماتها به العدا . وينهى وصول

(١) راجع هذه الرسالة ونسب منشأها في الجزء الثامن من هذه الطبعة (ص ٦٣)

(٢) راجع هذه الرسالة في كتاب حسن التوسل إلى صناعة التوسل لمنشأ هذه الرسالة (ص ٩٩ طبع

٢٠ المطبعة الوهية بمصر سنة ١٨٨١ م) وصح الأعيى للقلقشندى (ج ٨ ص ٣٨٦ طبع بولاق) .

(٣) في العبارة قصص . والذي في حسن التوسل « ... فن ذلك كتاب أنشأته في أوصاف الخيل،

ولم يكتب به على وجه امتحان الخاطر وهو ... »

ما أنعم به من الخليل التي وُجد الخير في نواصيها، وأذْخِرَتْ صَهَوَاتُهَا حصوناً يعتصم^(١)
في الوغى بصياصيها :

فمن أشهب غطاءه النهار بجلته ، وأوطاه الليل على أهله ؛ كأن أذنه جلفه^(٢)
قلم ، أو شقة جلم ؛ يدرك بها الوهم ، ويحقق في الليل البهيم مواقع السهم ؛ يتوج
أديمه رياً ؛ ويتأرج رياً ، ويقول من استقبله في حلي لحامه : هذا الفجر قد طلع
بالثريا ؛ إن ألقت المضايق أنساب أنسياب الأيم ، وإن أنفرت المسالك مر
مرور العيم ؛ كم أبصر فارسه يوماً أبيض بطلته ، وكم عين [طرف السنان^(٣)] مقاتل
العدا في ظلام النقع بنور أشعته ؛ لا يستن داحس في مضاره ، ولا تطمع الغبراء
في شق غباره ، ولا يظفر لاحتق من لحاقه يسوى آثاره ؛ تسابق يده مرامي طرفه ،
ويدرك شوارد البروق ثانياً من عطفه .

ومن أدهم حالي الشكيم ، حالك الأديم ، له مقله غانية وسالفة ريم ؛ قد ألبسه
الليل بردة ، وأطلع بين عينيه سعده ؛ يظن من نظر إلى سواد طرته ، وبياض مجوله
وغرته ؛ أنه توهم النهار نهراً نخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك المخاضه ؛
لين الأعطاف ، سريع الأنعطاف ؛ يقبل كالليل ، ويكر كالمود صخر حطه السيل ؛
يكاد يسبق ظلّه ، وإذا جرى السهم إلى غرض بلغه قبله .

ومن أشقر عشاها البرق بلهيه ، ووشاه الأصيل بدهييه ؛ يتوجس ما لديه
برقيقتين ، وينفض وفرتيه عن عقيقتين ، ويترل عذار لحامه من سالفتيه على

(١) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : « حصنها حصوناً » ، وهو تحريف .

(٢) الجلفة من القلم : من مبراه الى سه .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٤) داحس والغبراء ولاحتق : أسماء أفراس تقدم الكلام عليها .

شَقِيقتين؛ له من الرّاج لونها، ومن الرّياح لونها؛ إن جرى فَبَرَقُ حَفَق، وإن أسرع
فَهَلالٌ على شَفَق، ولو أدرك أوائل حربٍ أبخى وأئيل لم يكن للنعام نباهه، ولا للوجيه
وجاهه، ولكن ترك إغارة سَكابٍ لؤماً وتحريم بيعها سَفاهه؛ يركض ما وجد
أرضاً، ولو أعرض [به] راكبه بجرّاً وثبه عَرْضاً .

ومن كُنيت نهد، كأن راكبه في مهد؛ عَندي الإهاب، شماليّ الذّهاب؛ وَيَزِيلُ
الغلامُ الحُفّ عن صهواته، «، وكأن نغم الغرييض ومعبد في هَوَاتِه؛ قصير المطأ^(٧)،
فَسِح الخُطأ؛ إن رُكب لصيد قيّد الأوايد، وأعجل عن الوثوب الوحش اللّوايد؛
وإن جُنِب إلى حربٍ لم يزور من وقع القنأ بلبانه، ولم يشك لو علم الكلام بلسانه،
ولم يُردون بلوغ الغاية — وهي ظفر راكبه — ثانياً من عَنانِه؛ وإن سار في سهيل
أختال براكبه كالثمل، وإن أصدد في جبل طار في عَقايه كالعقاب وأنحط في مجاريه
كالوعل؛ متى ما ترّق العين فيه تسهل، ومتى أراد البرق مجاراته قال له الوقوف
عند قدره : ما أنت هناك فتمهل .

(١) كذا في حسن التوصل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : «أسرح» بالخاء المهملة .

(٢) النعام : فرس الحارث بن عباد . والوجيه : من خيل غنى بن أعصر .

(٣) في الأصلين : « ولكن ترك إغارة ... » ، وهو تحريف .

(٤) سكاب (كقطام) : فرس عيدة بن ربيعة . وهو يشير الى قوله فيها :

أبيت اللعن إن سكاب ليست * بماتق يستعار ولا ياع

سليمة سابقين تاجلاها * يضمها اذا نسا كراع

ولا تطمع أبيت اللعن فيها * ومنعكها بوجه يستطاع

(٥) الزيادة عن حسن التوصل وصبح الأعشى .

(٦) هذا شطر بيت من معلقة امرئ القيس، وهو :

يزل الغلام الحف عن صهواته * ويلوى بأثواب العنق المثقل

(٧) المطأ : الظهر .

ومن حبشي أصفر يروق العين ، ويسوق القلب بمشابهته العين^(١) ، كأن الشمس
ألقَتْ عليه من أشعتها جلالاً ، وكأنه نفر من الدجى فأعتنق منه عُرْناً وأعتنق
أحجالاً ؛ ذى كَفِيل يزين سرجه ، وذليل يسد إذا استدبرته منه فرجه ؛ قد أطلعتنه
الرياضة على مُراد فارسيه ، وأغناه نُضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوسيع
ملابسه ؛ له من البرق خفة وطئه وخطفه ؛ ومن النسيم لين طروقه ولطفه ، ومن
الريح هزيرتها إذا ما جرى شاورين وأبتل عطفه ؛ يطير بالغمز ، ويدرك بالرياضة
مواقع الرمز ، ويغدو كالف الوصل في استغنائه مثلها عن الهمز .

ومن أخضر له من الروض تقويفه ، ومن الوشى تقسيمه وتأليفه ؛ قد كساه
اللؤلؤ والنهار حتى وقار وسنا ، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما استجمعا
حسناً ؛ ومنحه البازي حلة وشبهه ، وأعطته نفوح الرياح ونسائها قوة ركضه وخفة
مشيه ؛ يعطيك أفانين الجري قبل سُؤاله ، ولما لم يسأله شيء من الخيل أغراه
حب الظفر بمسابقة خياله ؛ كأنه تفاريق شيب في سواد عذار ، أو طلائع فجر
خالط بياضه الدجى ، فما سبى ، وما زج ظلامه النهار ، فما أنار ؛ يختال لمشاركة
أسم الجري بينه وبين الماء في شدة السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك
بين البروق اللوامج وبين البرقية من الخيل ، ويكذب المانوية تولد المني فيه بين
إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حرم ، وجريه ضرم ؛ إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها
عدم ، وإن صرف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف

(١) العين هنا : الذهب المصروب .

(٢) في حسن التوصل وصبح الأعشى : « مروره » .

(٣) في حسن التوصل وصبح الأعشى : « ونخلته الرياح ... » .

(٤) المانوية : قوم ينسبون الى ماني ، وهو رجل يقول : الخ من النهار والشر من الليل .

- والقَدَم؛ قد طابَقَ الحَسَنُ البَدِيعُ بينَ ضِدِّي لَوْنِهِ، ودَلَّتْ على أَجْتِمَاعِ التَّقْيِضِ عِلَّةٌ كَوْنِهِ؛ وَأَشْبَهَ زَمَنَ الرَّبِيعِ بِاعتِدالِ اللَّيْلِ فِيهِ وَالنَّهَارِ، وَأَخَذَ وَصَفَ حُلِّيَ الدُّبْحِيِّ فِي حَالَتِي الإِبْدَارِ وَالسَّرَارِ؛ لَا تِكَلُّ مَنَّا كِبُهُ، وَلَا يِضْلَ فِي حَجَرَاتِ الجِيوشِ رَاكِبُهُ، وَلَا يَحْتَاجُ لِيَلُهُ المَشْرِقُ بِمَجَاوِرَةِ نَهَارِهِ إِلَى أَنْ تُسْتَرَشَدَ فِيهِ كَوَاكِبُهُ؛ وَلَا يُجَارِيهِ انْحِلَالُ فَضْلًا عَنِ الخَيْلِ، وَلَا يَمَلُّ السَّرَى إِلَّا إِذَا مَلَّ مُشْبِهَاهُ: النَّهَارُ وَاللَّيْلُ، وَلَا تَمَسَّكَ البروقُ اللوامعُ مِنْ حَاقِهِ بِسِوَى الأَثْرِ فَإِنْ جَهِدَتْ فَبِالذَّيْلِ؛ فَهُوَ الأَبْلَقُ القَرْدُ، وَالجِوَادُ الَّذِي تُجَارِيهِ العَكْسُ وَلَهُ الطَّرْدُ؛ قَدْ أَغْتَتَهُ شُهْرَةٌ نَوْعِهِ فِي جِنْسِهِ عَنِ الأَوْصَافِ، وَعَدَّلَ بِالرِّيَاحِ عَنِ مَبَارَاتِهِ سَلُوكُهَا لَهُ فِي الإِعْرَافِ جَادَّةَ الإِنصَافِ .
- فَقَرِّقِ المَمْلُوكُ إِلَى رُتَبِ العِزِّ مِنْ ظُهُورِهَا، وَأَعِدَّهَا لِحِطْبَةِ الحِنَانِ إِذَ الجِهَادِ عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَنفَسِ مُهَوِّرِهَا؛ وَكَلِّفْ بِرُكُوبِهَا فَكَلَّمَا أَكَلَهُ عَادَ، وَكَلَّمَا أَمَلَهُ شِرَّةً إِلَيْهِ فَلَوْ أَنَّهُ زَيْدُ الخَيْلِ لَمَّا زَادَ؛ وَرَأَى مِنْ آدَائِهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَكْرَمِ الأَصْنَافِ، وَعَلِمَ أَنَّهَا لِيَوْمِي سَلَمَةٌ وَحَرَبُهُ حَنِيتُ الصَّائِدِ وَجَنَّةُ الصَّائِلِ؛ وَقَابَلَ إِحْسَانَ مُهْدِيهَا بِبَنَائِهِ وَدُعَائِهِ، وَأَعِدَّهَا [فِي الجِهَادِ] لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا وَأَعْدَائِهِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى

- (١) الإبدار: امتلاء القمر وركله، ويكون ذلك ليلة يكون القمر بدرا . والسرار: الليلة التي يستسر فيها القمر، أي يغيب، وهي آخر ليلة في الشهر . (٢) الحجرة (بالفتح): الناحية .
- (٣) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين: «سلوكه في الاعتراف له» .
- (٤) في حسن التوسل وصبح الأعشى: «إذ الجهاد عليها» .
- (٥) هو زيد بن مهلهل بن يزيد، كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصوت في الجاهلية وأدرك الإسلام، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقبه وسرّ به وقرظه وسماه زيد الخير، وهو شاعر مقل مخضرم معدود في الشعراء الفرسان . وسمى زيد الخليل لكثرة خيله (راجع ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ٤٧ - ٦٢ طبع بولاق) .
- (٦) الحنية: القوس . وفي الأصلين: «حنة» بالخاء المهملة، ولعلها محرفة عما أثبتناه .
- (٧) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

يشكره الذي أفرده في الندى بمداهيه، وجعل الصافات الحيات من بعض مواهبه .
 والله أعلم بالصواب .

✦ ✦

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني رسالة^(١)
 في مثل ذلك أنشأها في سنة ست أو خمس وسبعائة . وسمعتها من لفظه، ونقلتها
 من إملائه؛ وهي :

يقبل اليد العالمة الفلانية، لا زالت تُرسل إلى الأولياء سحائب كرمها، وتقلد
 الأوداء قلائد نعيمها، ولا يرح المرهفان طرازى حاشيتها وخدمها، حتى ينوب القلم
 عن صليل مرهفها والصمصام عن صرير قلبها، لتساوى في الإنفاذ مواقع كلمها
 ومراسم كلمها؛ ولا فتي ظاهرها قبلة القبل وغاية الآمال، وباطنها مورد الكرم
 ومصدر الأموال .

ويُنهى أنه لما كانت العزائم الفلانية طامحة إلى أسنى المعالي، مُطلعة من مناقبها
 أهلة تُحجل بدور الليالي؛ متممة بأكتساب المفاحر، عميدة بتشديد المآثر؛ مائلة
 إلى ما يزين المقائب،^(٢) ويطرز الكتاب؛ مُصغية إلى ما يرد جنابها من جنابها لا غير،^(٣)

١٥ (١) هو الأديب البارع تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله . ولد بمكة المشرفة
 في رجب سنة ٥٦٨٠ . وكان إماما فاضلا أديبا بليغا . قدم القاهرة ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة سبع
 سنين يقرئ الطلبة المقامات الحربية والعروض وغير ذلك من علوم الأدب ، ثم سافر إلى اليمن وأقام بها
 مدة ، وولى الوزارة ثم عزل وصورده ، ثم عاد إلى القاهرة وولى التدريس بالمشهد النيفسي وشهادة البيارستان
 المنصوري ، ثم توجه إلى طرابلس ودمشق فلم تطل مدته وعاد إلى القاهرة ومات بها سنة ٧٤٣ ؛ وله عدة
 ٢٠ تأليف منها : مطرب السمع في شرح حديث أم زرع ، ولقطة العجلان المختصر في وفيات الأعيان . وعمل
 تاريخا للنحاة واختصر الصحاح . وسمع منه البرازي والذهبي — وذكراه في معجميهما — وابن رافع
 وخلائق وكتب عنه الشيخ أبو حيان وأثنى عليه كثيرا (راجع شذرات الذهب والمنهل الصافي) .

(٢) المقائب : جمع مقبب ، وهو من الخليل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل : زهاء الثلاثمائة .
 (٣) كذا بالأصلين .

وكيف لا تكون كذلك وحب الخليل من الخير؛ ناظرة إلى ما يصل من كرائمها ،
مهتديةً بنجوم غررها مشغوفةً بتججيل قوائمها؛ عاشقةً لا تساع صدورها ، ورقةً
نحورها .

- خدم المملوك الركب العالى بإفناذ خيل أتحدت في الصفات ، وتباينت
في الشيات ؛ وصدرت كروضة تفتحت أزهارها ، وزها نوارها ، وأشرقت أنوارها ؛
بل كعرائس تختال في برودها ، أو بجواهر تنافست في عقودها ؛ ملكتها بين المملوك
فكانت كهدد أصابعها ، وأحرزتها همته فزعت في الحزم إلى منازعها ؛ لها من الظباء
أعناقها ، ومن النعام أسواقها ؛ ومن البأس قوة جنانها ، ومن الظفر منى عنانها ؛
ومن الإقبال غرر نواصيها ، ومن إدراك الغرض جل أمانها ؛ ذوات ضبح ،
وموريات قدح ؛ تكبو الريح في غاياتها ، ويقر البرق بمعجزاتها ؛ مداخلة الخلق رحبة
اللبان ، مستغنية عن الهمز بتحرك العنان ؛ تقارب ما بين قطاها ومطاها ، وتباعد
ما بين قذالها وصلها ؛ سما عنقها وأطرق جبينها ، وتزهت عن المعايب فلا صكك
يشينها ؛ يا حبذا أشهبها وقد تجللت بالشهب ذاته ، وأدعت أمهبا الصبح شياتها ؛
زبرجدي الحافر لؤلؤي الأديم ، له أبطلا ظبي وساقا ظليم ؛ كغمامة بارقها قدح
سنابكه ، أو كسبل طم مفعمه واسع مسالكه ؛ استغنى بجوهر شياتته عن كل مذهب ،

(١) لم ينص في كتب اللغة على هذا الجمع ، والذي فيها سوق وسيقان وأسوق .

(٢) الضبح : صوت أيقاس الخليل عند عدوها . (٣) الايرا : إخراج النار . والقدح :

الضرب ، أى التى تورى النار من صدم حوافرها للحجارة . (٤) اللبان : الصدر .

(٥) القطا : المعجز ، وقيل : هو ما بين الوركين ، وقيل : هو مقعد الردف .

(٦) المطا : الظهر . (٧) القذال : جاع مؤخر الرأس . (٨) الصلا : وسط الظهر .

(٩) فى الأصلين : «أطرب حنينها» . (١٠) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوين .

(١١) الظليم : ذكر النعام .

فما لمذهب في الانتساب عنه مذهب ؛ إن امتطى الفارس قطّاه طار بنسر حافره ،
وإن أشار إلى غرض أدركه يجزّد الوهم لا بالنظر إلى ناظره ؛ أميال اليبداء كميل بين
عينيه ، وتراذف رمالها كدروور بين جفنيه ؛ استولى على السبق ^(١) وأحرز خصله ، وكيف
لا وقد حاز اثنتي عشرة خصله .

يتلونها أشقرها وقد نجد عقيقا ، أو التحف شقيقا ؛ أو كوجنة قد أحمرت من ^(٢)
الجل ، أو كوردة ناظرت بحفرها تزجس المقل ؛ تناسبت أجزاءه في الملاحه ، وتساوت
مراتبه في الصباحه ؛ وجاهة الوجيه ناطقة من الحيا ، ومسيل غرته كصويب الثريا ؛
مُجَلَّ بالجوزاء وأسرج بالهلال ، وألجم بالمجزة فما لأبن ذكاء ^(٤) في الإشراق عليه مجال ؛
إن أطلق والريح في سنن ميدان ، رأيت الريح ككئيب خافته الجياد يوم الرهان ؛
تهب الفلاة حوافره ، وتحرز قصب السبق بوادره . يتبعه كئيب كقطعة جمر ،
أو ككأس نمر ؛ اسودّ ذنبه وعرفه ، وأختال كالنشوان فكانما أسكره وصفه ؛
حكّت أذناه قادمتي حمامه ، أو المحرف من أقلام قدامه ؛ قصرت عن سعيه الخيول
فسابق الظلال ، ونشأ مع النعام فلا يالف غير الرئال ؛ كأن الصبا ألفت إليه عنانها
فسرا ، فتحب بسرجه مرة وتناقل أخرى . مقرونا بأصفر كالدينار ، قد أفرغت
عليه حلة نور لانا ؛ طال منه الذيل واتسع اللبان ، فكانما هو نار على ^(٥)
يفاع شبت للضيغان ؛ جلته الشمس بانوارها ، وأهدت إليه الرياض
أصفرا أزهارها ؛ تشهدك عند رؤيته يوم العرض ، فروج قوائمه سماء على
أرض ؛ إن همّج لا ذب الريح بالشجر ، وإن عدا قصر عن إدراكه رؤية

(١) السبق (مجزكة) : الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه . وأحرز خصله : غلب

على الرهان . (٢) نجد : زين . (٣) الشقيق : نورأحمر . (٤) ابن ذكاء .

البصر؛ نَجَاشِي النَّجَارِ، وَحَلِيفِ الْوِجَارِ؛ كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنَ الْحَزْمِ شَطْرُهُ، وَمِنَ الْعِزِّ ظَهْرُهُ؛
 وَمِنَ الْإِقْبَالِ غُرَّتُهُ، وَمِنَ كُنُوزِ الْمَفَاحِرِ سُرَّتُهُ؛ يُقَرَّرُ أَعْوَجُ بْنُ هِلَالٍ بِفَضْلِهِ، وَيَقْفُو
 حُرُونُ مُسْلِمٍ أَرْضَ ظَلِّهِ . مَخْتِومًا بِأَدْهَمِ كَصَخْرَةٍ سَيْلٍ ، أَوْ كَقِطْعَةِ لَيْلٍ ؛ خَاضَ
 فِي أَحْشَاءِ الصَّبَاحِ فَلَطَمَ جَبِينَهُ ، وَسَابَقَ الْفَلَكَ فَقَيْدَ بِالْحَوْزَاءِ رِجْلَيْهِ وَيَسَارَهُ وَأَطْلَقَ
 يَمِينَهُ ؛ عَرِيضُ الْكَفَلِ وَالْمَتْخَرَيْنِ ، دَقِيقُ الْقَوَائِمِ وَالسَّاقَيْنِ ؛ كَأَنَّمَا أَشْرَبَ لَوْنُهُ
 سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصْرِ ، وَكَأَنَّمَا النَّصْرُ قَيْسٌ (٥) وَهُوَ لَيْلِي يَحْضُرُهُ حَيْثُ حَضَرَ ؛ لَوْ كُتِبَ
 أَسْمُهُ عَلَى رَايَةٍ لَمْ تَزَلْ تَقْدُمُ قَنُوحًا ، أَوْلَمَتِ بَوَارِقُ سَنَائِكِهِ رَايَةَ زَنْجِيًّا جَرِيحًا ؛
 طَابَقَتْ أَخْبَارُهُ لِحَبْرِهِ ، وَسَبَقَتْ رِجْلَاهُ فِي الْعَدُوِّ مَوَاقِعَ نَظَرِهِ ؛ لَا يَتَلَقَّ غُرَابٌ (٦)
 بِنَبَارِهِ ، وَلَا تَسْتَنُّ النَّعَامَةُ فِي مَضَارِهِ . (٧)

١٠ . وَلنختم هذا الباب بذكر فائدة، وهي دواء الخلد: ^(٨) يُؤخذ نحسون طائراً من
 الدَّرَارِيحِ تُسْحَقُ بِمَجْرٍ وَلَا تُمَسَّ بِالْيَدِ، وَتَجْعَلُ فِي قِدْرٍ صَغِيرَةٍ جَدِيدَةٍ، وَيَصَبُّ عَلَيْهَا
 مِنَ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ مَا يَغْمُرُهُ، وَيُقْلَى عَلَيْهِ حَتَّى يَنْعَقِدَ، وَيُضَافُ إِلَيْهِ يَسِيرٌ مِنَ الْقِطْرَانِ
 الْأَسْوَدِ، وَيُوضَعُ عَلَى النَّارِ؛ فَإِذَا قَفَرَتْ قُلَّتْ مُشَاقَّةٌ عَلَى عُودٍ وَيُدْهَنُ بِهِ أَمَّ الْخُلْدِ قَبْلَ
 قَطْعِهِ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَدْهَنُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِالشَّيْرَجِ وَالصَّبْلِقُونَ وَمَاءِ الْوَرْدِ؛ فَإِنَّهُ مَجْزِبٌ .

- ١٥ (١) النجار: اللون، ويطلق أيضاً على الأصل والحسب .
 (٢) كذا بالأصليين، والوِجَارُ: الحجر للضبع والأسد ونحوهما من الوحوش .
 (٣) فرس انجبت منه خيول العرب، وطامة جياها تنسب إليه . وقد تقدم ذكره .
 (٤) كذا في أنساب الخليل لابن الكلبي والمختص واللسان وتاج العروس، وهو فرس مسلم بن عمرو
 الباهلي (والد قتيبة بن مسلم) وقد سبق ذكره . وفي الأصليين: «آخرون»، وهو تحريف .
 ٢٠ (٥) يريد قيس بن الملوح وهو مجنون بن عامر صاحب ليلي . (٦) غراب: اسم فرس لغني .
 (٧) يقال: استن الفرس في المضار: إذا جرى في نشاط .
 (٨) الخلد: داء من أخطر الأدواء، وهو في الفرس بمنزلة الجذام في الإنسان .

الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

ذكر ما قيل في البغال

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان: إن البغل لا يعيش له ولد، وليس يعقيم؛ ولا يبقى للبغلة ولد، وليست بعاقير. وهو أطول عمرا من أبيه وأصبر. ويقال: إن أول من نتج البغال "قارون"، وقيل: "أفريدون" (١) أحد ملوك الفرس الأول. والبغل يوصف برداءة الأخلاق والتنون. ومن أخلاق البغال الإنف لكل دابة. ويقال: إن أبوال الإناث تنقية لأجسادها. والإناث أجمل من الذكور. قال بعض الشعراء (٢):

عليك بالبغلة دون البغل * فإنها جامعة للشمل
مركب قاض وإمام عدل * وعالم وسيد وكهل
تصلح للرحل وغير الرحل

والبغال من مراكب الرؤساء، والسادة النجباء، والقضاة والعلماء. وهم يربحون لأنهم على ذكورها؛ حتى إن المغاربة لا يركبون البغال الذكور ألينة وإنما

(١) في الأصل: «اسحب» ولعلها محرفة عما أثبتناه. (راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ١٧٣ طبع بولاق).

(٢) أفريدون هو سادس ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهي الفيشدادية. وفي نسبة اختلاف وهو الذي قتل الضحاك الظالم ونمرود بن الباش وشرّد النبط. وهو أول من ذلّ القبيلة وامتهاها، وأنتج البغال واتخذ الأوز والحمام وعمل الترياق، وردّ المظالم، وأمر الناس بعبادة الله تعالى والإنصاف والاحسان، وردّ على الناس ما كان الضحاك قد غصبه من الأرض، وجعل دارملكته بابل. (راجع دائرة المعارف للبيستاق ج ٤ ص ٢٦).

(٣) كان الأنسب أن يقال: «بعض الرجاز».

يجعلونها برسم حمل الزَّيْل . أخبرني قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد بن سليمان بذلك ، وقال : وإذا طلب ولّى الأمر البغل لأحدٍ كان ذلك دلالةً على إشتهاره وتجريسه عليه . قال : فلا يركب البغل الذكور عندنا إلا زبالاً أو مجرّس . وأعظم ما تُفضّل به إناثُ البغال على ذكورها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبها وملكها ؛ وما ورد أنه ملك بغلاً ولا ركبه .

ولنذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضيلاً لهذا الحيوان وتشريفاً ، وتوثيقاً بذكوره وتعريفاً ؛ والله أعلم .

ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلةً شهباءً يقال لها "دُلْدُل" ، أهداها له

- ١٠ . المَقْوِيس . ذكر ذلك ابن قُتَيْبَةَ وابن سعد ؛ فقال ابن سعد ما هذا نصه : "وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة الخنمي ، وهو أحد الستة ، إلى

(١) في شرح القاموس (مادة شبر) : « ومن المجاز أشهرت فلانا استخففت به وفضحته وجعلته

شهرة » ٥١ . (٢) التجريس بالقوم : التسميع بهم والتشهير .

(٣) هم كما أوردهم البخشي في رشحات المداد : عمرو بن أمية الضمري بعثه إلى نجاشي الحبشة ،

- ١٥ . ودحية بن خليفة الكلبي بعثه إلى هرقل الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي بعثه إلى كسرى ملك فارس ، وحاطب بن أبي بلتعة الخنمي بعثه إلى مقوقس مصر ، وشجاع بن وهب الأسدي بعثه إلى الحارث ابن أبي شمر النساني ملك دمشق ، وسليط بن عمرو العامري بعثه إلى هودذة بن علي الحنفي باليمامة . وزاد ابن هشام في السيرة أنه بعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياذ بن الجندى الأزديين ملكي عمان ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساري العبدي ملك البحرين ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن .

قال البخشي : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب إلى الأطراف فاتخذ خاتماً من فضة نقشه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر ونحتم به الكتب ووجه بها الرسل ، فخرج منهم سنة في يوم واحد وذلك في الحرم سنة سبع . وقد أورد من هذه الكتب كتابه إلى النجاشي وكسرى والحارث النساني وهودذة بن علي . فارجع إليها فيه (ص ١٢٩ - ١٣٣) .

المُقَوِّس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً؛ فأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأه وقال له خيراً؛ وأخذ الكتاب فجعله في حُقٍّ من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته؛ وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «قد علمتُ أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثتُ إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت إليك كُسوة وبغلة تركبها». ولم يزد على هذا ولم يُسلم. فقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته، وأخذ الجاريتين: مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها سيرين، وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي «دُئُل» . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنّ الخبيثُ بملكه ولا بقاءَ لملكه» .

وذكر ابن سعد أيضاً قال: كانت «دُئُل» بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل بغلة رُئيت في الإسلام، أهداها له المُقَوِّس وأهدى معها حملاً يقال له «عُقَيْر»؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية . وفي لفظ: وكانت

(١) نص هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)». قال المرحوم حفي بك ناصف في كتابه تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: وقد ضل الباحثون على الحكّامين المرسلين إلى المقوقس والمنذر بن ساوى وأخذوا صورتيهما بالتصوير الشمسي وطبعوهما. أما الكتابان أنفسهما فحفظوا في الآستانة وفيينا، في الأثرى كتاب المقوقس وفي الثانية كتاب المنذر. ونسخة كتاب المقوقس محفوظة بدار الآثار النبوية وكان قد نشرها عالم فرنسي في دير بمصر قرب إتحيم في زمن سعيد باشا والى مصر. وجمع بحديثها السلطان عبد الحميد فاستقدم ذلك العالم وعرضها على العلماء فقرروا أنها هي بيتها كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، فاشتراها منه بمال عظيم.

شهباء، وكانت بينبع حتى ماتت ثم . وفي لفظ : وكانت قد كبرت حتى زالت
أستانها، وكان يحش لها الشعر .

وروى ابن سعد أيضا عن محمد بن عمر الأسلمي قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله
ابن أبي سبرة عن زامل بن عمرو قال : أهدى قروة بن عمرو إلى النبي صلى الله
عليه وسلم بغلة يقال لها " فِضَّة " فوهبها لأبي بكر . وكذلك قال البلاذري .
وقد يقال : إن " دُئُل " من هدية قروة، وإن " فِضَّة " من هدية المُقَوِّس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة
أهداها له كسرى ؛ فركبها يجمل^{الملك} من شعر ثم أردفني خلفه . رواه الثعالبي في تفسيره
في قوله تعالى : (وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) . قال الشيخ شرف
الدين عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله : قوله « أهداها له كسرى » بعيد ؛ لأنه مزيق
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأمر عامله باليمن بقتله وبعث رأسه إليه ؛ فأهلكه
[الله] بكفره وطغيانه .

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله من حديث أبي حميد الساعدي قال : غزونا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك ؛ فذكر الحديث ؛ وقال فيه : وجاء
رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب وأهدى له
بغلة بيضاء ؛ فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بردا . رواه
البخاري في كتاب الحزبية والموادعة بعد الجهاد ؛ ورواه أبو نعيم في المستخرج .
ولفظهما : " وأهدى ملك أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه
بردا " ؛ وقال أبو نعيم : برده .

(١) كذا في كتاب فضل الخيل للدمياطي (ص ١٢٤ طبع حلب) . والجل (بالضم والفتح عن ابن

دريد) : ما تلبسه الدابة لصان به . وفي الأصلين : « بجبل » .

وقال ابن سعد : وبعث صاحب دُومة الجندل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببغلة وجبة من سُندس .

وروى إبراهيم الحَرَبِيُّ في كتاب الهدايا عن علي رضي الله عنه قال : وأهدى ^(٣) يحنة بن روبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء .

وروى يوسف بن صهيب عن ابن بريدة ^(٤) عن أبيه قال : انكشف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء التي أهداها له النَّجَاشِيُّ وزيدٌ أخذ بركاب بغلته . وذكر علي بن محمد بن حنين بن عبْدوس الكوفي في أسماء خيله وسلاحه وأثاثه : وكان أسم بغلته ^(٥) "دُلْدُل" أهداها إليه الْمُقَوْس صاحب الإسكندرية وكانت شهباء ، وهي التي قال لها يوم حنين : « أربِضِي » فربضت . ويقال : إن علياً ركبها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين ثم ركبها محمد بن الحنفية

(١) هو أكيدر بن عبد الملك ، كما في شرح المواهب .

(٢) دومة الجندل (بضم أوله وفتحته وقد أنكر ابن دريد الفتح وفتح من أغلاط المحمدين) : على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبنية بالجندل .

(٣) ضبطه الزرقاني بالعبارة فقال : بضم التحتانية وفتح المهمله وتشديد النون . وروبة بضم الراء وسكون الواو بعدها موحدة . وهو ابن «العلماء» صاحب أيلة المتقدم . قال في فتح الباري : ولعل «العلماء» اسم أمه . وهو الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى تبوك وصالحه وأعطاه الجزية وأهدى له البيضاء ، وكانت طويلة مخندقة حسنة السير ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له برداً . (راجع شرح الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٤٦٥ طبع بولاق) . وقد ورد في الأصلين : « يوحنا بن روزنة » ،

وهو تحريف . (٤) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب .

(٥) كذا في المواهب (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء) . وفي الأصلين : «الحسين» ،

وهو تحريف .

رضى الله عنهم؛ ثم كبرت وعميت، فوقعت في مَبْطُخَة لبعض بني مُدَلج فخبِطت فيها،^(١)
فرماها بسهم فقتلها .

وكانت له بغلة يقال لها ” الأيَّلية “؛ أهداها إليه ملك أيلة، وكانت طويلة
مُخَنَّدَةً كأنما تقوم على رِمال حسنة السير؛ فأعجبته ووقعت منه . وهي التي
قال له فيها علي بن أبي طالب رضى الله عنه حين خرج عليها : كأن هذه البغلة
قد أعجبتك يا رسول الله؟ قال : ” نعم “ قال : لو شئنا لكان لك مثلها ؛ قال :
” وكيف “؛ قال : هذه أمها فرس عربية وأبوها حمار، ولو أنزينا حماراً على فرس
لجاءت بمثل هذه؛ فقال : ” إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون “ .

وعن دحية بن خليفة الكلبي رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ،
ألا أحمل لك حماراً على فرس فُتَتَّج لك بغلة ؟ فقال : ” إنما يفعل ذلك الذين
لا يعقلون “ . رواه ابن منده في كتاب الصحابة .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبدا مأمورا ، ما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث : أمرنا أن نُسَبِّح
الوضوء ، وألا نأكل الصدقة ، وألا نُتْرَى حماراً على فرس . رواه الترمذي
في الجهاد . وفي لفظ آخر عنه رضى الله عنه : كان عبدا مأمورا بلغ ما أرسل به ،
وما اختصنا دون الناس بشيء إلا بثلاث خصال : أمرنا أن نُسَبِّح الوضوء ،
وألا نأكل الصدقة ، وألا نُتْرَى الحمار على الفرس . وهذا على هذين الحديتين
يختص بآل النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرهم .

(١) المبطخة : منبت البطيخ . (٢) خبِطت : مشت على غير هدى لا تتوق شيئا .

(٣) كذا في شرح المواهب . والخدقة : مشية كالمرولة . وفي الأصلين : «مخدوقة» ، وهو محريف .

والذي يظهر من مجموع هذه الأحاديث المروية التي أوردناها أن بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سبعا، وهي: «الدُّنْدُلُ»، التي أهداها له المقوقس، و«فِضَّة» التي أهداها له فرّوة بن عمرو، وبغلة أهداها له كسرى، وبغلته الأييلة التي أهداها له ابن العلاء صاحب أيلة، وبغلة بعثها له صاحب دومة الجندل، وبغلة أهداها له يحنة ابن روبة، وبغلة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة. والله تعالى أعلم بالصواب.

ذكر شيء مما وُصفت به البغال

قد ألف الجاحظ كتابا في البغال مفردا عن كتاب الحيوان، قال فيه ما نصه: «نبدأ إن شاء الله بما وصف الأشراف من شأن البغلة في حسن سيرتها، وتمايم خلقتها، والأمور الدالة على السر في جوهرها، وعلى وجوه الارتفاق بها، وعلى تصرفها في منافعها، وعلى خفة مؤوتها في التنقل في أمكنتها وأزمنتها، ولم كلف الأشراف بارتباطها مع كثرة ما يزعمون من عيوبها، ولم آثرها على ما هو أدوم طهارة خلق منها، وكيف ظهر فضلها مع النقص الذي هو فيها، وكيف اغتفروا مكروه ما فيها لِمَا وجدوا من خصال المحبوب فيها».

قال: ولقد كلف بارتباطها الأشراف حتى لُقّب بعضهم من أجل اشتهاه بها بـ «رَوَاضِ البِغَالِ»؛ ولقبوا آخر بـ «عاشق البغل». فبسط القول في الترجمة ثم لم يأت من أخبار البغال بطائل، بل اقتصر على حكايات وأستطرد منها إلى غيرها، على عادته في مصنفاته. فكان مما حكاه من ذلك:

قال مسلمة بن عبد الملك: ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان، قصيرة العذار، سفواء^(١) العرف، حصاء^(٢) الذنب.

(١) السفاء (مقصورا): خفة شعر الناصية، وهو يستحب في البغال دون الخيل، والوصف للذكر منه أسفى. وفي استعمال «سفواء» منه لأننى بهذا المعنى خلاف بين أئمة اللغة (راجع معاجم اللغة مادة سفى).
(٢) حصاء الذنب: قليلة شعره.

قال : وكتب رَوْحُ بن عبد الملك إلى وكيل له : ابْنِي بَغْلَةً حَصَاءَ الذَّنْبِ ،
عَظِيمَةَ الْمُحْرِمِ ، طَوِيلَةَ الْعُنُقِ ، سَوَّطَهَا عِنَانُهَا ، وَهَوَاهَا إِمَامُهَا .

قال : وطاب صفوان بن عبد الله بن الأَهمم عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة
أبن الحارث بن عبد المطلب في ركوب البغال ، وكان رَكَابًا لِلْبَغْلَةِ ، فقال له : مالك
ولهذا المَرْكَبُ الذي لا يُدْرِكُ عليه النار ، ولا يُجَيِّكُ يومَ الفِرَارِ؟! فقال : إنما نزلتُ
عن خِيَلَاءِ الخليل ، وارتفعتُ عن ذِلَّةِ العَيْرِ ، وخيرُ الأمور أوسَطُهَا . فقال صفوان :
إنا نعلمكم ، فإذا عَلِمْتُمْ تعلّمنا منكم . وهو الذي يَلْقَبُ «رَوَاضَ البِغَالِ» ، لحدّقه
بركوبها ، ولشغفهِ بها ، وحُسن قيامه عليها . وكان يقول : أُرِيدُهَا وَاسِعَةَ الحَفْرَةِ ،
مَنْدَحَةَ السَّرَّةِ ، شَدِيدَةَ العُلُوَّةِ ، بَعِيدَةَ الخَطْوَةِ ، لَيِّنَةَ الظَّهْرِ ، مَلَوِيَّةَ الرُّسْغِ ، سَفَوَاءَ
جَرْدَاءِ عَقَّاءِ ، طَوِيلَةَ الأَنْقَاءِ .

قال : وقال ابن كُثَّامَةَ : سمعتُ رجلاً يقول : إذا أَشْتَرَيْتَ بَغْلَةً ، فاشْتَرِهَا
طَوِيلَةَ العُنُقِ ، تَجِدُهُ فِي نِجَائِهَا ؛ مُشْرِفَةَ الهَادِي ، تَجِدُهُ فِي طَبَاعِهَا ؛ صَحْمَةَ الجَوْفِ ،
تَجِدُهُ فِي صَبْرِهَا .

قال : ولما خرج قَطْرِيّ بن الفُجَاءَةِ أَحَبَّ أَنْ يَجْمَعَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ غَيْرِهِ ؛
فَدَسَّ إِلَى الأَحْنَفِ بن قَيْسِ رَجُلًا يُجْرِي ذَكَرَهُ فِي مَجْلِسِهِ وَيَحْفَظُ عَنْهُ مَا يَقُولُ ؛
فَلَمَّا قَعَدَ قال الأَحْنَفُ : أَمَا إِنَّهُمْ إِنْ جَنَّبُوا بَنَاتِ الصَّهَالِ ، وَرَكَبُوا بَنَاتِ النَّهَاقِ ،
وَأَمْسَوْا بَارِضٍ وَأَصْبَحُوا بَارِضٍ ، طَالَ أَمْرُهُمْ .

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : «دكة» ، وهو تحريف . (٢) الحفرة : وسط

الفرس . وفي الأصلين : «الحفرة» بالخاء المهمله ، وهو تصحيف . (٣) مندحة : متسعة .

(٤) العُلُوَّةُ : أمد جرى الفرس وشوطه . (٥) الأَنْقَاءُ : العظام ذوات المنخ ، مفردها تقرونق .

(٦) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : «نجدة» . (٧) يلاحظ أن المؤلف عقد هذا

الفصل للكلام في البغال ، وبنات الصهال الخليل ، وبنات النهاق الحمير ؛ وأما البغال فبنات الشحاج .

قال الجاحظ : فلا ترى صاحبَ الحربِ يَسْتغنى عن البغال ، كما لا ترى صاحبَ السِّلْمِ يَسْتغنى عنها ، وترى صاحبَ السفرِ كصاحبِ الحَضَرِ . انتهى كلام الجاحظ .

وحكى أن عبد الحميد الكاتب سَأَرَ مَرْوَانَ بن محمد الجَعْدِيَّ عَلَى بغلة ؛ فقال له : لقد طالت صحبةُ هذه الدابةِ لك ! ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، من بركة الدابةِ طولُ صحبتها . فقال : صِفْهَا ؛ فقال : هُمها إمامُها ، وَسَوَّطُها زِمَامُها ، وما ضُرِبَتْ قَطُّ إِلَّا ظَلَمًا .

وقال بعضُ الكُتَّابِ من رسالة : ” قد أَحْتَرْتُ لِسَيْدِي بغلةً وَثِيقةَ الخَلْقِ ، لَطِيفةَ الخَرْطِ ، رَشِيقَةَ القَدِّ ، موصوفةُ السَّيرِ ، مَيْمونةَ الطيرِ ، مُشْرِفةَ العُنُقِ ، كَرِيمَةَ النَّجَّارِ ، حَمِيدَةَ الآثَارِ .

١٠ إن أدبرت قلت لا تليل لها * أو أقبلت قلت ما لها كفل
قد جمعت إلى حسن القميص ، سلامة الفُصُوصِ ؛ فسميت قَيْدَ الأَوَايدِ ، وقَوَّةَ عَيْنِ السَّاهِدِ ؛ تُرْرِي في أنظلاقها ، بالبروق في أتلاقها .

قال البُحْتَرِيُّ يصف بغلا :

١٥ وأقبَّ نَهْدٌ لِلصَّوَاهِلِ شَطْرُهُ * يومَ الفَخَّارِ وشَطْرُهُ للشَّحْجِ
تَحْرِقُ يَتِيَهُ عَلَى أَبِيهِ وَيَدْعِي * عَصِيْبَةً لِبْنِي الضُّيْبِ وَأَعْوَجِ

(١) يقال لغيره إذا توجه لشيء من حسن السير : قد وصف ، معناه : أنه قد وصف المثلث أى أجاده ، فالسير موصوف ، ومنه قول الشاعر :

إذا ما أدبجت وصفت يداها * لها الإدلاج ليسة لا هجوع

يريد : أجادت السير (راجع لسان العرب مادة وصف) .

(٢) الفصوص من الفرس : مفاصل ركبتيه وأرساغته . (٣) الصواهل : الخليل . والشحج : البغال .

(٤) كذا في ديوانه (طبع مطبعة الجوائب ج ٢ ص ٢٠) . وفي الأصلين : « بنيه » وهو تحريف .

(٥) كذا في ديوانه . والضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائي . وهو الذي كان حمل عليه كسرى

أبروز حين انهزم من هرام جوبين يوم النهروان فنجأ . وفيه بقول حسان :

مثل المدرع جاء بين عُمومية * في غَافِقِ وخُوْولة للخَبْرَجِ (٢)

وقال أبو الفرج الوأواء من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قد جاءت البغلةُ السَّفواءِ يَجْنِبُها * للبرق غَيْثٌ بدا ينهلُ ما طَرَهُ

عَمْرِيقَةً ناسبتُ أخوالها فلها * بالعتق (٤) من أكرمِ الحسنينِ فأنحَرَهُ

ملءُ الحِزامِ وملءُ العينِ مُسْفِرَةٌ * يُرِيكُ غائِبها في الحسنِ حاضِرَهُ

أهدى لها الرُّوضُ من أوصافه شَيْبَةً * خَضراءُ ناضرةٌ إن زال ناضِرُهُ

ليست بأولِ حُمْلانٍ شَرِيَتْ به * حمدى ولا هى إذا الجودِ آخِرُهُ

كم قد تقدَّما من ساجِ بيدي * عِنائُهُ وعلى الجَوْزا حوافِرُهُ

وقال أبو المكارم بن عبد السلام :

كأنها النارُ في الحلفاءِ إن ركضتُ * كأنها السيلُ إن وافتكِ من جبلِ

كأنها الأرضُ إن قامتِ لمُعْتَلِفِ * كأنها الريحُ إن مرَّتْ على القليلِ

ما يعرفُ الفكرُ منها منتهى حُضِرِ * ما صور الوهمُ فيها وضمةَ الكَسَلِ

إذا اقتعدتْ مطاها وهي ماشيةٌ * ثهلانُ تُبَصِرُهُ في زى مُنتَقِلِ

هذا ما أتفق لإيراده من صفات البغال التي تقتضى المدح .

١٥ = تلافيت كسرى أن يضام ولم أكن * لأتركه في الخليل يمشى راجلا

بذلك له صدر الضبيب وقد بدت * مسومة من خيل ترك وكابلا

(انظر أنساب الخليل لابن الكلبي ص ٩٥ طبع بولاق) وفي الأصلين : « الصيب » بالصاد المهملة ،

وهو تصحيف . (١) المذرع : الذى أمه أشرف من أبيه . (٢) غافق : قبيلة من الأزد .

(٣) فى الأصلين : « أحوالها » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .

٢٠ (٤) فى الأصلين : « العتق » بالنون ، وهو تصحيف .

(٥) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

فأما ما جاء في ذمها فالمثل المضروب في بغلة أبي دلامة . وقال أبو دلامة

في بغلته :

أبعد الخيل أركبها وراداً * وشقراً في الرعيل إلى القتال^(١)
 رزقت بغيلةً فيها وكال^(٢) * وخير خصالها قرط الوكال^(٣)
 رأيت عيوبها كثرت وعالت * ولو أفنيت مجتهداً مقالي^(٤)
 تقوم فا تريم إذا استحثت * وترمخ باليمين وبالشمال^(٥)
 رياضة جاهلٍ وعليج سوء^(٦) * من الأكراد أحبن ذى سعال^(٧)
 شتيم الوجه هلباج هداين * نعوس يوم حل وأرتحال^(٨)
 فأتبها بأخلاق سجاج * جزاه الله شراً عن عيالي^(٩)
 فلما هدني ونفى رقادى * وطال لذاك همى واشتغالى^(١٠)
 أتيت بها الككاسة مستغنياً * أفكر دائباً كيف آحتيالى^(١١)
 بمهدة سيلة ردت قديماً * أطم بها على الداء العضال^(١٢)

(١) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل . (٢) الوكال : البطء والبلادة . (٣) فا تريم :

فا تبرح مكانها . (٤) الأحبن : النظيم البطن . وفي الأصلين : «أجبن» بالميم ، وهو تصحيف .

(٥) شتيم الوجه : كره الوجه قبيحه . (٦) الهلباج : الوخم الأكل الشروب .

(٧) الهدان : الوخم الثقيل في الحرب . (٨) الككاسة : اسم موضع بالكوفة .

(٩) في الأصلين : «ودت» بالواو ، وهو ظاهر التحريف . والعهدة : الرحمة . وفي حديث عقبة

ابن عامر : عهدة الرقيق ثلاثة أيام . هو أن يشتري الرقيق ولا يشترط البائع البراءة من العيب ، فا أصاب

المشتري من عيب في الأيام الثلاثة (وهي مدة الخيار في البيع) فهو من مال البائع ويرد إن شاء بلا بينة ، فإن

وجد به عيبا بعد الثلاثة فلا يرد إلا بينة . وطم الركبة : دفنها وسواها ، يريد به ستر هذا الداء وإخفائه .

والمعنى كيف يحتمل في هذه السلعة التي ردت عليه قديماً بعد تجربتها والتي كان يرجع بها عليه المشتري عند

معاينة عيوبها ، فهو لذلك يودّ الخلاص منها بحيلة ليتخلص من هذا الداء العضال وهو ارتباط هذه البغلة

وصحبتها .

فبينما فِكْرَتِي فِي الْقَوْمِ تُسَدِّي * إِذَا مَا سُمْتُ أُرْخِصُ أُمَّ أَغَالِي
 أَنَانِي خَائِبٌ حَمَقٌ شَقِي * قَدِيمٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ^(١)
 وَرَاوَعَنِي لِيَخْلُوَ بِي خِدَاعًا * وَلَا يَدْرِي الشَّقِيُّ بَمَنْ يُخَالِي
 قَلْتُ بَارِعِينَ فَقَالَ أَحْسَنُ * فَإِنِ الْبَيْعُ مَرْتَحِصٌ وَغَالِي
 فَلِمَا أَبْتَاعَهَا مِنِّي وَبُتَّتْ * لَهُ فِي الْبَيْعِ غَيْرِ الْمُسْتَقَالِ
 أَخَذْتُ بِشُوبِهِ وَبَرَيْتُ مِمَّا * أَعَدُّ عَلَيْكَ مِنْ شَنِعِ الْخِصَالِ
 بَرَيْتُ لِيَلَيْكَ مِنْ مَشِيئِ قَدِيمِ * وَمَنْ جَرِدٌ وَتَحْرِيقِ الْحَلَالِ^(٢)
 وَمَنْ فَرَطَ الْحِرَانِ وَمَنْ جَمَّاح * وَمَنْ ضَعِيفِ الْأَسَافِلِ وَالْأَطَالِي
 وَمَنْ عَقَرَ اللِّسَانَ وَمَنْ بِيَاضٍ * بِنَاطِرِهَا وَمَنْ حَلَّ الْجِبَالِ
 وَعُقَالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ * وَمَنْ هَدَمَ الْمَعَالِفِ وَالرِّكَالِ^(٣)
 تُقَطِّعُ جِلْدَهَا جَرَبًا وَحَكًّا * إِذَا هُرِّزْتَ وَفِي غَيْرِ الْهُزَالِ
 وَمَنْ شَدَّ الْعِضَاضَ وَمَنْ شَبَابٍ * إِذَا مَا هَمَّ صَحْبُكَ بِالرِّقَالِ^(٤)

(١) ورد هذا البيت والخمسة الأبيات التي بعده في الأغاني (ج ٩ ص ١٣٦ طبع بولاق) باختلاف

في بعض الكلمات . ولم يذكر صاحب الأغاني غيرها من هذه القصيدة ، فرأينا إثباتها هنا إتماماً للقائدة :

- ١٥ أَنَانِي بِنَفْلَةٍ يَسْتَامُ مِنِّي * عَرِيقٌ فِي الْخَسَارَةِ وَالضَّلَالِ
 فَقَالَ تَبِيئَهَا قَلْتُ أَرْبَطُهَا * بِحَمْلِكَ إِنِّي بَيْعِي غَيْرُ غَالِي
 فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي مَرُورًا * وَقَالَ أَرَأَيْكَ سَمِيمًا ذَا جَمَالِ
 هَلْ لِيَّ يَخْلُوَ بِي خِدَاعًا * وَمَا يَدْرِي الشَّقِيُّ لِمَنْ يَخَالِي
 قَلْتُ بَارِعِينَ فَقَالَ أَحْسَنُ * إِلَيَّ فَإِنَّ مَثَلَكِ ذُو سَمَالِ
 فَأَتْرَكَ نَحْمَةَ مِنْهَا لَعَلِّي * بِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ الْخِبَالِ

(٢) المشش : ورم يأخذ في مقدم عظم الوظيف أرباطن الساق في إنسيه .

(٣) الجرد في الدواب : ورم في مؤخر عرقوب الفرس يعظم حتى يمنعه المشي والسعي .

(٤) العقال : داء يأخذ في قوائم الدابة . (٥) الركال : أن يضرب برجله الأرض .

(٦) يقال : برئت إليك من العضاض : إذا باع دابة وبرىء إلى مشتريها من عضها الناس .

٢٥ (٧) الشباب (بالكسر) : رفع الفرس يديه جميعاً من الأرض .

وَأَقْطَفَ^(١) مِنْ دَيْبِ الدَّرْمَسِيَا * وَتَحَطُّ^(٢) مِنْ مُتَابِعَةِ السُّعَالِ
 وَتَكْسِيرِ سِرْجِهَا أَبَدًا شِمَاسًا^(٣) * وَتَسْقُطُ فِي الْوُحُولِ فِي الرِّمَالِ
 وَيَهْزُلُهَا الْجَمَامُ إِذَا خَصَبْنَا^(٤) * وَيُدِيرُ ظَهْرَهَا مَسَّ الْجَلَالِ
 تَطَّلُ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيدًا^(٥) * يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطَّحَالِ
 وَتَضْرِبُ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا * عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ
 فَتُخْرِسُ مَنْطِقِي وَتُحَوِّلُ بِنِي * وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ مِمَّا تُوَالِي
 وَقَدْ أَعَيْتُ سِيَاسَتَهَا الْمُكَارِي * وَبَيْطَارًا يُعَقِّلُ بِالشَّكَالِ
 حَرُونَ حِينَ تَرْكَبُهَا لِحُضِرِ * جُمُوحٌ حِينَ تَعَزِّمُ لِلتَّرَالِ
 وَذُنُبٌ حِينَ تُدْنِيهَا لِسَرِجِ * وَلَيْتَ عِنْدَ خَشْخَشَةِ الْخَالِي
 وَفِيلٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُورًا * خَدُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرِّجَالِ
 وَأَلْفُ عَصَا وَسَوِطٌ أَصْبَحِي^(٦) * أَلَذُّهَا مِنَ الشَّرْبِ الزَّلَالِ
 وَتُصَعِّقُ مِنْ صِيَاحِ الدَّيْكِ شَهْرًا * وَتُدْعَرُ لِلصَّفِيرِ وَلِقِيَالِ
 إِذَا اسْتَعَجَلَتْهَا رَاثٌ وَبَالَتْ * وَقَامَتْ سَاعَةٌ عِنْدَ الْمِبَالِ
 وَمِنْفَارٌ تَقْدَمُ كُلُّ سَرِجِ^(٨) * تَصِيرُ دَقَّتِيهِ عَلَى الْقَدَالِ^(٩)

- ١٥ (١) القطف من الدواب : البطء السير . (٢) التحط : صوت الخيل من الثقل والإعياء .
 (٣) يقال : شمست الدابة إذا شردت وجمعت . (٤) الجمام (بالفتح) : الراحة . يقال :
 جم الفرس يجم : إذا ترك فلم يركب ففنا من تعب وذهب إعياءه . (٥) الوعيد : الشديد المرض .
 (٦) نسبة إلى ذى أصبح : ملك من ملوك حمير ، وإليه تنسب السياط الأصبحية .
 (٧) كذا في مباحج الفكر الذى أورد مؤلفه من هذه القصيدة بعض أبيات اختارها . وقد ورد
 هذا البيت في الأصلين هكذا :

إذا استعجلتها عثرت وقامت * ساعة عند المبال

- ٢٠ (٨) المنفار : الدابة ترمى بسرجها إلى الراء . وفي الأصلين : «مقار» وهو تصحيف ، ويريد
 الشاعر بوصفها بأنها تقدم كل سرج التحكم . (٩) القدال : جماع مؤثر الرأس ، وفيه معان أخرى .

وَتَحَنَّنِي فِي الْوُقُوفِ إِذَا أَقْنَنَا * كَمَا تَحْفَى الْبِغَالُ مِنَ الْكَلَالِ
 وَلَوْ جَمَعْتَ مِنْ هُنَا وَهُنَا * مِنَ الْأَثْبَانِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
 فَإِنَّكَ لَسِتَ عَالِفَهَا ثَلَاثًا * وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُوْدٌ لِلْحِلَالِ
 وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى * وَتَذَكَّرُ تَبَعًا قَبْلَ الْفِصَالِ^(٢)
 وَقَدْ قَرَحَتْ وَلُقْمَانَ فِطِيمٌ * وَذُو الْأَكْتَفِ فِي الْحِجَجِ الْخَوَالِي^(٣)
 وَقَدْ أُبْلِى بِهَا قَرْنٌ وَقَرْنٌ * وَأَخِيرُ يَوْمِهَا لِهَلَاكِ مَالِي
 فَأَبْدَأْنِي بِهَا يَا رَبِّ بَغْلًا * يَزِينُ جَمَالَ مَرَكَبِهِ جَمَالِي
 كَرِيمٌ حِينَ يُنْسَبُ وَالِدَاهُ * إِلَى كَرَمِ الْمَنَاسِبِ فِي الْبِغَالِ

وقال القاضي بهاء الدين زهير الكاتب :

١٠ لك يا صديق بغلة * ليست تُساوي نَحْدَلَةً
 مقدار حُطُوتِهَا الطَّوِيدِ * لَمَّا حِينَ تُسْرِعُ أُمَّلَةً
 وَمُخَالَ مُدِيرَةٍ إِذَا * مَا أَقْبَلْتَ مُسْتَعْجَلَةً
 تَمْشِي فَتَحْسَبُهَا الْعَيْوُ * نُنَّ عَلَى الطَّرِيقِ مُشْكَلَةً
 تَهْتَرُ وَهِيَ مَكَانَهَا * فَكَأَنَّمَا هِيَ زَلْزَلَةً

(Vo)

١٥ (١) القاجح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل .

(٢) الفصال : الفطام من الرضاع .

(٣) ذوالأكتاف : ملك من ملوك الفرس وأسمه سابور بن هرمز ، مات أبوه وهو حمل ، فعقد

التاج على بطن أمه يرتقبون ولادته رجاء أن يكون ذكرا ، وإنما سمي ذا الأكتاف لأنه كان مشتهرا بعلم الكنف فيما يقال . وقيل : خرج عليه قوم من العرب فسار إليهم ونزع أكتافهم فسمى به . (راجع ما يتول

٢٠

عليه في المضاف والمضاف إليه) .

ذكر ما قيل في الحمر الأهلية

قال المتكلمون في طبائع الحيوان : إن الحمار لا يولد له قبل أن تتم له ثلاث سنين ونصف . قالوا : والحمار إذا شتم رائحة الأسدرمى بنفسه عليه لشدة خوفه منه .
ولذلك قال أبو تمام [يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه] :

أقدمت ويليكَ من هجوي على خَطَرٍ * والعيْرُ يُقَدِّمُ من خوفٍ على الأسدِ

والحمار يُوصف بحمّة حاسة السمع . وهو إذا نهق أضرّ بالكلب ؛ قالوا : حتى إنه يُحدِّث له مفساً ؛ فلذلك يطول بُباحه . والبرد يضرب الحمار ويؤذيه ؛ ولهذا لا يوجد في بلاد الصقّالة . وقال الجاحظ : وحلف أحمد بن العزيز أن الحمار ما ينام . فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأنّي أجدُ صياحه ليس بصياح من نام وأنّبه في تلك الساعة ، ولا هو صياح من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه .

وأجود الحمير المصرية . وأهل مصر يعتنون بتربيتها ، ويحتفلون بأمرها ويُسابقون عليها ، ويسمّون مكانَ سباقها ” الطابق ” . والجيد منها يُباع بالثمن الكثير . نقل صاحب كتاب مباحّ الفكر ومناهج العبر في كتابه قال : لقد بيع منها حمارٌ بمائة دينار وعشرة دنانير . وأما الذي رأيناه نحن منها فأبيع بألف درهم ، وربما زاد بعضها على ألف . وكثيرٌ من أهل مصر يركبونها ويتركون الخيل والبغال . فمن ركبها من الأعيان مع وجود القدرة والإمكان على ركوب الخيل والبغال ، يقصد بذلك التواضع وعدم الكبرياء . ومن ركبها من ذوى الأموال وترك الخيل والبغال

(١) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٧ طبع بولاق) .

(٢) الغس : لغة في المنص بالصاد . (٣) من أباع بزادة الألف وهي لغة في باع وزدت

عن ابن القطار كما في المصباح المتير . وربما كان من أباعه إذا عرضه للبيع . قال الهمداني :

فرضيت آلاء الكيت فن بيع * فرسا طيس جوادنا بمباع

ربما يفعل ذلك توفيراً لماله وِضْنَةً به . وَمَنْ ركبها من الشباب والسُّوقَة يقصِد
بذلك التزّه عليها لِقَرَاهَتها وسرعة مشيتها .

- وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارٌ من حمير مصر اسمه ” يعفور ”
وقيل : ” عفير ” ؛ أهده له المقوقس صاحب الإسكندرية مع ما أهدى . وقد
ورد أيضاً في الحديث أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حماران : ” يعفور ”
و ” عفير ” . فأما ” عفير ” فأهده له المقوقس . وأما ” يعفور ” فأهده له قروة
ابن عمرو الجذامي . ويقال : إن حمار المقوقس ” يعفور ” وحمار قروة ” عفير ” .
قال الواقدي : مات ” يعفور ” عند منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة
الوداع . وذكر السهيلي^(١) : أن ” يعفورا ” طرح نفسه في بئر يوم مات النبي صلى الله
عليه وسلم فات . وذكر ابن فورك^(٢) [في كتاب الفصول^(٣)] أنه كان في معانم خير ،
وأنه كلم النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، أنا زياد بن شهاب ، وقد كان

- (١) هو الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب النخعي ثم السهيلي مؤلف كتاب
«الروض الأنف» . ولد بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هـ وتوفي بمراكش في شعبان سنة ٥٨١ هـ
(٢) هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصول النحوي الواعظ الأصهباني المتوفى
سنة ٤٠٦ هـ . أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه الى الري فسعت به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور
والتسوا منه التوجه اليهم ففعل ، وورد نيسابور فبنى له بها مدرسة وداراً وأحيا الله تعالى به أنواعاً من
العلوم . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٦٨٧ طبع بولاق) .
(٣) الزيادة عن كتاب فضل الخيل للديلمي . (٤) قال في المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني
في كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه (ج ٥ ص ١٧٥ طبع بولاق) بعد أن ذكر هذا الخبر
بتفصيل : لكن هذا الحديث مطعون فيه . أخرجه ابن حبان في الضعفاء وقال : لا أصل له وليس سنده
شيء . وقال أبو موسى المديني : هذا حديث منكر جداً إسناداً ومثلاً لأحد أن يرويه عنى الإمام
كلامي عليه . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وتعقب بأنه شديد الضعف فقط كما قال في الإصابة :
إسناده واه لا موضوع . (٥) في المواهب اللدنية : «يزيد» .

في آباءى ستون حماراً كلهم ركبهم نبي^(١)، فأركبني أنت. وزاد الجويني في كتاب
الشامل: أت النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا
الحمار إليه؛ فيذهب حتى يضرب برأسه الباب؛ فيخرج ذلك الرجل، فيعلم أنه
أرسل إليه، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي الحمار منافع طيبة ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا، قال: رماد
كبد الحمار بالزيت ينفع من الخنازير؛ قال: ويبرئ من الجذام. وهذا دواء^(٤)
رخيص إن صح. قال: وكبده مشوية على الربق تنفع من حلة الصرع.
قال: والمكروز من اليبوسة يجلس في مرقة لحمه. وقيل: إن بوله نافع من وجع
الكلى. قال: وبول الحمار الوحشي يفتت الحصاة في المثانة.

ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الحمار

تقول العرب: «العير أوقى لدمه»^(٦). وقالوا: «نجى عيراً سمته»^(٧). وقالوا:

(١) قال في شرح المواهب اللدنية: «عبر بكلهم بجمع الجمع الموضوع للعقلاء تشبيهاً لأصوله بالعقلاء
لشرفهم بركوب الأنبياء لهم» هـ. (٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة
٤٧٨ هـ. كان أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق، جمع على إمامته، متفق على
غزارة مادته وتفنته في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك. وله عدة مؤلفات، منها كتابه
الشامل في أصول الدين. والجويني: نسبة إلى جوين، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور.

(٣) في الأصلين «طيبة» بتقديم الياء المثناة من تحت على الباء الموحدة وهو تصحيف.

(٤) الخنازير: علة معروفة وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة.

(٥) المكروز: من أصابه الكزاز، وهو تشنج يصيب الإنسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير.
(٦) كذا في مجمع الأمثال للبيداني (ج ١ ص ٤٠١ طبع بولاق). وقال: يضرب للوصوف بالخذر؛
وذلك أنه ليس شيء من الصيد يحذر جذر العير إذا طلب. ويقال: هذا المثل لزرقاء الإمامة، وذلك أنها
نظرت جيش العدو على بعد مغيرا على قومها، فحذرهم فلم يستمعوا لها، ففر حمار، فقالت: «العير أوقى
لدمه من راع في غنمه» فذهبت مثلاً. وفي الأصلين: «أوقى لدمه» وهو تصحيف.

(٧) في مجمع الأمثال للبيداني (ج ٢ ص ٢٤٤): «قال أبو زيد: زعموا أن حمرا كانت هنلي
فهلكت في جذب ونجا منها حمار كان سمينا فضرب به المثل في الخزم قبل وقوع الأمر، أي انج قبل ألا تقدر
على ذلك. ويضرب لمن خلصه ماله من مكروه» هـ.

«المجش إذا فاتك الأعيار» . وقالوا : «أصح من عير أبي سيارة» ؛ لأنه كان دفع بأهل الموسم على ذلك العير أربعين عاما . وقالوا : «إن ذهب عير فعير في الرباط» .
وقالوا : «العير يضرب والمكواة في النار» . وقالوا : «حمار يحمل سفرا» .

(٧٦)

ومن أنصاف الأبيات :

* وقد حيل بين العير والتزوان^(٥) *

(١) في جمع الأمثال للبداني : « ... لما فاتك ... » يضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض . ونصب المجش بفعل مضمر ، أى اطلب المجش .

(٢) كذا في جمع الأمثال للبداني . وفي الأصلين : «أصبر» . وأبو سيارة رجل من بني عدوان اسمه عميلة بن خالد بن الأعزل ، وكان له حمار أسود ، أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة .

(٣) الرباط هنا : حبال الصائد . يقال للصائد : ان ذهب عير فلم يعلق في الحباله فاقصر على ما علق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب .

(٤) الذى في جمع الأمثال : « قد يضرب العير ... الخ » قاله عرفطة بن عرفة الهزاني سيد بني هزان في رجلين أمر بقتلهما من بني عكل في حرب كانت بينهما ، فلما تقدم أحد الرجلين ليقتل جعل الآخر يضرب ، يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . (راجع الكلام عليه مفصلا في جمع الأمثال ج ٢ ص ٣٥) .

(٥) أول من قال ذلك صحبر بن عمرو أخو الخنساء حين ملته امرأته وكان يكرها وقد لبث حولا مريضا . وهو من قصيدة مطلعها :

أرى أم صحبر لا تملى عيادتي * وملت سليمانى مضجعى ومكانى

وصدر البيت : * أم بأمر الخزم لو أستطيعه *

(راجع الكلام عليه مفصلا في جمع الأمثال للبداني ج ٢ ص ٣٦) .

ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم
قال أبو العيَّاء^(١) لبعض سماسرة الحمير : اشترى لي حماراً لا بالطويل الآلق ،
ولا بالقصير اللاصق ؛ إن خلا الطريق تدقق ، وإن كثُر الزحامُ ترفق ؛ لا يُصايدم بي
السَّواري ، ولا يدخل تحت البوارى ؛ إن كثرتُ علفه شكر ، وإن قلتَه صبر ؛ وإن
ركبته هام ، وإن ركبته غيرى قام . فقال له السماسر : إن مسح الله بعض قضائنا^(٢)
حماراً أصبتُ حاجتك ، وإلا فليست موجودة .

قيل للفضل الرقاشي : إنك لتؤثر الحمير على جميع الدواب ؛ قال : لأنها أرفق
وأوفق ؛ قيل : ولم ذاك ؟ قال : لأنها لا تستبدل بالمكان ، على طول الزمان ؛ ثم قال :
هي أقل داءً ، وأيسر دواءً ، وأخفص مهوى ، وأسلم صرماً ؛ وأقل جاحاً ، وأشهر
فرهاً ، وأقل بطراً ؛ يزهي ركبته وقد تواضع بركوبه ؛ ويمد مقتصداً وقد أسرف
في ثمنه .

وقال أحمد بن طاهر يصف حماراً :

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
وكانه من تحت رآكبه إذا * ملاح ، برق لآح تحت غمامه
ظهر جكري الماء لين ركوبه * في حالتي إتعابه وجمامه
سفهت يدها على الثرى فتلاعبت * في جريه بسهوله وإكامه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الضرير مولى أبي جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر
والأدب ، كان ظريفاً ماجناً . انظر ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٧١٩ طبع بولاق) .

(٢) البوارى : جمع بارية (فارسي معرب) ، وهي الحصير المنسوج من القصب . ولعله يريد بالبواري
هنا مظلات كانت تصنع من الحصر وتثبت الى وجوه الحوائت أو أخرى تنشر على السوارى في الأسواق .
يريد حماراً يسلك به وسط الطريق ويتجنب السير تحت هذه البوارى حتى لا تصادبه وهو راكب عليه .
(٣) قام : وقف . (٤) في الأصلين : « صريعا » .

عن حافِرٍ كالصخرِ إلا أنه * أقوى وأصلبُ منه في استحكامه
 ما الخيزرانُ إذا أشنتُ أعطافه * في لِينِ معطِفِهِ ولِينِ عَظَامِهِ
 عَنقٌ يطولُ بها فضولُ عَنانِهِ * ومُحزَمٌ يفتالُ فضلَ حِزَامِهِ
 وكأنه بالتريح مُتَعَلِّقٌ، وما * جرى الرياحُ بجرِيهِ ودَوَامِهِ
 أخذ الحَاسِنَ آمِنًا من عِيهِ ^(١) * وحوَى الكَمالَ مبرأً من ذَامِهِ ^(٢)

وقال آخر :

لا تَنظُرُنَّ إلى هُزالِ حَمَارِي * وأنظُرْ إلى جَمْرَاهُ في الأَخْطَارِ ^(٣)
 متوقِّدٌ جعل الذكاءَ إمامَه * فكأنما هو شُعْلَةٌ من نارِ
 حادَتْ عليه الرِيحُ عند هُبُوبِها * فكأنه رِيحَ الدَّبُورِ مِيَارِي

هذا ما ورد في مدحها .



وأما ما جاء فيها على سبيل الذم — فن ذلك قولهم : «أضلُّ من
 حمارِ أهله» . وقولهم : أحرى الله الحمارَ مالًا ، لا يُزَكِّي ولا يَدَكِّي . ومنه قول
 جرير بن عبد الله : لا تَرَكِبْ حَمَارًا ، فإنه إن كان حديدًا أتعب يدك ^(٤) ، وإن كان
 بليدًا أتعب رجليك ^(٥) .

١٥

- (١) في الأصلين : «عينه» بالنون ، وهو تصحيف . (٢) الدام : العيب والدم . فعله : ذام يذم .
 (٣) كذا في مباحج الفكر . والأخطار : جمع خطر وهو ما يتراهن عليه . وفي الأصلين : «الإحضار» .
 (٤) ورد في مباحج الفكر ما نصه : «مثلت أعرابية عنه فقالت : لعنه الله لا يذكى ولا يزكى ،
 وإن أطلقته ولي ، وإن ربطته أدلى ؛ عظيم الحرارة ، بطي . الغارة ؛ لا ترقأ به الدماء ، ولا تمهر به النساء ،
 ولا يحلب في الإناء» . (٥) في مباحج الفكر : «جرير بن عبد الحميد» . (٦) في مباحج الفكر :
 «فارها» . (٧) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «بدنك» ، وهو تصحيف .

٢٥

والمثلُ مضروبٌ في الحمير المهزولة بجمار طيّاب ، كما يُضربُ المثلُ ببغلة
أبي دلّامة .

قال شاعر :

وحمارٍ بكت عليه الحميرُ * دق حتى به الرياح تطيرُ
كانَ فيما مضى يسيرُ بضعيف * وهو اليوم واقف لا يسيرُ
كيف يمشي وليس شيء يراه * وهو شيخٌ من الحمير كبيرُ
لمح القت مرةً فتغنى * بجنين وفي الفؤاد زفيرُ :
« ليس لي منك ياظلم نصيبٌ * أنا عبدُ الهوى وأنت أميرُ »

وقال خالد الكاتب :

وقائل إن حمارى غدا * يمشي إذا صوّب أو أصعدا
فقلت لكن حمارى إذا * أحثته لا يلحق المقعدا
يستعذب الضرب فإن زده * كاد من اللذة أن يرقدا
وقال أبو الحسين الجزار :

هذا حمارى في الحمير حمارُ * في كل خطو كبوة وعشارُ

(١) هو طيّاب السقاء ، شاعر . وله مقاطع مشهورة في حماره القديم الصعبة الشديد الهزال . (انظر شرح
القاموس مادة طيب) . (٢) رواية مباح الفكر : * كيف يمشي وليس يعلف شيئا *
(٣) القت : علف الدواب . (٤) هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ،
وأصله من خراسان . وكان أحد كتاب الجيش ، ووسوس في آخر عمره . (انظر ترجمته في الأغاني ج ٢١
ص ٤٥ — ٥٤ طبع لندن) . (٥) هو أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصري ، ختمت
به دولة شعراء الفسطاط . كان في أول أمره قصابا مثل أبيه وقومه ، ثم اشتغل بالأدب والشعر ففاق
أهل عصره وكان ممثا بالحياة في سنة ٦٤٦ هـ . ونزل ضيفا عليه ابن سعيد المغربي المؤرخ المشهور فأكرم
منه ، وأفرده له ترجمة وافية وأثنى عليه ثناء جميلا في كتابه «المشرق في محاسن أهل المشرق» واختار له
من شعره جملة صالحة مما أورده في ديوانه المسمى : «تقطيف الجزائر» وذكره أيضا ابن شاعر الكندي
في الجزء الثاني من كتابه فوات الوفيات (ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .

فَنَطَّارٌ تَيْنٌ فِي حَشَاةٍ شَعِيرَةٍ * وَشَعِيرَةٌ فِي ظَهْرِهِ فِنَطَارُ

ولما مات حمار هذا الشاعر داعبه شعراء عصره بمرثٍ وهزليات ؛ فقال

بعضهم :

مات حمار الأديب قلتُ قَضَى * وفات من أمره الذي فاتا

مات وقد خَلَفَ الأديبَ وَمَنْ * خَلَفَ مِثْلَ الأديبِ ما ماتا

ونحو هذين البيتين قولُ الآخر :

قال حمار الحكيم توما^(١) * لو أنصفوني لكنتُ أركبُ

لأنني جاهلٌ بسَيْطٍ * وصاحبي جاهلٌ مُرَكَّبٌ^(٢)

وكتب أبو الحسن بن نصر الكاتب إلى صديق له اشترى حمارة ، يُداعبه .

قال من رسالة : « قد عرفت - أبقاك الله - حين وجدت من سكرة الأيام

إفاقه ، وأنست من وجهها العبوس طلاقه ؛ [كيف]^(٤) أجبت داعي هيتك ،

وأطعت أمر مرؤوتك ؛ فسُيرت بكون هذه المتقبة التي أضمرها الإعدام ، وتم

على كريم سرها الإمكان ؛ وأستدلت منها على خبايا فضل ، وتنبهت منها على مزايا

نُبل ؛ كانت مأسورة في قبضة الإعسار ، وكأسفة عن سُدفة الإقتار ؛ وقلت : أي^(٥)

نُبل ؛ كانت مأسورة في قبضة الإعسار ، وكأسفة عن سُدفة الإقتار ؛ وقلت : أي^(٦)

١٥

(١) هو طيب يمثل بحماره في الجهل . وقيل فيه :

إليه بالجهل راح يوما * مثل حمار الطيب توما

(انظر المضاف والمضاف إليه في حرف الحاء) . (٢) في أ : « جهله » .

(٣) لم نوفق إلى مصدر آخر لهذه الرسالة ، وقد صححنا ما صححناه منها اعتماداً على الذوق فيما يقتضيه

السياق ونهنا على ذلك في مواضعه . (٤) هذه الكلمة ساقطة في الأصلين والسياق يقتضها .

٢٠

(٥) في الأصلين : « استدلك » . (٦) السدفة (بالفتح ويضم في لغة بني تميم) : الظللة ، وفي لغة

قيس الضوء . وحكى الجوهرى عن الأصمعي أنها في لغة نجد الظللة وفي لغة غيرهم الضوء ، وهو من

الأضداد . والمراد هنا الظللة .

قَدِمَ أَحَقُّ بُولُوجِ الرَّكْبِ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَحَاذِي أَوْلَى يَبْطُونُ الْقَبِ مِنْ حَاذِيهِ ؛ وَأَيُّ
 أَنَامِلِ أَبِيهِ مِنْ أَنَامِلِهِ إِذَا تَصَرَّفَتْ فِي الْأَعْنَةِ يَسْرَاهَا ، وَتَحَمَّتْ بِالْمَخَاصِرِ مِمَّاهَا ؛
 وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ ، وَالْوَجْهُ الْوَسِيمُ ؛ وَقَدْ بَهَرَ جَالِسَا ، إِذَا طَلَعَ فَارَسَا ! .
 ثُمَّ أَتَمَّتْ أَمَالِي بِالْغُلُوِّ فَيْكَ ، وَأَسْتَبَعْتُ مَنَاقِضَةَ الزَّمَانِ بِإِنصَافِ مَعَالِيكَ ؛
 فَقَبِضْتُ مَا أَنْبَسْتُ مِنْ عَنَانِهَا ، وَأَحْمَدْتُ مَا أَشْتَعَلَ مِنْ نِيرَانِهَا ؛ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى
 صَحِيحَةِ الشُّكِّ . أَرْجُو عُلُوَّ هَيْمَتِكَ بِحَسَنِ اخْتِيَارِكَ ، وَأَخَشَى مَنَافَسَةَ الْأَيَّامِ فِي دَرَكِ
 أَوْطَارِكَ ؛ فَإِنَّهَا كَالظَّانَةِ فِي وَلَدِهَا ، وَالْمَجَادِبَةِ بِالسُّوءِ فِي وَاحِدِهَا ؛ يُدِينِي الْأَمْلُ
 مَسَازِرَهَا ، وَيُرْجِي التَّقَاتُ حِذَارَهَا ؛ حَتَّى أَتَنَّا الْأَنْبَاءُ تُتَعَى رَأْيِكَ الْفَائِلِ ، وَتَقْلُ^(٦)
 عَزْمَكَ الْآفِلِ ؛ بِوُقُوعِ اخْتِيَارِكَ عَلَى فَاضِحِ صَاحِبِهِ ، وَمُسْلِمِ رَاكِبِهِ ؛ الْجَامِدِ فِي حَلْبَةِ^(٧)
 الْجِيَادِ ، وَالْحَازِقِ بِالْحِرَانِ وَالْجِيَادِ ؛ السُّومِ دِينَهُ وَدَأْبَهُ ، وَالْبِلَادَةَ طَبِيعَتَهُ وَشَأْنَهُ ؛^(٨)
 لَا يُصْلِحُهُ التَّادِيبُ ، وَلَا تُقَرِّعُ لَهُ الظَّنَابِيْبُ ؛ إِنْ لَحَظَ عَيْرًا نَهَقَ ، أَوْ لَمَحَ أَنَاثًا شَبِقَ ،^(٩)
 أَوْ وَجَدَ رَوْتًا شَمَّ وَأَنْتَشَقَ ؛ فَكَمْ هَسَمَ سِنًا لِصَاحِبِهِ ، وَكَمْ سَعَطَ أَنْفَ رَاكِبِهِ ؛ وَكَمْ
 أَسْتَرَدَّهُ خَائِفًا فَلَمْ يَرُدَّهُ ، وَكَمْ رَامَهُ خَاطِبًا فَلَمْ يُسْعِدْهُ ؛ يَعْجَلُ إِنْ أَحَبَّ الْأُنَاةَ وَالْإِبْطَاءَ ،^(١٠)
^(١١)

- (١) الحاذ: واحد الحاذين وهما الختان في ظاهر الفخذين تكونان في الانسان وغيره . وفي الأصلين :
 « حاد ... حاديه » وهو تصحيف . (٢) القب : جمع أقب وقبا . وهو الدقيق الخصر الضامر
 البطن من الخيل . (٣) كذا في الأصلين . ولعله : « تحكمت » . (٤) في الأصلين :
 « أهبمت » . (٥) الرأي الفائل : الخاطي الضعيف . فعله : قال فيقل . (٦) في الأصلين :
 « تتل » بالناء المثلثة . (٧) في الأصلين : « ناضح » بالنون ، وهو تحريف . (٨) الحران
 وكذلك الحرون : كلاهما مصدر لحرنت الدابة إذا وقفت ولم تنقد . وفي الأصلين : « بالحرن » ، وهو تحريف .
 (٩) الكجاد : المكر والخبث . وفي الأصلين : « الكجاد » (بالياء الموحدة) وهو تصحيف .
 (١٠) في الأصلين : « الشوم » . (١١) الظنابيب : جمع ظنوب وهو حرف الساق
 من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وقيل : حرف عظمه . وقرع الظنوب : أنف يقرع الرجل
 ظنوب راحلته بعصاه إذا أناخها ليركبا ركوب الجاذ المسرع إلى الشيء .

٥

١٠

١٥

٢٠

ويرسخ إن حاول الحث والنَّجاء؛ مطبوعٌ على الكَيْدِ والخِلافِ، موضوعٌ للضَّعةِ
والاستخفافِ؛ عزيزٌ حتى تُهَيِّنَهُ السَّيِّطُ، كسولٌ ولو أبطره النَّشَاطُ؛ ما عَرَفَ^(٢)
في النَّجَابَةِ أبا، ولا أفاد من الوَعْيِ أدباً؛ الطالبُ به محصور، والمهاريبُ عليه مأسور؛
والمتمنَّى له راجل، والمستعلي بذروته نازل؛ له من الأخلاق أسوؤها، ومن الأسماء
أشوؤها، ومن الأذهان أصدؤها، ومن القُدود أحقرها؛ تجحده المَرَاكِبُ، وتجهله
الموَاكِبُ؛ وتعرفه ظهورُ السَّوَابِكِ، وتآلفه سَبَاطَاتُ المَبَارِكِ. والله الموفق.

(١) في الأصلين : « الحديث » ولا معنى له .

(٢) في الأصلين : « بطره » .

(٣) كذا في الأصلين ولم تتبين المراد منها .

(٤) السبابة : الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكس من المنازل ، وقيل : هي الكفاة

نفسها . وفي الأصلين : « سباطات » بالياء المثناة من تحت ، وهو تصحيف .

الباب الثالث من القسم الثالث

من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم

ذكر ما قيل في الإبل

الإبل جمع لا واحد لها من لفظها . والذَّكَر منها جَمَل ، والأُنثى ناقة . والبعير يقع عليهما . ودليل ذلك قول بعض الشعراء :

لا تُسْتَهَى لِبَنِ البعيرِ وعندنا * عَرَقُ الزَّجاجةِ واكْفُ المِصْصارِ^(٣)

والإبل من منن الله الجسيمة على خلقه، ومما منحهم به من إرفاقه ورزقه . قال الله تعالى : (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَوْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا أَيْسِقُ الْأَنْفُسَ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ) . وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ) .

ولنذكر ما جاء من لغة العرب في الإبل من تسميتها من حين تُؤلد إلى أن تنتهى سنُّها ، وأسماء ما يُركب منها ويُحمل عليه ، وما آخِصَّت به النوق من الأسماء والصفات ؛ ونذكر ألوان الإبل وما قالوه في ترتيب سيرها ، وفي المسير عليها والنزول ؛ ثم نذكر بعد ذلك

(٣) عرق الزجاجة : ما نتج به من الشراب وغيره مما فيها . يريد به الخمر . وقد ورد هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ٣٧٣ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

لا تبغى لبن البعير وعندنا * ماء الزبيب وناطف المِصْصار

(٤) في الأصلين : «نسبتها» .

أصناف الإبل وما قيل في عاداتها وطبائعها . فإذا [أوردنا] ذلك ، ذكرنا ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وما جاء في أوصاف الإبل من الشعر؛ فنقول وبالله التوفيق .



- أما تسميتها من حين تولد إلى أن تنتهي سنها — فقد قالت العرب : ولدها حين يُسَلَّ من أمه ^(٣) "سَلِيلٌ" ثم "سَقَبٌ" و"حُوَارٌ" إلى سنة ، وجمعه أحورية وحيران . وهو "فصيل" إذا فصل عن أمه . وهو في السنة الثانية "أَبْنُ مَخَاضٍ" — لأن أمه تَلْفَحُ فتَلْحَقُ بالمخاض وهي الحوامل ، وواحدتها من غير لفظها "خَلْفَةٌ" — والأثني "بنت مخاض" . فإذا دخل في الثالثة فهو "أَبْنُ لَبُونٍ" ، والأثني "بنت لبون" ؛ لأن أمه صارت ذات لبين . وهو في الرابعة "حِقٌّ" ؛ لأنه استحق أن يحمل عليه . وهو في السنة الخامسة "جَدَعٌ" . وفي السادسة ["نَبِيٌّ"] لأنه يلقي ^(٥) نَبْتَهُ ؛ والأثني ["نَبِيَّةٌ"] . و [هو في] السابعة "رَبَاعٌ" . وفي السنة الثامنة "سَدِيسٌ"

(١) في ب : « فاذا أقر . ذلك ذكرنا ... » . وفي أ : « فاذا . ذلك ذكرنا .. » . ولعل الكلام محرف عما أبتناه .

- ١٥ (٢) في الأصلين : « من حيث » .
 (٣) إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى . فاذا علم ، فإن كان ذكراً فهو سقب . ولا يقال للأثني سقبة ، ولكن حائل . (راجع المخصص ج ٧ ص ١٩ واللسان مادة سقب) .

(٤) في المخصص : « ويسمى حواراً من حين يولد إلى حين يظلم » .

- ٢٠ (٥) الكلمة عن المخصص (ج ٧ ص ٢٢) ومعجم اللغة .

و "سدس" للذكر والأثني ^(١) . وهو في التاسعة "بازل" إذا فطر نابه، أى طلع .
قال الشاعر ^(٢) :

وأبن اللبون إذا ما لُز في قرن ^(٣) * لم يستطع صولة البزل القناعيس ^(٤)

ثم هو بعدها بسنة "مُخْلِفُ عَامٍ" و "بازلُ عَامٍ" ثم "مُخْلِفُ عامين" و "بازلُ عامين"؛ ثم يُعوّد، أى يصير عوداً وهراً ما وماجا .

قالوا : والقُلُوص منها كالجارية من الناس ، والقعود كالغلام ، والجمع قلائصُ وقعدان ^(٥) . والبكر : القتي ، والبكارة جمع ، والأثني بكرة ^(٦) . ويقال : حمل رأس ^(٧) وناقة ^(٨) راشة إذا كثر الشعر في آذانها .



وأما أسماء ما يركب منها ويُحمل عليه — فقد قالوا : المطية اسم جامع لكل ما يمتطي من الإبل . فإذا اختارها الرجل لمركبه لتنام خلقتها ونجايتها فهي راحلة .

(١) المؤنث في جميع أسنان الإبل بالهاء الا السدس والسديس والبازل والمخلف فانها في المؤنث بغير هاء . (راجع المخصص ج ٧ ص ٢٥) .

(٢) هو جرير بن عطية الخطفي الشاعر الإسلامي المشهور .

(٣) لز : قرن وشدة . والقرن : حبل يجمع به البعيران .

(٤) القناعيس (والجمع قناعيس) : الناقة العظيمة الطويلة السنة ، وقيل : الجمل العظيم .

(٥) المساج : الذي سال لعابه من الكبر .

(٦) القلوص : أول ما يركب من إناث الإبل الى أن تنثي ، فاذا أنثت فهي ناقة . والقعود :

أول ما يركب من ذكور الإبل الى أن ينثي ، فاذا أنثي فهو جمل . (راجع اللسان مادة قلعص وثني) .

(٧) ويجمع أيضا على قلاص وقلص ، وقلصان جمع الجمع . كما يجمع قعود أيضا على أقعدة وقعدان .

(٨) في الأصلين : « راس ... راسة » بالسين المهملة فهما ، وهو تصحيف . (راجع شرح

القاموس مادة روش) .

وفي الحديث النبوي صلوات الله تعالى وسلامه على قائله: "الناس كإبل مائة لا يكاد يوجد فيها راحلة". فإذا استظهر صاحبها بها وحمل عليها فهي "زاملة" — والناس يقولون في الرجل العاقل الثابت في أموره: رجل زاملة، يريدون بذلك مدحه. ووصف ابن بشير رجل فقال: ليس ذلك من الزواجل إنما هو من الزواجل — فإذا وجهها مع قوم يمتاروا عليها فهي "عليقة".



وأما ما اختصت به النوق من الاسماء والصفات — فإنهم يقولون فيها: "كَهَاءٌ" و"جَلَالَةٌ" وهي العظيمة، و"عُظْمُوسٌ" و"دِعْيَلَةٌ" وهي الحسنة الخلق التامة الجسم، و"كَوْمَاءٌ" وهي الطويلة السنام، و"وَجْنَاءٌ" وهي الشديدة القوى اللحم. وأشتقاقه من الوجين، وهي الحجارة. فإن أزدادت شدتها فهي "عِيسَمِسٌ".

(١) كذا في الأصلين. وقد ورد هذا الحديث في النهاية واللسان (مادني أبو ورحل) بهاتين الروايتين: "الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة" و"تجدون الناس بمدى كإبل مائة ليس فيها راحلة". وقيل في شرحه: يعني أن المرضى المنتخب من الناس في عزة و جوده كالنبيب من الإبل القوى على الأحوال والأسفار الذي لا يوجد في كثير من الإبل. وقال الأزهري: الذي عنده فيه أن الله ذم الدنيا وحذر العباد سوء مغبتها وضرب لهم فيها الأمثال ليعتبروا ويحذروا ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحذرهم ما حذرهم الله ويزهدهم فيها فزغب أصحابه بعده فيها وتنافسوا عليها حتى كان الزهد في النادر القليل منهم، فقال الرسول: «تجدون ... الخ» أي إن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل كقملة الراحلة في الإبل. والراحلة: البعير القوى على الأسفار والأعمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر. ويقع على الذكر والأنثى. والهاء فيه للبالغة. (٢) استظهر: استمان.

(٣) في الأصلين: «دغلبة» (بالدال المهملة والغين المعجمة)، وهو محريف. والتصويب عن اللسان (مادة دعبل) والمختصص (ح ٧ ص ٦٢). والشرح الذي ذكره المؤلف لهذه الكلمة يبعد أن تكون مصحفة عن ذغلبة بالدال المعجمة والغين المهملة، وهي الناقة السريعة.

(٤) في الأصلين: «عرسن»، وهو محريف.

و"صَيْرَانَةٌ". فإذا كانت شديدة كثيرة اللحم فهي "عَتْرَيْسٌ" و"عَرْنَدَسٌ" و"مُتَلَاَحِكَةٌ". فإذا كانت ضخمة شديدة فهي "دَوْسَرَةٌ" و"عُذَاْفِرَةٌ". فإذا كانت حسنة جميلة فهي "شَمْرَدَلَةٌ". فإذا كانت عظيمة الجوف فهي "مُجْفِرَةٌ". فإذا كانت قليلة اللحم فهي "وَرْدُوجٌ" و"وَرْدٌ" و"رَهْبٌ".



ومن أوصافها في السير — إذا كانت لينة اليدين في سيرها فهي "خَنُوفٌ". فإذا كان بها هُوجٌ من سرعتها فهي "هَوَجَاءٌ" و"هَوَجَلٌ". فإذا كانت تُقَارِبُ الخطو فهي "حَاتِكَةٌ". فإذا كانت تمشي وكأنها مقيدة الرجل وهي تضرب بيديها فهي "رَاتِكَةٌ". فإذا كانت سريعة فهي "عَصُوفٌ" و"مُشْمَعَلَةٌ" و"عَمِيلٌ" و"وَشِمَالٌ" و"يَعْمَلَةٌ" و"هَمْرَجَلَةٌ" و"شَمْدَرٌ" و"شِمْلَةٌ" و"شَمْرَدَلَةٌ". فإذا كانت تجز رجلها في المشي فهي "مِرْحَافٌ" و"رُحُوفٌ". فإذا كانت لا تقصد في سيرها من نشاطها فهي "عَجْرَفِيَّةٌ". قال الأعشى :

وفيها إذا ما هجرت عَجْرَفِيَّةٌ * إذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا

(١) ومن معاني « المرحوج » — كما ورد في اللسان (مادة حرج) — الناقة الحسيمة الطويلة على وجه الأرض . (٢) في الأصلين : « هرجلة » ، وهو تحريف . (٣) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : « سمندر » ، وهو تحريف . (٤) كذا في المخصص . وفي الأصلين : « مرحاف ورحوف » بالراء المهملة في الكلمتين ، وهو تصحيف .

(٥) هجرت : سارت في الهجيرة . والمعجرفة كما تطلق على السرعة في المشي تطلق أيضا على الناقة التي لا تقصد في سيرها من نشاطها . والحرباء : دوية أكبر من الغطاء شيئا ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيفما دارت . يقال : إنما يفعل ذلك ليق جسده برأسه . ويتلون ألوانا بجوز الشمس . والأصيد : الذي لا يستطيع الالتفات .



- وأما ألوان الإبل — فإنهم قالوا: إذا لم يُخالط حمرة البعير شيء فهو "أحمر".
- فإن خالطها السواد فهو "أرمك". فإذا كان أسوداً يخالط سواده بياضاً كدخان الرمث فهو "أورق" ^(١). فإذا اشتد سواده فهو "جون" ^(٢). فإن كان [أبيض] فهو "آدم" ^(٣). فإن خالط بياضه حمرة فهو "أصهب" ^(٤). فإن خالطه سُقرَةٌ فهو "أعيس" ^(٥). فإن خالطت خضرته صفرةً وسواداً فهو "أحوى" ^(٦). فإذا كان أحمر يخالط حمرة سواداً فهو "أكف" ^(٧).



- وأما ترتيب سيرها — "فالعنق" وهو السير المُسَبِّطُ. فإذا ارتفع عنه قليلاً فهو "التريد" ^(١). فإذا ارتفع عن ذلك فهو "الذميل" ^(٢). فإذا ارتفع فهو "الرسيم" ^(٣).
- فإذا دارك المشى وفيه قرمطة ^(٤) فهو "الحفد" ^(٥). فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه كلها فذاك "الارتباع" ^(٦) و"الالتباط" ^(٧). فإذا لم يدع جهداً فذاك "الإدْرِتْقاق" ^(٨).

(١) الرمث (من الحمض) : شجر يشبه الفضي لا يطول ولكنه ينسط ورقة، وله هذب طوال دقاق

وله حطب وخشب، ووقوده حار، وينتفع بدخانه من الزكام .

(٢) كذا في المخصص . وفي الأصلين : «أزرق» ، وهو تحريف .

١٥

(٣) مكان هذه الكلمة بياض بالأصلين . وقد وضعناها لاطرادها مع السياق . وفي المخصص

واللسان : «والآدم من الإبل : الأبيض . فإن خالطه حمرة فهو أصهب» .

(٤) في ب «أغيش» وفي أ : «أعيس» ، وكلاهما تصحيف .

(٥) في الأصلين «حمرة» ، وهو تحريف . (راجع شرح القاموس واللسان والصاح مادة حوى

والمخصص ج ٧ ص ٥٦) .

٢٠

(٦) المسبتر: السريع، يقال : اسبطرت الإبل في سيرها إذا أسرعت وامتدت .

(٧) القرمطة : مقارنة الخطو .



وأما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة والإراحة - فقد قالوا: إذا سار القومُ نهاراً ونزلوا ليلاً فذاك "التَّأْوِيبُ". فإذا ساروا ليلاً ونهاراً فذاك "الإِسَادُ". فإذا ساروا من أول الليل فهو "الإِدْلَاجُ". فإذا ساروا من آخر الليل فهو "الإِدْلَاجُ". فإذا ساروا مع الصبح فهو "التَّغْلِيسُ". فإذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو "التَّقْوِيرُ". فإذا نزلوا في نصف الليل فهو "التَّعْرِيسُ".

ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها

والإبلُ ثلاثةُ أصنافٍ: يَمَانِيٌّ، وَعِرَابِيٌّ، وَبُخْتِيٌّ. فاليمانيُّ هو النَّجِيبُ، وَيُنَزَّلُ بِمِثْلَةِ العتيق من الخليل. وَالْعِرَابِيُّ كَالْبُرْدُونِ. وَالْبُخْتِيُّ كَالْبُغْلِ. وَيُقَالُ: الْبُخْتُ ضَانُّ الإِبِلِ. وهي متولدةٌ عن فساد منيِّ العِرابِ. وحكى الجاحظُ أن منهم من يزعمُ أن في الإبل ما هو وَحْشِيٌّ وأنها تسكن أرضَ وَبَارٍ، وهي غير مسكونة بالناس. وقالوا: ربما نَدَّ الجملُ منها في الهِياجِ فيَحْمِلُهُ ما يَعْرِضُ له منه على أن يأتي أرض

(١) البختي: واحد البخت وهي الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج (والفالج: الجمل الضخم ذو السنمين يحمل من السند للفحله).

(٢) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «النجيب»، وهو تحريف.

(٣) وبار: أرض ما بين الشجر إلى صغاء، مساحتها زهاء ثلثائة فرسخ. ويزعم علماء العرب أن الله تعالى لما أهلك عاداً وثمود أسكن الجن في منازلهم، وهي أرض وبار، فحتمتها من كل من يريد بها، وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً ونحلاً وخيراً.

(٤) هاج الفحل هياجا: هدر وأراد الضراب.

عُمان، فيضرب في أدنى هجمة من الإبل؛ فالإبل المهرية من ذلك التاج. وتسمى الإبل الوحشية "الجوش"^(٢). ويقولون: إنها بقايا إبل عاد وثمود ومن أهلكه الله من العرب. والمهرية منسوبة إلى مهرة (قبيلة باليمن)؛ وهي سريعة العدو. ويعلفونها من قديد سمك يصاد من بحر عُمان.

وأما البختُ — فمنها ما يرهوك مثل البراذين؛ ومنها ما يميز جمراً ويرقل^(٣) ويرقل^(٤) إرقالاً. وفي البخت ماله سنامان في طول ظهره كالسرج، ولبعضها سنامان في العرض عن اليمين وعن الشمال، وتسمى "الخراسانية".

قالوا: والجل لا يتزو إلا مرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ويُنزل فيها مراراً كثيرة، فيجئ منها ولدٌ واحدٌ. وهو يخلو في البراري حالة التزو، ولا يدنو منه أحدٌ من الناس إلا راعيه الملائم له. وذكره صلبٌ جداً؛ لأنه من عصب. والأثني تحمل سنة كاملة؛ وتلقح لمضي ثلاث سنين، وكذلك الذكرك يتزو في هذه المدة، ولا يتزو عليها إلا بعد سنة من يوم وضعها. وفيه من كرم الطباع أنه لا يتزو على أمتاته ولا أخواته. ومتى حُمِل على أن يفعل حقد على من أزمه؛ وربما قتله. وليس في الحيوان من يحقد حقدَه. وقد قالوا: إن العرب إنما آكتسبت الأحقاد لأكلها لحوم الجمال ومدامتها.

١٥



(١) الهجمة من الإبل: أوها أربعون إلى مازادت، أو ما بين السبعين إلى المائة، أو إلى دويها.

(٢) في أ: «الجوش» بالميم المعجمة. وفي ب: «الجوشى»، وكلاهما تحريف.

(٣) هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة أبو قبيلة وهم حتى عظيم، تنسب إليهم الإبل

المهرية، وهي نجائب تسبق الخليل. وقيل: لا يعدل بها شيء في سرعة جرياتها. ومن غريب ما ينسب إليها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه. ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعاً.

٢٠

(٤) الرهوكة: مشى الذي كأنه يمشي في مشيته.

(٥) جز: عدا وأسرع. (٦) أرقل: أسرع.

وفي طبع الجمل آلهتداء بالنجم، ومعرفة الطُّرُق، والغيَرَةُ، والصلوَةُ، والصبْرُ
على الحمل الثقيل وعلى العطش . والإبلُ تميل إلى شرب المياه الكدرة الغليظة ؛
وهي إذا وردت ماء الأنهار حرَّكتها بأرجلها حتى يتكدر . وهي من عشاق الشمس .
وهي تتعرف النبات المسموم بالشَّم من مرَّة واحدة فتجنِّبه عند رعيه ولا تغلظ
إلا في اليبس^(١) خاصة . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة في الغالب .
وقال صاحبُ كتاب مباحج الفكر ومناجح العبر ينقل عن غيره : وقد رُئي منها ما عاش
مائة سنة . وكانت للعرب عوائد في إبلها أنها إذا أصاب إبلهم العزَّكوا^(٢) السليم
ليذهب العرُّ عن السقيم . وكانوا إذا كثرت إبلهم فبلغت الألف فقشوا عين الفحل ؛
فإن زادت على الألف فقشوا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك في أوابد العرب ،
وهو في الباب الثاني من الفن الثاني من هذا الكتاب في السفر الثالث من هذه
النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل
كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها "القصواء"^(٣) . ذكر ابن سعد
عن محمد بن عمر قال حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كانت
القصواء من نَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر رضي الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم
فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت . وهي
التي هاجر عليها صلى الله عليه وسلم . وكانت حين قدم المدينة رباعية ، وكان اسمها
"القصواء" و"الجذعاء" و"العصباء"^(٤) ، وكان في طرف أذنها جُدع ، وكانت لا تسبق

(١) اليبس : ما ييس من العشب ، والبقول التي تنثر إذا يست ، وقيل : عام في كل نبات يابس .

(٢) العر (بالضم) : الجرب . (٣) حققت : هلكت .

(٤) الجُدع : القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد .

كما دُفِعَتْ في سِباق . فلما كان في سنة ستٍّ من الهجرة سابق رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين الرواحل ، فسبق قعوداً لأعرابيٍّ "القَصواء" ، ولم تكن تُسَبِّقُ قبلها ؛ فَشَقَّ ذلك على المسلمين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقُّ على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه" . وعن قُدَّامة بن عبد الله قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ يرمي على ناقه صَهْبَاء . وعن سَلَمَةَ بن نُبَيْط عن أبيه قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ بعرفة على جملٍ أحمر . وذَكَرَ أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث يوم الحديبية نِجْرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ قَبْلَ عُمَانَ إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له "الثعلب" ؛ ليلبغ أشرافهم عنه ما جاء له ؛ فَعَقَرُوا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ؛ فَمَنَعَتْهُ الأَحَابِيْشُ ، فَنَفَلُوا سَبِيلَهُ . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون لِقْحَةً بالغابة (وهي على بريد من المدينة من طريق الشام) وكان فيها أبو ذرٍّ ، وكان فيها لِقَاحُ غُزُرٍ : ^(٤) الحنَاءُ ، ^(٥) السَّمْرَاءُ ، ^(٦) العُرَيْسُ ، ^(٧) السَّعْدِيَّةُ ، ^(٨) والبُغُومُ .

(١) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة .

(٢) الأحابيش : جمع أحوش (بضم الهمزة والباء) وهم بنو الهون بن خزيمه وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل تحت جبل يقال له الحبشى أسفل مكة ، وقيل : صوماً بذلك لتحبشهم أى تجمعهم .

(٣) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٤) الغزر : (جمع غزيرة) ، وهي الكثرة الدرمن الإبل والشاء وغيرهما من ذوات اللبن .

(٥) كذا ورد مضبوطاً بالعارة في شرح المواهب اللدنية للزرقاني (ج ٣ ص ٦٨ ٤) ، وضبط في طبقات

ابن سعد بالقلم (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) بفتح العين وكسر الراء المهملتين . (٦) كذا وردت مضبوطة بالقلم في تاريخ الطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن سعد وشرح المناوي على ألفية العراقي (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٤٨ حديث) بفتح الموحدة وضم المعجمة . وضبطت بالعارة في شرح المواهب للزرقاني (بضم الموحدة والفتن المعجمة) . ونحن نستبعد هذا الضبط .

و"اليسيرة" و"الرياء"^(٢) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فزقها على نساته؛ فكانت "السمراء" لفتح غزيرة لعائشة؛ وكانت العرييس لأُم "سلمة"؛ فاغار عليها عيينة بن حصن في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر^(٣)؛ ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى أتوها إلى ذى قرد فاستنقدوا منها عشراً^(٤) وأقلت القوم بما بقى؛ وقيل: بل استنقذها كلها منهم سلمة بن الأكوع^(٥) حين يقول: ما خلق الله شيئاً من ظهر النبي^(٦) صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهرى وأستنقذته منهم؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست .

وكانت لقاحه صلى الله عليه وسلم، التي كان يعاها يسار مولاه نبي الجدر ناحية قباء قريباً من عير على ستة أميال من المدينة، خمس عشرة لفتح غزاراً استاقها

- ١٠ (١) كذا وردت مضبوطة بالعبارة في شرح المواهب للزرقاني (بإاء مضومة في أوله، وقيل بالعين المهملة، وفتح السين المهملة) وبالقلم في شرح المناسى على ألفية العراق كذلك (بضم الياء وفتح السين المهملة) . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد والطبرى (بفتح الياء) .
- (٢) كذا وردت في تاريخ الطبرى مضبوطة بالقلم بدون مد . ووردت مضبوطة بالعبارة في شرح الزرقاني (ج ٣ ص ٤٦٨ طبع بولاق) وبالقلم في شرح المناسى على ألفية العراق بفتح الراء وتشديد الياء ومد . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد بالبدال المهملة وتشديد الياء الموحدة ومد .
- (٣) هو ذر بن أبي ذر الفزارى، وكان هو وأبوه وزوجته (زوجة أبي ذر واسمها ليسل) يرهون اللقاح معاً، كما جاء في شرح المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٧٩) .
- (٤) ذو قرد (بالتحريك وقيل بضمين): ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر .
- (٥) هو سلمة بن عمرو، والأكوع لقب جدّه وأسمه ستان . وفي يوم ذى قرد هذا يقول سلمة وهويرى:

خذها وأنا ابن الأكوع * واليسوم يوم الرضع

(٦) الظهر: الابل والغنم .

(٧) كذا في ياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى . وعير: جبل ناحية المدينة . وفي أ: «عيز»

بالزاي . وفي ب: «غير» بالعين المعجمة والراء . وكلاهما تصحيف .

الْعُرَيْبُونَ وَقَتَلُوا بَسَارًا وَقَطَعُوا يَدَهُ وَرِجْلَهُ وَغَرَزُوا الشُّوكَ فِي لِسَانِهِ وَعَيْنَيْهِ حَتَّى مَاتَ .
 فَبِعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَثَرِهِمْ كُرْزَ بْنَ جَابِرِ الْفَهْرِيِّ فِي عَشْرِينَ فَارَسًا ؛
 فَأَدْرَكَهُمْ وَرَبَطَهُمْ وَأَرْدَفَهُمْ عَلَى الْخَيْلِ حَتَّى قَدِمُوا بِهِمَ الْمَدِينَةَ . فَقَطَّعَتْ أَيْدِيَهُمْ
 وَأَرْجُلَهُمْ وَسَمَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَصَلَبُوا . وَفِيهِمْ نَزَلُ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ﴾ الْآيَةَ ؛ وَذَلِكَ فِي شَوَّالِ سَنَةِ سِتِّ . وَفَقَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 مِنْهَا لِقْحَةً تُدْعَى «الْحَنَاءُ» ؛ فَسَأَلَ عَنْهَا فَقِيلَ : نَحَرُوهَا .

وقيل : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع لقاخ تكون بذى الجدر ؛
 وتكون بالجماء : لِقْحَةٌ تُدْعَى «مُهْرَةٌ» وكانت غزيرة ، أرسل بها سعد بن عبادة من
 نعم بن عقيل ، ولِقْحَةٌ تُدْعَى «بُرْدَةٌ» تُحَلَبُ كَمَا تُحَلَبُ لِقْحَتَانِ غزيرتان ، أهداهاله
 الضحاك بن سفيان الكلابي ، «والشُقراء» ، «والرَّيَّاء» ، «والسَّمراء» ، «والعُرَيْس» ،
 «واليسيرة» ، «والحناء» يُحَلَبْنَ وَيُرَاحُ إِلَيْهِ بِلَبْنِ كُلِّ لَيْلَةٍ .

وفي غزاة بدر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أبي جهل وكان مهرياً
 يفزوه عليه ويضرب في لِقَاحِهِ . ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ .

- (١) العريون : قوم ارتدوا ، ينسبون إلى عرينة (بكمية) قبيلة من العرب في بجيلة .
 (٢) كذا في الطبري والسيرة لابن هشام والاستيعاب والقاموس (مادة كرز) . وفي الأصلين :
 «كرز» ، وهو تحريف . (٣) سماه فيه : فقأها .
 (٤) كذا في الأصلين وفي طبقات ابن سعد (القسم الثاني ج ١ ص ١٧٨) . ويلاحظ أن اللقاخ
 التي ذكرت هنا وهناك ثمان لا سبع .
 (٥) كذا في سيرة ابن هشام (ص ٩٩٨) والطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن
 سعد (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) . والجماء . اسم لمواضع كثيرة بجوار المدينة . وفي الأصلين : «بالجمي»
 وهو تحريف .
 (٦) كان اسمه المكتسب (على صيغة اسم المفعول) . (راجع شرح المواهب للزرقاني) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى
 عام الحُدَيْبِيَّةِ في هداياه جملًا لأبي جهل في رأسه برةً من فضةٍ ؛ ليغيظ بذلك
 المشركين . ذكره ابن إسحاق .

وقيل : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم لقحة اسمها "مَرَوَة" .

وقال ابن الكلبي : إن عِيَاضَ بنَ حَمَادٍ أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 نَجِيبةً ، وكان صديقًا له إذا قدم عليه مكة لا يطوف إلا في ثيابه ؛ فقال له : "أَسَأَمْتَ" ؟
 قال : لا ؛ قال : "إن الله نهاني عن زبد المشركين" . فأسلم ؛ فقبلها .

ذكر شيء مما وُصِفَتْ به الإِبِلُ نَظْمًا وَنَثْرًا

قال بعض من عظم شأن الإبل : إن الله تعالى لم يخلق نعامًا خيرًا من الإبل ؛
 إن حَمَلَتْ أَثْقَلَتْ ، وإن سارت أَبَعَدَتْ ، وإن حُلِبَتْ أُرَوَّتْ ، وإن نُحِرَتْ أُشْبِعَتْ .
 وقال بَشَامَةُ يَصِفُ نَاقَةً :

كَأَنَّ يَدِيهَا إِذَا أَرَقَلَتْ * وَقَدْ حَرْنَمَ آهَتِدِينَ السَّيْلَا
 يَدَا سَابِحِ نَحْرٍ فِي عَمْرَةٍ * وَقَدْ شَارَفَ الْمَوْتَ إِلا قَلِيلَا

(١) الهدى (بالتحفيف وبتشديد الباء) ، ويقال فيه هديته) : ما يقدم الى البيت الحرام من النعم لتنحر .

(٢) البرة : حلقة تكون في أنف البعير .

(٣) الزبد : الرغد والغطاء .

(٤) هو بشامة بن الغدير . وقد عدّه ابن سلام الجمعي في كتابه طبقات الشعراء في الطبقة الثامنة من

الشعراء الاسلاميين وذكره شعرا . (راجع ص ١٤٦ — ١٤٨ من كتاب طبقات الشعراء طبع أوروبا) .

إذا أقبلت قلت مشحونة * أطاعت لها الرِّيحُ قَلَمًا جَفُولًا
وإن أدبرت قلت مذعورة * من الرُّبْدِ تَتَّبِعُ هَيْقًا ذَمُولًا^(١)

وقال أبو تمام :

وبدلتا السرى بالجهل حنما * وقد أديمتها قد الأديم
بدت كالبدر في ليل بهيم * وآبت مثل عرجون قديم^(٢)

وقال الخطيم أنزرجي^(٣) :

وقد ضمرت حتى كأن وضيئها * وشاح عرويس جال منها على خصر^(٤)

وقال ابن دريد :

خوص كاشباح الحنايا ضمر * يرعفن بالأمشاج من جذب البري^(٥)
يرسبن في بحر الدجى، وفي الضحى * يطفون في الآل إذا الآل طفا^(٦)

وقال عبد الجبار بن حمديس :

ومن سفن البر سباحة * من الآل بحرًا إذا ما أعرض

(١) الربد : النعام ، من الربدة وهى لون بين السواد والغبرة . والهيق : الظليم (ذكر النعام) .
وفى الأصلين : « هيفاً » بالفاء ، وهو تصحيف . والذمول : السريع .

١٥ (٢) العرجون : أصل العذق الذى يعرج وتقطع منه الشاربخ . يريد أنها عادت مهزولة مقوسة .

(٣) كذا فى مباحج الفكر وشرح القاموس (مادة خطم) . وفى الأصلين : « الخطيم الجزرى »

هو محروف . (٤) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وهو للرجل بمنزلة الخزام للسرجه .

(٥) خوص : غاثرات العيون جمع خوصاء . والأشباح : الأشخاص ، واحدها شبح (فتح الباء وسكونها) .

والحنايا : جمع حنية ، وهى القوس لأنها محنية أى معطوفة . ويرعفن : من الرعاف وهو انبعاث الدم

من الأنف . والأمشاج : ما يسيل من أنوفها من الخاط المتغير اللون . والبرى : جمع برة وهى حلقة تكون

فى أنف البعير من فضة أو غيرها .

(٦) يرسبن : يضمن . ويطفون : يعلون . والآل : السراب .

لها شِرةٌ لا تُبالي بها * أطالَ بها سَبَسَبٌ^(٢) أم عَرَضُ
 إذا خَفَقَ البُرْدُ^(٣) بَ خِلَتِي * على كُورِها طائراً يَنْفِضُ
 وإن يَعْرِضُ البَعْضُ^(٤) من سَيرِها * تَرَى العِيسَ من خَلْفِها تَنْقِرُضُ^(٥)
 هي القوسُ إنِّي لَسَهْمٌ لها * أُصِيبُ بكلِّ فلاةٍ غَرَضُ
 وقال الشريف البياضي :

نُوقُ تَرَاهَا كَالسَّفِيدِ * من إذا رأيتَ الآلَ بَحْرًا
 كَتَبَ الوِجَا^(٦) بَدَمَائِهَا^(٧) * في مَهْرَقِ البَيْدَاءِ^(٨) سَطْرًا
 لا تَسْتَكِينُ من اللُّغُو * بَ إِذَا ولا يَعْرِفُن زَجْرًا
 وكَأَنَّ أَرْجُلَهُن تَط * لَبَ عِنْدَ أَيْدِيَهُن وَتَرَا

- ١٠ (١) كذا في ديوانه (المطبوع برومة ص ٢٥٦) . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « سيرة »
 بالسين المهملة والياء المثناة .
 (٢) السببب : القفر والمفازة .
 (٣) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « البردى » وهو تحريف .
 (٤) كذا في ديوانه . وفي أ : « قفض البعض » . وفي ب : « نقر البعض » ، وكلاهما تحريف .
 ١٥ ولعله « وإن تعرض البعض الخ » بناءً التانيث .
 (٥) كذا في ديوانه . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « تنفرض » بالفاء وهو تصحيف .
 (٦) الوجا : الحفا وهو أن يشتكي البعير باطن خفه . وفي الأصلين : « الوحى » بالحاء المهملة ،
 وهو تصحيف .
 (٧) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « بزمامها » .
 ٢٠ (٨) المهرق (بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح ثالثه) : الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب .
 وفي أ : « المهرب » بالباء . وفي ب : « مهرات » ، وكلاهما تحريف .

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ :^(١)

وَحَدَانُ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا * بَلَنَ حَوْلًا مِنْ أُنْجَمِ الْأَسْحَارِ^(١)

يَتَرَفَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ^(٢) * مِنْ غَمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي

كَالْقَيْسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأَسَدِ * مُهِمَّ مَبْرِيَّةَ بِلِ الْأَوْتَارِ

وقال ذو الرُّمَّةِ يصف ناقَةً :

رَجِيعةَ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا * شُجَاعٌ عَلَى سُورَى الذَّرَاصِينَ مُطْرِقُ^(٣)

ومنه اخذ المتنبي فقال :

* كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَفَاعِيَا *

وقال أبو نُوَّاسٍ يصفها بالسرعة :

وَتَجَشَّسَتْ بِي هَوْلَ كُلِّ تَنُوقَةٍ * هَوْجَاءُ فِيهَا جُرَاءٌ إِقْدَامُ^(٤)

تَذَرُ الْمَطْيَى وَرَاءَهَا وَكَأَنَّهَا * صَفٌّ تَقَدَّمَهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ^(٥)

(١) وخد الجير وخدا ووخدانا : أسرع ووسع الخطو . وهذا البيت مرتبط ببيت قبله وهو :

وإذا ما تكترت لي بلاد * أو خليل فإني بالخيار

(٢) كذا في ديوانه (ج ٢ ص ٣٠ طبع مطبعة الجوائب) . وفي الأصلين : « بالسحاب » .

(٣) رجيعة أسفار : معاودة أسفار . والشجاع : الحية الذكر . ومطرق : ساكن لا يتحرك .

(٤) رواية ديوانه المطبوع بأوربا : « لدى » .

(٥) التنوقة : الأرض القفرة ، وقيل : البعيدة الماء .

(٦) الذي ظهر لنا هو نصب « جراءة » على أن تكون مفعولا لأجله . ويكون المعنى : فيها

إقدام لجرأتها .

(٧) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « أمامها » وهو محريف .

وقال الفرزدقُ مشدداً :

تَنفَى يَدَاها الحَصَى في كُلِّ هاجرة * قَفَى الدَّرَاهِمِ تَقَادُ الصَّيَارِيفِ ^(٣)

وقال آخر :

تَطِيرُ مَناسِمُها بِالْحَصَى * كَأَنَّ الدَّرْهَمَ الصَّيْرَفِ

وقال النطمشُ ^(٤) :

كَانَ يَدِيها حينَ جَدَّ نَجَاوِها * يَدَا سابِجٍ في عَمْرَةٍ يَتَّبِعُ ^(٥)

وقال آخر في نُوقٍ :

خُوصٌ نَوَاجٍ إِذا حَثَّ الحُدَاةُ بها * حَسِبْتَ أَرْجُلَها قُدَّامَ أَيديها

وقال القطاميُّ :

يَمْسِئِينَ رِهَوا فلا الأَعْجَازُ خاذِلَةٌ * ولا الصُدُورُ على الأَعْجَازِ تَسْكُلُ ^(٦)

فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتٌ وَالْحَصَى رَمِضٌ ^(٧) * وَالرَّيْحُ ساكِنةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ ^(٨)

(١) في الأصلين : « من كل » ، وهو تحريف .

(٢) كذا رواه سيبويه باثبات الياء في « الدراهم » ، على أنه جمع لدرهم لغة في درهم أوجع شاذ

لدرهم . ويروي « فنى الدنانير » كما في شواهد العينى لشرح الألفية .

(٣) كذا في اللسان ، وقد جرى بهذا الجمع على الضرورة ، لأنه لما احتيج إلى تمام الوزن أشبعت الحركة

ضرورة حتى صارت حرفاً . وفي الأصلين : « التصاريف » ، وهو تحريف .

(٤) هو النطمش بن عمرو بن عطية من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة . وقيل ابن الكلى :

هو من بني معاوية بن عمرو بن طامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة . والنطمش يعنون به الظالم .

(٥) يتَّبَعُ : يمد باعه .

(٦) الرهو : السير السهل المستقيم .

(٧) كذا في الأصلين (بالضاد المعجمة) . والظاهر أنها مصحفة عن « معترضات » بالصاد المهملة .

والاعتراض : الأون والنشاط .

(٨) المرض (بالتحريك) : حرا مجارة من شدة حر الشمس .

وقال أبو نؤاس :

ولقد نَجَّوْبُ بِي الْفَلَاةِ إِذَا * صَامَ النَّهَارُ وَقَالَتِ الْعَفْرُ^(١)
شَدْنِيَّةٌ رَعَتِ الْجِمِي فَاتَتْ * مِثْلَ الْجِبَالِ كَأَنَّهَا قَصْرُ^(٢)
وقال الأحمر :^(٤)

• حمراءُ من نَسَلِ الْمَهَارِي نَسَلُهَا * إِذَا تَرَامَتْ يَدُهَا وَرَجُلُهَا
حَسِبْتَهَا غَيْرِي أَسْتَفِزُّ عَقْلُهَا * أَنِّي الْتِي كَانَتْ تَخَافُ بَعْهَا^(٥)

ذَكَرَ مَا قِيلَ فِي الْبَقَرِ الْأَهْلِيَّةِ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "بينا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها فقالت إنا لم نخلق لهذا وإنما خلقنا للحرث"؛ فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم ! قال : "فإني أروم بهذا أنا وأبو بكر وعمر"^(٦) وما هما ثم .

(١) صام النهار : اعتدل وقام قائم الظهرية .

(٢) قالت : سكنت وقت القائلة . والعفر من الظباء : ما يعلو بياضها حمرة ، وقيل : البيضاء التي

ليست شديدة للياض . (٣) شدنية : نوق تنسب إلى شدن (موضع باليمن) .

١٥ (٥) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ج ١ ص ٨٣ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدارالكتب

المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) : «وقال الآخر» .

(٦) كذا في ديوان المعاني . وفسر أبو هلال البيت بقوله : «أى كأنها من عملها يديها ورجليها

وسرعة تحرك يديها وإياها غيرى تخاضم وتشير يديها لا تقتر» . وفي الأصلين : «أى» . وقد ضبطناه

بهذا الضبط ، على أن يكون «أنى» مصدرا منصوبا على أنه مفعول له ، مضافا لمفعوله ، وقاعله «بعلمها» ،

٢٠ ويكون المعنى : استفزع عقل هذه المرأة الغيرة من أجل إتيان بعلمها ضررتها التي تخافها .

(٦) قوله : «وما هما ثم» ، يعنى أن العمرين لم يكونا حاضرين هناك . (انظر هامش صحيح الامام

مسلم ج ٧ ص ١١١ طبع مصر) .

وقال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : إن الفحل من البقر يتزو إذا تمت له سنة من عمره؛ وقد يتزو لعشرة أشهر . والبقرة إذا ولدت تحدر لبنها من يومها، ولا يوجد لها لبن قبل أن تضع . وهي تحمل تسعة أشهر وتضع في العاشر؛ فإن وضعت قبل ذلك لا يعيش ولدها . وربما وضعت آثني، وهو نادر . وهم يتشاءمون بها إذا وضعت آثني . وإذا مات ولدها أو ذبح لا يسكن خوارها ولا يدتر لبنها؛ ولذلك الرعاء يسلخون جلد ولدها ويحشونه لتدتر له وتسكن، ويسمونه « البو » .
 والبقر يحب الماء الصافي، بضد الخيل والجمال . وقال المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب : رأيت بالرّي نوعاً من البقر تبرك كما تبرك الإبل وتعمل فتشور بجلها، والغالب عليها حمرة الحدق . وحكى أسامة^(١) بن مئذ^(٢) في كتابه أن في بعض البلدان بقرًا لها أعراف كالخيل . ولعلها الأبقار التي توجد فيها البراجم . والبراجم في أطراف أذناها وفي أكافها . ويقال : إن أبقار البراجم تخرج من بحر الصين

(١) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن مئذ الكافي، كان من مشهورى الكتاب والشعراء . وقد ترجم له ابن خلكان في تاريخه وقال : إنه من أكابر بني مئذ أصحاب قلعة شيزر وعلماهم وشجعانهم، له تصانيف عديدة في فنون الأدب . وذكره انعماد الكاتب في الخريدة وقال بعدثناء عليه : سكن دمشق ثم نبت به كما تنبوا الدار بلكريم، فانتقل الى مصرفيق بها مؤمرا مشارا اليه بالتعظيم الى أيام الصالح بن رزيك، ثم عاد الى الشام وسكن دمشق، ثم رماه الزمان الى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال غير العماد : إن قدومه مصر كان في أيام الظاهر ابن الحافظ والوزير يرمئذ العادل بن السلار فأحسن اليه . ولد سنة ٤٨٨هـ وتوفى سنة ٥٨٤هـ بدمشق . (راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ طبع بولاق) .

(٢) اسمه : « أزهار الأنهار » ، كما في مباحج الفكر وكشف الظنون .

(٣) وردت هذه العبارة في كتاب مباحج الفكر نقلًا عن ابن مئذ هكذا : « أن في بعض البلدان بقرًا لها أعراف كأعراف الخيل ؛ قال ابن مئذ : وأظنها الأبقار التي يوجد فيها البراجم ، وسمعت من يقول : إنها أبقار عمالة في بلاد يقال لها « جم وثانة وبلخشان » وهي ملونة : بيض وسود وبنق . والبراجم تكون في مواس أذناها وهي الكبار وعلى كتفها وهي الصغار؛ وسمعت من يقول : إنها أبقار تخرج من بحر الصين » .

وهي تَلد وتُرَضِع؛ ولذلك يقال البراجم البحرية . وبارض مصر بناحيتي دمياط
وتيس بقر تُسمى بقر الخليس، ضخامٌ حسانُ الصور والشيات، ولها قرون كالأهلة،
وفيها نفورٌ وتوحشٌ، لا يُتَنَفَعُ بها في العمل وإنما يُتَنَفَعُ بالبانها . وهي لا تُتَلَفُ
الحب، وما وaha حيث يكون العُشبُ والماءُ الدائمُ؛ ولها أسماء يدعونها بها إذا أرادوا
حلبها، فتتقدم إليهم .

وقد وصف الشعراءُ البقرَ في أشعارها؛ فمن ذلك قولُ أحمد بن عليّ بن
الأصبهاني :

يا جَبْذاً مَحْضُها ورأْيُها * وحبذا في الرجال صاحبها
عَجْولةٌ سَمْحَةٌ مبارَكَةٌ * ميمونةٌ طَفَّحٌ محالِها
تُقْبِلُ للحلب كلما دُعيتُ * ورأماها للحلاب حالِها
فَيَتَبَّعُ سِنِها، مَهْدَبَةٌ * معنَفٌ في الندى عَائِلِها

١٠

١٥

٢٠

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «توضع» بالواو، وهو تحريف .

(٢) الخليس (بالفتح ويكسر) : من كور الخوف الغربي بمصر من فروع خارجه بن حذافة، وكان أهلها
من أعان على عمرو بن العاص فسبهم، ثم أمر عمر بردم الى بلادهم على الجزية أسوة بالقيط . (راجع
معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠٥) .

(٣) كان من شعراء أصبهان في القرن الثالث للهجرة وكان له سنة ٣١٠ من العمر ٩٨ سنة، وقد عمر
الى ما بعد ذلك . وكان يقول الشعر الجيد . وله قصيدة على ألف قافية شيعية عرضت على أبي حاتم
السجستاني فأعجب بها وقال : يا أهل البصرة غلبكم أهل أصبهان . وأول هذه القصيدة :

ما بال عينك ثرة الأنسان * عبرى الحافظ سقيمة الأجنان

(راجع معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٣) .

(٤) المحض : اللبن الخالص بلا رغو .

(٥) العجولة : أثنى العجول، وهو ولد البقرة .

(٦) في الأصلين : «الندى» بالناء المثلثة، وهو مصحف عما أئبتناه . وفي مباحج الفكر : «الهداء» .

كانها نُبْةٌ مُزِينَةٌ * يَطِيرُ مَجْبَأُهَا مُلَاعِبُهَا
 كَانَتْ أَلْبَانَهَا جَنَى عَسَلٍ * يَلْدُهَا فِي الْإِنَاءِ شَارِبُهَا
 عَمْرُوسٌ بِأَقْوَرَةٍ إِذَا بَرَزَتْ ^(١) * مِنْ بَيْنِ أَحْبَابِهَا تَرَائِبُهَا
 كَأَنَّهَا هَضْبَةٌ إِذَا أَنْتَسَبَتْ ^(٢) * أَوْ بَكَرَةٌ قَدْ أَنْفَ غَارِبُهَا ^(٣)
 تُرْمِي بَرُوقَيْنِ كَالْبَلْعَيْنِ إِذَا * مَسَّهَامَا بِالْبَنَانِ طَالِبُهَا
 لَوْ أَنَّهَا مَهْرَةٌ لَمَا عَدِمَتْ * مِنْ أَنْ يَضُمَّ السَّرُورَ رَاكِبُهَا

وَأَشْدَنِي شَمْسُ الدِّينِ بْنِ دَانِيَالٍ لِنَفْسِهِ :

لِلَّهِ عِجْلَةٌ خَيْسٍ * صَفْرَاءُ ذَاتُ دَلَالٍ
 تَرِيكَ عَيْنِي مَهَاةٍ * مِنْ تَحْتِ قَرْنِي غَزَالٍ
 قَدْ سُرِبَلْتُ بِأَصِيلٍ * وَتَوَجَّجْتُ بِهَلَالٍ ^(٤)

وقال شاعر يصف صوت الخلب :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا الْمَرْفُضِ ^(٥) * كَشَيْشِ أَفْعَى أَجْمَعَتِ لِعَضِّ ^(٦)
 * وَهِيَ تَحْكُ بِعَضِّهَا بِيَعَضِّ *

وقال :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا غُدِيهِ * هَفِيفُ رِيحٍ أَوْ كَشَيْشُ حِيهِ

(١) الباقورة والبافور : جماعة البقر .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ابتمت » .

(٣) أناف : ارتفع وأشرف .

(٤) الأنسب للسياق أن يكون « وقال الراجز » وهو معتبرين قطبة ، كما في شرح القاموس مادة

« كشش » .

(٥) الشخب (بفتح الشين وضمها) : ما يخرج من الضرع من اللبن إذا احتلب .

(٦) الكشيش صوت جلد الأفعى . وأما صوتها من فيها فيقال له الفحيح .

ذكر ما قيل في الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

- والجواميس هي ضأن البقر . والجاموس أجزُع الحيوان من البعوض وأشدّها
 هرباً منه إلى الماء ؛ وهو يمشى إلى الأسد رنجاً البال ، رابط الجأش ، ثابت الجنان .
 وقد حكي عن المعتصم بالله العباسي أنه أبرز لاسد جاموستين فغلبته ، ثم أبرز له
 جاموساً ومعها ولدها فغلبته وحمّت ولدها ، ثم أبرز له جاموساً مفرداً فواشبه ثم أدبر
 عنه . هذا على ما في الأسد من القوّة في فمه وكفه والجرأة العظيمة والوثبة وشدة
 البطش والصبر والحُضِر والطلب والمرب ؛ وليس ذلك في الجاموس ، ولا يستطيل
 بغير قرنه ، وليس في قرنه حدة قرن بقر الوحش ؛ فإذا قوى الجاموس مع ذلك حتى
 يقاوم الأسد دلّ على قوة عظيمة . ولذلك قدّم الجاحظ الجاموس على الأسد ، وعلّل
 تقديمه عليه بهذه العلة . وليس ما حكي عن المعتصم في أمر الجاموس وغلبته للأسد
 بعجيب ؛ فإن الجواميس بالأغوار تُقاتل الأسد وتُمانعه وتدفعه فلا يقدر على قهرها .
 وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويُحدّدون أطرافه ،
 يقصدون بذلك إعادته على حرب الأسد وقتاله .^(١)

٨٤

- والجاموس عندنا بالديار المصرية يقاتل التماسيح الذي هو أسد البحر ويتمكن
 منه ويقهره في الماء ؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البرّ وأسد البحر . وله قدرة
 عظيمة على طول المكث في قعر البحر . والتماسيح لا تكاد تأوي موارد الجواميس
 من بحر النيل وتجنّبُ أماكنها .

(١) في الأصلين : « ويقصدون » بالوار .

والجواميس في أرض الشام من الأغوار والسواحل والأماكن الحارة الكثيرة
المياه يُتَفَعُّ بها في الحرث والحُمُولَة وجرَّ العَجَل وحلب ألبانها . وأما [في] الديار المصرية^(١)
فلا يستعملونها ألبتة ولا يتفَعُّون بها إلا بما يتحصَّل من ألبانها وتاجها .

وهُوْلُ الجواميس يكون بينها قتالٌ شديدٌ ومحاربةٌ ؛ فأيمًا خِلَّ غُلب وقهره
خَصْمُه ، لا يَأْوِي ذلك المُرَاح ، بل ينفرد بنفسه في الجزائر الكثيرة العُشب شهورًا
وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل ، وينفرد خصمه بالإناث ؛
فإذا علم الهاربُ من نفسه القوَّة والجلد ، رجع إلى المُرَاح وقد توحش وأستطال ،
ويكون خصمه قد ضَعُفَتْ قواه فلا يقوم بمحاربتِه ؛ ولكنه لا يُؤلَّى عنه إلا بعد^(٢)
محاربتِه . فإذا قهره ترك الآخر المُرَاح وتوجه إلى جزيرة وفعل كما فعل الأول وعاد
إلى خصمه .

ولبنُ الجاموس من أَلْد الألبان وأَدَسِمِها . والرَّعاء يُسمون كلَّ جاموسة بأسم تعرفه
إذا دُعِيَتْ به إلى الحَلَب ، فُجِيب وتأتيه وتقف حتى يحلبها .

ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز

رَوَى عن أَنَس بن مالك وَعَطَاء رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال : "الغنم بركة موضوعة" . وعن أبي سعيد الخُدْرِي رضى الله عنه

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) يلاحظ أن الحال في مصر ليست الآن كما ذكر المؤلف ، إذ الجواميس تستعمل فوق الانتفاع
بالإبنا وتناجها في الحرث كما تستعمل في حل الأثقال أحيانا .

(٣) يقال : ما قام فلان لهذا الأمر ولا يقوم له ، إذا لم يطقه . ويقال أيضا : فلان لا يقوم
بهذا الأمر أى لا يطيق عليه ، وإذا لم يطق الانسان شيئا قيل : ما قام به . (راجع اللسان مادة قام) .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ”يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا^(١) يَتَّبِعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْتَرِي بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ“ . وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ”رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلُ فِي أَهْلِ الْخَلِيلِ وَالْإِبِلُ وَالْقَدَادِينُ أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ“ .

- ومن فضل الغنم مارواه أبو هريرة رضى الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ”مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَرَعَى الْغَنَمَ“ . فقال له أصحابه : وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : ”نَعَمْ [كُنْتَ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ]“^(٤) . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم مائة شاة لا يريد أن تزيد كلما ولد الراعى بهمة ذبح مكانها شاة . وقال ابن الأثير في تاريخه : وكان له شاة تُسمى ”غوثة“^(٥) ، وقيل ”غيثة“ ، وعثر

١٠ (١) كذا في القسطلاني (ج ١ ص ١٢٦ طبع بولاق) . وفي الأصلين : «مال المرء» . (٢) شعف الجبال : ردهوسها . (٣) أورد الجاحظ في كتاب الحيوان في كلامه على الماعز (ج ٥ ص ١٤٨) هذا الحديث ، ونصه فيه : « رأس الكفر قبل المشرق والفخر والخيل والغنم والقنادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم والابان يمان والحكمة يمانية » . وفسر القناد بالجانف الصوت والكلام ، وأنشد قول أبي الرديني العكلى :

١٥ * جاءت سليم ولها فديد *
وقال ثعلب : القنادون : أصحاب الوبر لفظ أصواتهم وجفائهم (يعنى بأصحاب الوبر أهل البادية) . وقال الأصمعي في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : ”الجفاء والقسوة في القنادين“ هم الذين تملو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . وقال أبو العباس المبرد في تفسيره له : « هم الحملون والرعيان والباقرون والحمارون » . والقنادون أيضا : أصحاب الابل الكثيرة الذين يملك أحدهم المائتين من الابل الى الألف ، وهم جفاة أهل خيلاء ، كان أحدهم إذا بلغ ذلك قيل له : قناد . وهو في معنى النسب كسراج وعترج لبائعي السروج والعاج .

(٤) الزيادة عن القسطلاني (ج ٤ ص ١٥٢) .

(٥) كذا في ألفية العراقي والمواهب اللدنية وعيون الأثر . وفي الأصلين : «غوث» ولم يذكر ابن الأثير

هذا الاسم فيما ذكره من منأخه صلى الله عليه وسلم (في ج ٢ ص ٢٣٩ طبع أوربا) .

تسمى "أَيْمَنَ". وذ ك ربض المتأخرين من أهل الحديث أن مكحولاً سئل عن جلد الميتة، فقال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة تسمى "قَمَرٌ"؛ ففقدتها فقال: "ما فعلت قَمَرٌ؟" فقالوا: ماتت يا رسول الله؛ قال: "ما فعلتم بإهاها؟" قالوا: مَيْتَةٌ؛ قال: "دَبَاغُهَا طُهُورُهَا".

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي رحمه الله تعالى في كتاب [فضل] الخيل: وكانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سَبْعًا: "عَجْرَةٌ" و"زَمْرَمٌ" و"سُقْيَا" و"بَرْكَةٌ" و"وَرَشَةٌ" و"أَطْلَالٌ" و"أَطْرَافٌ"^(٢). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعُ أعْتَرَمَانَحٍ ترعاهنَّ أمُّ أَيْمَنَ. قال: والمَيْنِحَةُ: الناقَةُ والشاة تُعْطِيها غَيْرَكَ فيحلبُها ثم يردّها عليك. قال أبو عبيد: للعرب أربعة أسماء تَضَعُها مواضع العارِيَةِ، وهي: المَيْنِحَةُ، والعَرِيَّةُ، والإفْقَارُ، والإخْبَالُ^(٣)، والإخْبَالُ^(٤).

ذِكْرُ تَرْتِيبِ سِنِّ الْغَنَمِ

وَلَدُ الشَّاةِ حِينَ تَضَعُهُ ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَى "سِنَخْلَةً" و"بِهْمَةً". فإذا فُصِلَ عَنْ أُمِّهِ فَهُوَ "حَمَلٌ" و"نَجْرُوفٌ". فإذا أَكَلَ وَأَجْتَرَهُ فَهُوَ "بَدِجٌ" و"وَرَفُورٌ". فإذا

- ١٥ (١) كذا في الطبري وابن الأثير. وفي أ: «رمزه». وفي ب: «ززه» وكلاهما تحريف.
 (٢) كذا في الطبري وابن الأثير والمواهب الدنية. وفي الأصلين: «أطواف» بالواو، وهو تحريف.
 (٣) يقال: أفقر الرجل بعيره إذا أعارده غيره للحمل أو للركوب حتى إذا ما انتهى منه رده. مأخوذ من ركوب فقار الظهر. (٤) كذا في لسان العرب (مادة منح). والإخبال: أن تعطى الرجل البعير أو الناقة ليركها ويجزّز وبرها ثم يردّها. وفي الأصلين: «الإخبال» بالخاء المهيّلة، وهو تصحيف.
 ٢٠ (٥) كذا في المخصّص (ج ٧ ص ١٨٩) واللسان (مادة بدج). وفي أ: «بدج» بالخاء المهيّلة. وفي ب: «بدج» بالذال والخاء المهيّلتين، وكلاهما تصحيف.

بلغ التزوُّ فهو "عُروسٌ". وكلُّ أولاد الضأن والمعز في السنة الثانية "جَدَعٌ"؛
 وفي الثالثة "نَبِيٌّ"؛ وفي الرابعة "رَبَاعٌ"؛ وفي الخامسة "سَدِيسٌ"؛ وفي السادسة
 "سَالِخٌ"^(١). وليس له بعد هذا اسم . ويقال لولد المعز : "جَفْرٌ" ثم "عَمْرِيضٌ"
 "وعَتودٌ" و"عَنَاقٌ". والغنم، الضأن والمعز، تضع حملها في خمسة أشهر . وتلد
 النعجة رأساً إلى ثلاثة ، والعز من الرأس إلى أربعة . ويتزو الذكْرُ بعد مضي ستة
 ٥ شهور من ميلاده . وتحمل الأثني بعد مضي خمسة أشهر من يوم ولدت . ويُمزج صوف
 الضأن عنها في كل سنة . ولحوم الضأن من أطيب اللحمان ؛ وكذلك ألبانها .
 وقد أطنب الجاحظُ في المفارقة بين الضأن والمعز وأطال وأتى بالغث والسمين .

وكتب أبو الخطَّاب الصَّابي إلى الحسين بن صَبْرَةَ جواباً عن رقعة أرسلها إليه

١٠ في وصف حَمَلٍ أهذاه إليه ، جاء منها :

«وصلت رقعتك ؛ ففضضتها عن حَظِّ مشرق ، ولفظ مؤنق ؛ وعبارة مُصيبة ،
 ومعانٍ غريبة ؛ وأتساع في البلاغة يعجزُ عنه عبد الحميد في كتابته ، وسجبانٌ
 في خطابته . وذكرت فيها حملاً ، جعلته بصفتك حملاً ؛ وكان كالمُعَيديّ أسمع به
 ولا أراه .^(٢) وحضر ، فرأيت كبشاً مُتقاً مَ الميلاذ ، من نتاج قوم عاد ؛ قد أفتته
 الدهور ، وتعاقبت عليه العصور ؛ فظننته أحدَ الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته ،
 ١٥ وحفظ بهما جنس الغنم لذريته . صغر عن الكبر ، ولطف في القدر ؛ فبانت دَمَامته ،

(١) كذا في اللسان والمخصص . وفي أ : «صالح» بالصاد والعين المهملتين . وفي ب : «ضالع»

بالضاد المعجمة والعين المهملة ، وكلاهما تحريف .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «اسمع به لا أن تراه» .

٢٠ (٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين

وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) .

وتفاصرت قامته؛ وعاد نحيفاً ضئيلاً، بالياً هزيباً؛ بادي السقام، عارى العظام؛
 جامعاً للعائب، مُستميلاً على المثالب؛ يعجب العاقل من حلول الروح فيه؛ لأنه
 عظم مجلّد، وصوف مُلبد؛ لا تجد فوق عظامه سلباً، ولا تلتق اليد منه إلا خشباً؛
 لو ألقى لل سبع لأباه، أو طرح للذئب لعافه وقلاه؛ وقد طال للكلا فقهه، وبعد
 بالمرعى عهدُه؛ لم ير القت إلا نائمًا، ولا الشعر إلا حالمًا. وقد خيرتني بين أن
 أقتنيه فيكون فيه غنى الدهر، أو أذبحه فيكون فيه خصب الشهر؛ فلتُ إلى استبقائه؛
 لما تعلمه من محبتي في التوفير، ورغبتني في التثمير؛ وجمعي للولد، وأدخاري لعدو؛
 فلم أجد فيه مُستمتعاً للبقاء، ولا مدفعاً للفناء؛ لأنه ليس بأثنى فيحيل، ولا بقيّ
 فينسل، ولا بصحيح فيرى، ولا بسليم فيبقى؛ فلتُ إلى الثاني من رأيك،
 وعملت بالآخر من قولك؛ وقلت: أذبحه فيكون وظيفة للعيال، وأقيمه رطباً مقام
 قديد الغزال؛ فأنشدني وقد أضمرت النار، وحددت الشفار، وشمّر الجزار:

أعيدها نظراتٍ منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما الفائدة لك في ذبجي! وإنما أنا كما قيل:

لم يبق إلا نفس خافت * ومقلة إنسانها باهت

ليس لي لحم يصلح للأكل، فإن الدهر أكل لحمي؛ ولا جلد يصلح للدبغ، فإن
 الأيام مزقت أديمي؛ ولا صوف يصلح للغزل، فإن الحوادث حصت وبرى.

(١) كذا في مباح الفكر. وفي أ: «لا يوجد فيها فوق عظامه سلباً». وفي ب: «لا يوجد فوق
 عظامه تسلباً»، وكلاهما تحريف. والسلب: ما على الرجل من اللباس. يريد به هنا اللحم لأنه يكسو العظم
 ويستره كما يستر اللباس الرجل. (٢) القت: نيات رطب تعلقه الدواب.

(٣) في الأصلين: «يرعى... يبق». من غير فاء. (٤) في الأصلين: «فيصلح» بالفاء.

(٥) حصت وبرى: حلقته وأذبعته.

- وإن أردتني للوقود فكف بمر أدقا من ناري، ولم تَفِ حرارةُ جَمْرِي براثة قناري^(١) .
 ولم يبقَ إلا أن تُطالبني بذحل^(٢) أو بيني وبينك دم . فوجدته صادقا في مقاتله، ناصحا
 في مشورته . ولم أعلم من أيِّ أموره أعجب : أمِن مُمَاطَلتِه الدَّهْرَ على البقاء، أم من
 صبره على الضَّر والبلاء، أم من قُدْرَتِك عليه مع عَوَزِ مثله، أم من إتحافك الصديق به
 على خَسَاسَةِ قَدْرِهِ . وياليت شعري إذا كنتِ والى سوقِ الأغانم ، وأمرُك يُنفذُ
 في المَعز والضَّان؛ وكلِّ حَمَلٍ سَمِينٍ، وكَبِشٍ بَطِينٍ ؛ مَجْلُوبٌ إِلَيْكَ، وموقُوفٌ عَلَيْكَ،
 تقول فيه فلا تُردِّدْ ، وتُرِيدُ فلا تُصدِّدْ ؛ وكانت هديتك هذا الذي [كأنه^(٣)] أشير من
 القبور، أو أُقيم عند النَّفخِ في الصُّورِ؛ فما كنتِ مُهدِّيا لو أنك رجل من عُرضِ
 الكُتَّابِ، كأبي عليّ وأبي الخطاب! ما تهدي إلا كلبا أجب، أو قردا أحذب .

١٠ وقال شاعرٌ في هذا المعنى :

- ليت شعري عن الحروفِ الهزِيلِ * ألك الذُّبُ فيه أم للوَيْلِ
 لم أجد فيه غيرَ جِلْدٍ وعَظِيمٍ * وذُنَيْبٍ له دَقِيقٍ طَوِيلِ
 ما أُراني أراه يَصْلُحُ إذ أصد * بَجَ رَسَمًا على رسومِ الطُّلُولِ
 لا لَيْتِيَّ ولا لِطَبِخٍ ولا يَدِ * عِ ولا يَرِّ صاحبِ وخِليلِ
 أعجفُ لو مُطْفَلٌ نال منه * لعدا تائبًا عن التَّطْفِيلِ^(٤)

(١) القنار (بالضم): الدخان من المطبوخ . (٢) الذحل: التار . (٣) في الأصلين :

«إذ» . (٤) كذا في مباحج الفكر . وفي أ هكذا : «مجلوت» . وفي ب : «محبوب» بالخاء
 المهملة . وكلاهما تصحيف . (٥) التكلة عن مباحج الفكر .

(٦) الأعجف: المهزول . والمطفل: الطفيل . يقال: طفل الرجل أي صار طفيليا . وقد ورد هذا

٢٠ اليت في الأصلين هكذا :

أعجف أو مطفل قال منه * لعدا تايبا عن التطفيل

وفيه تحريف .

وقال شرف الدين بن عَيْن وقد أهدى له بعض أصدقائه خروفا بعد ما مَطَّله به :

أتاني خروفاً ما تشككت أنه * حليف جوى قد شفه الهجر والمطل
 إذا قام في شمس الظهيرة خلته * خيالاً سرى في ظلمة ما له ظل
 فَنَاشدته : ما تَسْتَهِي؟ قال : قَتَّةٌ * وقاسمته : ما شفه؟ قال لي : الأكل^(١)
 فاحضرها خضراء مجاجة الثرى * منعمة ما خص أطرافها قتل
 وظل يراعبها بعين ضعيفة * ويُنشدها والتمع في الخلد منهل :
 « أتت وحياض الموت بيني وبينها * وجادت بوصيل حين لا ينفع الوصل »

وقال الحمدوني في المعزى :

أبا سعيد لنا في شاتيك العبر * جاءت وما إن بها بول ولا بعبر
 وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الأبيضان : الشمس والقمر
 لو أنها أبصرت في نومها علفاً * غنت له ودموع العين تتحدر :
 « يا مانعي لذة الدنيا بما رحبت * إني ليقنني من وجهك النظر »

وقال أيضا :

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد * حاصلًا في يدي غير الإهاب
 ليس إلا عظامها ، لو تراها * قلت هذي أرازن^(٢) في حراب

(١) قاسمه : أحلقه .

(٢) الأرن : شجر صلب تتخذ منه عصي صلبة .

وقال فيها :

لِسَعِيدٍ سُوءِيَّةٌ * سَلَهَا الضُّرُّ وَالْعَجْفُ
 قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصَرْتُ * رَجُلًا حَامِلًا عَلْفَ :
 أَبِي مَنْ بَكَفَهُ * بُرءُ دَائِي مِنَ الدَّنْفِ
 فَأَتَاهَا مُطَمَّعًا * فَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفِ
 فَتَوَلَّى وَأَقْبَلْتُ * تَتَغَيَّرُ مِنَ الْأَسْفِ :
 لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفٌ * عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفُ

القسم الرابع من الفن الثالث

في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

من هذا القسم في ذوات السموم القَوَاتِل . وَيَشْتَمِل هذا البَابُ على ما قيل في الحيات والعقارب .

ذكر ما قيل في الحيات

الحياتُ مختلفاتُ الجهاتِ جِدًّا . وهي من الأمم التي يكثرُ اختلافُ أجناسها في الصُّورِ والشِّمِّ ، والصَّغِيرِ والعَظْمِ ، وفي التعرُّضِ للناسِ وفي الهربِ منهم . فَمِنْهَا ما لا يُؤذِي إلا أن تَطَّأَهَا . ومنها ما يُؤذِي إذا وُطِئَتْ في حِمَاها . ومنها ما لا يُؤذِي في تلك الحال إلا أن تكون على بَيْضِها أو فِراخِها . ومنها ما لا يُؤذِي إلا أن يكون النَّاسُ قد آذَوْها مرَّةً . فاما "الأسودُ" فإنه يَحِقِّدُ وَيَطَالِبُ وَيَكُنُّ في المتاعِ حتى يُدْرِكُ؛ وله زمانٌ يَقْتُلُ فيه كلَّ شيءٍ نَهَشَهُ . وأما "الأفعى" فليس ذلك عندها، ولكنها تظهر في الصيف مع أوائل الليل إذا سكنَ وَجَّحُ الرَّمْلِ أو ظاهرُ الأرضِ ، فتأقِي قارعةَ الطريقِ حتى تَسْتَدِيرُ كالرَّحَى وتُشَخِّصُ رأسها ؛ فَمَنْ وَطِئَ عليها أو مسَّها نَهَشَتْه . وهي من الحيات التي تَرَصُّدُ؛ وهي تقتلُ في كلِّ زمانٍ وعلى كلِّ حالٍ . و"الشُّجاع" يُوَاتِبُ ويقوم على ذَنبِهِ . والحياتُ أصنافٌ كثيرةٌ سنذكر ما أمكن ذكره منها إن شاء الله .

والعرب تضرب المثل في الظلم بالحية فيقولون : " أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ " ، لأنها لا تتخذ لنفسها بيتا ، وكل بيت قصدت نحوه هرب أهلُه منه وأخلوه لها .

- والحِيَّةُ مشقوقةُ اللسان ، ولسانها أسودُ . وزعم بعض المفسرين لكتاب الله عز وجل أن الله تعالى طاقب الحية ، حين أدخلت إبليس في فمها حتى خاطب آدم وحواء وخدعهما ، بشرة أشياء : منها شقُ لسانها ؛ فلذلك ترى الحية إذا ضربت تُقتل .
- كيف تُخرج لسانها لترى الضارب لها عقوبة الله تعالى ، كأنها تسترحم . ويقال : إن من خصائص الحية أن عينها إذا قَلِمَتْ عادت ، وكذلك نأبها إذا قُلِعَ أو قُطِع بالكاز عاد بعد ثلاث ليالٍ ؛ وكذلك ذنبها إذا قُطِع عاد . وفي طباعها أنها تهرب من الرجل العريان ، وتفرح بالنار وتطلبها وتُعجب بها ، وباللبن والبطيخ واللُّفاح والحردل .
- وهي لا تضبط نفسها عن الشراب إذا شتمته ؛ وإذا وجدته شربت منه حتى تسكر ؛ فربما كان السكر سبب حفتها ؛ لأنها إذا سكرت خدرت . وتكره الحية ريح السذاب ولا تملك نفسها [معه] ، وربما أصطيدت به ؛ وتكره ريح الشَّيخ . والحية تُدبج حتى تُفري أوداجها فبقى أياما لا تموت . ومتى ضربت بالقصب الفارسي ماتت ، وإن ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت . ويقال : إنها لا تموت حتف أنفها إلا أن تُقتل .

(١) الكاز : المقص بالفارسية .

(٢) اللُّفاح : هو المعروف في مصر بالشام .

(٣) السذاب : نومان : برى وبستاني ، فالبيستاني يزرع فروما تطلع من ساق له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان ويحمل في أطراف أغصانه رموسا تفتح عن ورد صفار الورق أصفر وإذا انتشر سقط

من الحب . وأما البرى فهو أصفر ورقا من البستاني وزهره مثل زهر البستاني .

(٤) زيادة يقتضها السياق .

(١) ومن أعجب ما شاهدته أنا من الأفاعى أنها قُطعت بحضورى بالبيارستان المنصورى بالقاهرة المعززية في شهر سنة ست وسبعائة بسبب عمل الدرياق الفاروق؛ وقُطع من رأسها وذنبها ما جرت العادة بقطعه، وسُلِخَتْ وشُقَّ بطنها ونُظفَتْ وهى تَحْتَلِجُ، ثم سُلِقَتْ وجرْدَ لِحْمُهَا عن العظم، فنظرتُ إليه فإذا هو يَحْتَلِجُ؛ فَعَجِبْتُ لذلك؛ وذكرته لرئيس الأطباء عَمَّ الدِّينَ المعروف بابن أبى حَلِيقَةَ وهو حاضر فى المجلس، فقال: ليس هذا بأعجب مما تراه الآن، وقال لى: استَدْعِ أقراصَ الأفاعى التى عُجِلَتْ من أكثر من سنة؛ فاستدعيتها، فأحضرها الخازنُ وهى فى العسل وقد دُقَّ لحم الأفاعى بعد سَلْقِهِ ومُجِّنٍ بالسَّمِيدِ وجُعِلَ أقراصًا ووُضِعَ فى العسل من أكثر من سنة؛ فقال لى: تأمل الأقراص؛ فتأملتها فإذا هى تضطرب أضطرابا خفيفا. (٤)

وقال الجاحظ: وزعم صاحب المنطق أن الحيات تنسلخ عن جلودها فى كل عام فى أول فصل الربيع أو الخريف؛ وتبتدى بالسَّلخ من عيونها ويتم سَلخُها فى يوم وليلة، ويصير داخل الجلد هو الخارج. وإذا هَرِمَتْ وعَجَزَتْ عن السَّلخ

(١) هو بيارستان الملك المنصورة قلاوون الألفى الصالحى، وبعضه باق الى الآن ويعرف بمسشفى قلاوون، وهو تابع لوزارة الأوقاف المصرية. (راجع ما كتبه عنه المقرئى بتفصيل واف فى خطه ج ٢ ص ٤٠٦ وظى باشا مبارك فى خطه ج ٥ ص ٩٩ - ١٠١).

(٢) الدرياق الفاروق أحد الدرايين وأجل المركبات، لأنه يفرق بين المرض والصحة.

(٣) هو علم الدين ابراهيم بن الرشيد بن أبى الوحش المعروف بابن أبى حليقة رئيس الأطباء بالديار المصرية والبلاد الشامية، كان بارعا فى الطب محظوظا عند الملوك والأمراء، وناله السعادة من ذلك حتى إنه لما مات خلف ثلثة آلاف دينار غير القماش والأثاث. وهو أول حكيم ركب بدمشق شراب الورد الطرى ولم يكن يعرف بدمشق قبل ذلك. رحمه الله. توفى بمصر سنة ٥٧٠٨ هـ. (راجع عيون التواريخ لابن شاكر والسلك للقرئى وعقد الجمان للابن النجوم الزاهرة لابن قفري بردى فيمن توفى سنة ٧٠٨ هـ).

(٤) كذا فى ب. وفى أ: «خفيا».

وَأرْتَحَى جِسْمَهَا أَدْخَلَتْ جِسْمَهَا بَيْنَ عَوْدَيْنِ أَوْ فِي صَدْعٍ ضَبِقٍ حَتَّى تَسْلُخَ، ثُمَّ تَأْتِي إِلَى عَيْنِ مَاءٍ فَتَنْغَمَسُ فِيهَا فَيَسْتَدْلِمُهَا وَيَعُودُ إِلَى قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ .

قال الجاحظ : وليس في الأرض مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدناً منه أضعافاً . ومن قوتها أنها إذا أدخلت صدرها في بُحْرٍ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ وَقَدْ قَبِضَ عَلَى ذَنْبِهَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ أَنْ يَخْرِجَهَا ، لِشِدَّةِ أَعْتَادِهَا وَتَعَاوُنِ أَجْزَائِهَا ؛ وَرَبْمَا أَقْطَعَتْ فِي يَدِ الْجَاذِبِ لَهَا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهَا أَرْسَلَهَا بَعْضُ إِرْسَالٍ ثُمَّ يَجِدُهَا كَالْمُخْتِطِفِ لَهَا . قَالَ : وَمِنْ أَصْنَافِ الْحَيَاتِ مَا هُوَ أَرْعَمٌ ، وَمَا هُوَ أَرْبٌ (ذو شعر) ، وَمِنْهَا ذَوَاتُ قُرُونٍ . وَمِنْهَا مَا يُسَمَّى الْأَسْوَدَ وَهُوَ مَا إِذَا كَانَ مَعَ الْأَفَاعِي فِي جُودَةٍ وَجَاعَ أَبْتَلَعَهَا مِنْ قِبَلِ رِءُوسِهَا ، وَمَتَى رَامَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الرَّأْسِ عَضَّتْهُ فَتَقْتَلُهُ . وَمِنْ أَصْنَافِهَا مَا يُسَمَّى « الْأَصَلَّةَ » ، وَهُوَ ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ جَدًّا ، وَلَهُ وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ يَصِيرُ كَذَلِكَ إِذَا حَمَرَتْ عَلَيْهِ أَلُوفُ ذُنُوبِ السِّنِينَ . وَهُوَ يَقْتُلُ بِالنَّظَرِ وَبِالنَّفْخِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُسَمَّى هَذَا النَّوْعَ الصَّلَّ ، وَيَقُولُ : إِنَّ أَصْلَ خَلْقَتِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ . قَالَ : وَفِي الْبَادِيَةِ حَيَّةٌ يُقَالُ لَهَا « الْحُقُوتُ » ، تَأْكُلُ الْفَأَرَ وَأَشْبَاهَهُ . وَهِيَ عَظِيمَةٌ ، وَلَهَا وَعِيدٌ مُنْكَرٌ وَنَفْخٌ وَإِظْهَارٌ لِلصُّوْلَةِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ ؛ وَالْجَاهِلُ رُبَّمَا مَاتَ مِنَ الْفَرْعِ مِنْهَا .

قالوا : والثعبان والأفعى فإنه يقتل بما يُحْدِثُهُ مِنَ الْفَرْعِ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا فَرِعَ تَفْتَحَتْ مَسَامُهُ وَمَنَافِسُهُ ، فَيَتَوَغَّلُ السَّمُّ فِي مَوْضِعِ الصَّمِيمِ وَأَعْمَاقِ الْبَدَنِ . فَإِنَّ

(١) الجونة : سليلة مستديرة منشأة أداما (الجرباب) .

(٢) كذا في الأصلين . والسياق يقتضى أن يكون : « قالوا : والثعبان والأفعى يقتلان بما يحدثانه

من الفرع ... الخ » .

(٣) الصميم : العظم الذى به قوام المصنوع . وفي الأصلين : « الصم » ، وهو تحريف .

(١) نَهَشَت النَّائِمَ وَالْمُعْمَى عَلَيْهِ وَالْمَجْنُونَ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ لَمْ تَقْتُلْهُ الْبَتَّةَ (١) . وزعم صاحب المنطق أن بالحبشة حيات لها أجنحة . وأخبرني المولى شرف الدين أحمد بن اليزدي قال : كنت بمدينة الرملة في شهور سنة اثنتين وسبعائة صحبة صاحب شرف الدين بن الخليل ومعه القاضي الحاكم وجماعة كثيرة من الناس وفيهم عدولي وغيرهم ؛ فنظرنا نحو السماء فإذا نحن بجحيتين عظيمتين طائرتين في الهواء قاصدتين صوب البحر، كل منهما في غلظ الثنيانة (٢) ، وإن إحداهما مستقيمة في طيرانها والأخرى تتعرج من قبل رأسها ووسطها وذنبها، وكانتا من الأرض بحيث لا يبلغهما السهم، قال : فسطرنا بذلك محضراً على عدة نسخ .

وحكى بعض المؤرخين : أنه وجد في خزائن المستنصر بالله العبيدي أحد خلفاء مصر بيضة مجلاة بالذهب ظنوا أنها بيضة نعامة ؛ فجعل الناس يتعجبون من تحليتها

(١) كذا في الأصلين . وعلى ما استدركاه في حاشية رقم ٢ ص ١٣٦ يقتضى أن يكون السياق : «فإن نهشا ... لم يقتل البتة» .

(٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين ، نسب إليها قوم من أهل العلم .

(٣) العدولي : الملاحون ، مفردة عدولي .

(٤) كذا في الأصلين . والسياق يدل على أنه يريد أن يشبه هاتين الحيتين بشي غليظ . ويحتمل أن تكون هذه الكلمة محرفة عن الثناء (بالكسر) وهو عقال البحر ونحوه من كل حبل منقى .

(٥) هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله . ولد سنة ٤٢٠ هـ وبيع له بالخلافة سنة ٤٢٧ هـ وعمره يومئذ سبع سنين وأقام في الخلافة ستين سنة وأشهرها وجرى في أيامه مالم يجر في أيام أحد من أهل بيته من تقدمه ولا من تأخره . وتوفى سنة ٤٨٧ هـ . (راجع ترجمته بتفصيل راف في تاريخ ابن خلكان

ج ٢ ص ١٥١ طبع بولاق والمقرئ ج ١ ص ٣٥٥) .

بالذهب؛ فذكروا ذلك لأستكنفى، فقال: إنها بيضة حية كان بعض الملوك أهداها
لجدي القائم بأمر الله ^(١).

ومن كتاب نَسَوار المحاضرة قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الوراق قال
حدثني عمي أبو الحسين: أن الحُصَيْنِيَّ حَدَّثَهُ عن أبي العباس بن الفُرات قال
حدثني أبي قال: قال لي جعفر الخياط: ^(٢) أمرني المأمون ونحن بالروم أن أقتص ^(٤)

٨٨

الطريق لئلا يكون به جواسيس للعدو؛ فأخذتُ معي جماعة من أصحابي فُرساناً ورجالةً
وسلكتُ الطريق، فعن لي شعب فقصدته لئلا يكون فيه كينٌ من الجواسيس،
وتقدمني الرجالة فرأيتهم قد وقفوا؛ فأسرعت إليهم وسألتهم عن خبرهم، فقالوا:
انظر؛ فنظرتُ فإذا رجلٌ من الرجالة قد قعد لقضاء حاجته، ومشى أصحابه، فقصدته
حيةً من وراء ظهره فأبتلعته من رجليه إلى صدره وهو يستغيث ويصيح؛ فلم يكن
لنا فيه حيلةٌ وخفتُ أن أمرَ الرجالة برمي الحية بالنشاب فيصيب الرجلَ فاكون أنا
قتلته. فبسط الرجلُ يديه وأتتهى ببلع الحية إلى إبطيه، فرأيتهما وقد أنضمت على

(١) هو القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، ولَّى الأمر بعد موت أبيه المهدي عيد الله بعهد منه إليه .
سار إلى مصر مرتين ووقع له مع أصحاب مصر حروب وخطوب . وكانت وفاته بالمهدية من بلاد المغرب
في شوال سنة ٥٣٤ هـ . (راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية
والمقريزي ج ١ ص ٣٥١) .

(٢) كذا في ١ . وفي ب: « عمر أبو الحسين » . وقد بحثنا عن هذا الاسم في الجزء الأول
المطبوع من كتاب نَسَوار المحاضرة (طبع مطبعة أمين هندية بمصر) ، فلم نعرطه . فلعل هذه الحكاية التي
ورد فيها هذا الاسم جاءت في الأجزاء التالية التي لم تطبع بعد .

(٣) هو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط ، كان من كبار القواد في عصر المأمون وابنه المعتصم .
وجهه المأمون على رأس جيش في سنة ٢١٥ هـ إلى صاحب حصن سنان فأخضعه ؛ وكان مع الأفشين
في حرب بابك الخزري وأبلى معه بلاء حسناً .

(٤) الاقتصاص : تنج الأثر .

ما أبتلته منه ضمة سمعنا تكسير عظامه في جوفها ، فمات وسقطت يدها فابتلته حينئذ بأسره . فقلت : الآن أقصدوها بالنشاب ؛ فرشقناها جميعا فأثبتناها في موضعها حتى قتلناها ؛ فأمرتُ بشق بطنها لأعين جسم الرجل ، فلم نجد في بطنها من جلد ولا عظم ولا غيرهما إلا شيئاً كالخيط الأسود ، فإذا هي قد أحرقت في لحظة واحدة .

ويقال : إن بجزائر الصين حياتٍ تبتلع الإبل والبقر وشبهها .

قال الجاحظ : حدثني أبو جعفر المكفوف النحوي العنبري وأخوه روح الكاتب ورجالٌ من بني العنبر : أتت عندهم في رمال بلعنبر حية تصيد العصافير وصغار الطير بأعجب حيلة ؛ وزعموا أنها إذا آتت نصف النهار وأشدت الحر في رمال بلعنبر وأمتنت الأرض على الحافى والمنتعل ، غمست هذه الحية ذنبها في الأرض ثم آتت حية كأنها عودٌ مركزٌ أو عود^(١) ، فيجىء الطائر الصغير والجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الزمل لشدة حره وقع على رأس الحية على أنها عود ، فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جملًا أو بعض ما لا يُسبعها أبتلته وبقيت على آتصاها ؛ وإن كان طائرًا يُسبعها أكلته وأنصرفت ؛ وإن ذلك دأبها مامع الرمل جانبه في الصيف والقيظ .

قال : وزعم لي رجالٌ من الصقالبة خصبانٌ وخفولٌ أن الحية في بلادهم تأتي البقرة المحفلة^(٢) فتطوي على نخديها وركبتها إلى عراقيها ثم تُسخص صدرها نحو أخلاف ضرعها حتى تلتقم الحلف ، فلا تستطيع البقرة مع قوتها أن تترمرم^(٣) ؛ فلا تزال الحية

(١) في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٨) : « ثابت » بالهاء المثلثة .

(٢) المحفلة : المثلثة الضرع التي تركت أياما من غير حلب ليتجمع لبنها . وفي الحديث "من اشترى

شاة محفلة فلم يرضها ردّها وردّ معها صاعا من تمر" .

(٣) ترمرم : تحرك .

نَمَّصُ اللَّبَنَ ، وَكَلِمَا مَصَّتْ أَسْتَرَحْتُ ؛ فَإِذَا كَادَتْ تَتَلَفُّ أُرْسَاتَهَا . وَزَعَمُوا أَنَّ تَلَكُ الْبَقْرَةَ إِذَا أَنْ تَتَلَفُّ ، وَإِنَّمَا أَنْ يُصَيِّبَهَا دَاءٌ فِي ضَرْعِهَا وَفَسَادٌ شَدِيدٌ يَسُرُّ دَوَاؤَهُ .
وهذا الباب طويل ؛ وقد أوردنا منه ما فيه غنية^(١) . فلنذكر ما قيل في أصناف الحيات وأوصافها .

- ذِكْرُ أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ وَأَوْصَافِهَا — يَقَالُ : «الْحَيَّاتُ» وَ«الشَّيْطَانُ» هِيَ الْحَيَّةُ الْخَلِيئَةُ . وَ«الْحَنْسُ» : مَا يَصَادُ مِنَ الْحَيَّاتِ . وَ«الْحَيَّوتُ» : الذِّكْرُ مِنْهَا . وَ«الْحَقَّاتُ» وَ«الْحِضْبُ»^(٢) : الضَّخْمُ مِنْهَا . وَ«الْأَسْوَدُ» : الْعَظِيمُ فِيهِ سَوَادٌ ؛ وَيُقَالُ : الْأَسْوَدُ هُوَ الدَّاهِيَةُ ؛ وَهُوَ خُصَيْتَانِ تُخْصِيْتِي الْجَدْيَ ، وَشَعْرُ أَسْوَدٍ ، وَعُرْفٌ طَوِيلٌ ، وَصَنَانٌ كَصُنَانِ التَّيْسِ . وَ«الشُّجَاعُ» : أَسْوَدٌ أَمْلَسُ يَضْرِبُ إِلَى الْبِيَاضِ ، وَخَبِيثٌ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ دَقِيقٌ لَطِيفٌ . وَ«الْأَعْرِيحُ» : حَيَّةٌ صَّمَاءٌ لَا تَقْبَلُ الرُّقَى وَتَطْفِرُ كَمَا تَطْفِرُ الْأَفْعَى . وَيُقَالُ : الْأَعْرِيحُ : حَيَّةٌ أُرْقِطُ نَحْوُ مِنْ ذِرَاعٍ ، وَهُوَ أَحَبُّ مِنَ الْأَسْوَدِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْأَعْرِيحُ أَحَبُّ الْحَيَّاتِ ، يَقْفِزُ عَلَى الْفَارَسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعَهُ فِي سَرْجِهِ . وَقَالَ اللَّيْثُ عَنِ الْخَلِيلِ : الْأَفْعَى الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا رُقِيَةٌ وَلَا دِرْبَانٌ ، وَهِيَ دَقِيقَةُ الْعَنْقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي إِذَا مَسَتْ مُنْتَنِيَةً جَرَشَتْ بَعْضَ أَسْنَانِهَا بِبَعْضٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي لَهَا رَأْسٌ عَرِيضٌ وَلَهَا قَرْنَانِ . وَالْأَفْعَوَانُ : الذِّكْرُ مِنَ الْأَفْعَى . وَ«الْعَرِيدُ» وَ«الْعِسْوَدُ» حَيَّةٌ تَنْفُخُ وَلَا تُؤَدِّي . وَ«الْأَرَقْمُ» : الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبِيَاضٌ ، وَ«الْأَرَقَشُ» نَحْوُهُ . وَ«ذَوَا الطَّفِيَّتَيْنِ» : الَّذِي لَهُ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ . وَ«الْأَبْتَرُ» : الْقَصِيرُ الذَّنْبُ . وَ«الْحَشْحَاشُ» : الْحَيَّةُ الْخَفِيْفَةُ . وَ«الثَّعْبَانُ» : الْعَظِيمُ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ «الْأَيْمُ»

٢٠

(١) فِي الْأَصْلِينَ : «الْحَيَّاتُ» . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْمُخْصَصِ .

(٢) كَتَبْنَا فِي اللِّسَانِ وَالْمُخْصَصِ . وَفِي الْأَصْلِينَ : «الْحِصْبُ» بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

و"الآين" و"أبن قرة": حية شبيهة بالقضيب من الفضة في قدر الشبر والفتر، وهي أحب الحيات، فإذا قرب من الانسان تراءى في الهواء فوقه من أعلاه. و"أبن طبق": حية صفراء؛ ومن طبعها أن تنام ستة أيام ثم تنبه في اليوم السابع. ولا تنفخ شيئاً إلا أهلكته قبل أن يتحرك. وربما مر بها الرجل وهي نائمة فيأخذها كأنها سوار من ذهب، فإن استيقظت وهي في كفه نحر ميتاً. ومن أمثال العرب "أصابته إحدى بنات طبق". قال الليث: "السف" (١): الحية التي تطير في الهواء. وأنشد:

وحتى لو أن السف ذا الريش عَضني * لما ضرتني من فيه ناب ولا تُعْر (٢)

و"النضاض" (٣): الذي لا يسكن في مكان.

ومن أسمائها "القرة" (٤) و"الهلال" و"الرغاصة" (٥).

ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: والحية يُستعمل مطبوخها بالماء والملح والشبث، وقد يُزاد عليها الزيت. قال: وأجود لحمه لحم الأثني؛ وأجود سلخه سلخ (٦)

(١) كذا في اللسان والمخصص. وفي الأصلين في الموضعين: «السيف» بزيادة الياء، وهو تحريف.

(٢) كذا في اللسان مادة (سفف)، والثمر: السم. وفي الأصلين: «نسر» بالعين المعجمة، وهو تصحيف.

(٣) كذا في اللسان والمخصص. وفي: «الففاض». وفي: «الففاض»، وكلاهما تحريف.

(٤) كذا في اللسان والمخصص. وفي الأصلين: «القرة»، وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «الرعاة» بالميم. ولم نجد لها في كتب اللغة ولا في المخصص (في الكلام على الحيات)

فعلها محرقة عما أثبتناه. يقال: ارتفعت الحية إذا التوت.

(٦) السلخ (بالكسر): الجلد.

- (١) الذِّكْر . وطبع الحية إلى التجفيف في لحمها قوى ؛ وأما التسخين فليس بشديد؛ وسلفه شديد التجفيف أيضا . وخاصة لحمه أنه يُنْفَذ الفضول إلى الجلد، سيما إذا كان الإنسان غير نقي . قال : ولحمه إذا أُسْتَعْمِلَ أطال العمر ، وقوى القوة ، وحفظ الحواس والشباب (٢) — أما قوله : « أطال العمر » فيردُّ هذا القول ما ورد في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” فرغ ربك من أربع خَلْقٍ وَخُلِقَ ورزقٍ وأجلٍ ” (٣) . وأما ما عدا ذلك فغير مردودٍ عليه . قال : وأكله ينفع من الجذام نفعًا عظيمًا ؛ وإذا أُسْتَعْمِلَ على داء الثعلب نفع نفعًا عظيمًا . ولحمها ومرقها بعد إسقاط طرفها يمنع تزيُّد الخنازير ، وكذلك سِلَخُهَا . ومرقها إذا مُحْسِيت (٤) وأكل لحمها نفع من أوجاع العصب ، وكذلك سِلَخُهَا . قال : وسِلَخُهَا إذا طُبِخَ في شراب وقُطِرَ منه في الأذن سَكَنَ وجعها ؛ وَيُمْتَضَمُ بخَلِّ طُبِخَ فيه السِّلَخُ لوجع السن . قال : وزعم جالينوس أنه إذا أُخِذت خيوط كثيرة ، وخصوصا المصبوغة بالأرزجوان ، وَخُنِقَ بها أفعى وُلِّفَ واحدٌ منها على عنق صاحب أورام اللهاة والخلق ظهر نفعٌ عجيبٌ . ومرقته ولحمه يقويان البصر . قال : وآتفقوا على أن شمم الأنفى يمنع نزول الماء إلى العين ، ولكن الإنسان لا يجسر على ذلك . وإذا شُقَّت الحية ووضعت على نهش الأفاعى سَكَنَ الوجعُ .

- (١) يريد أن لحم الحية يجفف البدن ويسخه ، إلا أنه في التجفيف أقوى منه في التسخين .
 (٢) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « الجواشر » ، وهو تحريف .
 (٣) الذى ورد في كتاب الجامع الصغير (ج ٢ ص ١٢٠) : ” فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق والخلق والرزق والأجل ” .
 (٤) داء الثعلب : علة معروفة يتناثر منها الشعر . وسمى داء الثعلب لأن الثعلب يتساقط شعره كل سنة .
 (٥) الخنازير : فروج صلبة تحدث في الرقبة وهى علة معروفة .
 (٦) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « إذا نَحَسَتْ » ، وهو تحريف .

ذكر شيء مما وُصِفَتْ به الأفاعي

قال بعض الشعراء يصف حية :

لا يَبُتُّ العُشْبُ في وادٍ تكون به * ولا يُجَاوِرُهَا وَحْشٌ ولا شَجَرٌ
جُرْدَاءٌ شَابِكَةٌ الأَنْيَابِ ذَائِلَةٌ ^(١) * ينبو من البئس عن يافوخها الحجر ^(٢)
لو شَرَحَتْ بِالْمُدَى ما مَسَّهَا بَلَلٌ * ولو تَكْتَفِهَا الحَاوُونَ ما قَدَرُوا ^(٣)
قد جَاهَدُوا ما قام الرُّقَاةُ لها * وخَاتَلُوهَا ما نالوا ولا ظَفَرُوا ^(٤)
يكبو لها الورل العادي إذا نَفَخَتْ * جَبْنَا ويهْرُبُ منها الحية الذَّكَرُ ^(٥)
وقال خلف الأحمر :

وكأنتما لَبَسْتِ بأعلى جِسْمِهَا * رَدًّا من الأثواب أَنهجه اليل ^(٦)
في عينا قبل وفي خَيْشُومِهَا * فطس وفي أنيابها مثل المدى ^(٧)

- (١) كذا في مباح الفكر (القسم الثاني المجلد الثاني ص ١٥٧) والحيوان لملاحظ (ج ٤ ص ١٠٢).
يقال : أسد شابك أى مثبتك الأنياب . وفي الأصلين : «شابكة الأذنان» . على أنه يحتمل أن تكون
«شابكة» . (٢) اليافوخ : الموضع الذي ينحرك من رأس الطفل ، يهتز ولا يهتز .
(٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : «تكتفها» .
(٤) كذا في مباح الفكر والحيوان لملاحظ . وفي الأصلين : «فا قام الرق بها» . والرق : كالرقية .
(٥) كذا في الحيوان . وفي مباح الفكر : «حابلوها» . وفي الأصلين : «حارلوها» .
(٦) كذا في الحيوان . وفي الأصلين ومباح الفكر : «أبوا» .
(٧) الورل (بالتحريك) : دابة على حلقة الضب إلا أنه أعظم منه ، يكون في الرمال والصحارى ،
ياكل العقارب والحيات والحرايب والخنافس .
(٨) في الأصلين ومباح الفكر : «حيننا» . ورواية البيت في الحيوان :
تقصر الورل العادي بضربتها نكرا ويهرب منها الحية الذكر
ونكرو الحية : طعننا بأنقها ، وخص بعضهم به الثبان والدماسة . ومنه قيل لضرب من الحيات النكاز ،
لأنه ينكر بأنفه ولا يعرض فيه ، ولا يعرف رأسه من ذنبه لدقة رأسه .
(٩) كذا في مباح الفكر . وأنهجه : أخلقه وأبلاه . وفي الأصلين : «أهجه» . بالاء الموحدة ،
وهو تصحيف . (١٠) القبل في العين : إقبال السواد على الأنف ، وقيل : هو مثل
الحول ، وقيل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، وقيل غير ذلك .

وقال آخر:

أَرْقَمُ كَالدَّرْعِ فِيهِ وَشَمٌّ * مُتَمَنِّمٌ الظَّهْرِ وَاللَّبَانِ^(١)
يَرْحُفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاجٍ * كَأَنْ عَيْنَهُ كَوِجَانٍ
يَهِيْمُ مَا مَسَّ مِنْ نَبَاتٍ * وَيَجْذِبُ النَّفْسَ بِالْعِنَانِ

وقال ابن المعتز:

أَنْعَتْ رَقْشَاءَ لَا تَحِيَّا لَدَيْغَتِهَا * لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَعْلَقْ بِهِ بَلَلُ
تُلْفِي إِذَا أَسْلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا * كَأَنَّهَا كُمْ دِرْعٌ قَدَّهُ بَطَلُ

وقال الظاهر البصري شاعر اليتيمة:

سِرْتُ وَصَحْبِي وَسَطِ قَاعِ صَفْصَفٍ * إِذْ أَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفٍ^(٣)
رَقْشَاءُ تَزْنُو مِنْ قَلْبِ أَجْوِفٍ * تُؤْمِي بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ الْمَجْرِفِ^(٤)
وَذَنْبٌ مُنْدَمِجٌ مَعْقِفٍ * حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَتَكْفَى^(٦)
عَلُوْتُهَا بِجِدِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ * [فَظَلَّ يَجْرِي دُمُهَا كَالْقَرْقِفِ]^(٨)
* أَتْلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفَى *

(١) اللبان: الصدر. (٢) كذا في كتاب اليتيمة (ج ٢ ص ١٣٥ طبع الشام)

١٥ في ذكر شعراء البصرة. وكنيته «أبو الحسين». وفي أ: «الظاهر المصري» بالميم. وفي ب: «الظاهر المصري» بالطاء المهملة والميم. وكلتاها تحريف.

(٣) في الأصلين: «... من كل طود...». والنصوب عن اليتيمة.

(٤) كذا في اليتيمة. وفي الأصلين: «ترمي» بالراء، وهو تحريف.

(٥) كذا في اليتيمة. وفي الأصلين: «مدحج»، وهو تحريف.

٢٠ (٦) لا تتكفى: لا ترجع. (٧) التكلمة عن اليتيمة.

(٨) القرقف: الخمر.

وقال خلف الأحمر :

له عنق مخضرة مدّ ظهره * وشوم كتحجير اليماني المرقم
إلى هامة مثل الرّحى مستديرة * بها نقطٌ سودٌ وعينان كالدم

وقال آخر^(١) :

وحنّيش كحلقة السّوار * غايته شبر من الأشبار
كأنه قضيب ماء جارٍ * يفتّر عن مثل تلظى النار

وقال خلف الأحمر :

صِلٌّ صفا لا تنطوي من القصر * طويلة الإطراف من غير حسر^(٢)
داهية قد صغرت من الكبر * مهروته الشّدقين حولاء النظر^(٤)

* تفتّر عن عوج حداد كالإبر *

(١) هو أشجع السلي، كما في مباحج الفكر . (٢) في الأصلين : « النابغة » وهو تحريف .

والتصويب عن كتاب الحيوان للمحافظ (ج ٤ ص ٩٥) . وفيه يقول الجاحظ : « وما علمت أن أحدا وصف عين الأفعى على معرفة واختبار غيره » . ثم أورد هذه الأبيات بزيادة عليها وعلى غير هذا الترتيب وهي :

أفنى زحوف العين مطراق البكر * داهية قد صغرت من الكبر

صل صفا لا ينطوي من القصر * طويلة الإطراف من غير حسر

(الإطراف : مصدر أطرف وهو أن يطابق ما بين الجفنين . والحسر : الإعياء والكلال)

كأنما قد ذهب به الفكر * شقت له العينان طولاً في شتر

(الشتر : أن يكون جفن العين منقبلاً من أعلى وأسفل ومنشقاً ، أو أسفله مسترخياً ، أو اتقلب جفنه الأسفل فلا يلقى الأعلى فظهرت حالته) .

مهروته الشّدقين حولاء النظر * جاء بها الطوفان أيام زحر

(المهرت : سعة الشّدقين) .

كان صوت جلدها إذا استدر * نشيش جمر عند طاه مقتدر

(٣) في الأصلين : « الحفر » بالفاء ، وهو تحريف .

(٤) في المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) بعد أن ذكر رواية الأصل هنا : « قال أبو علي : روايته

* حارية قد صغرت من الكبر * » .

والحارية : الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها وقسمها وسهما ، وهي أخبث ما تكون .

وقال أبو هلال العسكري :

وخفيفة الحركات تفتزع الربى * كالبرق يلمع في الغمام الزاويح
منقوطة تحكي صدور صحائف * إبان تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا يظل صخرة * ومن المعيشة بأشمام روايخ^(١)

وقال ابن المعتز :

كأنني ساورتني يوم بينهم * رقشاء مجدولة في لونها برق^(٢)
[كأنها حين تبدو من مكانها * غصن تفتح فيه النور والورق]
ينسل منها لسان تستغيث به * كما تعوذ بالسبابة الفرق^(٣)

وقال الهذلي في مزاحف الحيات :

كأن مزاحف الحيات وهنا^(٤) * قبيل الصبح آثار السياط

وقال آخر :

كأن مزاحفه أنسع^(٥) * جرن فرادى ومنها ثني^(٦)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) بعد ذكر هذه الأبيات ما نصه : « وهذا من

قولهم : إن الحية إذا هزمت لم تتحجج إلى الطعام واكتفت بالنسيم » .

(٢) الزيادة عن ديوان المعاني . (٣) الظاهر أنه يريد بالفرق : المصل الخاشع ؛

أي إنها تتحرك لسانها كما يتحرك المصل الخاشع سببته في الصلاة .

(٤) في اللسان (مادة زحف) : « ... الحيات فيه » - وفي الحيوان : « فيها » . والوهن : جزء من

الليل ، واختلف فيه : أهو نحو من نصفه أو بعد ساعة منه أو هو حين يدبر الليل أو هو ساعة تمضي منه .

(٥) الأنسع : جمع نسع وهو سير مضمور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٦) كذا بالأصلين . ولعل « ثني » مقصور ثناء بالمد . يقال : جاء القوم ثناء وثنى أى اثنين

اثنين . وروايته في الحيوان :

كأن مزاحفه أنسع * جرن فرادى ومثاتها

ذكر ما قيل في العقارب

قال الجاحظ : والعقاربُ أصنافٌ : منها الحزازة ، والطيَّارة ، وماله ذنبٌ كالخربة ، وماله ذنب معقفٌ ؛ وفيها السُّود ، والخضر ، والصُّفر . وهى من ذوات الدُّرِّ (١) . ويقال : إن الأثى من هذا النوع إذا حملت يكون حنقها فى ولادتها ؛ لأن أولادها إذا آستوى خلقها أكلت بطون الأمهات حتى تنقبها ، وتكون الولادة من ذلك النقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميتةً . وفى ذلك يقول الشاعر :

وحامِلَةٌ لا تحمِلُ الدهرَ حملها * تموت ويحيا حملها حين تعطب (٢)

وقال أيضا : إنها تلبُّ من فيها مرتين ، وتحمل أولادها على ظهرها وهى فى قدرِ القمل كثيرة العدد . قال : والعقرب شرُّ ما تكون إذا كانت حبل ؛ ولها ثمانُ أرجل لها أظلافٌ مثل أظلافِ الثور ، وعيناها فى ظهرها . ومن عجب أمرها أنها لا تضربُ الميت ولا المغشى عليه ولا النائم ، إلا أن يتحركَ شيء من بدنه ؛ فإنها عند ذلك تضربه ؛ وضربها له إنما هو من خوفها منه . وهى تأوى إلى الخنافس وتُسايلها ، وتُصادق من الحيات كلَّ أسود ساخ . وربما لسعت الأفعى فتموت . وفيها ما يلسع بعضه بعضا فيموتُ الملسوع . ويقال : إنها تُستخرجُ من بيوتها بالجراد ؛ لأنها تحرص على أكله . ومتى أدخل الكرأثُ فى مجرِّها وأخرج تبعته وما معها من نوعها . وهى إذا خرجت من مجرِّها تضرب كلَّ ما لقيته من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ .

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٠٧ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ أدب) . وفيها يقول الجاحظ : « وفى العقارب أمجوبة أخرى لأنه يقال : إنها مائة الطباع وإنما من ذوات الدرور والإنسال وكثرة الولد » . والدرور : كالذرية ، وقيل : الدرور عدد الذرية . وفى الأصلين : « الدرور » وهو تحريف .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٩) . وفى الأصلين : « وينى » .

- وقيل لبعض الأطباء : إن قلاتا يقول : إنما أنا مثل العقرب أضرت ولا أضر ؛ فقال : ما أقل علمه بها ! إنها تنفع إذا شق بطنها ووضعت على مكان اللسعة . وقد تجمل في جوف نخار مسدود الرأس مطين الجوانب ، ثم توضع الفخارة في تسوير ؛ فإذا صارت العقرب رمادا سُقي من ذلك الرماد من به حصة نصف دانق ففتحتها من غير أن تضر شيئا من الأعضاء . وقد تسع من به حتى صيقة فتلع عنه . وقد تسع المفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وتترك فيه حتى يأخذ منها ويحذب قواها ، فيكون ذلك الدهن مصرفا للأورام البليظة . وقال الشيخ الرئيس : زيت العقارب نافع من أوجاع الأذن . فهذه منافعها .
- وقال الجاحظ : ومن أعاجيب العقرب أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا ألقيت في الماء ، كان الماء جاريا أو ساكنا . قال : وهي تطلب الإنسان وتقصده ؛ فإذا قصدها فزت منه . وهي إذا ضربت الإنسان ضربت هرب من قد أساء .
- قال : ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت بعضها من تسع بعض ؛ ثم لا يموت على لسعتها ، [غير العقارب] ، ونجد العقرب تسع إنسانا فيموت وتلع آخر تموت هي ؛ فذلك ذلك على أنها كما تعطى تأخذ . ويقال : إن الذي تموت هي إذا لسعته تكون أمه قد لسعت وهي حامل به . قال : ومن أعاجيبها أنها تضرب العلسة والتعمم النحاس تحرقه ، وربما ضربته فنبت إربتها فيه .
- قال : والعقارب القاتلة تكون في موضعين : بشهرزور من بلاد الجبل ، وصكر مكرم من بلاد الأهواز ؛ وهي جرارات ؛ وإذا لسعت قتلت ؛ وربما تاتر لحم من

(١) القاطول : اسم شهر كانه مقطوع من دجلة ، وكان الرشيد أول من حفر هذا التورج على فوهة

فصر ما أبا الجند . (٢) الزيادة من كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٠) .

(٣) عسكر مكرم : بلد مشهور بنواح خوزستان ؛ منسوب إلى مكرم بن مزاه .

لسعته أو تعقن ويسترنحى حتى لا يدنو منه أحد إلا وهو يُمِسُّكُ أنه مخافة إعدائه .
 وهى فى زاية الصغر؛ فإن أكبر ما يوجد منها تكون زنته دائقاً واحداً ، والذى
 يوجد منها كبيراً تكون زنته ثلاث حبات أرز؛ فإن وزنت بشعيرة رجحت الشعيرة
 عنها . وهى مع زراتها تقتل الفيل والبعر بلسعتها . قال : وَبِصَيِّبِينَ عَقَابٍ قَتَالَةٌ
 يقال : إن أصلها من شهرزور ، وإن بعض الملوك حاصر تصيبين فأتى بالعقارب من
 شهرزور ورعى بها فى كيزان بالمجانيق إلى البلد ، فأعطى القوم بأيديهم (١) .

وقد وصف الشعراء العقرب وشبهوها فى أشعارهم ؛ فى ذلك
 قول السرى الرقاء :

سارية فى الظلام مهدية * إلى النفوس الردى بلا حرج
 سائلة ، فى ذئبها حمة * كأنها سبجة من السبيج (٢)

وقال آخر :

ونضوة تعرف بأسم ولقب * ما بين عينها هلال متصب (٤)
 موجودة معدومة عند الطلب * تطعن من لاقته من غير سبب
 تحتجر تسله عند الغضب * كأنه شعلة نار تلتهب

وقال آخر :

تجمل ربحاً إذا كعوبٍ مشتهر * فيه سنان بالحريق مستعر
 أنف تأنيفاً على حين قدير * تأنيف أنف القوس شدت بالوتر (٥)

(١) أعطى القوم بأيديهم : ذلوا وخضعوا . (٢) سائلة : وافقة ذئبها .

(٣) كذا فى ديوانه . والسبيج : خرز أسود . وفى الأصلين : « سبجة من السبيج » بالخاء المهملة

فى الكلتين ، وهو تصحيف . (٤) نضوة : مهزولة ضعيفة . (٥) أنف : حدد وسوى .

وأنف القوس : حدها الذى فى باطن سبتها (ما عطف من طرف القوس) وهما أفتان .

وقال عبد الصمد بن المعدل : [يدعوبها على عدوله]^(١)
 يَأْرُبُ ذِي إِفِكٍ كَثِيرٍ خُدْعُهُ * مُسْتَجْهِلِ الْحِلْمِ خَيْبٌ مَرْتَعُهُ^(٢)
 [يَسْرِي إِلَى عِرْضِ الصَّدِيقِ قَدَعُهُ * صُبَّتْ عَلَيْهِ حِينَ جَمَّتْ يَدْعُهُ]^(٣)
 ذَاتُ دُنَابِي مُتَلِفٍ مَن يَلْسَعُهُ * تَخْفِضُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْفَعُهُ
 أَسْوَدٌ كَالسَّبْجَةِ فِيهِ مِبْضَعُهُ * يَنْطَفُ مِنْهُ سُمٌّ وَسَمْعُهُ^(٤)
 تُسْرِعُ فِيهِ الْخُتَفَ حِينَ [تَسْرَعُهُ * يَبْرُزُ كَالْقَرْنَيْنِ حِينَ] تُطْلِعُهُ^(٥)
 فِي مِثْلِ صَدْرِ السَّبْتِ حِينَ تَقْطَعُهُ * لَا تَصْنَعُ الرَقَشَاءُ مَا قَدْ تَصْنَعُهُ

وقال ابن حمديس :

وَمُسْرَعَةٍ بِالْمَوْتِ لِلطَّعْنِ صَعْدَةٌ * فَلَا قِرْنَ إِنْ نَادَتْهُ يَوْمًا يَجْبِيهَا^(٦)
 تُذِيقُكَ حَرَّ السَّمِّ مِنْ وَخْزِ إِبْرَةٍ * إِذَا لَسَبَتْ مَاذَا يَلْقَى لَسْبِهَا^(٧)
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لَوْنُ الْبَهَارَةِ لَوْنُهَا * فَنِ يَرْقَانِ دَبَّ فِيهَا شُحُوبُهَا^(٨)
 لَهَا سُورَةٌ خُصَّتْ بِمَنْكِرِ صُورَةٍ * تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ يَرِيهَا
 لَهَا طَعْنَةٌ لَا تَسْتَيْنُ لِنَاطِرٍ * وَلَا يُرْسِلُ الْمِسْبَارُ فِيهَا طَيِّبَهَا^(٩)

- (١) الزيادة عن مباحج الفكر . (٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « جدعه »
 ١٥ بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف . (٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الحكم »
 بالكاف ، وهو تحريف . (٤) كذا ١ . ولعله محرف عن « سلمه » والسمع : ضرب
 من السم . وفي ب و مباحج الفكر : « لسعه » . (٥) السبت : الجلد المدبوغ .
 (٦) الصعدة : الرخ . (٧) لسبت : لدغت .
 (٨) في الأصلين : « فن زرقان » والتصويب عن ديوانه ومباحج الفكر .
 ٢٠ (٩) المسبار : ما يسربه الجرح . وفي أ : « المستار » وفي ب : « المسار » ، وكلتاها
 تحريف .

(١) نَسِيتُهَا قَيْسًا وَذَكَرَى طَمِينِهِ * وَقَدْ دَقَّ مَعْنَاهَا وَجَلَّ نُدُوبُهَا (٣)
 تَيْجَى كَأَمِّ الشَّيْلِ غَضَبِي تَوَقَّدْتُ * وَقَدْ تَوَجَّ الْيَأْفُوخُ (٤) مِنْهَا عَسِيْبُهَا (٥)
 عَدُوٌّ مَعَ الْإِنْسَانِ يَعْمرُ بَيْتَهُ * فَكَيْفَ يُوَالِي رَقْدَةً يَسْتَطِيبُهَا
 وَلَوْ لَا دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا بَلُطْفَهُ * لَصَبَّتْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا خَطُوبُهَا

(١) لعله يريد قيس بن عاصم المقرئ وطعيته الحارث بن شريك الشيباني، وذلك أنه هاجت الحرب
 بين قبيلتهما يوم جدود، فظهرت بنو منقر (قبيلة قيس) على بكر بن وائل (قبيلة الحارث بن شريك)،
 فهزمت بكر بن وائل وتبعهم بنو منقر، فقصد قيس بن عاصم الحارث بن شريك والحارث على فرس قارح
 وقيس على مهر، فخاف قيس أن يسبقه الحارث فحفره بالرح في آسته فتحفره فرسه فنجا، فسعى الحوفزان؛
 ثم انتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد ستة فوات. (راجع الأغاني ج ١٢ ص ١٥٢ — ١٥٣
 طبع بولاق).

(٢) في الأصلين : « وذكر طعيبة » . والنصوب عن الديوان .

(٣) الندوب : آثار الجرح . وفي الديوان : « وجلت خطوبها » .

(٤) اليافوخ : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، يهز ولا يهمز .

(٥) العسيب : عظم الذنب ، وقيل : منبت الشعر منه .

الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الثالث

فيما هو ليس قاتلا بفعله من دواب السموم

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في الخنافس، والوزغ، والضب، وابن عرس، والحرباء، والقنأذ، والفيزان، والقراد، والنمل، والذرة، والقمل، والصُّواب .



فأما الخنافس وما قيل فيها — قالوا: والخنافس تتولد من عفونة الأرض . وهي أصناف، منها الخنفس المعروف؛ ومنها "الجعل" ويسمى "الكبرتل" . وهو يتولد من أخطاء البقر، وهو يموت إذا شم رائحة الطيب، وإذا دُفن في الورد مات، وإذا أُخرج منه ودُفن في الروث عاش . والغالب أنه لا يموت حقيقة وإنما يتحدر وتبطل حركته؛ فإذا عولج بما نشأ منه قوى . والله أعلم . وله ست أرجل، وسنام مرتفع . وهو لا يصير كبرتلا حتى يصير له جناحان . وجناحاه يظهران إذا أراد الطيران ويخفيان إذا مشى . ومن عادة الجعل أن يحرس النيام؛ فمن قام منهم لقضاء الحاجة تبعه طمعاً أنه إنما يريد الغائط؛ والغائط قوت الجعل .

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر : وزعم الأعراب أن بين ذكور الخنافس وإناث الجعلان تسافداً ، وأنهما ينتجان خلقاً يزرع إليهما جميعاً . قال : وأنشد سيويه لبعض الأعراب يهجو عدواً له :

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفُسَا أُمَّ الْجَعْلِ * عداوة الأوعال حياتِ الجبَلِ

ويقال : إنا الجعل يظل دهرًا لا جناح له ، ثم ينبت له جناحان . والعرب تقول في أمثالها : «أج من خنفساء» و«أفحش من فاسية» وهي الخنفساء . وفي الحاجة الخنفساء يقول الأحمر ^(١) :

لنا صاحب مولى بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب ^(٢)

أج لحاجًا من الخنفساء * وأزهى إذا ما مشى من غراب

ومن أصناف الخنافس صنف يقال له «حمار قبان» . وهو يتولد في الأماكن الندية [على ظهره شبه الحزن] . ومنها صنف يسمى «بنات وردان» . وهي أيضا تتولد في الأماكن الندية ^(٤) ، وأكثر ما تكون في الحمامات والسقايات . وفيها من الألوان الأسود ، والأصهب ، والأبيض . قال بعض الشعراء يصف بنات وردان :

بنات وردان جنس ليس ينتمه * خالق كنعني في وصفى وتشبيهي

كمثل أنصاف بسرٍ أحمر تركت * من بعد تسقيقه أقامه فيه



ومنها «الصراصر والجنادب» ^(٥) . ولها صوت لا يفتر بالليل ، فإذا طلع الفجر فقد . وفيه من الألوان الأسود وهو جندب الجبال والآكام السود ^(٥) ، والأبرق وهو جندب الطلح والسمر والغضا ؛ والأبيض وهو جندب الصحارى . قال السري الرفاء يصف جندبة ^(٦) :

- (١) في لسان العرب (مادة زها) : «قال الأحمر النحوي يهجو العنبي والفيض بن عبد الحميد» .
 (٢) كذا في لسان العرب وفرادي اللالك (ج ٢ ص ٢١٤) وكتاب الحيوان (ج ٣ ص ١٥٧) .
 وفي الأصلين : «الخلاف» . (٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : «من» .
 (٤) النكحة عن مباحث الفكر . (٥) في الأصلين : «الجنادب ... جنيد» ، وهو تحريف .
 (٦) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : «... والبرق» ، وهو تحريف .

وَجُنْدِيَّةٌ تَمْشِي بِسَاقِ كَأَنهَا * عَلَى نَفْذٍ كَالْعُودِ مِنْشَارٌ عَرَعِرَ^(١)
مُمْسَكَةٌ تَجْلُو الْجَنَاحَ كَأَنهَا * عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي عِطَافٍ مَعْتَبِرٍ^(٢)^(٣)



وأما الوزغ وما قيل فيه — والوزغ يسمى "سام أبرص". وزعموا
أنه أصم، وأن السبب في صممه وبرصه أن الدواب كلها حين ألقي إبراهيم
عليه السلام في نار التمرود كانت تُطْفِئُ عنه، وأن هذا كان ينفخ عليه، فصم وبرص.
وروى عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي يدي عكاز فيه زج^(٥)، فقال: "يا عائشة ما تصنعين بهذا؟"
قلت: أقتل به الوزغ في بيتي؛ قال: "إن تفعل فإن الدواب كلها حين ألقي إبراهيم
في النار كانت تُطْفِئُ عنه وإن هذا كان ينفخ عليه فصم وبرص". وفي حديث آخر
عنها رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوزغ الفؤيسق.

قالوا: وفي طبع الوزغ أنه لا يدخل إلى بيت فيه زعفران. والحيات تألف
الوزغ، كما تألف العقارب الخنافس. وهو يطاعم الحيات ويرأفها. وهو يقبل

(١) كذا في ديوانه. والعرع: شجر السرو. وفي الأصلين:

١٥

* على نفذ من عود ميسان عرعر *

(٢) كذا في الأصلين ومباهج الفكر. والممسكة: المطية بالمسك. ولعله يريد أنها سوداء كالمسك.
وفي ديوانه: «مكبة». والمكبة: الحزمة؛ وفي حديث المنيرة: «وقد تكتب بزف في قومه»
أي تحزم وجمع ثيابه.

(٣) كذا في ديوانه. وفي الأصلين ومباهج الفكر: «الصباح»، وهو تحريف.

٢٠

(٤) العطاف: الزداء. (٥) الزجاج: الحديد في أسفل الرخ.

اللقاح فيه، ويبيض كما تبيض الحية . وقيل : إن نصيبه من السم نصيب متوسط ، لا يكمل أن يقتل ، ومتى دبر جاء منه سم قاتل . ومتى قُتل ووضع على بخر حية هربت منه . وهو يُقيم في بخره أربعة أشهر الشتاء .

(٢) وقال الشيخ الرئيس : إذا ضُمد به على الشوك والسَّلاء جدَّبه ، وعلى التَّاليل (٣) يقلعها . قال : وقيل : إن المحفَّف منه إذا خلط بالزيت أنبت الشعر على القرع . وبولُه ودمه عجيب النفع من فتق الصَّبيان إذا جلسوا في طبيخه . وقد يُعمل في بوله أودمه شيء من المسك ويُعمل في إحليل الصبي فيكون بالغ النفع في الفتق . وقيل : إن كبده تُسكن وجع الضرس ، وتُسق وتوضع على لسع العقرب فيسكن .



وأما الضب وما قيل فيه — قال الجاحظ في كتاب الحيوان : إن من أعاجيب الضب أن له أيرين وللضبة حرين ؛ قال : وهذا شيء لا يعرف إلا لها . هذا قول الأعراب في تخصيصهما بذلك . وقالت الحكماء : إن السقنور

(١) دبر : شاخ وول .

(٢) السلاء (بضم السين وتشديد اللام) : شوك النخل .

(٣) التاليل : جمع تلول وهو خراج يكون بحجم الانسان ناتي صلب .

(٤) كذا في كتاب القانون (ج ١ ص ٣٨٩ طبع بولاق) . وفي الأصلين : « واذا جلسوا ... الخ » .

وظاهر أن الواو زيادة من الناصح .

(٥) السقنور : حيوان شديد الشبه بالورل ، وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء ؛ ولذلك قيل له

الورل المائي . وهو يفتنى في الماء بالمسك وفي البر بحيوان آخر كالعظايات . وهو مما يتولد من ذكر

وأني . ويوجد للذكور بالتشريح خصيتان تخصي الديوك في خلقتهما ومقدارهما وموضعهما . وإنانه تبيض

فوق العشرين بيضة وتدفته في الرمل فيكمل كونه بجمارته . (راجع مفردات ابن البيطار ج ٣ ص ٢٠ ،

وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٨) .

له أيران، والحردون كذلك . قال : وقال جالينوس : الضب الذى له لسانان يصلح لحمه
لكذا وكذا . وما يستدل به على أن للضب أيرين قول الفزاري :

سَبَحْلٌ لَهُ نِزْكَانٌ كَانَا فِضِيلَةً * عَلَى كُلِّ حَافٍ فِي الْبِلَادِ وَنَاطِلٍ ^(١)

وأسم أير الضب : النزك . وسئل أبو حية الثميري عن ذلك ، فزعم أن أير الضب ^(٢)
كلسان الحية ، الأصل واحد والفرع آثان . ولأثنى مدخلان . وعلى ذلك أنشد
الكسائي رحمه الله تعالى :

تَفَرَّقْتُ لِمَا لَزِمْتُ قَوْمَ وَاحِدٍ * تَفَرَّقُ أَيْرُ الضَّبِّ وَالْأَصْلُ وَاحِدٌ

ويقال : إن الضبة إذا أرادت أن تبيض حفرت في الأرض حفرة ثم رمت
بالببيض فيها وطمنتها بالتراب ، وتتعاده كل يوم حتى يخرج ، وذلك في أربعين يوماً .
وهي تبيض سبعين بيضة وأكثر . وبيضها يشبهه بيض الحمام . ويخرج الحسل ^(٣)
وهو مطبق للكسب .

قالوا : والضب يخرج من مجره كليل البصر ، فيجلوه بالتحديق في الشمس .
وهو يفتدى بالنسيم ، ويعيش يبرد الهواء ، وذلك عند الحرم .

قال الجاحظ : وزعم عمرو بن مسافر : أن الضبة تبيض ستين بيضة وتسد
عليهن باب الجحر ثم تدعهن أربعين يوماً ، فينفقص البيض ^(٤) ويظهر ما فيه ، فتحفر
عتهن عند ذلك . فإذا كشفت عنهن أحضرن ^(٥) وأحضرن في أثرهن ، فتأكل

(١) الحردون : دوية تشبه الضب .

(٢) السبعل (وزان قطر) : الضخم من الضب والبعر والسقاء والجارية .

(٣) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصلين : « يزعم » .

(٤) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٣٦) . وتفقصت البيضة عن الفرج : انقلقت عنه .

وفي الأصلين : « فينفضض » . (٥) أحضرن : عدون .

ما أدركت منهن . ويحفر المتفليح منها لنفسه مجحراً ، ويرعى من البقل . فغذاك توصف
بالعقوق . ويضرب به المتل في أكل حسوله . وفي ذلك يقول الشاعر :

أكلت بينك أنكل الضب حتى * تركت بينك ليس لهم عديداً

قالوا : وفي ذنب الضب من القزة ما يضرب به الحية فربما قطعها . والضب
طويل العمر . وفي طبعه أنه يرجع في قيئه . وهو شديد الإعجاب بالتمر . ويقال :
إنه يمكث ليلة بعد الذبح ثم يقرب إلى النار فيتحرك .

قال الجاحظ : وزعمت العرب أن الضب يعد المقرب في مجمره ؛ فإذا سمع
صوت الحرش استنفرها فألزقها بأصل عجب ذنبه وضمه عليها ، فإذا أدخل الحارش
يدّه ليقبض على أصل ذنبه لسعته . وقيل : بل العقارب تألف الضباب وتسالما
وتأوى إليها . قال التيمي :

أتانس بي وبجرّك غير تجري * كما أنس العقارب والضباب^(٤)

والضب من الحيوان المأكول ؛ إلا أن العرب تعبرني تيم بأكل لحم الضب .
والدليل على إباحته ما جاء في الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان في بيت مميونة رضي الله عنها ، فقدمت له مائدة وعليها ضب مشوي ،
فأهوى بيده لياكل منه ؛ فقبل له : يا رسول الله ، إنه ضب ؛ فرفع يده . فقال له

(١) حرش الضب : صيده ، وذلك أن الصائد يحك الحجر الذي هو فيه ويتحرش به ، فإذا أحس
الضب حبه لعباناً فأخرج إليه ذنبه ، فيصطاده .

(٢) كذا في كتاب الحيوان . واستنفرها : جعلها بين نخذه . وفي الأصلين : « استنفرها » بالثون ،
وهو تصحيف .

(٣) العجب (بالفتح والضم) : أصل الذنب وعظمه ، وهو المعصص .

(٤) رواية كتاب الحيوان : « كايين ... الخ » .

(٥) كذا في صحيح البخاري ومسلم (في كتاب الدباغ) . وفي الأصلين : « بيت أم حبيبة » .

خالد بن الوليد : يارسول الله ، أحرامٌ هو ؟ قال : ”لا ولكنه ليس في بلاد قومي فانا لا آكله“؛ فأكله خالد بن الوليد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهه؛ ولو كان حراما لنهاه صلى الله عليه وسلم عن أكله ولأخبر بتحريمه لما سُئِلَ عنه .

وقال أبو نؤاس يعيرُ بأكل الضبِّ :

إذا ما تيمىُّ أُنَاكَ مُفَاخِرًا * فُقِلَّ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفٍ أَكُلَكَ لِلضَّبِّ ^(١)

وقال عمرو بن الأَهمِّ من أبيات : ^(٢)

وَرَدَدْنَا هُمُ إِلَى حَرَّتِهِمْ ^(٣) * حَيْث لَا يَأْكُلُونَ غَيْرَ الضَّبَابِ

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : زَبْلُ الضَّبِّ نَافِعٌ لِيَبَاضِ الْعَيْنِ ، وَيَنْفَعُ

من نزول الماء .

١٠ . وقد وصفه الجَمَانِيُّ فقال وذكر أرضًا :

تَرَى ضَبًّا مُطْلِعًا رَأْسَهُ * كَمَا مَدَّ سَاعِدَهُ الْأَقْطَعُ

لَهُ ظَاهِرٌ مِثْلُ بَرْدِ مَوْشَى ^(٤) * وَبَطْنٌ كَمَا حَسَرَ الْأَصْلَعُ

هُوَ الضَّبُّ مَا مَدَّ سُكَّانَهُ * وَإِنْ ضَمَّهُ فَهُوَ الضَّبُّ دُعُ

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عَدَّ عَنِّي ... » .

(٢) هو عمرو بن سنان بن سميّ من بني تميم . وسمى أبوه سنان الأهمِّ لأن قيس بن عاصم المقرئ ضربه بقوس فهمت فهُ . وأخوه عبد الله بن الأهمِّ جدُّ خالد بن صفوان . وهو جاهلٌ إسلامي ، وكان في الجاهلية يدعى المكمل بجماله ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (انظر الشعر والشعراء ص ٤٠١ طبع أوروبا) .

(٣) الحزة : أرض ذات حجارة نخبرة سود كأنها أحرقَت بالنار .

٢٠ . (٤) في الأصلين : « برد الوشى » .



وأما الحِرْبَاءُ وما قيل فيها — والحِرْبَاءُ لها أصابع، وأظنها لتبش التراب .
 ولونها أسود وأصفر ومختلط الألوان كالفهد . وهذه التسمية تقع على ذكورها
 وإناثها^(١) . والحرباء إذا كان في الشمس كان كثير التلؤن ، فإذا انتقل إلى الظل
 كان أقل تلؤنا . وإذا قارب الموت أو مات أصفر . وهو أبداً يطلب الشمس ،
 فإذا طلعت وجهه وجهه نحوها . فمتى غاب عنه جرمها فلا يراها أصابه نوع من
 الجنون . وإذا غابت الشمس ذهب ليطلب معاشه ليلته كده حتى يصبح . ولسانه
 طويل جداً ، يقال : إنه مقدار ذراع ، فهو يبلغ به ما بعد عنه من الذباب . والأثني
 منه تُكنى أم حيين . وهو يُوصف بالحزم لأنه حيث ينظر إلى الشمس يقبض بيده
 على خُوطٍ ، فإذا تقلب نحو الشمس حيث مامالت [لا] يرسل ذلك الخُوط من يده
 حتى يقبض بيده الأخرى خُوطاً آخر . وفيه يقول الشاعر :

أنى أتيسح له حرباءٌ تنضبة * لا يرسلُ الساق إلا ممسكاً ساقاً^(٢)
^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦)

(١) ذهب المؤلف هنا إلى أن الحرباء يطلق على الذكر والأنثى من هذا النوع من الحيوان . ولهذا
 صح له أن يرجع الضمير إليه مؤنثاً مرة ومذكراً أخرى . والذي في اللسان : أن الحرباء ذكر أم حيين ،
 وأنه يقال للأثني حرباءة .

(٢) الخوط : الفصن الناعم . (٣) التكة عن مباحج الفكر .

(٤) هو أبو دواد الإيادى ، كما في لسان العرب (مادة حرب) .

(٥) ذكر صاحب لسان العرب (مادة حرب) بعد أن استشهد بهذا البيت مانصه : « قال ابن بري :
 هكذا أشد الجوهري ، وروايت إنشاده : أنى أتيسح لها ... لأنه وصف ظننا ساقها وأزعجها ساق مجدة .

فمجب كيف أتيسح لها هذا الساق المجدة الحازم » . ٥١ . ورواية المخصص : « لكم » .

(٦) التنضب : شجر له شوك قصار ، وليس من شجر الشواقي ، تألفه الحرابي .

(١) وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه يلومه على مُقامه بوطنه حين نبا به ؛ فقال من رسالة :

« أَعْجَزَتْ فِي الْإِبَاءِ ، عَنْ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ ؛ أَدَلِّي لِسَانًا كَالرِّشَاءِ ، نَبْلُغُ بِهِ مَا يَشَاءُ ؛ وَنَاطَ هَمَّتَهُ بِالشَّمْسِ ، مَعَ بُعْدِهَا عَنِ اللِّسِّ ؛ وَأَنْفٌ مِنْ ضَيْقِ الْوَجَارِ ، فَفَرَّخَ فِي الْأَشْجَارِ ؛ وَسَمُّ الْعَيْشِ الْمَسْخُوطِ ، فَاسْتَبَدَلَ خُوطًا بِخُوطِ ؛ فَهُوَ كَالْخَطِيبِ ، عَلَى الْفَصَنِ الرُّطِيبِ .

وإن صواب الرأي والحزم لأمرئ * إذا بلغت الشمس أن يتحول
وقال ذو الرمة :

كأن يدي حربائها متشمسا * يدا مذنب يستغفر الله تائب^(٢)

وقال فيه أيضا :

وقد جعل الحرباء يصفق لونه^(٣) * وتخضرت من لفتح الهجير غباغبه^(٤)
ويشبح بالكفتين شبحا كأنه * أخو جفرة عالى به الخدع صالبه^(٥)

(١) في الأصلين : « حيث » . (٢) كذا في ديوانه (ص ٥٩ طبع أوربا) واللسان (مادة شمس) . وفي الأصلين : ومباحج الفكر « محرم » بالخاء المهملة . وفي الحيوان للمباحظ (ج ٦ ص ١٢١) : « محرم » بالجيم المعجمة .

(٣) في ديوانه (ص ٤٧) واللسان (مادة غيب) : « يبيض رأسه » .

(٤) الغباغب : جمع غيب ، وهو ما تفضن من جلد منبت العثون (الذقن) الأسفل ، وخص بعضهم به الديكة والشاة والبقر ، واستعاره العجاج في الفحل فقال :

* بذات أثناء تمس النعيبا *

(يعنى شقشقة البعير) كما استعير هنا الحرباء .

(٥) كذا في ديوانه . وشح يديه يشحهما : مدهما . وشح الحرباء على العود : امتد . وفي الأصلين :

« ويسبح ... سبحا » بالسين المهملة في الكلبيين ، وهو تصحيف .

وقال فيه أيضا :

يُصَلِّي بِهَا الْحَرْبَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلًا * عَلَى الْجِدْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ^(١)
إِذَا حَوَّلَ الظِّلَّ العِشْيَ رَأَيْتَهُ * حَنِيفًا فِي وَقْتِ الضُّحَى يَنْتَصِرُ^(٢)

*
* *

وأما ابن عرس وما قيل فيه — وأبن عرس من حيوان البيوت ، وهو حديد النفس شجاع فطن . وأكثر ما يكون بمصر في المنازل . وله صوت قوي يدل على شجاعته . وقيل : إنه الحيوان المسمى "بالدلق"^(٤) ، وإنما يختلف وبره ولونه بحسب البلاد . وفي طبعه أنه يسرق ما يظفر به من الذهب والفضة ، وأنه متى وجد حبوباً متفرقة خلطها . وهو عدو الفأر يصيده ويقتله ، والفأر يخافه .

وقال الجاحظ : وأبن عرس يُقاتل الحية ؛ وإذا قاتلتها بدأ بأكل السداب ؛ لأن الحية تؤلمها رائحة السداب ؛ كما قدمنا . وأبن عرس يفعل في الطير ما يفعل الذئب في الغنم من الذبح . وهو إذا عجز عن الوصول إليها أستدار بعجزه وفسا إلى جهتها ، فرما قتل الفرائح رائحة فسانه .

(١) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه (ص ٢٢٩ طبع أوربا) واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٠) : « يظل ... * على الجذل » .

(٢) قال في اللسان (مادة حول) : « يعني تحوّل . هذا إذا وضعت الظل على أنه الفاعل وفتحت العشي على الطرف . ويروي الظل العشي (بنصب الظل ورفع العشي) على أن يكون العشي هو الفاعل والظل مفعولاً به . قال ابن بري : يقول : إذا حوّل الظل العشي وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار الحرباء متوجهاً للقبلة فهو حنيف ؛ فإذا كان في أول النهار فهو متوجه للشرق لأن الشمس تكون في جهة المشرق فيصير منتصراً ؛ لأن النصارى توجه في صلاتها جهة المشرق » .

(٣) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ : « وفي قرن الضحى » . (٤) هو معرب « دله » بالفارسية .

ومن ذكائه وفطنته ما حكي : أن رجلا صاد فرخًا منها فجعله في قفص ؛ فرأته أمه فذهبت وعادت بدينار في فيها فالقته بين يدي الرجل كأنها تريد فداء ولدها منه به ، فتركه ولم يتناوله ، فذهبت وأتت بدينار آخر فلم يأخذه ، فلم تزل تذهب وتعود في كل مرة بدينار إلى نحسة دنانير وهو لا يمسك الذهب ، فذهبت وعادت بصر فارغة وألقها بين يديه كأنها تقول : إنه لم يسبق شيء ؛ فلم يطلق ولدها ولا ضم الدنانير . فلما رأته على ذلك عمدت إلى دينار منها فأخذته وعادت به إلى بحرهما ؛ فخشي أن تفعل ذلك ببقية الدنانير ، فأخذها وأطلق فرخها ؛ فأعدت إليه الدينار .

وقالت الحكماء : لم أبو عرس نافع من الصرع . والله أعلم .^(١)



وأما القنافة وما قيل فيها — وواحدُها قنفذ . وهي صنفان : قنفذ ودلّ . فالقنفذ يكون بأرض مصر في قدر الفار . والدلّ يكون بالشام والعراق وخراسان في قدر الكلب القلطي .^(٢) ويقال : إنه يسفد قائمًا^(٣) ويطن الأثني لاصق بطن الذكر . والأثني تبيض نحس بيضات ؛ وليس هو كالبيض الذي له قشر يابس بل هو شبيه باللحم . وتصرف القنافة بالليل أكثر من تصرفها بالنهار . قال أيمن بن حريم :

كقنفذ الرمل لا تخفى مدارجه * حتى إذا نام عنه الناس لم ينم

(١) هذه العبارة ساقطة من « ب » . (٢) القلطي (كربي) : القصير .

(٣) كذا في الأصول . وفي مباحج الفكر : « يسفد قائمًا وظهر الأثني لاصق بظهر الذكر » .

وفي حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٣١٣) : « تسفد قائمًا وظهر الذكر لاصق بطن الأثني » .

والظاهر أن جميع الروايات محتملة .

والقنْفُدُ يَسْتَأْنِسُ فِي الْبُيُوتِ ، وَيَخْتَفِي أَيْبَاءً ثُمَّ يَظْهَرُ . وَهُوَ إِذَا جَاع صَعِدَ إِلَى
الْكُرُومِ وَقَطَعَ الْعِنَاقِيدَ وَرَمَى بِهَا ثُمَّ يَتْرَلُ فَيَأْكُلُ مِنْهَا مَا أَطَاعَ ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ فِرَاحٌ
تَمْتَرُ عَلَى مَا بَقِيَ فَيَسْتَبِيكُ فِي شَوْكِهِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ تَفْرِيطِهِ مِنْ عُمُشُوشِهِ ^(١) ، وَيَذْهَبُ بِهِ
إِلَى فِرَاحِهِ . وَهُوَ مَوْلَعٌ بِأَكْلِ الْأَفَاعِي ، وَلَا يُبَالِي قَبْضَ عَلَى رَأْسِهَا أَوْ غَيْرِهِ مِنْ بَدَنِهَا ،
فَإِنَّهُ إِنْ قَبِضَ عَلَى رَأْسِهَا أَكَلَهَا بِغَيْرِ كُفْلَةٍ عَلَيْهِ وَلَا مَشَقَّةٍ ؛ وَإِنْ قَبِضَ عَلَى وَسْطِهَا
أَوْ ذَنْبِهَا أَسْتَدَارَ وَتَجَمَّعَ وَنَفَخَ بَدَنَهُ ، فَتَمَّتْ ضَرْبَتُهُ أَصَابَهَا شَوْكُهُ ، فَهِيَ تَهْرَبُ مِنْهُ ؛
وَطَلَبُهُ لَهَا بِقَدْرِ هَرَبِهَا مِنْهُ .

وَالدُّلْدُلُ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُهُ أَنْقَبِضَ فَيُخْرِجُ مِنْهُ شَوْكًا كَالْمَدَارِي فِي طَوْلِ الشَّيْبِ ،
فَيَجْرَحُ مَا يُصِيبُهُ مِنَ الْحَيَوَانِ . وَيَقَالُ : إِنْ شَوْكُهُ شَعْرٌ ، وَإِنَّمَا مَا غَلُظَ وَقَلَبَ
عَلَيْهِ الْيُبْسُ صَارَ شَوْكًا .

وَقَالَ أَبُو سَيْنَا : فِي رِمَادِ الْقُنْفُودِ جِلَاءٌ وَتَحْلِيلٌ . وَمِنْهُ يَنْفَعُ مِنْ دَاءِ الْفِيلِ .
وَلِحْمُهُ يَنْفَعُ مِنَ الْجُدَامِ ؛ لِشِدَّةِ تَحْلِيلِهِ وَتَجْفِيفِهِ . وَلِحْمُهُ أَمْلَحٌ يَنْفَعُ مِنَ الْفَاجِ وَالنَّشْجِ
وَأَمْرَاضِ الْعَصَبِ كُلِّهَا وَدَاءِ الْفِيلِ ، وَيَنْفَعُ مِنَ السَّلِّ وَمِنْ سُوءِ الْمِزَاجِ . وَمَمْلُوحُهُ مَعَ
السُّكَيْنِجِ ^(٢) جَيِّدٌ لِلْأَسْتِسْقَاءِ وَوَجَعِ الْكُلَى ، وَيَنْفَعُ مَنْ يَبُولُ مِنَ الصَّبِيَّانِ فِي الْفِرَاشِ ؛
حَتَّى إِنْ إِدْمَانَ أَكَلَهُ رُبَّمَا عَسَرَ الْبَوْلَ . وَلِحْمُهُ يَنْفَعُ مِنَ الْحُمِيَّاتِ الْمَزْمِنَةِ وَمِنْ نَهْشِ
الْهُوَامِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

(١) كَذَا فِي السَّانِ (مَادَةُ عَمَشٍ) . وَالْعَمَشُوشُ : الْعَقُودُ يُؤْكَلُ مَا عَلَيْهِ وَ يَتْرَكُ بَعْضُهُ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ :

« عَرْمُوشَةٌ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) لَعَلَّهُ يُرِيدُ أَنَّ لِحْمَهُ الْمَمْلُوحُ يَنْفَعُ مِنْ دَاءِ الْفِيلِ ، وَيَصْرِحُ بِذَلِكَ فِي السُّطْرَيْنِ التَّالِيَيْنِ .

(٣) السُّكَيْنِجُ (بَهْتِجِ السَّيْنِ وَالنُّونِ مَعْرَبٌ سَكِينِيَّةٌ) : نَبَاتٌ شَبِيهُ بِالْخِيَارِ لَهُ صَمِغٌ ، وَهُوَ دَوَاءٌ .

- وقد وصفه البلغاء والشعراء في رسائلها وأشعارها - فمن ذلك ما قاله الأمير شمس المعالي^(١) من رسالة كتبها إلى بعض أصدقائه وقد أهدى له دُلْدُلًا : « قد أنحفنك يا سيدي بعلقي نفيس ، وثحفني رئيس ؛ يتعجب المتأمل من أحواله ، ويحار الناعت في أوصافه وأعماله ؛ ويتبدل المتعبد في آياته ، ويكفل الناظر في معجزاته ؛ فما يدري بيديته النظر والفؤاد ، أين الحيوان هو أم من الجناد ؛ حتى إذا أعطى متدبره النظر أوفى حقوقه ، والفحص أكل شروطه ، علم أنه كفى سلاحه في حضنيه ، ورام سهامه في ضمنه ؛ ومقاتل رماحه على ظهره ، ومقاتل ميرته خلاف جهره ، ومحارب حصنه من نفسه ؛ يأقاك بأخشن من حد السيف ، ويستربأئين من وبر الخيف^(٢) . متى جمع أطرافه ، وضم إليه أصوافه ؛ حسبته رابية ناتية ، أو تلمعة بادية . وهو أمضى من الأجل ، وأزى من بنى نعل^(٣) . إن رأته الأرقام رأته حتف نفسها ، أو عاينته الأسود أيقنت بقاء جنسها ؛ صعلوك ليل لا يحجم عن دأيسه ، وفارس ظلام لا يخاف من حناديسه ؛ فيه من الضب مثل ، ومن الفار شكل ؛ ومن الورل نَسَب ، ومن الدلدل سبب . ومن أوابده أنه يسود إذا هيرم وشاب ، ويصير كأ كبير ما يكون من الكلاب .

- ١٥ (١) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي ، كان أميراً بخراسان وبلاد الجبل وطبرستان . توفي مقتولاً في سنة ٥٠٣ هـ ودفن بظاهر بخراسان . جمع رسائله العلامة عبد الرحمن بن علي الزيدادي ، وقد طبعت بمصر سنة ١٣٤١ هـ مع ترجمة المؤلف وسيرته وترجمة جامعها . (٢) الخيف : جلد الضرع . (٣) بنو نعل : حى من طي ، وهو نعل بن عمرو بن العوث ، وهم الذين عناهم أمرؤ القيس بقوته :

وقال أبو محمد اليزيدي [يذكر قنفذاً رآه ، فأطعمه وسقاه] :
(١) (٢)

وطارقٍ ليلٍ جاءنا بعد هجعة * من الليل إلا ما تحدث ساهرٌ
قريناه صَفَوَ الزاد حين رأيتُه * وقد جاء خَفَاقَ الحَشَى وهو سادرٌ^(٣)
جميلُ الحَيَا في الرِّضا فاذا أبى * حَمته من الضَّيْمِ الرِّمَاحُ الشَّوَّاحِرُ^(٤)
ولست تراه وإضْعافاً لسلاحه * مَدَى الدهر موتوراً ولا هو وأترُ

وقال [آخر] من أبيات يرثيه فيها ويصفه :
(٢)

عجبتُ له من شَهِيمٍ متحصينٍ * ينبلُ من السردِ المضاعفِ تبرقُ^(٥)
وأنى أهدى سهمُ المنيةِ نحوه * وفي كلِّ عَضْوٍ منه سهمٌ مفوقُ^(٦)
ولو كان كُفُّ الدهرِ تستخشن الردى * لكان بكفِّ الدهرِ لا يتعلقُ

وقال أبو بكر الخوارزمي يصفه :
(٧)

ومدجج وسلاحه من نفسه * شاكي الدواير أعزل الأقبالِ

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد مولى بني عدى بن عبد مناة . قيل له اليزيدي لأنه صحب
يزيد بن منصور خال المهدي مؤدباً لولده فنبأ إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للأمن . وكان صحيح
الرواية ثقة صدوقاً ، من أكابر القراء وأديبا شاعرا مجيدا . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن أربع وستين سنة .
(راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٨٩ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٤١٤ طبع مصر
وتاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤١ طبع بولاق) . (٢) الزيادة عن مباهج الفكر .

(٣) السادر : المنحبر . (٤) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : « أنى » بالثاء
المنناة من فوق وهو تصحيف . (٥) الشيم : ذكر القنفذ . (٦) كذا في مباهج
الفكر . والسرد : اسم جامع للدروع . وفي الأصلين : « السود » بالواو ، وهو تحريف .

(٧) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي أحد الشعراء المجيدين . كان يجمع بين الفصاحة العجيبة
والبلغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم
بكل فادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة . أقام بالشام مدة ، وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره .
ومن الملح والنوادر التي تحكى عنه : أنه قصد صاحب بن عباد وهو بأرجان ، فلما وصل إلى بابه قال لأحد =

يُمسِي وَيُصْبِحُ لَمْ يُفَارِقْ بَيْتَهُ * وَلَقَدْ سَرَى عَدَدًا مِنَ الْأَمْيَالِ
 وَتَرَاهُ يَكُنُّ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ * فَتَطِيشُ عَنْهُ أَسْهُمُ الْأَهْوَالِ
 عَيْنَاهُ مِثْلَ النَّقْطَيْنِ وَخَطْمُهُ * يَجْحَى نُجْدَى رِضَاعَةِ الْأَطْفَالِ
 وَكَأَنَّ أَفْلَامًا غُرِزْنَ بِظَهْرِهِ * مَسَّ الْمِدَادُ رُءُوسَهَا بِبِلَالِ
 تَهَارَبُ الْحَيَاتُ حِينَ يَرِيئُهُ * هَرَبَ اللَّصُوصِ رَأَتْ سَوَادَ الْوَالِي
 وَكَأَنَّهُ الْخَزِيرُ إِلَّا جِلْدَهُ * وَصِيَا حَهُ وَتَقَارَبَ الْأَوْصَالِ



وَأَمَّا الْفِرَانُ وَمَا قِيلَ فِيهَا — قَدْ سَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْفَوَيْسِقَةَ ، وَالْفَارُ ضُرُوبٌ تَقَعُ عَلَى جَمِيعِهَا هَذِهِ التَّسْمِيَةُ وَهِيَ ” الْجُرْدُ “
 و” الْفَارُ “ معروفان — وهما كالجواميس والبقر — و” الزَّبَاب “ و” الخُلْدُ “
 و” اليربوع “ و” فَاةُ الْبَيْشِ “^(١) و” فَاةُ الْمِسْكَ “ و” فَاةُ الْإِبِلِ “ .

١٧

فَأَمَّا الْجُرْدُ وَالْفَارُ — وهما من حيوان البيوت والبر. قال المتكلمون في طبائع
 الحيوان : إنَّ الْفَارَ مِمَّا جُمِعَ لَهُ بَيْنَ حَاسَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ . وليس في الحيوان
 أفسدُ منه . ومن فساده أنه يحمد قارورةَ الدُّهْنِ وَهِيَ ضَيْقَةُ النَّصِّ فَيُدْخِلُ ذَنْبَهُ فِيهَا

- ١٥ = حجاب : قل للصاحب : على الباب أحد الأدياء . وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ؛ فقال
 صاحب : قل له : قد أزلت نفسي ألا يدخل عليّ من الأدياء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر
 العرب ، نفج إليه الحاجب وأعلمه بذلك . فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم
 من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ؛ فقال صاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له
 في الدخول فدخل عليه ففرقه وانبط له . وأبو بكر هذا له ديوان رسائل وديوان شعر . ولد سنة ٥٣٢٣ هـ
 وتوفي في شوال سنة ٥٣٨٣ هـ (راجع يتيمة الدهرج ٤ ص ١١٤ — ١٥٤ وتاريخ ابن خلكان ج ١
 ص (٧٤٦) . (١) اليش : نبات سام تأكله هذه الفأرة ولا يضرها .

وَيَمْتَصُّهُ . فَإِنْ قَصُرَ ذَنْبُهُ عَنِ بُلُوغِ الدَّهْنِ عَمَدَ إِلَى النَّوَى والأشجار الصغار فيلقبهما فيها، فيطفو ما فيها فيمتصه بذنبه، ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يتفقد جميع ما فيها . وهو إذا سَرَقَ البَيْضَ يَمِجْزُ عَنْ كَمَرِهِ بِسَنَّةٍ ، فَيُدْرَجُ البَيْضَةُ إِلَى أَنْ تَسْقُطَ مِنْ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ إِلَى مُسْتَفِيلٍ فَتَنْكَسِرُ ؛ فَإِنْ عَجَّزَهُ ذَلِكَ اسْتَعَانَ بِقَارِ آخِرِ فِعْتَنَقِهَا أَحَدُهُمَا بِيَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ وَيَقْلِبُ عَلَى قَفَاهُ ؛ وَيَقْبِضُ الآخَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَتَسَلَّقُ بِهِ فِي حَائِطٍ ؛ فَإِذَا ارْتَفَعَ بِهِ عَنِ الأَرْضِ أَلْقَاهَا الحَامِلُ لَهَا فَتَنْكَسِرُ فَيَأْكُلَانِهَا جَمِيعًا . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مِنْ شَاهِدِهِ . وَالمَثَلُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الفَسَادِ وَالسَّرِقَةِ وَالنَّسْيَانِ وَالحَذَرِ . وَفِي طَبْعِ الجُرْدِ البَرِّيِّ وَعَادَتِهِ أَنَّهُ لَا يَمِجِرُ بَيْتَهُ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ خَوْفًا مِنَ الحَافِرِ (١) [أَنْ يَهْدِمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ] . وَيَقَالُ : إِنَّهُ يُخَلِّقُ مِنَ الطِّينِ ، وَإِنَّهُ يَتَوْلَدُ بَارِضٍ مِصْرٍ إِذَا نَضَبَ مَاءَ النَّيْلِ عَنْهَا . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ مَبَاهِجِ الفِكْرِ : إِنَّهُ رَأَى ذَلِكَ عِيَانًا فِي سَفَطِ مِيدُومٍ مِنْ جِيْرَةِ مِصْرٍ .

وقال الجاحظ: لعمرى إن جردان أنطاكية لتساجل السنانير في الحرب، ولا تقوم لها ولا تقوى عليها إلا الواحد بعد الواحد . قال : وهي بحراسان قوية جدًا، وربما قطعت أذن النائم . قال : ومن الفأر ما إذا عضَّ قتل . قال : ومن الأعاجيب

(١) الحافر من الفرس والبغل والحمار: كالقدم من الإنسان . (٢) الزيادة عن مباحج الفكر . (٣) هذه العبارة نقلها المؤلف عن مباحج الفكر، وهي عبارة الجاحظ في الحيوان ونصها: «وقد أنكرنا أن تكون الفأر تخلق إلا في أرحام إناثها من أصلاب ذكورها ومن أرحام بعض الأرضين كطيبة الفاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأرة لم يتم خلقها بعد وإن عينها لتباصن ثم لا يريون حتى يتم خلقها وتشتد حركتها» . (٤) يلاحظ أنا لم نجد في مباحج الفكر في كلامه عن الفأر شيئاً من ذلك . (٥) سفظ ميدوم: قرية من مديرية بني سويف بقسم الزاوية (وهي الآن إحدى قرى مركز الواسطة) وراقعة غربي النيل بالقرب من الجبل الغربي وفي الجنوب الغربي لناحية الرقة بنحو ألفين وستمائة متر . وأكثر مبانيها بالآجر وبها جامع، وهي على تلوق قديمة . وفي غربها على بعد سبعمائة متر بالجبل الغربي هرم عظيم يضاف إلى اسمها . (راجع الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٣٩) .

في قرض الفأر أن قوماً من أهل الفِراسة ينظرون إلى قرضه ويتفرضون منه أحوالاً .
 ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى فقرض الفأر مسخاً له كان يجلس
 عليه ، فبعث به ليرفأ ؛ فقال لهم الرِّفاء : إن هاهنا أهل بيت يعرفون بقرض الفأر
 ما ينال صاحب المتاع من خير وشر ، فما عليكم أن تعرضوه عليهم قبل إصلاحه ؟
 فبعث المنصور إلى شيخهم ؛ فلما نظر إلى موضع القرص وثب قائماً ثم قال : من
 صاحب هذا المسح ؟ فقال المنصور : أنا ؛ فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين
 ورحمة الله وبركاته ؛ والله لتلين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً .

وفي الفأر منافع ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا ، فقال : دمُّ الفأر يقطع التآليل ،
 ويزيله نافع على داء الثعلب وخصوصاً لطحاً بالعسل ، وخصوصاً المحرق . قال :
 وإذا سُوي الفأر وجفَّ وأطعم الصبي أنقطع سيلانُ الأعاب من فمه . قال : وآتفق
 الناس أن الفأر إذا شقَّ ووضع على لدغ العقرب نفع . والله أعلم .

وقد وصف الشعراء الفأر وشبهوه في أشعارهم وذكروا سوء فعله . فمن ذلك
 قولُ أعرابي [وقد دخل البصرة فأشترى خبزاً فأكله الفأر] :^(١)

تَجَلَّ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ * لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْحِرَابِ

حتى يُعْجَبَنَّ إِلَى التَّبَابِ * تُحَلُّ الْعِيُونَ وَقَصُّ الرِّقَابِ^(٢)

مُجَرَّرَاتٍ فَضَّلَ الْأَذْنَابِ * مِثْلَ مَدَارِي الطُّفْلِ الْكَمَّابِ^(٣)

(١) الزيادة عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ص ١٨٤ من الجزء الثاني المخطوط والمحمفوظ

بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦٤ أدب) .

(٢) وقص : جمع أوقص . والوقص (بالتحريك) : قصر العنق .

(٣) المدارى : جمع مدرأة ، وهي شيء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط

وأطول منه ، يسرح به الشعر المتلبد .

كيف لها بأَمْسِرٍ وَنَابٍ * مُنَهَرَتِ الشَّدْقِ حَدِيدِ النَّابِ^(١)
 كأنما يَكْثِرُ عن حِرَابٍ * يَفْرِسُهَا كَالْأَسَدِ الْوَنَابِ

وقال أبو بكر الصنوبري^(٢) :

يَلْحُدُّبِ الظُّهُورِ قُعْسِ الرِّقَابِ * لِدِقَاقِ الحُرْطُومِ والأُذْنَابِ^(٣)
 لِلطَّائِفِ آذَانِهَا^(٤) وَالخِرَاطِيدِ * مُمُ حِدَادِ الأظْفَارِ والأَنْيَابِ
 خُلِقَتْ للفسادِ مُذْخِلِ الخَلْدِ * قُوقِ واللَّعِيثِ والأذَى والخِرَابِ
 نَاقِبَاتٍ فِي الأَرْضِ والسَّقْفِ والحَا * يُطِئُ تَقَبًا أَعْيَا على النَّقَابِ
 أَكَلَاتِ كُلِّ المَاكِلِ لَا تَسُدُّ * أَمُّهَا شَارِبَاتِ كُلِّ الشَّرَابِ
 أَلْفَاتٍ قَرَضَ الثِّيَابِ وَقَدِ يَعُدُّ * لِدَلِ قَرَضِ القُلُوبِ قَرَضَ الثِّيَابِ

وقال في فأرة بيضاء :

وفأرة بيضاء لم تُبَدَّلْ * يوماً لإطعام السنانير
 إذ فأرة المسك شمعنا بها * وهذه فأرة كافور

(١) في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٨٠) :

* أهوى لمن أمر الإهاب *

وقد فسر الجاحظ «أمر الإهاب» بالسنور .

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي ، شاعر محسن
 أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار . قدم دمشق وله أشعار في وصفها ووصف متزهاتها . وسئل
 عن السبب الذي نسب جده إلى الصنوبر حتى صار معروفا به فقال : كان جدي صاحب بيت حكمة من
 بيت حكم المأمون ؛ فغرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدة ذكائه وقال له : إنك لصنوبري
 الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحدة المزاج . (راجع تاريخ ابن عساکر ج ١ ص ٤٥٦ طبع الشام) .

(٣) قعس الرقاب : ماثلتها نحو الظهر .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «أذناها» .



وأما الزَّبَابُ — فإنه فأر أصمٌ، يكون في الرمل . والعرب تضرب به المثل في السرقة . يقولون : «أسرقُ من زبابة» .



- وأما الخُلْدُ — فهو أعمى لا يُدرك شيئاً إلا بالشمِّ^(١)، [إلا أن] عينيه كاملتان، لكن الجفن مُدحجٌ على الناظر لا يَنشَقُ . وهو تُرابٌ مستقرٌّ في باطن الأرض ؛ وهي له كالماء للسمك . وليس له على ظهر الأرض قوَّةٌ ولا نشاط ؛ بل يبقى مطروحاً كاليت فتخطفه الجوارح أو يموت . وهو حديدٌ حاسة الشمِّ . ومتى شمَّ رائحةً طيبةً هرب . وهو يحبُّ رائحةَ الكراث والبصل ؛ وربما صيد بهما . ومن دأبه طولُ الكدِّ ودوامُ الحفر . وفي تركيبه أنه لا يُفْرِطُ في الطَّاب ولا يقصِّرُ عنه . وله وقت يظهر فيه لا يُحِطُّه ولا يغلُطُ^(٢) في المقدار . ويضرب به المثلُّ في حدة السمع ؛ فيقال : «أسمع من خُلْدٍ» .



- وأما اليربوع — فهو حيوان طويلُ الرِّجلين ، قصيرُ اليدين جدًّا . وله ذنَبٌ كذب الجُرْدِ، يرفعه صُعداً، في طرفه شبهُ التُّوارة . ولونه لونُ الغزال . ويقال لولده «دِرْصٌ» ، والجمع أدراص . قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : كلُّ دابة حشاها الله خُبئاً فهي قصيرةُ اليدين . وهو يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها

(١) في ب : « بالسمع » . (٢) التكلمة عن مباحج الفكر .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ولا ينلب » بإباء الموحدة . ولعلها « ينلت » بالناء .

له مقام الماء . وهو يُؤثر النسيم ويكزه البخار . وهو يتخذ بُحْره على تَشْرِيز من الأرض ويحفّره ، ويفتح له أبوابا على مهَبِّ الرياح وتُسمى " النَّاقِفاء " و " القاصِماء " و " الدّاماء " و " الرّاهطاء " . فإذا طُلب من أحد هذه الأبواب خرج من الآخر . وهو يَجْتَر ويَعَر . وله كَرِشٌ وأسنان وأضراس . وهو من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس منه . والرئيس منها إذا كان فيها يرتفع عنها فيكون في مكان مُشْرِيف أو على صحرة ينظر منه إلى الطريق . فإن رأى ما يخافه عليها صرّ بأسنانه وصوت ، فتسمعه فتنصرف إلى حجرتها ؛ وإن أغفل ذلك ورأت ما تخافه قبل أن يراه قتلته ، لتضييعه الحزم وغفلته ، ونصبت غيره لرياستها . وإذا أرادت اليرابيع الخروج من حجرتها لطلب المعاش خرج الرئيس قبلها وأشرف ؛ فإذا لم ير ما يخافه عليها صرّ لها وصوت فتخرج . قالوا : ويتولد من اليربوع والفأرة ولدٌ يسمى " القَرَب " .



وأما فأرة المسك — فقال الجاحظ : إنها دويبة تكون في بلاد تبت (٣) تصاد لتؤخفها وسررها . فإذا أصطيدت عُصبت سُرُّها بعصاٍ وهي مدلاة فيجتمع فيها دمها ؛ فإذا اجتمع دُبِحت ، ثم تُقور السرة المعصوبة وتدقن في الشعير حيناً

١٥ (١) في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤٨٠) : « البحار » بالحاء المهملة . وكلتاها غير واضحة .

(٢) ورد في المخصص (ج ٨ ص ٩٢) في الكلام على بحرة اليرابيع : « قال أبو حاتم : هي سبعة : القاصماء ، والناقاء ، والداماء ، والراهطاء ، والناقاء ، والحائيا ، واللنز » . ثم جاء فيه بعد ذلك تفسير لما جميعها . فانظره هناك . وانظر لسان العرب أيضا (مادة نقق) .

٢٠ (٣) تبت (كسر وفيها روايات أخرى) : إقليم ضمن الجمهورية الصينية متاخم للهند يقع منها في شمالها وإلى الجنوب الغربي من الصين الأصلية . وهي هضبة تحترقها الجبال تعتبر أعلى صقع في العالم . ومن أشهر نباتها الكلاب وترعاها الوعول البرية والحمر والأغنام . ومن صادراتها الصوف والمسك .

فِيَسْتَحِيلُ ذَلِكَ الدَّمَّ الْمُخْتَبِقُ الْجَامِدُ مَسْكَاً ذِيَّ بَعْدِ أَنْ كَانَ مُتَبْتَباً . وَيُقَالُ : إِنْ هَذِهِ
 الْفَأْرَةُ تُوْجِدُ فِي بِلَادِ الرَّابِجِ وَتُجَمَلُ إِلَى السَّنَدِ ، وَإِنْ الْمَسْكُ يُخْرَجُ مِنْ خُصْبِيٍّ ذِكُورِهَا
 بِالْعَصْرِ ، وَمِنْ ضُرُوعِ إِيَّانِهَا بِالْحَلْبِ . وَيُقَالُ : إِنْ الْفَارَ الْفَارِسِيُّ أَطِيبُ رِيْحًا مِنْ
 كُلِّ طَيْبٍ ، وَرَبْمَا ضَاهِي رِيْحِ الْمَسْكِ . وَهُوَ أَجْرَدُ أَشْقَرُ ، شَعْرُهُ إِلَى الصُّفْرَةِ ، شَدِيدُ
 تَحَلُّ الْعَيْنَيْنِ ، طَوِيلُ الْأُذْنَيْنِ ، قَصِيرُ الذَّنْبِ .



وَأَمَّا فَأْرَةُ الْإِبِلِ — فَلَيْسَتْ بِحَيْوَانٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ رَائِحَةٌ تَسْطَعُ مِنَ الْإِبِلِ
 عِنْدَ صَدُورِهَا مِنَ الْوَرْدِ يُنْتِجُهَا طَيْبُ الرَّعْيِ . قَالَ الشَّاعِرُ :
 لَهَا فَأْرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ * كَمَا فَتَقُّ الْكَافُورَ بِالْمَسْكِ فَاتِقُهُ



وَأَمَّا الْقُرَادُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — فَقَدْ قَالُوا : أَوَّلُ مَا يَكُونُ "فَقْمَامَةً"^(٤) وَهُوَ
 الَّذِي لَا يَكَادُ يَرَى مِنْ صِفْرِهِ ، ثُمَّ يَصِيرُ "حَمَانَةً" ثُمَّ يَصِيرُ "قُرَادًا" ، ثُمَّ يَصِيرُ "حَامِلًا" .
 وَيُقَالُ لِلْقُرَادِ : "الْعَلُّ" و"الطَّلْحُ" و"الْقَتِينُ" و"الْبُرَامُ" و"الْقِرْشَامُ" .

(١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ وَيَاقُوتَ . وَالرَّابِجُ : جَزِيرَةٌ فِي أَقْصَى بِلَادِ الْهِنْدِ وَرَأَى بَحْرَ هَرَكُنْدَ فِي حُدُودِ
 الصِّينِ ، يُوْجَدُ بِهَا فَارُ الْمَسْكِ وَالزَّبَادِ (دَابَّةٌ شَبَّهَ الْهَزْرَ) . وَفِي ١ « الرَّابِجِ » . وَفِي ١٥ « الرَّابِجِ » ،
 وَكِلْتَاهُمَا تَصْغِيفٌ . (٢) هُوَ الرَّاعِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَادَةٌ فَارٌ) . وَاسْمُهُ عَيْدُ بْنُ حَصِينِ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 مِنْ بَنِي نَمِيرٍ . وَسَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِالرَّاعِي أَنَّهُ كَانَ يَصِفُ رِعَاةَ الْإِبِلِ فِي شَعْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ رَاعِيًا ، بَلْ كَانَ سَيِّدًا مِنْ
 سَادَاتِ الْعَرَبِ وَمِنْ وَجْهِ قَوْمِهِ . (٣) ذَفْرُ الشَّيْءِ (كَفَرَجٍ) : ظَهَرَتْ وَرَائِحَتُهُ وَاسْتَدْتَتْ ،
 طَيِّبَةٌ كَانَتْ أَوْ خَبِيثَةٌ ، فَهُوَ ذَفْرٌ وَأَذْفَرُ وَهُوَ ذَفْرَةٌ وَذَفْرَاءُ . (٤) كَذَا فِي اللِّسَانِ (مَادَةٌ قَمٌ)
 وَالْمَخْصَصُ (ج ٨ ص ١٢٢) . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « فِقْمَامَةٌ » ، وَهُوَ تَجْرِيفٌ .

والقِرَادُ يُحْتَقُّ مِنْ عَرَقِ البَعِيرِ وَمِنَ الوَسَخِ وَالتَّلَطُّجِ بِالتَّلَطُّجِ وَالْأَبْوَالُ ؛ كَمَا يُحْتَقُّ القَمَلُ مِنْ عَرَقِ الإِنْسَانِ . وَفِي طَبَعِ القِرَادِ أَنَّهُ يَسْمَعُ رِجَاءَ الإِبِلِ مِنْ فِرَاسِخٍ فَيَقْصِدُهَا ؛ حَتَّى إِذَا أَحْمَابُ الإِبِلِ يَبْعَثُونَ إِلَى المَاءِ مِنْ يُصْلِحُ لِإِبِلِهِمُ الأَرْضِيَّةَ^(٢) وَآلَاتِ السَّقْيِ ، فَتَبَيَّتُ الرِّجَالُ عِنْدَ البِئْرِ تَنْتَظِرُ جِئَاءَ الإِبِلِ ، فَيَعْرِفُونَ قُرْبَهَا مِنْ القِرَادِ بِأَنْبِعَاتِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَمَرُورِهِ ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ تَهَيَّأُوا لِلْعَمَلِ .

وَيَقُولُ مِنْ أَعْنَى بِالحَيَوَانَ وَتَكَلَّمَ فِي طِبَائِعِهِ : إِنَّ لِكُلِّ حَيَوَانٍ قِرَادًا يَنَاسِبُ مِزَاجَهُ .

وَهُمْ يَضْرِبُونَ المِثْلَ بِالقِرَادِ فِي أَشْيَاءَ ، فَيَقُولُونَ : «أَسْمَعُ مِنْ قِرَادِي»، وَ «أَزْرُقُ^(٣) مِنْ قِرَادِي»، وَمَا هُوَ إِلا قِرَادٌ تُفْرِي^(٤) . وَأَنْشُدُ الجَاهِظُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي القِرَادِ :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَلْ لِقَبِيلَةٍ * إِذَا ظَهَرَتْ فِي الأَرْضِ شَدَّ مُغِيرُهَا
فَلَا الدِّينُ يَنْهَاهَا وَلَا هِيَ تَنْهَى * وَلَا ذُو سِلَاحٍ مِنْ مَعَدٍّ يَضِيرُهَا



وَأَمَّا التَّمَلُّ وَالدَّرُّ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا — قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي التَّمَلِّ قَالَتْ تَمَلَّةٌ يَا أَيُّهَا التَّمَلُّ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحِطُّ بِكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ مِثْرًا

(١) التلط : الرقيق من الرجيع . (٢) الأرشية : (جمع رشاء) ، وهو حبل الدلو .

(٣) الذي في جمع الأمثال : «أزرق من حل» و «أزرق من برام» . وهما من أسماء القراد كما تقدم .

(٤) التفري (بالضم وبالفتح أيضا) لضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة .

فَانطَلِقْ لِحَاجَةٍ يَفَاءُ مِنْ حَاجَتِهِ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرْيَةٍ نَمْلٍ إِنَّمَا فِي شَجَرَةٍ وَإِنَّمَا فِي الْأَرْضِ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَعَلَ هَذَا أَطْفَنَهَا أَطْفَنَهَا أَطْفَنَهَا». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَضَّتْهُ نَمْلَةٌ فَقَامَ إِلَى نَمْلٍ كَثِيرٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَتَلَهُمْ فَقِيلَ لَهُ: أَفَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ». وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَفَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأَخْرَجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأَحْرَقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَّمِ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ فَهَلَّا نَمْلَةٌ وَاحِدَةٌ». وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ: أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي، فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ، لَيْسَ لَنَا غِنَى عَنْ سَقِيكَ؛ فَمَا أَنْ نَسْقِيَنَا وَتَرْزُقَنَا، وَإِنَّمَا أَنْ تُمَيِّنَنَا وَتُهْلِكَنَا. فَقَالَ لِلنَّاسِ: ارْجِعُوا، فَقَدْ سَقَيْتُمْ بِدَعَاءِ غَيْرِكُمْ.

وَقَالَ الْجَاهِظُ: وَكَانَ ثُمَّامَةُ يُزْعِمُ أَنَّ النَّمْلَ ضَائِدُ الدَّرِّ. قَالَ: وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ النَّمْلَ وَالذَّرَّ مِثْلُ الْفَارِ وَالْجُرْدِ، وَالْبَقْرِ وَالْجَوَامِيسِ. قَالَ: وَالذَّرُّ أَجْرُودٌ فَهَمًّا وَأَصْفَرُ جِنَّةٌ.

وَزَعِمَ ابْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ أَنَّ النَّمْلَ لَا يَتَرَاوَجُ وَلَا يَتَوَالَدُ وَلَا يَتَلَاغَى، وَإِنَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ حَقِيرٌ فِي الْأَرْضِ فَيَنْمُو حَتَّى يَصِيرَ بَيْضًا فَيَتَكَوَّنُ مِنْهُ.

وَالنَّمْلُ مِنَ الْحَيَوَانَ الْمُحْتَالِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ يَتَفَرَّقُ لِذَلِكَ؛ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ فَيَأْتِينَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذْنَ مِنْهُ. وَكُلٌّ وَاحِدٌ مَجْتَمِعٌ فِي إِصْلَاحِ شَأْنِ الْعَامَّةِ

(١) كَذَا فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانَ لِلدَّبْرِيِّ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ: «بَيْضًا» بِالضَّادِ. وَالْبَيْضُ كُلُّهُ بِالضَّادِ إِلَّا بَيْضَ

النَّمْلِ فَإِنَّهُ بِالضَّادِ لَا غَيْرَ.

غير مُخْلِيسٍ لشيءٍ من الرزق دون صحبه . ويقال : إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها
ومن تحيله في طلب الرزق أنه ربما وُضِعَ بينه وبين ما يُخَافُ عليه منه ما يمنعه من
الوصول إليه من ماءٍ أو شَعْرٍ ، فيتساق في الحائط ويمشي على جِدْعٍ من السَّقْفِ
حتى يُسَامِتَ ما حَفِظَ منه ثم يُلْقِي نفسه عليه . وفي طبعه وعادته أن يحتكر في زمن
الصيف لزمن الشتاء . وهو إذا خاف على ما يَدْنِيهِ من الحبوب من العَفَنِ والسُّوسِ
أو التَّنَدِي من مجاورة بطن الأرض ، أخرجها إلى ظاهر الأرض حتى تَبَسَّ ثم
يُعِيدها . وإن خاف على الحب أن يَبُتَّ من نَدَاوَةِ الأرض نَقَرَ في موضع القِطْمِيرِ
من وَسَطِ الحَبَّةِ (وهو الموضع الذي يبتدئ منه النبات) ؛ وَيَقْلُقُ جميعَ الحبِّ أنصافاً ؛
فإن كان من حَبِّ الكُرْبَةِ فَلَقَّه أرباعاً ، لأن أنصاف حَبِّ الكُرْبَةِ تَبُتُّ . فالتمل
من هذا الوجه في غاية الحزم . فسبحان المَلِهُمِ لا إله غيره .

وليس شيءٌ من الحيوان يَقْوَى على حَمْلِ ما يكون ضِعْفَ وزنه مراراً غير النملة .
والتمل يَشْمُ ما ليس له رِيحٌ مما لو وضعه الإنسان عند أنفه لما وجد له ريحاً . ومن
أسباب هلاك النملة نبات الأجنحة لها ؛ فإذا صار التمل كذلك صادته العصافيرُ
وأكلته . وفي ذلك يقول أبو العتاهية :

وإذا آستوت للتمل أجنحةٌ * حتى يطير فقد دنا عطبه

ومن أصناف التمل صِنْفٌ يسمي « نمل الأسد » ؛ سمي بذلك لأن مُقَدِّمَ النملة
يُشْبِهُ وجهَ الأسدِ ومؤخرها كالتمل . وزعم بعض من تكلم في طبائع الحيوان أنه
متولدٌ ، وأن أباه أكل لحماً ، وأمه أكلت نباتاً ، ففتَّح بينهما على هذه الصفة .

وقد وصفه الشعراء ؛ فمن ذلك قول شاعر :

غُرَاةٌ يوَلِّي اللبثُ عنهنَّ هارباً * وليست لها نبلٌ حدادٌ ولا عمَدٌ

(١) هو إبراهيم بن سناه ، كما في مباحج الفكر .

قِصَارُ الخَطَا حُمُشُ القَوَائِمِ صُمَّرٌ * مَشْرَةٌ لَا تَسْتَكِي الأَيْنَ وَالْحَرْدُ^(١)
وتعدو على الأقران في حومة الوغى * نشاطاً كما يعدو على صيده الأسد
إذا ذكرت طيب الهياج تنفست * تنفس نكلى قد أصيب لها ولد
كأكراد زنجان تريد قضاصة^(٢) * وتلك الصعاليك الغرائب في البلد^(٣)
وفيرت أجناس تشابهن صورة * وبارين في الهجمات واللون والجسد^(٤)
فهنن كمت كالعناكب أرجلا * وساع الخطا قد زان أجيادها العيد
إذا أنتهرت طارت وإن هي خلدت * رأث ورد أحواض المنايا من الرشد
وسود خفاف الجسم لو عصيت الصفا * رأيت الصفا من وقع أسنانها قد^(٥)
يفذن علينا مفسدات جفانتنا * وأزوادنا أبغض إلينا بما وفد

وقال أبو هلال العسكري :

وحى أناخوا في المنازل باللوى * فصاروا به بعد القطين قطينا
إذا اختلفوا في الدار ظلت كأنها * تبدد فيها الريح بزرق قطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليل أصبحت * بواطئها مثل الظواهر جونا
لم نظرة يسرى ويمنى إذا مشوا^(٦) * كما مر مرعوب يخاف كميناً
ويمشون صفا في الديار كأنما * يميزون خيطاً في التراب مينا^(٧)

(١) حش القوائم : دقاها . والحرد : داء يصيب عصب يدي الدابة .

(٢) زنجان : بلد كبير مشهور بناحي الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهي قرية من أهر وقزوين

والعجم . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصلين ، ولم تبين المراد منه .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الجلد » ، وهو تحريف .

(٥) القدد : جمع قدة وهي القطعة من الشيء .

(٦) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصلين : « مشت » .

(٧) المنين : الجبل الضعيف ، وقيل : القوى ، فهو من الأضداد . وفي أ : « متينا » .

وفي ب وديوان المعاني : « مينا » . واهل الكلبيين مصحفان عما أثبتناه .

وفي كل بيت من بيوت قريّة * تضم صنوفاً منهم وفتونا
فيا من رأي بيتا يضيق بخمسة * وفيه قريّات يسفن مئينا



وأما القمل والصُّوَاب وما قيل فيهما - قال الجاحظ : ذكروا
عن إياس بن معاوية أنه يزعم أن الصُّبَّان ذُكُورَةُ القمل، وأن القمل من الشكل
الذي تكون إنانته أعظم من ذُكُورته .

قال الجاحظ : والقمل يعتري من العرق والوسخ إذا علاهما ثوب أو ريش
أو شعر، حتى يكون لذلك المكان عفنٌ ومُحْموم . والقملة يكون لونها بحسب لون
الشعر في السواد والبياض والشَّمَط وفي لون الحِضَاب، وينصل إذا نصل . قال :
والقمل يعرض لثياب كل إنسان إذا عرض لها الوسخ أو العرق أو الخُموم، إلا ثياب
المُجَدِّمين فإنهم لا يَقمَلون . وإذا قمل إنسان وأفرط عليه القمل زأبق رأسه فيتناثر
القمل . قال : وربما كان الإنسان قمل الطباع وإن تنظف وتعطر وبدل أثوابه ؛
كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، حتى آسأناذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير ؛ فأذن لها فيه لهذه الضرورة ولدفع
هذا الضرر .

وقد وصف الشعراء القمل في أشعارهم ؛ فمن ذلك قول بعض العقيلين وقد
مرّ أبى العلاء العقيلي وهو يتفلى ، فقال :

وإذا مررت به مررت بقانص * متصيدي في شرقية مَقْرور^(١)
للقمل حول أبى العلاء مصارع * ما بين مقتول وبين عفير^(٢)

(١) الشارقة : الشمس . والمقرور : من أصابه القر، وهو البرد . (٢) كذا في كتاب

الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١١٤) . وفي الأصلين : « عفير » بالفاء ، وهو تصحيف .

فَكَأَنَّهُنَّ إِذَا عَلَوْنَ قَبِصَهُ * فَدُّ وَتَوَعَّمُ سَمِيمٍ مَقْشُورٍ
ضَرَجَ الْأَنَامِلَ مِنْ دَمَاءِ قَتِيلِهَا * حَنَّ عَلَى أُخْرَى يَبْدُو مُغِيرِ

وقال الحسن بن هانئ في رجل أسمه أيوب :

مَنْ يَنَّا عَنْهُ مَصَادُهُ * فَمَصَادُ أَيُوبَ ثِيَابُهُ^(٢)
يَكْفِيهِ مِنْهَا نَظْرَةٌ^(٣) * فَتَعَلَّ مِنْ عَلَقِي حِرَابُهُ
يَا رَبِّ مَحْتَرِزٍ بَجِيدٍ * بَالِ الرُّدَنِ تَكْفِيهِ صُؤَابُهُ^(٤)
فَأَيْشِي النَّكَايَةَ غَيْرَ مَعِدٍ * لَمُومٍ إِذَا دَبَّ أَنْسِيَابُهُ^(٥)
أَوْ طَامِرِي^(٦) وَائِبٍ * لَمْ يُنْجِحْهُ عَنْهُ وَثَابُهُ
أَهْوَى لَهُ بِمُزَلَّقِ الْإِذْ * عَرْنَيْنٍ لِصَبْعِهِ نِصَابُهُ^(٧)
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أُنْحَى * قَنَاصِ أَصَابِعِهِ كَلَابُهُ

(١) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصلين : « لعدو ... » .

(٢) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه .

(٣) كذا في كتاب الحيوان . والعلق : الدم . وقد وردت هذه الشطرة في الأصلين محرقة .

(٤) كذا في كتاب الحيوان . وقد ورد هذا البيت في الأصلين محرفا .

(٥) كذا في الحيوان . وفي أ : « الكناية » . وفي ب : « الحناية » ، وكلاهما تحريف .

(٦) كذا في الحيوان . وطامر بن طامر : البرغوث ، سمي بذلك لكثرة وثو . في الأصلين :

« أَرْضَامِرِي » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٧) مزلق : محدد . يريد الظفر . والعرنين : الأنف . وعرنين كل شيء : أوله . وهو المراد

هنا . والنصاب : المقبض .

القسم الخامس من الفن الثالث في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير، وباب في السمك . وذيلت عليه بباب ثامن أوردت فيه ذكر شيء مما قيل في آلات صيد البر والبحر .

قال الجاحظ في كتاب الحيوان : إن الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير، وشيء يعوم، وشيء ينساح ، وشيء يمشى ؛ إلا أن كل طائر يمشى ، وليس كل شيء يمشى طائراً . قال : وأسم طائر يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح ؛ وليس بالريش والقوادم والأباهر والخوافي يسمى طائراً ولا بعده يسقط ذلك عنه . ألا ترى أن الخفاش والوطواط من الطير وإن كانا أمرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير .

قال : والطير كله سبع وبهيمة وهمج . والسباع من الطير على ضربين : فمنها العتاق ، والأحرار ، والجوارح . ومنها البغاث ، وهو كل ما عظم من الطير سبباً كان أو بهيمة إذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب المعقفة كالنسور والرحم والغربان وما أشبهها من لثام السباع . ثم الخشاش وهو ما لطف جرمه وصغر شخصه وكان عديم السلاح .

وقال : إذا باض الطائر بيضاً لم تخرج البيضة من حد التحديد والتلطيف بل يكون الجانب الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم . وما كان من البيض مستطيلاً

(١) الأباهر : ما يلي الكلى من ريش الطائر وأول الريش : القوادم ، ثم المناكب ، ثم الخوافي ، ثم الأباهر ، ثم الكلى .

محدّد الأطراف فهو للإناث، وما كان مستديرا عريض الأطراف فهو للذكور .
والبيضة عند خروجها تكون لينة القشر غير جاسئة ولا يابسة ولا جامدة . قال :
والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر .
ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج والحمام والطاوس والإوز . قال : وحضن
الطائر وجنومه على البيض يكون صلاحا لبدن الطائر كما يكون صلاحا لبدن البيض .
قال : وزعم ناس أن بيض الريح إنما يكون عن سفاد متقدّم . وذلك خطأ من
وجهين : أما أحدهما ، فإن ذلك قد عرف من فراريج لم تردديكا قط . والآخر أن
بيض الريح لم يكن منه فروخ قط . وبيض الصيف المحضون أسرع خروجا منه
في الشتاء .

فهذه جملة من أحوال الطير فترقها الجاحظ في كتابه في عدة مواضع جمعناها
وألفنا بعضها إلى بعض . فلنذكر كل جنس من الطير، ونشرح ما يخصه من الكلام
وما قيل فيه . وغير الجاحظ قسم الطير إلى أقسام ، فجعل منها سبعا ، وكلابا ،
وبهائم ، وبغائنا ، وليلياء ، وهمجا ، وعلى ذلك بوبنا هذا القدم ، على ما تقف عليه إن
شاء الله تعالى .

(١) ضبط في القاموس واللسان بفتح فسكون . ونقل شارح القاموس عن شيخه إنكار هذا الضبط
وقال : بل هو محرك كالجل وزنا ومعنى . وهو فارسي معرب ، أصله في الفارسية كيج ، وواحدة قبجة . وفراخ
القبج تخرج كما تخرج الفراريج . وإناؤه تبيض خمس عشرة بيضة . ويوصف الذكر بقوته على السفاد ،
وهو لهذا يكسر البيض للاقتنل الأثى بحضنه عنه ، كما أن الأثى تهرب وتخفي إذا جاء أوان بيضها .
والقبج يغير أصواته بأنواع شتى ، ويعمر خمس عشرة سنة . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٨٢
طبع بولاق) .

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في العقاب والبزاة والصقور والشواهين ،
وأصناف ذلك ، وما يتصف به كل طير منها وما فيه من الطبائع والعادة ، وما يصيد ،
وما فيه من الأمارات الدالة على نجابته وفرأته ، وغير ذلك مما تقف عليه إن شاء
الله تعالى .

ذكر ما قيل في العقاب

يقال : إنَّ العقاب جميعه أنثى وليس فيه ذكر . ويُسمى عند أهل اللغة
«العنقاء» . وهي «عقابٌ» و«زُججٌ» . فأما العقاب فيقال : إن ذكرها من طير آخر
لطيف الحرم . وهي تبيض في الغالب ثلاث بيضات فيخرج لها فرخان . قال
الجاحظ : ثم آختلوا ، فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ؛ وقال آخرون :
قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها ترمي بالواحد آستئقلاً للتكليف على ثلاثة ؛
وقال آخرون : ليس ذلك إلا لما يعترها من الضعف عند الصيد ، كما يعترى النفساء
من الوهن والضعف . وهي تحضن ثلاثين يوماً . وما عداها من الجوارح تبيض
بيضتين في كل سنة وتحضن عشرين يوماً .

قالوا : وفي طبع الذكر أنه يتمحن أثناءه هل هي محافظة له أو مؤاتية لغيره من
غير جنسه ، بأن يصوب نظر فرخيه إلى شعاع الشمس ، فإن ثبت عليه تحقق أنها
فراخه وأمسكها ، وإن نبا بصره عن شعاع الشمس ضرب الأثني كما يضرب الرجل
المرأة الزانية وطردها من وكرة ورمى بالفرخين .

والعقاب خفيفة الجناح ، سريعة الطيران ، فهي إن شاءت أرتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقره . يقال : إنها لتغدى بالعراق وتتعشى باليمن . وربما صادت حمر الوحش ، وذلك أنها إذا نظرت الحمارمّت نفسها في الماء حتى يتدل جناحها ، ثم تمتاز في التراب وتطير حتى تقع على هامة الحمار ، ثم تصفق على عينيه بيناحيها فتملؤها تراباً ، فلا يرى الحمار أين يذهب فيؤخذ . وهي مؤلعة بصيد الحيات . وفي طبعها قبل أن تتدرب أنها لا تراوغ صيداً ولا تمنى في طلبه ، ولا تزال مؤفية على شرف عالٍ ؛ فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً أنقضت عليه ، فتتركه لها وتنجو بنفسها . ومتى جاءت لم يمتنع عليها الذئب . وهي شديدة الخوف من الإنسان . ويقال : إنها إذا هيرمت وتقل جناحها وأظلم بصرها التمسّت غديراً ؛ فإذا وجدته حلقّت طائرة في الهواء ثم تقع من حاليق في ذلك الغدير فتغمس فيه مراراً ، فيصحّ جسمها ويقوى بصرها ويعود ريئها ناشئاً إلى حالته الأولى . وهي متى تقلت عن النهوض أو عميت حملتها الفراعخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى آخر لطلب الصيد وتعولها إلى أن تموت . ومن عجيب ما أهملت أنها إذا آسنتك كيدها رفعت الأرناب^(١) والتعالب في الهواء وأكلت أجادها فتسبراً .

وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها ، والطيور إلا قلوبها . قال امرؤ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويايساً * لدى وكريها العناب والحشف البالي

ومئسرها الأعلى يعظم ويتعطف حتى يكون ذلك سبب هلاكها ؛ لأنها لا تبال به الطعم إذا كان كذلك . وأول من صاد بها أهل المغرب . وحكي أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً ، وكتب إليه : علمها فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور

(١) في الأصلين : « من رفع ... في الهواء. أكلت ... الخ » ، وهو غير واضح .

التي أعجبتك . فأمر بها فأرسلت على ظبي عرّض لها فقدّته ، فأعجبه ما رأى منها ؛
ثم جوعها ليصيدها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته ؛ فقال كسرى : غزانا
قيصر في بلادنا بغير جيش . ثم أهدى له نمرًا وكتب إليه : قد بمثت إليك بما تقتل
به الطّباء^(١) وما قرّب منها من الوحش ؛ وكتب عنه ما صنعت العقاب . فأعجب به
قيصر . ففعل عنه يوماً فأقرس بعض فتّانه ؛ فقال : صادنا كسرى ؛ فإن تكنا
صدناه فلا بأس . فلما أتصل ذلك بكسرى قال : أنا أبو ساسان .

وأجودُ العقاب ما جلب من سرت^(٢) وبلاد المغرب .

وقد وصفها الشعراءُ فمن ذلك ما قاله أبو الفرج البیضاء :

ما كلُّ ذاتِ مخَلَبٍ ونابٍ * من سائر الجارج والكلابِ
بمُدركِ في الحدِّ والطلابِ^(٣) * أيسرُ ما يدركُ بالعقابِ
شريفَةُ الصبغةِ والأنسابِ * تطير من جناحها في غابِ
وتسترُ الأرضَ عن السحابِ * وتحمجُ الشمسَ بلا حجابِ
يظُلُّ منها الجوُّ في أعتابِ * مُستوحِشًا للطيرِ كالمُرتابِ
ذِكْبَةٌ تنظرُ من شهابِ * ذاتُ حِرانٍ واسعِ الحلبابِ^(٤)
ومَنكِبِ صَخْمِ أَيْثِ رايِ * ومَنسِرِ مُوْتِقِ النَّصابِ^(٥)

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٥٣) . وفي الأصلين : « الظبي » .

(٢) سرت : مدينة على ساحل بحر الروم بين برقة وطرابلس الغرب .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي أ : « في الحدق الطلاب » . وفي ب : « في الحدق الطالب »

وكلاهما تحريف .

(٤) الجران : باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق .

(٥) الأيْث : الكثير والعظيم من كل شيء .

وراحتى لَيْثٍ شَرَى غَلَابٍ * نِيَطَتْ إِلَى بَرَاتَيْنِ صِلَابٍ
 [مُرْهَفَةٌ أَمْضَى مِنَ الْحِرَابِ * وَكُلُّ مَا حَاقَّ فِي الضَّبَابِ]^(١)
 * لِلْمَلِكِهَا خَاضِعَةٌ الرَّقَابِ *



- وأما الزُّجَّجُ — فهو الصَّنْفُ الثاني من العُقَابِ، ويُعدُّ من خِفافِ الجوارح. وهو سريعُ الحركةِ شديدُ الوَثْبَةِ . ويُوصفُ بالغدِرِ . ومن عاداته أنه يتلقَّفُ الطائرَ كما يتلقَّفه البازي، ويصيدُ على وجه الأرض كما تصيدُ العقابُ . ويُجمدُ من خَلْقِهِ أن يكونَ أحمرَ اللونِ، ولا يُجمدُ ما قُرِنَصُ منه وَحْشِيًّا^(٢) .

وقد وصفه أبو الفَرَجِ البَغْءاءُ فقال :

- ١٠ ياربُّ سَرِبٍ آمِنٍ لَمْ يُزَجِّجْ * غَادِيَتُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ الأَبْلَجِ
 يُزَجِّجُ أَدْلَقُ حَوْشٍ أَهْوَجِ * مُضْبِرِ المَنْكِبِ صُأْبِ المَنْسِجِ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦)

(١) التكلمة عن مباحج الفكر .

(٢) المقرنص : المقتنى للاصطياد .

(٣) كذا بالأصلين . ولعله يريد أن يصفه بالسرعة وشدة الدفعة والهجوم ، على أن يكون مأخوذاً

- ١٥ من الدلق وهو خروج الشيء من مخرجه سريعاً . يقال : اندلق السيل على القوم أي هجم ، واندلقت الخيل فهي دُلِقٌ واندلقة ، أي شديدة الدفعة سريعة السير . قال طرفة :

دُلِقٌ فِي غَارَةِ مَسْفُوحَةٍ * كَرَعَالِ الطَيْرِ أَسْرَابًا تَمْرَرُ

وفي مباحج الفكر : « أولق » من « الولق » وهو السرعة أيضاً . يقال : جاءت الخيل تلق أي تسرع . ويحتمل أن يكون : « أدلق » بالذال المعجمة ، أي حديد ماض .

(٤) الحوش : القوى .

٢٠

(٥) كذا في كتب اللغة . والضبر والنضير : شدة تليز (تصيق) العظام واكتناز اللحم . يقال :

جمل مضبور ومضبر . وفي الأصلين : « مضبر » بالصاد المهملة ، وهو تصحيف .

(٦) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد .

ذِي قَصَبٍ عَبِلٍ أَصَمٌّ مُدَمَّجٌ * وَجُوجُؤٌ كَالجَوْشَنِ الْمُدْرَجِ (٣)
 وَعُنُقِي سَائِمٌ طَوِيلٌ أَعْوَجٌ * وَمَنْسِرٌ أَقْنَى فَسِيحٌ مُسْرَجٌ
 مُنْخَرِقٌ الْمَدْخَلِ رَحْبٌ الْمَخْرَجِ * وَمَقَالَةٌ تَسْفُ عَنْ فَيْرُوزِجِ
 نَاطِرَةٍ مِنْ لَهَبٍ مُؤَجَّجِ * وَهَامِيَةٌ كَالْمَجْمَرِ الْمُدْمَلَجِ
 وَنَحْلَبِ كَالْمَعُولِ الْمُعَوَّجِ

(١) كذا في مباحج الفكر . والعبل : الضخم الغليظ . يقال : رجل عبلي الذراعين أى ضخمهما ،
 وفرس عبلي الشوى أى غليظ القوائم . والأصم : القوى الصلب . يريد أن يصف ساقه بالغلظ والقوة .
 وفي الأصلين : « ذى قصب على أصم ... » ، وهو تحريف .

(٢) الجوجؤ : الصدر .

(٣) الجوشن : الدرع .

ذكر ما قيل في البازي

قالوا : والبازي خمسة أصناف، وهي البازي، والزُّرْقُ، والباشقُ، والعَصِيُّ،
والبيدقُ .

- فأما البازي — فهو الثاني من الجوارح، وهو آخر هذه الأصناف الخمسة
مزاجاً، لأنه قليل الصبر على العطش . وماواه مساقطُ الشجر العاديةِ المتفتحة والظلُّ
الظليل ومُطرُ المياه . وهو لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لها شوك . وإذا أراد أن يفرِّخ
بني لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وهج الحتر . وسبيله
في البرد أن يذفا بالنار ويجعل تحت كفيه وبر الثعالب والأبود؛ وفي الصيف أن يجعل
في بيت كنينٍ باردٍ النسيم ويُفرس له الرِّيحانُ والخلاف^(٣) . وهو خفيف الجناح، سريع
الطيران، يُلْف طيرانه كالتفافِ الفواخيت^(٤)؛ ويسهل عليه أن يزج بنفسه صاعداً
١٠

(١) هذه العبارة منقولة عن مباحج الفكر، ونصها فيه : « وهو لا يطبق البرد ولا الحزلة جوارحه .
فسبيله في البرد أن تقرب منه النار ليدفا ويجعل تحت كفيه في الشتاء وبر الثعالب والأبود، وسبيله
في الحتر... الخ » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . والكنين : المستور . وقد وردت هذه الكلمة في الأصلين محزنة .

(٣) الخلاف : صنف من شجر الصفصاف .

(٤) الفواخت : جمع فاختة، وهي من ذوات الأطواق، ويقال لها الصلصل أيضا (ضم الصادين
المهملتين) . يقال : إن الحيات تهرب من أصواتها . وهي عراقية وليست حجازية، وهي حسنة
الصوت . وفي طبها الأنس بالناس، وتعيش في الدور . والعرب تصفها بالكذب فان صوتها عندهم :
« هذا أوران الرطب » وتقول ذلك والنخل لم يطلع . قال الشاعر :

٢٠ أ كذب من فاختة * تقول وسط الكرب

والطالع لم يبد لها * هذا أوران الرطب

(راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق)

(٥) في الأصلين : « يزج نفسه » . وهذا الفعل لا يشتد إلا بالباء .

وهابطًا وينقلب على ظهره حتى يلتقف فريسته . والإناث منه أجمراً على عظام الطير من الذكور . ويقال : إن الإناث إذا كان وقت سفادها يغشاها جميع أنواع الضواري : الزرق والشاهين والصقور ، وإنها تبيض من كل طائر يغشاها ؛ ولهذا تجيء مختلفة الأخلاق . والبازي يصيد ما بين العصفور والكركي^(٢) . ومن عادته أنه إذا أخطأ صيده رفاته وكان في برية لا شجر فيها ولّى مُعَمَّناً حتى يجد كهفًا أو جداراً يأوي إليه ؛ ولهذا علّق عليه الجرس ليدلّ على مكانه إذا خفي .

وصفة الجيد منه المحمود في فعله أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادهما ، وأن تكونا مقبلتين على منسره وحجاجهما مُطْلَيْن^(٣) عليهما ، ولا يكون وضعهما في جنبي رأسه كوضع عيني الحمام . والأزرق منه دون الأحمر العين ؛ والأصفر دونهما . وسعة أشداه تدلّ على قوة الاقتراس . ومن صفاته المحمودة أن يكون طويل العنق ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، شديد الانخراط إلى ذنبه ، وأن تكون نخذه طويلتين مسرولتين بريش ، وذراعا قصيرتين غليظتين ، وأشاجع كفيه عارية^(٤) ، وأصابعه متفرقة [ولا تكون مجتمعة ككف الغراب] ، ومخالبه أسود ، ويكون طويل المنسر دقيقه . وأخر ألوانه الأبيض ثم الأشهب ، وهما لوانان يدلان على الفراهة والكرم . وأما الأسود الظهر المنقش الصدر بالبياض والسواد فهو يدلّ على الشدة والصلابة . وإن اتفق أن يكون هذا أحمر العين كان نهاية . وهذا اللون في البراة

(١) عبارة مباحج الفكر : « ولهذا تجيء مختلفة الأخلاق من الجن والجرأة والحب والغدر والذكا . والقوة والضعف والحسن والقبح والشراهة » . (٢) الكركي : طائر يقرب من الوز أكبر

الذئب رمادي اللون في خده لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم يأوي الماء أحيانا .

(٣) الحجاج : العظم المستدير حول العين . وفي الأصلين : « حجاجهما » . وهو تحريف .

(٤) الأشاجع : رءوس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

(٥) الزيادة عن مباحج الفكر .

كالكَيْتِ فِي الخَيْلِ . والأحمرُّ فِي البُرَّةِ أَخْبَثُهَا . وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : أَشْرَفُ
 البُرَّةِ الطُّغْرُلُ ، ثُمَّ البَازِيُ التَّامُّ وَهُوَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آنِفًا . وَالتُّغْرُلُ : طَائِرٌ عَزِيزٌ نَادِرٌ
 الْوُقُوعُ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ التُّرْكِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي بِلَادِ الخَزَرِّ وَمَا وَآلِهَا وَمَا بَيْنَ خُورَزْمَ
 إِلَى أَرْمِينِيَّةِ ، وَهُوَ يَجْمَعُ صَيْدَ البَازِيِ وَالشَّاهِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَا يَمَقِّرُ شَيْئًا مِثْلَهُ
 إِلَّا سَمَهُ .

وأوَّلُ مَنْ صَادَ البَازِيُ "لُدْرِيْقُ" أَحَدُ مُلُوكِ الرُّومِ الأوَّلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى
 بَازِيًا إِذَا عَلَا كَنَفٌ ، وَإِذَا سَقَلَ خَفَقٌ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْمُو دَرَقٌ ؛ فَاتَّبَعَهُ حَتَّى
 اقْتَحَمَ شَجَرَةً مَلْتَفَةً كَثِيرَةَ الدُّغَلِ ؛ فَاعْجَبَتْهُ صَوْرَتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا طَائِرُهُ سِلَاحٌ تَتَرَّبَنُ
 بِمِثْلِهِ المُلُوكُ ؛ فَأَمَرَ بِجَمْعِ عَدَّةٍ مِنَ البُرَّةِ جُمِعَتْ وَجُمِلَتْ فِي مَجْلِسِهِ . فَعَرَضَ لِبَعْضِهَا
 أَيُّمَ فَوْثَبَ عَلَيْهِ ؛ فَقَالَ : مَلِكٌ يَغْضِبُ كَمَا تَغْضِبُ المُلُوكُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَنُصِبَ عَلَى
 كَنْدَرَةٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَكَانَ هُنَاكَ ثَعْلَبٌ فَتَرَ بِهِ مَجْتَازًا ، فَوْثَبَ عَلَيْهِ فَمَا أَفْلَتَ مِنْهُ
 إِلَّا جَرِيحًا ؛ فَقَالَ لُدْرِيْقُ : هَذَا جَبَّارٌ يَمْنَعُ حِمَاهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضَرَى عَلَى الصَّيْدِ ؛
 وَاتَّخَذَتْهُ المُلُوكُ بَعْدَهُ .

وقد وصفته الشعراء والأدباء؛ فن ذلك قول الناثي :

لَمَّا تَعَرَّى اللَّيْلُ عَنِ النَّسَاجِهِ * وَأَرْتَاحَ ضَوْءُ الصَّبْحِ لِأَنْبِلَاجِهِ
 ١٥ غَدَوْتُ أَبْيَ الصَّيْدِ مِنْ مَنِاجِهِ * بِأَقْسَرِ أَبْدَعِ فِي نِتَاجِهِ
 أَلْبَسَهُ الخَالِقُ مِنْ دِيبَاجِهِ * ثَوْبًا كَفَى الصَّانِعَ مِنْ نِسَاجِهِ

(٣) الكف والكفتان : ضرب من الطيران ، كأنه يرد جناحيه ويضمهما إلى ما وراءه .

(٢) درق : أسرع . (٣) الأيم : الحية .

٢٠ (٤) كندرة البازي : مجثمته الذي يهيا له من خشب أو مدر؛ وهو دخيل ليس بعربي .

حالٍ من الساق إلى أوداجه * وشيا يحار الطرف في أندراجِه ^(١)
 في نَسَقٍ منه وفي أنعراجِه * وزان فوديه إلى حجاجِه ^(٢)
 بزينة كفته عن تاجِه * منسره يُثنى على خلاجِه
 وظفره يُخبر عن علاجِه * لو أستضاء المرء في إدلاجِه
 * بعينه كفته عن سراجِه *

وقال ابن المعتز يصف عين البازي :

ومقلة تصدقه إذا رمق ^(٣) * كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أيضا فيه :

وفتيان غدوا والليل داچ * وضوء الصبح منهم الطلوع
 كان بزاتهم أمراء جيش * على أكافها صدأ الدروع

وقال أيضا :

ومتسّر عَضْبِ الشبابة داحي * كعقدك الخمسين بالإبهام ^(٤)
 وخافق للصبيذ ذي أضطلام * ينشره للنمض والإقدام
 * ككشرك البرد على المستام *

(١) كذا في ب ومباهج الفكر . وفي أ : « أدراجِه » ، وهو تحريف .

(٢) الحجاج : العظم المستدير حول العين .

(٣) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي أ : « زيق » . وفي ب : « ريق » ،

وكلاهما تحريف .

(٤) كان للعرب حساب غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وضعوا كلا منها بازا .

عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألونا . وقد ألقت في ذلك عدة رسائل .

وقد ذكر بعض الفضلاء في بيان مراتب الأعداد في العقد ما نصه : عند العشرة تجعل السبابة حاقمة ،

والعشرين تجعل الإبهام بين السبابة والوسطى ، والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين

تجعل رأس الإبهام خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالسا ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام =

١٥

٢٠

ووصفه أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي فقال من رسالة :

« طائرٌ يُستدلُّ بظاهرِ صفاته ، على كرمِ ذاته ؛ طوراً ينظرُ نظرَ الخيلاءِ في عِظْفِهِ
 كأنما يُزهى جباراً ، وتارةً يرمى نحوَ السماءِ يَطْرُفُهُ كأنما له هناك اعتبار . وأخِلِقُ به
 أن ينقضَّ على قَنِيصِهِ شهاباً ، ويلوئى به ذهاباً ، ويُحْرِقُهُ توقُّداً وآلتها با . وقد أُقيم
 له سابعُ الذَّنَابِي والجَنَاح ، كَفِيلَيْنِ في مطالبه بالتهجاء . جيد العين والأثر ، حديدُ
 السمع والبصر . يكاد يُحسَّ بما يجرى ببال ، ويسرى من خيال . قد جمع بين عزَّة
 ملك ، وطاعةٍ مملوك . فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة ، ويرجع إليه بمقتضى
 الخدمة ؛ مؤهَّل لإحراز ما تقتضيه شئائهُ ، وإنجاز ما تعدُّ به محامِلُهُ . وخلقٌ بمُحْكَم
 تَأديبه ، وجودةٍ تركيبه ؛ أن لو مَثَّلَ له النجمُ قَنَصاً ، أو جرى [بذكرة] البرقُ قَنَصاً ؛
 لاختطفه أسرع من لحظة ، وأطوع من لفظه ؛ وأنفسه أمضى من سهم ، وأجرى
 من وهم . وقد أقسم بشرف جوهره ، وكرام عُنصره ؛ لا يُوجِّهُ مُسْفِراً ، إلا غادر
 قَنِيصَهُ مُعْفِراً ، وآبَ إلى يد من أرسله مُظْفِراً ؛ مُورِدَ المِخْلَبِ والمِنقارِ ، كأنما اختضب
 بِنِجَاءٍ أو كَرَعٍ في عُقارٍ . »

[وله من أبيات يمدح بها] :

١٥ طردَ القنيصَ بكلِّ قَيْدٍ طريديَّةٍ * زَجَلَ الجَنَاحَ مُورِدَ الأظفارِ^(٥)

= على الفصل الأعلى من باطن السبابة ، والسبعين تجمل رأس الإبهام على الفصل الأسفل من باطن السبابة ،
 والثمانين تجمل رأس السبابة على ظفر الإبهام والتسعين تجمل السبابة حلقة غير مجوّقة ، والمائة تجمل
 رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرة . الخ . (انظر بلوغ الأرب في أحوال العرب للأوسى
 ج ٣ ص ٣٩٦ — ٣٩٩ فقيه بيان تام لعلامات الأعداد من الواحد الى الألوف) .

- ٢ . (١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ... نحو السماء وطرفه » ، وهو تحريف .
 (٢) الزيادة عن مباحج الفكر . (٣) اتسفت الطائر الشيء عن وجه الأرض : قلعه .
 (٤) كذا في ديوانه (ص ٥٣) ومباحج الفكر . وفي الأصلين : « فكل » — بالفاء .
 (٥) الزجل : رفع الصوت والجلبة .

بَلْتَفَّةٌ أَعْطَافُهُ بِمَجْبِرَةٍ ^(١) * مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهُ بِنَضَارٍ
يَرَى بِهِ الْأَمَدَ الْبَعِيدَ فَيَنْتَنِي * مَخْضُوبٌ رَأْيَ الظُّفْرِ وَالْمَنْقَارِ



وأما الزُّرْقُ — وهو الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْبَازِي . هو بَازٍ لَطِيفٌ ، إِلَّا أَنْ
مَزَّاجَهُ أَحْرَوَائِيْسٌ ، وَهُوَ لِذَلِكَ أَشَدُّ جَنَاحًا وَأَسْرَعُ طَيْرَانًا وَأَقْوَى إِفْدَامًا . وَفِيهِ
خَنْتَلٌ وَخُبْتٌ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أُرْسِلَ عَلَى طَائِرٍ طَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ
الشَّدَّةَ بَعْدَ اللَّيْنِ . وَخَيْرُ أَلْوَانِهِ الْأَسْوَدُ الظَّهِيرِ الْأَبْيَضُ الصَّدْرِ الْأَحْمَرُ الْعَيْنِ . وَوَصَفُهُ
الْحَمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَعْدَمَهَا خَلْقًا ، وَأَقْلَهَا رِيْشًا ، وَأَنْقَلَهَا تَحْمِيْلًا ، وَأَمْلَأَهَا نَحْدًا ،
وَأَرْحَبَهَا شِدْقًا ، وَأَوْسَعَهَا عَيْنًا ، وَأَصْغَرَهَا رَأْسًا ، وَأَصْفَاهَا حَدَقَةً ، وَأَطْوَلَهَا عُتْقًا ،
وَأَقْصَرَهَا خَافِيَةً ، وَأَشَدَّهَا تَحْمًا ، وَأَنْ يَكُونَ أَحْضَرَ الرَّجْلَيْنِ ، وَسِعَ الْمَخَالِبِ ، مُتَعَرِّيًا ^(٢)
مِنَ اللَّحْمِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



وأما الْبَاشِقُ — وَهُوَ الصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنَ الْبَازِي . وَهُوَ أَحْرَوَائِيْسٌ مِنَ الزُّرْقِ ،
وَهُوَ هَالِعٌ قَلْبٌ ذَعِيرٌ ، يَأْتِسُ وَقْتًا وَيَسْتَوْحِشُ وَقْتًا . وَنَفْسُهُ قَوِيَّةٌ جَافِيَةٌ ^(٣) . فَإِذَا أُنْسَ
مِنْهُ الصَّغِيرُ بُلِّغَ مِنْهُ كُلُّ الْمَرَادِ . وَأَجُودُ الْبَاشِقِ مَا أَخَذَ فَرْخًا لَمْ يُلْقِ مِنْ قَوَادِمِهِ
رِيْشَةً . وَهُوَ مَتَى تَمَّ تَأْنِيْسُهُ وَجِدَ مِنْهُ بَازٍ خَفِيْفٌ الْمُحْمِلُ ظَرِيْفٌ الشَّمَائِلِ .

ومن صفاته المحمودية أن يكون صغير المنظر، ثقيل المحمل، طويل الساقين
والفخزين، عظيم السلاح بالنسبة إلى جسمه .

(١) الحبير من البرود : الموشى المخطط .

(٢) في الأصلين : « متعر » ، وهو تحريف .

(٣) في ١ وبماج الفكر : « خائفة » . وفي ب : « خافية » . ولعل كليهما محرف عما أثبتناه .

وقال بعض الشعراء يصفه :

إذا بارك الله في طائرٍ * نخص من الطير إسبهرقي
له هامةٌ كللت بالجلين * فسال الجين على المفريق
يقلب عينين في رأسه * كأنهما تقطنا زبسيق
واشرب لونا له مذهبا * كلون الغزالة في المشريق
حمام الحام وحنف القطا * وصاعقة التبج والعقعي
وأحني عليك إلى أن يعود * إليك من الوالد المشويق
فاكرم به وبكف الأمير * وبالذسببان إذا يلتقي^(٢)

وقال أبو الفتح كُشاجم :

يسمو فيخني في الهواء وينكفي * عجلًا فينقض أنقضاض الطارق^(٤)
وكأن جوجؤه وریش جناحه * خضبا بتقش يد الفتاة العاتق^(٣)
وكأنا سكن الهوى أعضاءه * فأعارهن نحول جسم العاشق
ذا مقلة زهية في هامة * محفوفة من ريشها بحدائق
ومخالب مثل الأهلة طالما * أذمين كف البازيار الحاذق
وإذا أنبرى نحو الطريدة خلتته * كالريح في الأسماع أو كالبارق^(١)

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الولد » .

(٢) الدسبان : الضارب بالدستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى ، ومعناها : النعمة بالفارسية . كذا ذكر في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٦٤ طبع بيروت) . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يصطادوا بالجوارح ضربوا لها الطبول وهيجوها بذلك .

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٧ أدب . وفي أ :
« خصا » الخاء المعجمة والصاد المهملة . وقد سقطت هذه الكلمة من النسخ في ب .

(٤) العاتق : الجارية أول ما أدركت والتي لم تزوج ، وقيل : التي بين الإدراك والتعنيس .

وإذا دعاه البَايزَارُ رَأَيْتَهُ * أَذْنَى وَأَطْوَعَ مِنْ حُبِّ وَامِقٍ
وإذا القَطَاةُ تَخَلَّفَتْ مِنْ خَوْفِهِ * لَمْ يَعُدْ أَنْ يَهْوِيَ بِهَا مِنْ حَالِقٍ

ومن رسالة لبعض فضلاء الأندلس، جاء منها :

« كَأَنَّما أَكْتَحَلَّ بِلَهَبٍ ، أَوْ أَنْتَعَلَ بِذَهَبٍ . مَلْتَفٌّ فِي سِيبِرِهِ ^(١) ، وَمَلْتَحِفٌّ
بِحَبْرِهِ . مِنْ سِيَوْفِهِ مِتْقَارُهُ ، وَمِنْ رِمَاحِهِ أَظْفَارُهُ . وَمِنْ اللِّوَاتِي تَتَنَافَسُ المُلُوكُ فِيهَا ،
تُمْسِكُهَا مُعْجَبًا بِهَا وَتِيهَا . فَهِيَ عَلَى أَيْدِيهَا آيَةٌ بَادِيَةٌ ، وَنِعْمَةٌ مِنْ اللَّهِ نَامِيَةٌ . تَبَدُّلُ لِكَ
الْجُهْدِ صُرَاحًا ، وَتُعِيرُكَ فِي نَيْلِ بُغْيَتِكَ جَنَاحًا . وَتَتَفَقَّ مَعَكَ فِي طَلْبِ الأَرْزَاقِ ،
وَتَأْتِيْلِفُ بِكَ عَلَى اِخْتِلَافِ الخَلْقِ وَالْأَخْلَاقِ . ثُمَّ تَلُوذُ بِكَ لِإِيَادٍ مِنْ يَرْجُوكَ ،
وَتَفِي لِكَ وَفَاءً لَا يَلْتَرِمُهُ لِكَ أبنُكَ وَلَا أُخُوكَ » . ثُمَّ ذَكَرَ حَمَامَةً صَادَهَا ، فَقَالَ :
« اِخْتَطَفَهَا أَسْرَعًا مِنَ اللَّحْظِ ، وَلَا تَحْمِيْدَ لَهَا عَنْهُ ، وَأَنْخَدِرُ بِهَا أَعْجَلُ مِنَ اللَّفْظِ ،
وَكَأَنَّهَا هِيَ مِنْهُ ؛ ثُمَّ جَعَلَ يَتَنَاوَلُهَا بِعَقْدِ السَّبْعِينَ ، وَيُدْخِلُهَا فِي أَضْيَاقِ مِنَ التَّسْعِينَ ^(٢) .
وَكَانَ لَهَا مَوْتًا عَاجِلًا ، وَكَانَتْ لَهُ قُوْتًا حَاصِلًا » . وَاللَّهُ الهَادِي لِلصَّوَابِ .



وَأَمَّا العَفْصِيُّ — وَهُوَ الصَّنْفُ الرَّابِعُ مِنَ البَايزَى . وَهُوَ مِنَ البَاشِقِ كَالزُّرْقِ
مِنَ البَايزَى ، إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ الجَوَارِحِ نَفْسًا ، وَأَضْعَفُهَا حِيْلَةً ، وَأَشْدُّهَا ذُعْرًا ، وَأَيْدِيهَا
مِنْ أَجَا . وَرَبْمَا صَادَ العَفْصُورَ وَتَرَكَه لَخَوْفِهِ وَحَدْرِهِ . وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ يَرْصُدُ الطَّيْرَ

(١) كذا في مباحج الفكر . والسبر : حسن الهيئة ، ومنه الحديث : "يخرج رجل من النار وقد ذهب
حبره وسيره" . والحبر : الهباء والحسن والوشي . وفي الأصلين : « شرره » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٩ من هذا الجزء .

أَيامِ حِضَانِهِ ^(١) ، فَإِذَا طَارَ عَنْ وَكْرِهِ خَلَفَهُ فِيهِ وَكَسَرَ بَيْضَهُ وَرَمَاهُ وَبَاضَ مَكَانَهُ وَطَارَ
عَنْهُ فَيَحْضُنُهُ صَاحِبُ الْوَكْرِ ، فَهُوَ أَبَدًا لَا يَحْضُنُ وَلَا يُرْبِي .



وَأَمَّا الْبَيْدَقُ — وَهُوَ الصَّنْفُ الْخَامِسُ مِنَ الْبَازِي ، وَهُوَ لَا يَصِيدُ غَيْرَ

الْعَصَافِيرِ . وَقَدْ وَصَفَهُ كُشَاجِمٌ فَقَالَ :

حَسْبِي مِنَ الْبُرَاةِ وَالزَّرَارِقِ * بَيْدَقٍ يَصِيدُ صَيْدَ الْبَاشِقِ ^(٢)

مُؤَدَّبٍ مُدْرَبٍ الْخَلَائِقِ * أَصِيدُ مِنْ مَعْشُوقَةٍ لِعَاشِقِ ^(٣)

يَسْبِقُ فِي السَّرْعَةِ كُلَّ سَابِقِ * لَيْسَ لَهُ عَنْ صَيْدِهِ مِنْ عَائِقِ

رَبِّئِنَّهُ وَكَنْتُ عَيْنَ الْوَاتِقِ * أُنَّ الْفَرَازِينَ مِنَ الْبَيَادِقِ ^(٤) ^(٥)

١٠ (١) الحضان (بالكسر) : مصدر من قولك : حضن الطائر بيضه حضنا وحضاناً إذا ضمه تحت جناحيه .

(٢) في حياة الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) : « والبيادق » .

(٣) في حياة الحيوان : « في صيده » .

(٤) في ديوانه وحياة الحيوان : « غير واتي » .

(٥) الفرازين : جمع فرزان ، معرب فرزين بالفارسية وهو الملكة في لعبة الشطرنج . تقول : تفرزن

ذكر ما قيل في الصقر

والصقر ثلاثة أصناف، وهي صقر، وكونج، ويؤيؤ.

فأما الصقر— فهو النوع الثالث من الجوارح. والعرب تُسمي كل طائر يصيد صقراً، ما خلا النسر والعقاب، وتسميه "الأكدر" و"الأجلد". وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب، لأنه أصبر على الشدة وأشدُّ إقداماً على جلة الطير كالكرّاكى والحبارج^(١). قالوا: ومزاجه أبرد من سائر ما تقدم ذكره من الجوارح وأرطب. وهو يضرى على الغزال والأرنب ولا يضرى على الطير لأنها تقوته. وفعله في صيده الأقباض^(٢) والصدم. وهو غير صاف بجناحه ولا خافق به. ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي. ويقال: إنه أهدأ نفساً من البازي، وأسرع أنساً بالناس، وأكثر رضاء وقناعة. وهو يتنذى بلحوم ذوات الأربع. وهو يعاف المياه ولا يقربها، وذلك لبرد مزاجه. وفي طبعه أنه لا يركب الأشجار ولا الشواخ من الجبال، ولا يأوى إلا المقابر والكهوف وصدوع الجبال. وهو ينق بالتعمك^(٥) في الزمل والتراب.

ومن صفاته المحمودة الدالة على نجابته وفراسته: أن يكون أحمر اللون، عظيم الهامة، واسع العينين، تام المنسر، طويل العنق والجناحين، رحب الصدر، ممتلئ

(١٧)

(١) الحبارج: جمع حبرج (بالضم)، وهو من طير الماء.

(٢) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «الاقباض» وهو تحريف.

(٣) صف الطائر جناحه في السماء: بسطهما ولم يحركهما.

(٤) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «أسرع إيناساً من الناس».

(٥) التعمك: التفرغ. وفي الأصلين: «بالعمل»، وهو تحريف.

(١) الزُّور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين والذنب، قريب القفدة من الفقار، سبط الكف، غليظ الأصابع فيروزجها، أسود اللسان. والله الموفق .
 وأول من صاد بالصقر وضراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة . وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صياد قد نصب شبكة للعصافير؛ فأنقض أكدر على عصفور قد علق في الشبكة فجعل يأكله وقد علق الأكدور وأندق جناحاه، والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله؛ فأمر به فحمل فرمى به في كسر بيت ووكل به من يطعمه؛ وأنس الصقر بالموكل به، حتى صار إذا جاءه باللحم ودعاه أجاب؛ ثم صار يطعمه على يده وصار يحمله . فبينما هو يوماً حامله إذ رأى حمامة، فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها . فأمر الحارث عند ذلك باتخاذها وتدريبها والتصيد بها . فبينما هو يسير يوماً إذ لاحت أرنب فطار الصقر إليها وأخذها؛ فلما رآه يصيد الطير والأرانب آزداد به إعجاباً وأغبطاً . واتخذته العرب بعده .

ووصفه الشعراء؛ فمن ذلك ما قاله كُشَاجِمُ يصفه :

غَدَوْنَا وَطَرَفَ النِّجْمِ وَسَنَانَ غَائِرٍ * وَقَدْ نَزَلَ الإِصْبَاحُ وَاللَّيْلُ سَائِرٌ^(٢)
 بِأَجْدَلٍ مِنْ حُمْرِ الصَّقُورِ مُؤَدِّبٍ * وَأَكْرَمُ مَا قَرَّبَتْ مِنْهَا الأَحَامِرُ^(٣)
 جَرِيءٌ عَلَى قَتْلِ الطَّبَّاءِ وَإِنِّي * لِيُعْجِبُنِي أَنْ يَكْبُرَ الوَحْشَ طَائِرٌ^(٤)
 قَصِيرُ الذَّنَابِ وَالْقَدَامَى كَأَنَّهَا * قَوَادِمٌ تُسِيرُ أَوْ سَيُوفٌ بَوَاتِرٌ

(١) الذي يستنبط من معاجم اللغة (مادة فقد) أن القفد جزء من جانب الرأس الخلفي . ولم يفسره

أحد من الأئمة أو يتحدث موضعه . (راجع اللسان مادة فقد) .

(٢) في مباحج الفكر : « والليل سائر » بالتاء المثناة من فوق .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « منه » .

(٤) جمع أحرر على أحرار لأنه أخرج مخرج الأسماء، كما جمع أجدل، وهو الصقر، على أجادل .

ورُقش منه جُوجُو فكَانَهُ * أعارته إجمام الحروف الدفاترُ
 فازلت بالإضمارِ حتى صنعته * وليس يحوز السبق إلا الضوامرُ
 وتحمّله منا أكف كريمة^(١) * كما زهيت بالخاطبين المنابرُ
 وعن لنا من جانب السفح ربرب^(٢) * على سنن تستن منه الجاذرُ
 فجلى وحلت عقدة السير فأتتني^(٣) * لأولها إذ أمكته الأواخرُ
 يحث جناحيه على حرّ وجهها^(٤) * كما فصلت فوق الحدود المعاجرُ^(٥)
 وما تم رجوع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوى إليها الخناجرُ

وقال عبد الله بن المعتز :

وأجدل يفهم نطق الناطق^(٦) * مللم الهامة نخم العاتق
 أفتى الخاليب طلوي مارق * كأنها نونات كف ماشق
 ذى جوجو لايس وشي رائق * كبتدا اللامات في المهارق^(٧)
 أو كامتداد الكحل في الجماليق * وتجمت باللفظ عين الرامق
 عشرًا من الإوز في غلافق^(٨) * فتر كالريح بعزم صادق

(١) في الأصلين : « رهبت » .

(٢) جلى البازى : أبصر الصيد فرفع رأسه وطره . وفي الأصلين : « جلى » بالخاء المهملة ، وهو

تصحيح .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « فامحى » بالميم ، وهو تحريف .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وجهه » .

(٥) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تلفة المرأة على استدارة رأسها ، ثم تجلب فوفه بجلباها .

(٦) المللم : المجتمع المدور المضموم .

(٧) المهارق : جمع مهرق (بالضم) وهى الصحيفة البيضاء ، يكتب فيها .

(٨) الغلافق : جمع غلق وهو الطحلب أو هو نبت ينبت فى الماء ، ورقه عراض .

١٠

١٥

٢٠

حتى دنا منهم مثل السارق * ثم علاها بجناح خافق
(١)
* فطفقت من هالك أوفائق *

وقال أيضا :

وأجدل لم يتحل من تأديب * يرى بعيد الشيء كالتقريب
يهوى هوى الدلو في القليب * بناظر مستعجم مقلوب
كناظر الأقبل ذى التفطيب * رأى إوزا في ثرى رطيب
(٢)
فطار كالمستوهل المرعوب * ينفذ في الشمال والجنوب

✦
✦

وأما الكونج — وهو الصنف الثاني من الصقر . ويسمى بمصر والشام

السقاوية . ونسبته من الصقر كنسبة الزرق من البازي ، إلا أنه أحر منه ؛ ولذلك هو
١٠ أخف منه جناحا . وهو يصيد الأرنب ، ويعجز عن الغزال لصغره ؛ ويصيد أشياء
من طير الماء . وشدة نفسه أقل من شدة بدنه ؛ ولأجل ذلك هو أطول في البيوت
لبنا ، وأصبر على مقاساة الشقاء من الصقر . وفي وصفه يقول بعض الشعراء :

(١٠٨)

إن لم يكن صقر فعندي كونج * كأن نقش ريشه المدرج
١٥ برد من الموشى أو مدجج * فكم به للطير قلب مزجج
مزرق بدمه مضرج * بمثله عنا المهموم تفرج

(١) يقال : فاق الرجل فواقا إذا كانت نفسه على الخروج .

(٢) الأقبل : الذى أقبلت حدقاته على أفقه . وقال الليث : القبل فى العين : إقبال السواد

على الحجر .

(٣) كذا فى ديوانه (ص ٩٧ طبع مصر) . وفى الأصلين : « وطيب » وهو تحريف .

(٤) فى مباحج الفكر : « السقاوية » .



وأما اليؤيؤ — وهو الصنف الثالث من الصقر . ويسميه أهل مصر والشام "الجلم" لخفة جناحيه وسرعتهما . وهو طائر قصير الذنب . ومزاجه بالإضافة الى الباشق بارد رطب ، لأنه أصبرُ منه نفساً وأثقلُ حركةً . ويشرب الماء شرباً ضرورياً كما يشربه الباشق . ومزاجه بالنسبة الى الصقر حارٌّ يابس ، ولذلك هو أشجع منه ، لأنه يتعاقب بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجل منه كالدرّاج . ويقال : إن أول من صاد به وأتخذهُ للعب بهرام جور^(١) ، وذلك أنه شاهد يؤيؤاً يطارد قبرةً ويروغها ويرفع معها إلى أن صاهاها ؛ فأعجبه وأتخذهُ وصاد به .

وقال عبد الله النأشي يصفه :

ويؤيؤ مَهْدِبٍ رَشِيقٍ * كَأَن عَيْنِهِ عَلَى التَّحْقِيقِ^(٢)
* فَصَانٍ مَخْرُوطَانٍ مِنْ عَقِيقٍ *

وقال أبو نؤاس :

قَدْ أَغْنَيْدِي وَالصَّبِيحُ فِي دِجَاهِ * كَطُرَّةِ الْبَرْدِ عَلَى مِثْنَاهُ^(٣)
يؤيؤُ يُعْجِبُ مَنْ رَأَاهُ * مَا فِي الْبَيَاسِيِّ يؤيؤُ شَرَوَاهُ^(٥)

(١) راجع ترجمته بتفصيل واف في تاريخ الطبرى (ص ٨٥٤ — ٨٧١ من القسم الأول) .

(٢) في مباحج الفكر وحياة الحيوان للدميرى (ج ٢ ص ٨٠) : « لدى » .

(٣) وردت هذه القصيدة في ديوان أبى نؤاس المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت

رقم (٢٥ أدب م ص ٧٨) على غير هذا الترتيب وبزيادة أبيات عليها .

(٤) كذا في الأصلين ودبوانه . وفي حياة الحيوان للدميرى : « كطرة البدر لدى مثناه » .

والطرة : الجملة . وقد تكون هذه الرواية الأخيرة أقرب الروايات الى الصحة اذا صح أن كلمة « مثناه »

يراد بها ميل القمر وانعطافه الى مغيبه ، ويكون المراد تشبيه الصبح في غلسه بصفحة البدر عند مغيبه .

(٥) كذا في ديوانه ومباحج الفكر . وشروى النشئ : ظنيره . وفي الأصلين : « يؤيؤسواه » .

أزرق لا تكذبه عيناه * فلو يرى القانص ما يراه
[* فداء بالأم وقد فداء *]^(١)

وقال أبو اسحاق الصبائي يصفه من رسالة :

«وكم من قُبْرٍ أطلقنا عليه يُؤرِّقُ لنا فعرَج إلى السماء عُرُوجاً ، ولجَح في أثره
تلجيجاً ؛ فكان ذلك يعتصم منه بالخلاق ، وهذا يستطعمه من الرزاق ؛ حتى غابا
عن النظَّار ، وأحتجا عن الأبصار ؛ وصارا كالغيب المرجم^(٥) ، والظن المتوهم ؛ ثم
خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ؛ فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما» .^(٦)

ذكر ما قيل في الشاهين

والشاهين ثلاثة أصناف ، وهى شاهين ، وأنيق ، وقطامي .

- ١٠ فأما الشاهين — وأسمه بالفارسية شَوَذَانِه ، فعزبته العربُ على ألفاظشتي
منها : شُوذَانِق وشُوذَق وشُوذَنْق وشِدَنْق^(٧) . ويقال : إنه من جنس الصقر إلا أنه
أبرد منه وأيسر ؛ ولذلك تكون حركته من العلو إلى السفلى شديدة . وليس يخلق

(١) زيادة عن ديوانه ومباحج الفكر وحياة الحيوان للدميري .

(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٣٥) . وفي الأصلين : «وطار منه قبرا» .

(٣) في اليتيمة : «بازيا» .

(٤) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كان» .

(٥) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كالغيث المرجم والظن المرهم» ، وهو تحريف .

(٦) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «ورفع» وهو تحريف .

(٧) قد وردت هذه المترادفات في إحدى روايات المخصص بالسین المهمة . والسین والشين

كلتاها لغة فيها . راجع القاموس وشرحه واللسان (مادق سذق وشذق) والمخصص (ج ٨ ص ١٥٠) .

في طلب الصيد على خطٍ مستقيم إنما يحوم لِثقلِ جناحه، حتى إذا سامت الفريسة
 أنقض عليها هاوياً من علوِ فضرها وفارقها صاعداً؛ فإن سقطت على الأرض أخذها،
 وإن لم تسقط أعاد ضربها [لتسقط]؛^(٢) وذلك دليلٌ على جُبْنه وفنورِ نفسه وبردِ مزاجِ
 قلبه . ومع ذلك كله فهو أسرعُ الجوارح وأخفها وأشدّها ضراوةً على الصيد .
 إلا أنهم عابوه بالإباق وبما يعتريه من الحرص ؛ حتى إنه ربما ضرب بنفسه
 الأرض فمات . ويزعمون أن عظامه أصلبُ من عظام سائر الجوارح ؛ ولذلك هو
 يضرب بصدره ويلق بكفّه .

وقال بعضٌ من تكلم في هذا النوع : الشاهين كاسمه . يريد [شاهين] الميزان؛^(٣)
 [لأنه] لا يَحتمل أدنى حال من الشَّبَع ولا أيسرَ حالٍ من الجوع .^(٤)

والمحمودُ من صفاته : أن يكون عظيمَ الهامة ، واسعَ العينين خاذهما ، تامَّ
 المنسَر، طويلَ العنق، رَحَبَ الصدر، ممتلئاً الزَّور، عريضَ الوسط، جليلَ الفخزين،^(٥)
 قصيرَ الساقين، قريبَ القفدة من الظهر، قليلَ الريش لِينه، تامَّ الخوافي، دقيقَ
 الذَّنْب، إذا صلَّب عليه جناحيه لم يفضلَ عنهما شيءٌ منه . فإذا كان كذلك فهو يقتل
 الكُرْكِيَّ [ولا يفوته] . وزعم بعضهم أن السُّودَ من الشواهين هي المحمودة ؛ وأن السواد
 أصل لونها، وإنما أحواله التُّربة . ويكون في الشواهين المأمع . والله أعلم .

(١) كذا في مباحج الفكر، وفي الأصلين : «بقل» .

(٢) زيادة عن مباحج الفكر .

(٣) هذه التكلة عن كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . وشاهين الميزان : لسانه .

(٤) زيادة عن شفاء الغليل وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) ومباحج الفكر .

(٥) في حياة الحيوان للدميري : «جليد» .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٧) عبارة حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) : «إذا صلَّب عليه جناحيه لم يفضل عنه بمنهاشي» .

(٨) في مباحج الفكر : «وزعم أهل الاسكندرية» .

وأول من صاد بالشواهين قسطنطين [ملك عمورية ^(١)] . حُي أنه خرج يوماً
 يتصيد ، حتى إذا أتى إلى مَرَجٍ فسَيحَ نظر إلى شاهين ينكفي على طير الماء ؛
 فأعجبه ما رأى من سرعته وصرأوته وإلحاحه على صيده ، فأخذه وصرأه ؛ ثم رِيضت
 له الشواهين بعد ذلك وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فَنظَّله من الشمس ؛
 فكانت تحدر مرة وترتفع أخرى ، فإذا نزل وقعت حوله .

وقد وصف الشعراء الشواهين وشبهوها ؛ فمن ذلك قول النّاشي :

هل لك يا قنّاص في شاهين * سُودَانِي مؤدّب أمين
 جاء به السائس من رزّين ^(٢) * صَراه بالتّخشين والتّئين
 حتى لأغناه عن التلقين * يكاد للتّقيف والتّميرين
 يعرّف معنى الوحي بالحقون * يظّل من جناحه المزين
 في قرطيق من نخزّه الثمين ^(٣) * يُشبهه من طرازه المصون
 برد أو شروان أو شيرين ^(٤) * أحوى مجارى الدمع والشؤون
 ذى منسّر مؤلّل مسنون * واف كسّطر الحاجب المقرون
 منعطف مثل أعطاف النون * يُبدي اسمه مدناه للعيون
 وقال أبو الفتح كُشّاجم وبدأ بالكركي :

ياربّ أسراب من الكراكي * مطمعة السكون في الحراك
 بعيدة المنال والإدراك * كُدّر وبيض اللون كالأفناك ^(٥)

(١) زيادة عن مباح الفكر . وعمورية (بفتح أزله وتشديد ثانيه) : بلد في بلاد الروم غزاه
 المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ وكانت من أعظم فتوح الإسلام .

(٢) كذا بالأصلين ولم نجد في معاجم البلدان موضعاً بهذا الاسم .

(٣) القرطيق : قباء ذو طاق واحد ، تعريب كونه بالفارسية .

(٤) شيرين : اسم حظية كسرى أروزي ؛ وتطلق أيضاً على أسماء فارسية كثيرة .

(٥) الأفناك : جمع فنك ، وهو دوية يؤخذ منه القرو ، يجلب من بلاد الصقالبة .

تَقْصُرُ عَنْهَا أَسْمُهُمُ الْأَتْرَاكِ * دُعِرْنَ قَبْلَ لَفْظِ الْمَكَائِي (٢)
 وَقَبْلَ تَفْرِيدِ الْحَمَامِ الْبَاكِي * بِفَاتِكِ يُرْبِي عَلَى الْفُتَاكِ
 مُؤَدَّبِ الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ * مُتَمَلِّمِ الْهَامَةِ كَالْمَدَاكِ (٣)
 مِثْلَ الْكَيْمِيِّ فِي السَّلَاحِ الشَّاكِي * ذِي مَنَسِيرِ ضَخِيمٍ لَهُ شَكَاكِ
 وَغِخْلِبٍ بِجَدِّهِ بَتَّاكِ (٤) * لِتُجِبَ عَنْ قُلُوبِهَا هَتَاكِ
 حَتَّى إِذَا قَلْتُ لَهُ دَرَاكِ * وَحَلَقْتُ تَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ
 مُتَمَدِّدَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأَوْرَاكِ * مُوقِنَةً بِعَاجِلِ الْمَلَائِكِ
 غَادِرَهَا تَهْوِي عَلَى الدَّكَاكِ (٥) * أَسْرَى بِكَفِّهِ بِلَا فَكَاكِ
 يَأْغِدُوا الصَّيْدَ مَا أَحْلَاكِ * وَمُنَّةَ الشَّاهِينِ مَا أَقْوَاكِ
 لَمْ تَكْذِبِي فِرَاسَةَ الْأَمْلَاكِ * إِيَّاكِ أَعْنَى مَا دَحَا إِيَّاكِ



وَأَمَّا الْأَنْبِقِيُّ — وَهُوَ الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الشَّاهِينِ، وَتَسْمِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ
 الْكَتْرَكَ . وَهُوَ دُونَ الشَّاهِينِ فِي الْقُوَّةِ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ سُرْعَةً . وَهُوَ يَصِيدُ الْعَصَافِيرَ .
 وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

غَنَيْتُ عَنِ الْجَوَارِحِ بِالْأَنْبِقِيِّ * بِمِثْلِ الرِّيحِ أَوْلَمِجِ السَّبْرُوقِ
 أَصَبُّ بِهِ عَلَى الْعُصْفُورِ حَتْفًا * فَارْمِيهِ بِصَخْرَةٍ مَنَجْنِيقِ

- (١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفَنَكِ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « دَعَوْتُ » .
 (٢) الْمَكَائِي : جَمْعُ مَكَاءٍ (بِضْمِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ) وَهُوَ طَائِرٌ فِي ضَرْبِ الْقُبْرَةِ إِلَّا أَنَّ فِي جَنَاحِيهِ
 بَلَقًا ، وَهُوَ يَأْلِفُ الرِّيفَ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَمْكُرُ أَيْ يَصْفُرُ .
 (٣) الْمَدَاكِ : حَجَرٌ يَسْحَقُ عَلَيْهِ الطَّيْبُ .
 (٤) بَتَّاكِ : قِطَاعٌ .
 (٥) الدَّكَاكِ : جَمْعُ دَكَّةٍ وَهِيَ مَا اسْتَرَى مِنَ الرَّمَالِ وَسَهْلٌ .

وَأَمَّا الْقَطَايِمُ — وهو الصنف الثالث من الشاهين ، وتسميه أهل العراق
 «الْبَهْرَجَةَ» . يقال : إنه في طبع الشاهين ، والعرب تُخالف ذلك ، وتسمى بعض
 الصقور الْقَطَايِمِ ؛ والمُحْتَنُونَ بالجوارح يخالفونهم في ذلك .

فصل

وَمَا نَاسَبَ الْجَوَارِحَ فِي الْأَقْتِرَاسِ وَأَكَلَ اللَّحْمَ الْحَيَّ - «الضَّرْدُ» ، وَيُسَمَّى
 «الشَّقْرَاقُ»^(١) ، و«الأَخْطَبُ» ، و«الأَخِيلُ» . وقيل : إن من أسمائه «الواق»^(٢)
 وبعضهم يسميه «بازي العصافير» . [وهو طائر مولعٌ بسوادٍ وبياضٍ ، ضخْمُ المنقارِ]^(٣) .
 وفي طبعه شدةٌ وشراسةٌ وسرقةٌ لفراخٍ غيره ونفورٌ من الناس . وهو [يصيد
 الحيات]^(٤) و [يعتدي باللحم] ، ويأوى الأشجار ذوات الشوك وفي رعوس التلاع ، حذرًا
 على نفسه [ممن يصيده]^(٥) . وهو يتحيل في صيد ما دونه من الطير كالعصفور .

هذا ما ظفرت به في أثناء المطالعة من سباع الطير مما تكلم عليه أربابُ هذا
 الفن . وقد أهملوا أصنافًا ، منها ما هو أجلُّ من جميع ما ذكرناه ، وهو «السنقر» .

١٥ (١) كذا في مباحج الفكر والمخصص (ج ٨ ص ١٥١) . وفي الأصلين «الشقران» بالتون بدل
 القاف ، وهو تحريف .

(٢) الواق بكسر القاف بلا يا ، سمي بذلك لحكاية صوته . ويقال فيه أيضا «الواق» كالفاضي
 بابتداء الياء .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

٢٠ (٤) وردت هذه العبارة في مباحج الفكر كما يأتي : «وله من التحيل في صيده ما دونه من الطير
 كالعصفور والصعو وغير ذلك من تغير صوته وحكاية كل صوت لذي جثة صغيرة ، فيدعوها ما تسمع منه
 الى التقرب منه ظنا منها أنه من جنسها ، فاذا اجتمعن اليه شد على بعضهن فأخذه وأكله ، وله نقر شديد
 واذا نقر شيئا منها أكله من ساعته» .

والسَّنْقِر — طائر شريف ، حسنُ الشَّكل ، أبيضُ اللونُ بنقطِ سود .
 والملوكُ تَتَغَالَى فيه وتَسْتَرِيه بالثمن الكثير . وكان فيما مضى من السنين القريبة يُسْتَرَى
 من التِّجَارِ بِألفِ دينارٍ ، ثم تناقَصَ ثمنُهُ حتى آسْتَقَرَّ الآنُ بِخَمْسَةِ آلافِ درهمٍ . ولم
 عادةً : أنَ التِّجَارِ إِذَا حَمَلُوهُ وَأَتَوْا بِهِ مِنْ بِلَادِ الْفِرْنَجِ فَاتَ مِنْهُمْ فِي الطَّرِيقِ قَبْلَ
 وِصُولِهِمْ أَحْضَرُوا رِيشَهُ إِلَى أَبْوَابِ الْمَلُوكِ ، فَيُعْطَوْنَ نِصْفَ ثَمَنِ إِذَا أَتَوْا بِهِ حَيًّا ؛ كَلِ
 ذلكَ تَرْغِيًّا لَهُمْ فِي حَمَلِهَا وَتَقْلِهَا إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . وهذا الطيرُ لَا يَشْتَرِيهِ غَيْرُ
 السُّلْطَانِ وَلَا يَلْعَبُ بِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَمْرَاءِ إِلَّا مِنْ أَنْعَمِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِ بِهِ . واللهُ أَعْلَمُ .
 وَمَا أَهْمَلُوا الْكَلَامَ فِيهِ "الكوهية" و"الصفية" و"الزغزغى" ، ودُوِيَ عَدَدٌ مِنْ
 أصْنَافِ الصَّقْرِ . ولم أَجِدْ مَنْ أَتَقَى بِتَقْلِهِ وَعَلِمَهُ بِهَذِهِ الْأَصْنَافِ فَأَنْقَلَ عَنْهُ أَخْلَاقَهَا
 وطبائِعَهَا وَعَادَاتَهَا .



وقال أبو إسحاق الصابى فى وصف الجوارح من رسالة طردية جاء منها :
 «وعلى أيدينا جوارحٌ مؤلِّلةٌ المخالب والمناسر، مذبذبةٌ النَّصَالِ^(١) والخناجر، طامحةٌ
 الأَلاْحاظِ والمناظر؛ بعيدةُ المرامي والمطارح؛ ذكيةُ القلوب والنفس، قليلةُ القُطُوبِ
 والعُبُوسِ ؛ سَابِغَةٌ الْأَذْنَابِ ، كَرِيمَةٌ الْأَنْسَابِ ؛ صُلْبَةٌ الْأَعْوَادِ ، قَوِيَّةُ الْأَوْصَالِ ؛
 تَزِيدُ إِذَا أُحْمِتْ شَرُّهَا وَقَرَمًا ، وَتَنْضَاعِفُ إِذَا أُشْبِعَتْ كَلْبًا وَنَهَمًا . ثم خرج إلى وصف
 الحمام فقال : « فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ؛ كأنها رسلُ المنايا ، أو سِهامِ
 القضايا ؛ فلم تَسْمَعْ إِلَّا مُسْمِيًّا ، ولم تَرَ إِلَّا مُذَكِّيًّا » .

(١) ذرب السيف ونحوه (بالضعيف) وذربه (بالتحفيف) وأذربه : أحده .

(٢) فى الأصلين : « طيبة الأعواد » .

(٣) ألحمت : أطعمت اللحم .

الباب الثاني من القسم الخامس من الفن الثالث في كلاب الطَّير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في النَّسر، والرَّخْم، والحِدَاة، والغراب .
وإنما سُميت هذه الأصناف بالكلاب لأنها تأكل الميتة والحيف وتقصدها
وتقع عليها، فهي في ذلك شبيهة بالكلاب .

ذكر ما قيل في النَّسر

والنَّسر ذو منسر وليس بذى مخبب، وإنما له أظفار حداد^(١) كالمخالب . وهو يسفد
كما يسفد الديك^(١) . وزعم من تكلم في طبائع الحيوان أن الأثني من هذا النوع تبيض
من نظر الذكر إليها، وأنها لا تحضن^(٢) [بيضها] وإنما تبيض في الأماكن العالية
التي يقرعها حر الشمس وهجيرها، فيقوم ذلك للبيض مقام الحضن .

والنَّسر يوصف بحدة حاسة البصر؛ حتى إنه يقال : إنه يرى الحيفة عن
مسافة أربعمائة فرسخ . وكذلك حاسة الشم ؛ إلا أنه إذا شم الطيب مات . وهو
أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً ؛ حتى زعموا أنه يطير ما بين المشرق والمغرب
في يوم واحد . وهذا القول أراه من التغالي فيه . وسائر الجوارح تخافه . وهو
[شده نهم ريغب] ؛ إذا سقط على الحيفة وأمتلاً منها لم يستطع عند ذلك الطيران

(١) زيادة عن مباحج الفكر وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤١٠) .

(٢) النكلة عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٢ ص ٦٥) .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

حتى يثبَّ عِدَّةً وثَّبات يرفع فيها نفسَه في الهواء طبقةً بعد طبقةٍ حتى تدخل تحته الرِّيحُ . ومنَّ أصابه بعد امتلائه وأعجله عن الوثوب أمكنه ضربه إن شاء بعضا . وإن شاء غيرها . قالوا : والأثني تخاف على بيضها وفراخها من الحفَّاش فتفترش في وكَّرها ورق الدُّلب لِيَفْرَّ منه . والنسرُ أشدُّ الطير حُرْناً على [فِراق] ^(٢) لِفِه ؛ يقال : إن الأثني إذا فقدت الذكرَ امتنعت عن الطَّعم أياماً ولزمت الكوكبَ وربما قتلها الحزنُ . وهو طويل العمر؛ يقال : إنه يُعمر ألف سنة . وفيه ألوان : منها الأسودُ البهيم ، والأزبد وهو لون الرماد ، والأكدر مثله . وهو يتبع الجيوش طمعاً في الوقوع على جيف القتلى والدواب .

ذكر ما قيل في الرخم

يقال : إن لثام الطير ثلاثة : الغربان ، والبوم ، والرَّخْمُ .
والرَّخْمَةُ تلتمس لبيضها المواضع البعيدة والأماكن الوحشية والجبال الشامخة
وَصُدُوعَ الصخر؛ ولذلك يُضرب المثل ببيض الأنوق . قال الشاعر :
طَلَبَ الأَبْلَقُ ^(٤) العُقُوقَ فلما * لم يَنَلْهُ أرادَ بِيضَ الأنوقِ
والرَّخْمُ من أحب الحيوان في العذرة ، لا شيءَ يحبها كحبه إلا الجعل . وقال
المفضل لمحمد بن سهل : إنا لا نعرف طائراً ألوماً ولوماً ولا أقدرَ طُعْمَةً ولا أظهرَ

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أمكنه ضربه بالسلاح العسا وغيرها » .

(٢) الدلب : شجر الصنار وهو عريض الورق واسع شبه بوق الكرم ، مثل كف الانسان ، ولا نورله ولا ثمر .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

(٤) يضرب هذا لطلب المستحيل ، فيقال : « أعز من الأبلق العقوق » ، وذلك أن الأبلق من صفات الذكور ، والعقوق : الحامل ، والذكر لا يكون حاملاً . وكذلك يضرب المثل ببيض الأنوق لما لا يظفره لصعوبة الوصول إليه . والأنوق : الرخم .

مَوْقًا مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ : وَمَا حُمُّهَا وَهِيَ تَحْضُنُ بَيْضَهَا ، وَتَحْمِي فِرَاحَهَا ، وَتَحِبُّ وَلَدَهَا ، وَلَا تَمَكَّنُ إِلَّا زَوْجَهَا ، وَتَقَطُّعُ فِي أَوَّلِ الْقَوَاطِعِ ، وَتَرْجِعُ^(١) فِي أَوَّلِ الرَّوَاجِعِ ، وَلَا تَطِيرُ فِي التَّحْسِيرِ ، وَلَا تَغْتَرُّ بِالشَّكْرِ ، وَلَا تُرَبُّ بِالْوُكُورِ ، وَلَا تَسْقُطُ عَلَى الْجَفِيرِ ! .

- قال الجاحظ : أما قوله : « تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع » ،
فإن الرامة وأصحاب الحبال والنقاص إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع قد قطعت ، فبقطع الرحمة يستدلون ، فلا بد للرحمة من أن تنجو سالمة إذ كانت أول طالع عليهم . وأما قوله : « ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالشكر » ؛ فإنها تدع الطيران أيام التحسير ، فإذا نبت الشكير وهو أول ما ينبت من الريش فإنها لا تنهض حتى يصير الشكير قصباً . وأما قوله : « ولا ترب بالوكور » ، فإن الوكور لا تكون إلا في عرض الجبل ، وهي لا ترضى إلا بأعلى الهضاب ثم بموضع الصدوع وخلال الصخور حيث يتنوع على جميع الخلق المصير إلى أفرانها ؛ ولذلك قال الكمي :

ولا تجعلوني في رجائي ودكم * كرايح على بيض الأنوق آحتبالها^(٤)

- وأما قوله : « ولا تسقط على الجفير » ، فإنما يعني جعبة السهام . يقول : إذا رآته علمت أن هناك سهاماً فلا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السهام .

(١) قطعت الطير تقطع قطوعاً : إذا جاءت من بلد إلى بلد في وقت حرا أو برد ، فهي قواطع .

(٢) حسرت الطير : سقط ريشه .

(٣) رب بالمكان وأرب لإرباباً : لزمه وأقام به .

(٤) احتبل الصيد : أخذه بالحبال .

قال : والرَّحْمُ من الطير التي تتبع الجيوشَ والمُجَاجَ لما يسقط من كسرى^(١) الدواب . وإذا فقدت الميتة عمدت إلى العظم حملته وأرتفعت به في الهواء ثم تلقته فيقع على الصخور فيتكسر فناكل ما فيه . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في الحِدَاة

قالوا : والحِدَاةُ تبيض بيضتين ، وربما باضت ثلاثاً وخرج منها ثلاثة أفرخ . وهي تحضن عشرين يوماً . ومن ألوانها الأسود والأزبد . ويقال : إنها لا تصيد وإنما تحطف . وهي تقف في الطيران ، وليس ذلك لغيرها من الكواسر ، وزعم ابن وحشية : أن العقاب والحداة يتبدلان ، فتصير الحداة عقاباً والعقاب حداة . وهذا أراه من الخرافات . ويقال : إن الحداة من جوارح سليمان عليه السلام وإنها امتنعت من أن تؤلف أو تملك لغيره ، لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده . وهي لا تحطف إلا من يمين من تحطف منه دون شماله . وليس فيها لحم ، وإنما عظام وعصب وجلد وریش . ولم أقف على شعر فيها فأضعه .

ذكر ما قيل في الغراب

قالوا : والغراب أصناف ، وهي " الغداف " و " الزاغ الأكل " و " الزاغ الأورق " . والغراب يحكى جميع ما يسمعه ، وهو في ذلك أعجب من البقاء . ويقال : إن متولى نعر الإسكندرية أهدى إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس غراباً أبيض ، وهو غريب نادر الوقوع . ويقال في صوت الغراب : نَعَقَ يَنْعَقُ نَعِيقًا ، وَنَبَّ يَنْبُبُ نَعِيبًا . فإذا مررت عليه السنون الكثيرة غلظ صوته

(١) كسرى : جمع كبير .

قيل فيه: **شَحَجَ يَشْحَجُ شَحِجًا** . وفي طبعه الاستتارُ عند السَّفَادِ وهو يَسْفِدُ مُوْاجِهَةً^(١)، ولا يعود إلى الأثني إذا سَفِدَهَا أبداً، وذلك لقلّة وفائه .

قال الجاحظ : **وإذا خرج الفَرْخُ حَضَنَتَهُ الأثني دون الذكر، ويأتيها الذَّكْرُ بالطَّعْمِ** . قال : **والغراب من لِسَامِ الطير وليس من كرامها ، ومن بَعَاثِهَا وليس من أحرارها، ومن ذوات الخالب المعقّفة والأظفار الجارحة، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسير؛ وهو مع ذلك قوى البدن، لا يتعاطى الصيد، وربما راوَعَ العُصفورَ . ولا يصيد الجرادَ إلا أن يلقاها في سُدِّ^(٢) من جراد . وهو إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزّالاً . ويتقَمَّمُ كما نتَقَمَّمُ بهائمُ الطير وضعافُها . وليس يهيمه لِمكان أكله الحيف؛ وليس بسُبعٍ لعجزه عن الصيد .**

قال: وهو إما أن يكون حالك السواد شديد الاحتراق، ويكون مثله من الناس الزُّنْجُ لأنهم يشرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً، فلا تكون له معرفة ولا جمال؛ وإما أن يكون أبقع فيكون أختلافُ تركيبه وتضادُ أعضائه دليلاً على فساد أمره . والبُقْعُ الأُمُّ من السُّودِ وأضعف .

قال : **ومن الغربان غرابُ الليل ، وهو الذي ترك أخلاقَ الغربان وتشبّه بأخلاقِ البوم . وقد رأيتُ أنا بِلُنْيَاسِ^(٣) — وهي على ساحل البحر الرومي — غريباً نا كثيرة جداً، فإذا كان وقتُ الفجر صاحت كلها صياحاً عظيماً مُرَّعِجاً؛ فهم يعرفون طلوعَ الفجر بصياحها .**

(١) قال الجاحظ : «ناس يزعمون أن تسافدها على غير تسافد الطير وأنها تراق وتلقح من «ناك» . (راجع الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢١٤ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ أدب) .

(٢) السدّ : القطعة من الجراد، سدّ الأفق . يقال : جاءنا سدّ من جراد، وجراد سدّ .

(٣) بلنّياس : مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر .

قال : ومنها غراب البين ؛ وهو نوعان : أحدهما غريبان صفار معروفة بالضعف واللؤم . والآخر إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ويتقمم ، فنشأوا به وتطيروا منه ، إذ كان لا يلم بمنازلهم إلا إذا بانوا منها ؛ فسموه غراب البين . ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين ، فسموه الأعور ؛ من أسماء الأضداد .
 قال : والنيدفان جنس من الغريبان ؛ وهي لثام جدّا . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب آشتقوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب . والعرب يتعابرون بأكل لحوم الغريبان . وفي ذلك يقول وعلة الجرمي^(١) :

فما بالعار ما عيرتمونا * شواء الناهضات مع الخبيص^(٢)
 فما لحم الغراب لنا بزاد * ولا سرطان أنهار البريص^(٣)^(٤)

والغريبان من الأجناس التي تقتل في الحبل والحرم ، وسميت بالنسقي .

قال الجاحظ : وبالبصرة من شأن الغريبان ضروب من العجب ، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطلسمات ؛ وذلك أن الغريبان تقطع إلينا في الخريف فترى التخييل وبعضها مصروم وعلى كل نخلة عدد كثير من الغريبان ؛

(١) هو وعلة بن عبد الله الجرمي الشاعر ، أحد فرسان قضاة . (راجع الكلام عليه وعلى ابنه الحارث بن وعلة في الأغاني ج ١٥ ص ١٣٩ طبع بولاق) .

(٢) الناهضة : أنثى فرخ العقاب . والخبيص : ضرب من الحلواء .

(٣) السرطان : حيوان من خلق الماء ذرفكين ومخالب وأظفار حداد ، يمشى على جنب واحد ، ويسمى عقرب الماء .

(٤) البريص : نهر دمشق . ذكر ذلك ياقوت ، ثم ساق أبياتا لحسان بن ثابت وذكر الشطر الأخير من قول وعلة هذا ، وقال : « وهذان الشعران يدلان على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار إلى البريص » .

وليس فيها شيء يقرب نخلة واحدة من النخيل التي لم تُصَرَّم ولو لم يبق عليها إلا عِدْق واحد . قال : فلو أن الله تعالى أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها التمر لذهب جميعه . فإذا صرّموا ما على النخلة تسابق الغربان إلى ما سقط من التمر في جوف القلب ^(١) وأصول الكرب تستخرجه وتأكله ^(٢) .

- ومما يُتمثل به في الغراب : يقولون : « أخذ من غراب » . و « أصح من غراب » . و « أصفى نظراً من غراب » . و « أسود من غراب » .

ومما وُصِفَتْ به الغربانُ — فمن ذلك قولُ عنترة :

حَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لِحْيَ رَأْسِهِ * جَلَسَانَ بِالْأَخْبَارِ هَشَّ مُوَلِّعٌ ^(٣)

وقال الطَّيْرِمَاحُ بن حَكِيم :

- ١٠ وجرى بينهمُ غداةً تَمَحَّلُوا * من ذى الأثاربِ شاحجٌ يتعبد ^(٤)
شَنجُ النَّسَا أدقُّ الجَنَاحِ كَأَنَّهُ * في الدارِ إثرَ الظاعنين مقيدٌ ^(٥)

(١) قلب النخلة (مثلث القاف) : الخوص الذي يلي أعلاها . وفي كتاب الحيوان للملاحظ (ج ٣

ص ١٤١) : « في جوف الليف » .

(٢) الكرب : أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها .

١٥ (٣) كذا في ديوان عنترة المخطوط بخط المرحوم الشنيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣٧ أدب واللسان (مادة حرق) . وحرق الجناح : انحصر ريشه ونسل . وفي الأصلين : « رُق الجناح » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية ، وتحت جبلها قرية تسمى باسمها . ويريد بوصفه بالتمتع أن الغراب إذا صاح أخذ يرفع رأسه ويخفضه ، شأن المتعبد .

٢٠ (٥) الشنج : تقبض الجلد والأصابع وغيرها . والنسا (بالفتح) : عرق من الورك إلى الكعب .

(٦) كذا في اللسان (مادة دفا) . وأدق الجناح : طويله . وفي الأصلين : « أوق الجناح » .

وقد روى في اللسان (مادتي حرق وشنج) : « شنج النسا حرق الجناح ... الخ » .

وقال أبو يوسف بن هارون الزبدي الأندلسي :

أبا حاتم ما أنت حاتم طيٍّ * وما أنت إلاحاتم الحدان
خطبت ففرقت الجميع بلكنة * فإظن لو تعطى بيان لسان
كانهم من سرعة البين أودعوا * جناحك وأستحشيت^(١) للطيران

وقال أحمد بن فرج الجبائي :

أما الغراب فؤذن بتغرب * وشكا^(٢) فصدق بالنوى أو كذب
داجي القناع كان في إظلامه * إظلام يوم تفرق وتغرب

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « استحيت » ، وهو تصحيف .

(٢) وشك الفراق : سرعته .

الباب الثالث من القسم الخامس

من الفص الثالث في بهائم الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في "الدراج" و"الجباري" و"الطاوس" و"الهديك" و"الدجاج" و"الجمل" و"الكركي" و"الإوز" و"البط" و"النحام" (١) و"الأنيس" و"القاوند" و"الخطاف" و"القيق" و"الرزور" و"السماني" و"المنهد" و"العققي" و"العصافير".

قال الجاحظ : والبهيمة من الطير ما أكل الحب خالصا .



فأما الدراج وما قيل فيه — قال الجاحظ : إنه يبيض بين العشب ،

١٠ ولا سيما فيما طال منه وآلتوى .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : لحم الدراج أفضل من الفواخت وأعدل وألطف وأيسر . قال : وهو يزيد في الدماغ والفهم ، ويزيد في المنى .

وقال أبو طالب الماموني :

قد بعثنا بذات حُسنٍ بديع * كنبات الربيع بل هي أحسن

١٥ في رداءٍ من جَلنارٍ وآس * وقميص من يأسمينٍ وسوسن

وقال آخر :

صدرٌ من الدراج مُمق وشيها * وُصَلنَ بأطراف الجين السواذج

وأحداقُ تيرٍ في حدود شقائق * تَلالُأُ حُسنًا كاشتعال المسارج

(١) النحام (بالضم) : طائر أحمر على خلفة الإوز، واحده نخامة .

وأذنانُ طَلَع في ظهورِ مَلَاعِقِ * مُجَزَّةُ الأعطافِ صُهْبُ الدَّمَالِجِ
فإن نَخَرَ الطَّائِوسَ يوماً بحسنه * فلاحُسنَ إلا دونَ حَسَنِ الدَّرَارِجِ



وأما الحُبَّارَى وما قيل فيه — وتسميه أهل مصر الحُجْرَجِ (١).

قال الجاحظ: وإلبَّارَى أشدُّ الطيرِ طَيْرَانًا وأبعدها سقطًا وأطولها شوطًا وأقلها
عَرَجَةً (٢)؛ وذلك أنه يُصَاد بالبصرة فيشَقَّ عن حوصَلته بعد الذَّبْح فتُوجَد فيها الحبة
الخضراء لم تتغير ولم تفسد؛ والحبة الخضراء من شجر البَطْم ومنابتُها جبال الثغور
الشامية. والحُبَّارَى له خزانة بين دُبُرِهِ وأمعانه، لا يزال فيها سَلْعٌ وقيقٌ لَرِجٌ؛ فمتى
ألح عليه جارِحٌ ذَرَقَ عليه فتمعط ريشه (٣). ولذلك يقال: الحُبَّارَى سِلَاحُهُ سِلَاحُهُ.
قال الشاعر:

١٠

وهم تركوك أسلَح من حبارى * رأى صَقْرًا وأشردَ من نَعَامِ
وهو يَنْتَدِي بِسَلْحِهِ إذا جاع. ويقال: الحُبَّارَى دجاجة البرِّ تأكل كل ما دَبَّ
حتى الخنافس؛ فلذلك يُعَافُ أَكْلُهُ.

ووصف أبو نُوَاس الحُبَّارِيَات فقال:

يَحْتِطِرْنَ في بَرَانِيسٍ قُشُوبِ * من حَبِيرٍ ظُوهِرْنَ بالتَّذْهِيبِ
* فهنَّ أمثالُ النَّصَارَى الشَّيْبِ *

١٥

(١) في اللسان (مادة حبرج): «الحبرج والحبارج: ذكر الحبارى». (٢) لعلها: «وأقذها سقطًا». والسقط (بالكسر): الجناح. (٣) العرجة: المقام.

(٤) البطم: (بالضم وبضمتين): شجر كالفسطيق جرما سبط الأوراق وله حب مفرطح في عناقيد كالقفل. ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء. (٥) تمعط: تساقط.

٢٠



وأما الطائوس وما قيل فيه - فهو ألوان منها الأخضر، والأرقط، والأبيض، ويوجد في كلها الخيلاء. ولا تُعرَف هذه الألوان إلا في بلاد الزابج. وفي طبع الطائوس الخيلاء والإعجاب بريشه. والأثني تبيض بعد أن يمضي من عمرها ثلاث سنين. ولا يحصل التلون في ريش الذكر إلا بعد مضي هذه المدة. وتبيض الأثني ^(١) مرتين في السنة، في كل مرة اثنتي عشرة بيضة.

وقال الجاحظ: أول ما تبيض ثماني بيضات، وتبيض أيضا بيض الريح. ويسفد الذكر في أوان الربيع. ويُلقي ريشه في فصل الخريف، كما يلقي الشجر ورقه فيه؛ فإذا بدأت الأشجار تُكتسي الأوراق بدأ الطائوس فأكتسي ريشا. والذكر كثير العبث بالأثني. والفرخ يخرج من البيضة [كاسيا] ^(٢) كاسبا.

وزعم أرسطو أن الطائوس يُعمر نحسًا وعشرين سنة. وقال أبو الصلت ^(٣) [امية بن عبد العزيز الأندلسي] يصفه:

أبدى لنا الطائوس عن منظرٍ * لم ترعني مثله منظرًا
متوجُّ المَفْرِقِ إلا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
في كل عضو ذهب مفرغ * في سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر، في طيها * عبرة من فكر وأستبصرا
تبارك الخالق في كل ما * أبدعه منه وما صورا

(١) في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٦ طبع بولاق): «وتبيض الأثني مرة واحدة في السنة

إثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متابعا».

(٢) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري عند الكلام على الطائوس.

(٣) الزيادة من مباح الفكر.

وقال فيه أيضا :

أهلاً به لما بدا في مشيه * يَحْتَالُ في حُلِّ من الخِيَلِ
كالرَوْضَةِ الغنَاءِ أشرف فوقه * ذَنْبٌ له كالذَوْحَةِ الغنَاءِ
ناديته لو كان يفهم منطقي * أو يستطيع إجابةً لِنِدَائِي
يا رافعاً قوسَ السماءِ ولايساً * للحسن رَوْضَ الحزنِ غِبَّ سماءِ
أيقنتُ أنك في الطيورِ مملِك * لما رأيتك منه تحت لَوَاءِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِم من قصيدة ذكر فيها طاوساً :

[وَأَيُّ عُدْرٍ لَمُقَلَّةٍ بَعْدَ الِطَّائِوسِ عنها إن لم تَفِضْ بِدَمِ] ^(١)
رُزْنَتُهُ رَوْضَةٌ تَرُوقُ ولم * أَسْمَعُ بِرَوْضِ سَعَى على قَدَمِ
مُتَوَجِّجًا خَلْفَةً ^(٢) حباه بها * ذُو الفِطْرِ المعجزاتِ والحِكَمِ
كَأنه يَزْدَجِرُّ مُتَصَبِّبًا * يَبْنِي فِيعَلِي مآثرَ العِجَمِ
يُطَبِّقُ أجفانه ويحسُرُّ عن * فَصَيْنِ يُستصحبانِ في الظُّلَمِ ^(٣)
أَدَلَّ بالحسن فاستدال له * ذِيلاً من الكبر غير محشَمِ
ثم مشى مشية العروسِ فَمِن * مستظرفٍ مُعجِبٍ ومُبَسِّمِ



وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما - قالوا : والدجاج ثلاثة
أصناف : "نبطي" وهو ما يتخذ في القرى والبيوت ، "وهندي" وهو عظم

(١) زيادة عن ديوانه ومباحج الفكر .

(٢) كذا في ديوانه . وفي مباحج الفكر : «حلية» . وفي الأصلين : «خلفة» بالالف وهو تحريف .

(٣) لعله «يستصحبان» أي يستضاء بهما .

الخالق يُتخذ لحسن شكله ، و"حبشي" وهو نوعٌ بديع الحسن أرقط : نقطة سوداء ونقطة بيضاء ، وله قرطان أخضران .

قالوا : والدجاجة تجمع البيض بعد السفاد في أحد عشر يوماً ؛ وهي تبيض في السنة كلها ما خلا شهرين شتويين . والذي عرفناه نحن بديار مصر أن البيض لا ينقطع أبداً في الفصول الأربعة ، فيدل على أنها تبيض دائماً . ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين . والبيضة تكون عند خروجها لينة الفشر جداً ؛ فإذا أصابها الهواء يبست . وربما وجد في البيضة مُحان . وقال أرسطو : باضت دجاجة فيما مضى ثمان عشرة بيضة لكل بيضة مُحان ، ثم حضنت البيض نخرج من كل بيضة فرخان ، أحدهما أعظم جثة من الآخر .

١٠ والدجاجة تحضن عشرين يوماً . وخالق الفروج يتبين إذا مضت عليه ثلاثة أيام . ويعرف الذكر من الأثني بأن يعلق التزوج برأسه فان تحرك فذكر ، وإن سكن فأنثي .

(١١٥)

قال الجاحظ : والفرخ يُخالق من البياض ويتغذى بالصفرة ويتم خلقه لعشرة أيام ؛ والرأس وحده يكون أكبر من سائر جسده . والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضاها مُح ، وإذا لم يكن له مُح لا يُخالق منه فروج .

١٥

والدجاجة تخشى ابن آوى دون سائر السباع ؛ وذلك أنه يترطها في القرى ؛ يتر من السباع وغيرها فلا تخشاه ؛ فإذا هير عليها ابن آوى وهي على سطح نالها

(١) الذي في حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ٤١١ طبع بولاق) : « بأن يعلق بمنقاره فان تحرك

من الفزع منه ما تُلقي [به] نفسها إليه . وهى إذا قابلتِ الدِّيكَ تشهته ^(٢) ورامت
السَّفَادَ . والدَّجاجةُ تُوصفُ بقلَّةِ النومِ . والفَرُوجُ يخرجُ من البيضةِ كاسياً كاسياً ،
سريعَ الحركةِ ، يُدعى فيجيب ويَتبع من يُطعمه ؛ ثم هو كما كبر ماق وحمق وزال
كَيْسُهُ . وهو مشتركُ الطبيعةِ : يأكل اللحمَ ، ويحسو الدَّم ، ويصيد الذَّبابَ ، وذلك
من طباع الجوارح ، ويَلْقَطُ الحبوبَ ، ويأكل البقولَ ، وذلك من طباع بهائم الطير .
والله أعلم بالصواب .

ذكر ما جاء في الدِّيكةِ من الأحاديث

وما عُدَّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها

جاء في الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن ديكاً صرخ عند النبيّ
صلى الله عليه وسلم ، فسبه بعض أصحابه ، فقال : " لا تُسبه فإنه يدعو إلى الصلاة " .
وعن زيد بن خالد الجعفيّ : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن سبِّ الدِّيكِ
وقال : « إنّه يؤدِّن للصلاة » . وعن سالم بن أبي الجعد يرفعه : أن النبيّ صلى الله عليه
وسلم قال : " إنَّ مما خلق الله لَدَيْكَا عُرْفُهُ تحت العرش وبراءته في الأرض السفلى
وجناحاه في الهواء فإذا ذهب ثلثا الليل وبقى ثلثُ ضربٍ يجناحيه ثم قال سبَّحوا
الملك القدوسُ سُبُوحٌ قُدُّوسٌ لا شريك له فعند ذلك تضرب الطيرُ بأجنحتها
وتصيح الدِّيكةُ " . وعن كعب : " إنَّ لله ديكاً عنقه تحت العرش وبراءته في أسفل
الأرض فإذا صاح صاحبت الدِّيكةُ يقول سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره " .
وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنَّ الدِّيكَ الأبيض صدِّيق

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) في الأصلين : « تشته به » .

وعدو عبد الله يحرس دار صاحبه وسبع دور . وكان النبي صلى الله عليه وسلم بيته معه في البيت . وروى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالديكة .

قال الجاحظ : وزعم أصحاب التجربة أن كثيرا ما يرون الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق^(١) إنه لا يزال ينكب في أهله وماله .

- وقال في كتاب الحيوان في المناظرة بين الديك والكلب : وفي الديك الشجاعة والصبر والجولان والتفافة والتسديد؛ وذلك أنه يقدر إيقاع صيصيته بين الديك الآخر أو مدبجه فلا يخطئ . قال : ثم معرفته بالليل وساعاته وأرتفاق بني آدم بمعرفته وصوته ، يتعرف آناء الليل وعدد الساعات ومقادير الأوقات ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا يغادر منه شيئا . فليعلم الحكماء أنه فوق الإسطرلاب وفوق مقدار الجزر والمد^(٢) على منازل القمر ، حتى كأن طبعه فكك [على حدته]^(٤) .

- ومن عجيب أحوال الديكة أنها إذا كانت في مكان ثم دخل عليها ديك غريب سفدته جميعا . والديك يضرب به المثل في السخاء ، وذلك أنه ينقر الحب ويحمله بطرق منقاره إلى الدجاج ، فإذا ظفر بشيء من الحب والدجاج غيب دعاهن إليه وقنع منه بدون حاجته توفيرا^(٥) عليهن . قالوا : والديكة تعظم بدليل السند حتى تكون مثل النعام .

(١) الأفرق : ذو العرفين لا تقراق ما بينهما ؛ وهو أيضا الأبيض . (٢) الصيصية والصيصية :

شولة الديك . (٣) كذا في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ٨٨) . وفي أ : « الزجر »

وفي ب : « الرجز » ، وكلاما تحريف . (٤) الزيادة عن مباحج الفكر والحيوان للجاحظ .

(٥) في الأصلين : « توفرا » . (٦) دبيل : مدينة من مدن السند .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : إن مرقّة الديوك العتق لها خاصّيات ،
 سنذكرها . قال : والوجه الذي ذكره جالينوس في طبخها أن تُذبح بعد علفها
 وبعد إعدادها إلى أن تثبت^(١) فقسقُط فتذبح ، ثم يُخرج ما في بطنها ويُملأ بطنها مِلحاً
 ويُحاط ويُطبخ بعشرين قسطاً ماءً حتى ينتهي إلى الثلث ويُشرب . قال : ثم يُزاد
 في ذلك ما نذكره . قال : وأجودُ الديكّة ما لم يصقع بعد . وأجودُ الدجاج ما لم
 يبيض ، والعتيق رديء . قال : ولحم الفراريج أحرّ من لحم الدجاج الكبير . وخصّي
 الديوك محمودٌ سريع الهضم . ومرقّة الديوك المذكورة تُوافق الرّعشة ووجع
 المفاصل . ولحم الدجاج الفتيّ يزيد في العقل ، ودماغها يمنع التّزف الرّعاف العارض
 من محبب الدماغ . ومرقّة الديوك المذكورة نافعة من الرّبو . ولحم الدجاج يُصفي
 الصوت . ومرقّة الديك الهرم المعمولة بالقرطم والشّيث تنفع من جميع ذلك .
 ومرقّة الديوك نافعة لوجع المِعدة من الرّيح ، وتنفع القولنج جدّاً . ولحم الدجاج
 الفتيّ يزيد في المنّي ؛ والمرقّة المذكورة [مع البسفايح^(٢) تُسهّل السّوداء ، ومع القرطم
 تُسهّل البلغم . وقد تُطبخ بالأدوية القابضة للسّحج^(٣) ، وباللبن لقروح المثانة .
 والمرقّة نافعة من الحُميات المزمنة . قال : والدجاج المشقوق عن قلبه أو الديك
 يوضع على نهش الهوام ويبدل كلّ ساعة فيمنع من فُشو السم . وفي السموم المشروبة
 يُحسى طبيخه بالشّيث والملح ويتقيأ^(٤) .

(١) تثبت : تنقطع إعياء وتعباً . (٢) صقع الديك : صاح .

(٣) الزيادة عن كتاب القانون . والبسفايح : نبات ينبت بين الصخور التي عليها الخضر في سوق

شجر البلوط العتيقة (انظر مفردات ابن البيطار ج ١ ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٤) السحج : قشر الجلد من شيء يصبه .

(٥) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « يحسى طبيخة » ، وهو تحريف .

ومن الحكايات التي تُعَدُّ من خرافات العرب ما حكاه بعضهم عن الرِّبَاشِ^(١)
قال : تَكُنَّا عند الأَصْمَعِيِّ ، فوقف عليه أعرابي فقال : أنت الأَصْمَعِيُّ ؟ قال : نعم ؛
قال : أنت أعلم أهل الحَضْرَبِ بكلام العرب ؟ قال : يزعمون ؛ قال : ما معنى قول
أمية بن أبي الصلت :

وما ذاك إلا الدِّيكُ شاربِ نحرِ نحرِ * نديمِ غرابٍ لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا^(٢)
فلما أَسْتَقَلَّ الصَّبْحُ نادى بصوته * أَلَا يا غرابُ هل رَدَدْتَ رَدَائِيَا

فقال الأَصْمَعِيُّ : إنَّ العرب كانت تزعم أنَّ الدِّيكَ كان ذا جَنَاحٍ يطير به في الجَوِّ
وأنَّ الغراب كان ذا جَنَاحٍ كجَنَاحِ الدِّيكِ لا يطير به وأنها تتأدما ليلةً في حانة
بشربانٍ فنفيد شراهُمَا ؛ فقال الغراب للدِّيكِ : لو أَعْرَبْتَنِي جَنَاحَكَ لَأَتَيْتُكَ بِشَرَابٍ ؛
فأعاره جَنَاحَهُ ، فطار ولم يرجع إليه ؛ فزعموا أنَّ الدِّيكَ إنما يصبح عند الفجر
أَسْتَدْعَاءً لجنَاحه من الغراب ؛ فضحك الأعرابي وقال : ما أنت إلا شيطان .
وهذه الحكاية ذكرها الجاحظُ في كتاب الحيوان بنحو ما حكى عن الأَصْمَعِيِّ ، وساق
أبيات أمية بن أبي الصلت ، وهي :

ولا غَرَّوْا إلا الدِّيكُ مُدْمِنِ نحرِ * نديمِ غرابٍ لا يَمَلُّ الحَوَانِيَا^(٣)
ومرهننه عند الغرابِ جبينه * فأوفيت مرهوناً وخان مساييا^(٤)
أدلَّ على الدِّيكِ أتى كما ترى * فأقيل على شأني وهالكِ رَدَائِيَا

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « الناشي » ، وهو تحريف .

(٢) الحوانى : الحانات .

(٣) لم يرد هذا البيت في كتاب الحيوان للجاحظ .

(٤) كذا ورد هذا البيت في الأصلين ، وهو غير ظاهر المعنى . ولم نعر على هذه القصيدة في مصدر

آخر ، غير كتاب الحيوان ، نستأنس به في تصحيحها .

(١) أمتك لا تلبث من الدهر ساعة * ولا نصفها حتى تؤوب ما يب
 ولا تُدرِكك الشمس عند طلوعها * فألق فيهم أو يطول نوائيا^(٢)
 فرد الغراب والرداء يحوزه * إلى الذيك وعدا كاذبا وأمانيا
 بأية ذنب أو بأية حجة * أدعك فلا تدع على ولا ليا^(٣)
 فإني نذرت حجة لن أعوقها * فلا تدعوني دعوة من ورائيا
 تطيرت منها والدعاء يعوقني * وأزمت حجا أن أطيأ أماميا
 فلا تياسن إني مع الصبح باكرا * أو أفي غدا نحو الحجيج الفواديا
 كحب أمري فاكته قبل حجتى * وآثرت عمدا شأنه قبل شانيا
 هنالك ظن الذيك أن زال زوله * وطال عليه الليل أن لا مفاديا
 فلما أضاء الصبح طرب صرخة * ألا يا غراب هل سمعت ندائيا
 على وده لو كان ثم يجيئه * وكان له ندمان صدق مواتيا
 وأمسى الغراب يضرب الأرض كلها * عتيقا وأضحى الذيك في القد عانيا
 فذلك مما أسهت الخمر ليه * ونادم ندمانا من الطير عاديا^(٤)
^(٥)

ومن الحكايات التي لا بأس بإيرادها في هذا الموضوع ما حكاها الجاحظ قال:
 قال أبو الحسن: حدثني أعرابي كان نزل البصرة قال: قدم على أعرابي من البادية
 فأنزلته، وكان عندي دجاج كثير ولى امرأة وأبنان وأبنان منها؛ فقلت لامرأتى: بادري
 وأشوي لنا دجاجة وقدميها إلينا نتغدها. فلما حضر الغداء جلسنا جميعا أنا وامرأتى

(١) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ. وفي الأصلين: «أميك».

(٢) يقال: غلق الرهن يفتق إذا لم يفك وأستحقه المرتهن.

(٣) كذا ورد هذا البيت في كتاب الحيوان مقدما على الذي يليه.

(٤) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ. وفي الأصلين: «عقيقا» وهو محريف.

(٥) كذا في كتاب الحيوان. وفي ب: «غاويا».

- وأبناى وأبناى والأعرابى . قال : فدفعنا إليه الدجاجة قفلنا له : أقسمها بيننا ، نريد بذلك أن نضحك منه ، فقال : لا أحسن القسمة ، فإن رَضِيتُ قسمتي قسمتها بينكم ؛ قلنا : فإننا نرضى . فأخذ رأس الدجاجة فقطعه وناولنيه وقال : الرأس للرئيس ، وقطع الجناحين وقال : الجناحان للآبئين ، ثم قطع الساقين وقال : الساقان للكبتين ، ثم قطع الزمكى^(١) وقال : العجز للعجوز ، وقال : الزور للزائر^(٢) ، قال : فأخذ الدجاجة بأسرها وسخربنا . قال : فلما كان من الغد قلت لامرأتى : أشوى لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء قلنا له : أقسم بيننا ، فقال : إني أظن أنكم وجدتم في أنفسكم ؛ قلنا : لم نجد فأقسم بيننا ، قال : أقسم شقعا أو وترا ؟ قلنا : أقسم وترا ، قال : أنت وأمرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إلينا بدجاجة ؛ ثم قال : وأبناك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ؛ ثم قال : وأبناك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ؛ ثم قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة وأخذ دجاجتين وسخربنا . فرأنا ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تظرون ! لعلمكم كرهتم قسمتي ! الوتر لا يجيء إلا هكذا ، فهل لكم في قسمة الشقع ؟ قلنا نعم ؛ فضمهن إليه ثم قال : أنت وأبناك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ؛ ثم قال : والعجوز وأبناها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهن بدجاجة ؛ ثم قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضم إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء فقال : اللهم لك الحمد ، أنت فهمتنيها . هكذا ساقها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .
 ١٥ ونحكى غيره هذه الحكاية عن الأصمعي وفيها زيادة ، قال : حكى الأصمعي : بينا

(١) الزمكى : أصل ذنب الطائر .

(٢) الزور : وسط الصدر ، وقيل : ما ارتفع منه إلى الكتفين ، أو ملتحق أطراف عظام الصدر حيث

اجتمعت .

(٣) كذا في تاب الحيوان لملاحظ . وفي الأصلين : « فضنى إليه » ، وهو تحريف .

أنا في البادية إذا أنا بأعرابي على ناقية وهي ترقص به في الآل ؛ فلما دنا مني سلم
علي ، فسلمت عليه وقلت : يا أخا العرب

قوم بخفان عهدناهم * سقام الله من التو^(١)

ما التو؟ فقال :

نوء السماكين ورياهما * نور تلالا بعد إيماضه ضو^(٢)

فقلت : ما الضو يا أخا العرب؟ فقال :

ضوء تلالا في دجى ليلة * مقمرة مسفرة لو

فقلت : لو إيش يا أخا العرب؟ فقال :

لو مر فيها سائر ركب * على نجيب الأرض منطو

فقلت : منطو إيش يا أخا العرب؟ فقال :

منطوى الكشح هضم الحشى * كالباريقض من الجؤ

فقلت : ما الجؤ يا أخا العرب؟ فقال :

جؤ السما والريح تعلوبه * فأشتم ربح الأرض فأعلو

فقلت : فأعلو إيش يا أخا العرب؟ فقال :

فأعلو قدفات من صيده * لا بد أن تلقى ويلقوا

فقلت : ماذا يلقوا يا أخا العرب؟ فقال :

يلقوا بأسيايف يمائية * وعن قليل سوف يقنوا

(١) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة .

(٢) كذا في الأصلين ولعله : * نور تلالا إيماضه ضو * .

قلت : ما يفتنوا يا أبا العرب؟ فقال :

إن كنت تُتكر ما قلته ^(١) * فانت عندى رجلٌ بَوَّ

قلت : وما البَوِّ يا أبا العرب؟ فقال :

البَوُّ من يُفقد عن أمه * يا أحمق الناس فرُح أو

قلت : أو إيش؟ فقال :

تَدْفِعُ الكُفَّ بَصْفَعِ الفقا * تَسْمَعُ ما بينهما قَوُّ

قلت : يا أبا العرب، هل لك في الضيافة؟ فقال : لا يابى الكرامة إلا لثيم؛

فأتيت به منزلى . ثم ساق الحكاية بنحو ما تقدم، إلا أنه قال : فأتيتُه في اليوم

الثانى بثلاث دجاجات، وقلت : نحن كما علمت، أقسمها بيننا أزواجاً؛ فقال : أنت

وأبنائك ودجاجة زوج، وأمرأتك وابنتاها ودجاجة زوج، وأنا ودجاجة زوج .

وساق خبر الخمسة في اليوم الثالث كما تقدم .



ذ كر شىء مما وصفت به الشعراءُ البيضةَ والدَّجاجةَ والديك

فمن ذلك ما وصفوا به البيضة . قال أبو الفرج الأصبهاني من أبيات :

فيها بدائعُ صنعةٍ ولطائفُ * ألفنَ بالتقدير والتلفيق

خَلطانَ ما يبان ما أخلطاً على * شكل ومختلف المزاج رقيق

فياضها وريقٌ وزئبقٌ محها * في حُقِّ عاجٍ بطنت يديتى ^(٢)

(١) لعله : « تستنكر » .

(٢) الديبق : نسبة الى دبيق وهي بلدة كانت بين الفرما وتينس من أعمال مصر، وإليها تنسب الثياب

الديبقية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

وقال شاعر :

وصفراء في بيضاء رقت غلالة * لها وصفًا ما فوقها من ثيابها
جمادٍ ولكن بعد عشرين ليلة^(١) * ترى قسما معموزة من خرابها
وقال كُشَّاجِمٌ من أبيات يذكر فيها جُونةً أُهديت إليه وفيها بيض مسلوق^(٢)
مصبوغٌ أحمر :

وجاءنا فيها ببيض أحمر * كأنه العقيقُ مالم يُقشِرِ
حتى إذا قدمه مُقشِّرا * أبرز من تحت عقيقٍ دُرِّرا
حتى إذا ما قطع البيضَ فلق * رأيت منه ذهبًا تحت ورق
يخال أن الشطر منه من لَح * أعاره تلونه قوس قُرح

ومما قيل في الدجاجة والديك

قال الشاعر :

غدوت بشرية من ذات عريق^(٣) * أبا الدهناء من حلب العصير
وأخرى بالعنقل^(٤) ثم رُحنا * نرى العصفورَ أعظم من بعير
كأن الديك ديك بني مُمير * أمير المؤمنين على السرير
كأن دجاجهم في الدار رُقطًا * وفود الروم في مُص الحرير

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « حجة » ، وهو محريف .

(٢) الجونة (بالضم ، وربما همز) : سلية منسأة بالأدم تكون عند المطارين .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة ، وقيل : هو جبل بطريق مكة .

(٤) العنقل : كتيب بيدر .

فَبِتْ أَرَى الْكَوَاكِبَ دَانِيَاتٍ * يَنْتَلِنُ أُنَامِلَ الرَّجْلِ الْقَصِيرِ
أُدَا فِعْمَهُنَّ بِالْكَفَّيْنِ عَنِّي * وَأَمْسَحُ جَانِبَ الْقَمْرِ الْمُنِيرِ

وقال أبو بكر الصنوبري من أبيات يصف ديكا :

- مُفَرَّدَ اللَّيْلِ مَا يَأْتُوكَ تَفْرِيدَا * مَلَّ الْكَرَى فَهُوَ يَدْعُو الصَّبْحَ مَجْهُودَا
لَمَّا تَطَرَّبَ هَزَّ الْعِطْفَ مِنْ طَرَبٍ * وَوَمَدَّ لِلصَّوْتِ لَمَّا مَدَّهُ الْجَيْدَا
كَلَايِسٍ مُطَرِّقًا مُرْخِجَ جَوَانِبِهِ ^(١) * تُضَاحِكُ الْبَيْضُ مِنْ أَطْرَافِهِ السُّودَا
حَالِي الْمَقْلَدُ لَوْ قَيْسَتْ قِلَادَتُهُ * بِالْوَرْدِ قَصَرَ عَنْهَا الْوَرْدُ تَوْرِيدَا
رَأَيْتُ بَقْصَى عَقِيْقِي يُدْرِكَانِي لَهُ * مِنْ حِدَّةٍ فِيهِمَا مَا لَيْسَ مَحْدُودَا
تَقُولُ هَذَا عَقِيدُ الْمَلِكِ مَنَسِبَا * فِي آلِ كَسْرِي عَلَيْهِ النَّجُجُ مَعْقُودَا
أَوْ فَارَسٌ شَدَّ مِهْمَازِيهِ حِينَ رَأَى * لَوَاءً قَائِدَهُ لِلْحَرْبِ مَعْقُودَا

وقال أبو هلال العسكري :

- مَسْجُوعٌ بِعَقِيْقٍ * مَقْرَطٌ يُلْجِنُ
عَلَيْهِ قُرْطُقٌ وَشِي * مَشْمَرُ الْكُمَيْنِ ^(٢)
قَدْ زَيْنَ النَّحْرَ مِنْهُ * ثِنْتَانِ كَالْوَرْدَيْنِ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو * مَطْرَزُ الطَّرْتِينِ
دَعَا فَاسْمَعْنَا * مِنْ كَانَ ذَا أُذُنَيْنِ ^(٣)
يُزْهِى بِطُوقٍ وَنَاجٍ * كَأَنَّهُ ذُو رُعَيْنِ ^(٤)

(١) في مباحج الفكر : « ذوابته » .

(٢) العقيد : الخليف .

(٣) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصلين « الكمين » .

(٤) ذورعين : من ألقاب ملوك اليمن .

وقال الأسعد بن بليظة ^(١) :

وقام لنا ينعي الدجى ذو شقيقة ^(٢) * يُدِير لنا من بين أجفانه سَقَطًا ^(٣)
 إذا صاح أصغى سمعه لندائه * وبأدر ضرباً من قواده الإبطا
 ومهما أطمأنت نفسه قام صارحاً * على خيزران نيط ^(٤) من ظفروه خرطاً
 كأن أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القُرطاً ^(٥)
 [سبي حلة الطاوس حسن لباسها ^(٦) * ولم يكفه حتى سبي المشية البطاً]

وقال أبو عبد الله المالكي :

رعى الله ذا صوت أنسنا بصوته * وقد بان في وجه الظلام شحوب
 دعا من بعيد صاحباً فأجابه * يُخبرنا أنت الصباح قريب

وقال ابن المعتز :

بشّر بالصبح هاتف هتفا * صاح من آلليل بعد ما أنتصفا ^(٧)

(١) ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال : بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة وفتح الطاء المهملة (انظر ج ٢ ص ٥٣ في ترجمة المعتصم بن صالح) .

(٢) كذا في نوح الطيب ، والشقيقة واحدة الشقائق : نبات على نوعين كل واحد منهما أحمر الزهر مبعق بنقط سوداء كثيرة غير أن زهر الواحد منهما أرق من الآخر . ويريد بالشقيقة هنا عرف الديك . وفي الأصلين : « ... الدجى وشقيقه » ، وهو تحريف . (٣) سقط الزند : ما يقع من النار عند الفتح . (٤) كذا في خريدة القصر للهاد الأصفهاني (النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب بالمجلد الأخير ص ٢١٦) . وفي الأصلين : « خرزات » ، وهو تحريف .

(٥) مارية : علم امرأة قيل كان في قرطها درتان كيبضتي حمامة لمر مثلها فقط ، فأهدتها الى الكعبة . وقيل كان في قرطها مائتا دينار . وفي المثل : « خذه ولو بقرطى مارية » . يضرب ذلك مثلاً في الشيء الثمين يؤمر بأخذه على كل حال . (٦) زيادة عن الخريدة وفتح الطيب ومطمح الأفسس للفتح .

آبن خاقان . (٧) في الأصلين : « ماج » وهو تحريف . ورواية البيت في ديوانه :

مَدَّكَرٌ بِالصَّبُوحِ صَاحٍ لَنَا * كَأَنَّهُ فَوْقَ مَنِيرٍ وَقَفَا
صَفَّقَ إِمَامًا ارْتِيَاخَةً لِسَانًا لَمْ * فَجَجِرَ وَإِمَامًا عَلَى الدُّجَى أَسَفَا

وقال أيضا فيه :

وَقَامَ فَوْقَ الْحِدَارِ مُشْتَرَفٌ * كَمَثَلِ طُرْفِ عِلَاهِ أُسْوَارٍ^(١)
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ * كَأَنَّمَا الْعُرْفُ مِنْهُ مَنشَارٌ

وقال السرى الرِّفَاءُ :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهُ فَتَأَلَّفَا * وَسَطًا عَلَى اللَّيْلِ الْبُهيمِ وَأَبْرَقَا^(٢)
وَعَلَا فَلَاحَ عَلَى الْحِدَارِ مَوْشِجٌ * بِاللَّوْشِيِّ تَوَجَّجٌ بِالْعَعِيقِ وَطَوَّقَا
مُرْخٍ فَضْوَلِ النَّجْمِ مِنْ لَبَّائِهِ * وَمُشْمَرٌ وَشَيْبًا عَلَيْهِ مَنَمَقَا

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني يري ديكا ويصفه :

أَبْنَى مَزَلْنَا وَتَشَوَّحَلْنَا * وَعَدَدِي أَيْدِينَا نِدَاءَ مَشْوِقِ
لَهْفِي عَلَيْكَ أبا التَّذِيرِ لَوْ أَنَّهُ * دَفَعَ الْمَنَايَا عَنْكَ لَهْفُ شَفِيقِ
وَعَلَى شِمَائِكَ اللَّوَاتِي مَا نَمَّتْ * حَتَّى ذَوَّتْ مِنْ بَعْدِ حَسَنِ سُمُوقِ
لَمَّا بَقِعَتْ^(٤) وَصِرَتْ عِلْقَ مَضِينَةٍ * وَتَشَاتَتْ تَشَوَّ الْمُقْبِلِ الْمُؤَمِّوقِ^(٥)
وَتَكَلَّمَتْ جُمْلَ الْجَمَالِ بِأَسْرَاهَا * لَكَ مِنْ جَلِيلِ خَالِصٍ وَدَقِيقِ

(١) الأسوار (بالضم وبالكسر) : قائد الفرس ، والثابت على ظهر الفرس ، والرامي بالنبال .

(٢) الذى فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦٤ أدب : « فأشرفا » .

(٣) أبو التذير وأبو المنذر : كنية الديك .

(٤) كذا فى الأغاني (فى ترجمة أبى الفرج الأصفهاني التى ذكرت فى مقدمة الجزء الأول طبع

دار الكتب المصرية) . وبقع الطير : اختلف لونه فهو أبقع . وفى الأصلين : « يبعث » . وفى مباحج الفكر :

« يبعث » .

(٥) يقال للشئ النفيس الذى يفضى به ويحرص عليه : علق مضنة (فتح الضاد وكسرهما) .

وَكَسَيْتَ كَالطَّائِسِ رَيْسًا لَامِعًا * مُتَلَأَلًا ذَا رَوْنِقٍ وَبَرِيقٍ ^(١)
 مِنْ صُفْرَةٍ مَعَ خُضْرَةٍ فِي حُمْرَةٍ * تَخْيِيلُهَا يَخْفَى عَلَى التَّحْقِيقِ ^(٢)
 عَرَضٌ يَجِلُّ عَنِ الْقِيَاسِ وَجَوْهَرٌ * لُطْفٌ مَعَانِيهِ عَنِ التَّدْقِيقِ
 وَكَأَنَّ سَالِفَتَيْكَ تَبْرُ سَائِلٌ * وَعَلَى الْمَفَارِقِ مِنْكَ تَاجٌ عَقِيبِي
 وَكَأَنَّ جَرَى الصَّوْتِ مِنْكَ، إِذَا نَبَتْ * وَجَفَّتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ مَجْمُوعٌ حُلُوقِ، ^(٣)
 نَائِي رَقِيقٌ نَاعِمٌ قُرِنْتُ بِهِ * نَعَمٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْمَوْسِقِيِّ ^(٤)
 تَرُقُّو وَتَصْفِقُ بِالْحَنَاحِ كُنْتَشِ * وَصَلَتْ يَدَاهُ الصَّوْتِ بِالتَّصْفِيقِ
 وَخَطَرَتْ مُلْتَحِفًا بِمِرْطِ حَبْرَتْ * فِيهِ بَدِيعَ الْوَشْيِ كَفُّ أُنَيْقِ ^(٥)
 كَالْجُلْنَارَةِ أَوْ ضِيَاءِ عَقِيقَةٍ * أَوْلَجَ نَارٍ أَوْ وَمِضْ بُرُوقِ ^(٦)
 أَوْ قَهْوَةٍ تَخْتَالُ فِي بِلُورَةٍ * بِتَأَلُّقِ اللَّعَانِ وَالتَّرْوِيقِ ^(٧)
 وَكَأَنَّ الْجَادِيَّ جَادَ بِصَبْغِهِ * لَكَ أَوْ غَدَوْتَ مُضْمَخًا بِخَلُوقِ

وقال شاعر أندلسي :

وَكَأَنَّ نَفَى النَّوْمِ مِنْ عَيْنِ فَايْنِ * بِدِيعِ الْمَلَاخَةِ حُلُومِ الْمَعَانِي
 بِأَجْفَانِ عَيْنَيْهِ يَا قَوْتَانِ * كَأَنَّ وَمِضْمَخًا جَمْرَتَانِ

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : « ولبست » . (٢) رواية الأغاني :

من حمرة في صفرة في خضرة * تخييلها يعني عن التحقيق

(٣) في الأصلين : « إذا خفت ونبا عن الأسماع في حلق » وما أبتناه عن الأغاني . ومع :

جمع أبح من البحة وهي خشونة وغلظ في الصوت . (٤) في الأغاني : « ناي دقيق » .

(٥) في الأصلين : « وخطوت » . والتصويب عن الأغاني .

(٦) في الأغاني : « أو صفاة عقيقة » .

(٧) في الأغاني : « بتألق الترويق والتصفيق » . والترويق : الصفية . والتصفيق : تحويل الشراب

من إناه إلى إناه . ليصفو .

على رأسه التاجُ مُستشْرِفًا * كتاج ابن هُرْمَزٍ في المِهْرَجَانِ
 وقُرْطَانٍ من جوهرِ أَحْمَرٍ * يَزِينَانِهِ زَيْنَ قُرْطِ الحَصَانِ
 له عُنُقٌ حَوْلَهَا رَوْنَقٌ * كما حوتِ النخمرَ إحدى القَنَانِي
 ودارِ بُرَائِلَهُ^(١) حَوْلَهَا * لها ثوبٌ شَعِيرٌ من الزعفرانِ
 ودارتِ بِمُؤَجِّجِهِ حُلَّةً * تَرُوقُ كما راقك الخُسْرَوَانِي
 وقام له ذَنَبٌ مُعْجَبٌ * بكافةِ زَهْرٍ بَدَتْ من بَنَانِ
 وقاس جناحًا على ساقه * كما قيسَ سِترٌ على خَيْرَانَ
 وصَفَّقَ تصْفِيقَ مُسْتَهْتِرٍ * بِمُحْمَرَةٍ من بَنَاتِ الدَّانِ
 وغرَّدَ تغريدَ ذِي لَوْعَةٍ * يَبُوحُ بأشواقه للغَوَانِي

- ١٠ وقال أبو علي بن ريشيق حيث مرّ من حيث من شمل
الذم في الرأي الفاضح :

قام بلا عقلٍ ولا دينٍ * يَخْلِطُ تصْفِيقًا بتأذِينِ
 فنبه الأجاب من نومهم * ليخْرُجُوا من غير ما حِينِ^(٢)
 بصرخةٍ تبعثُ موتى الكرى * قد أذكرت نَفْخَ سَرَافِينِ
 كأنها في حلقة غُصَّةً * أغصه الله بسكِينِ

١٥

(١) في الأصلين : « دارت » . والبرائل : ما استدار من ريش الطائر حول عنقه .

(٢) هذه التسمية عبرية الأصل ، وكانوا يقصدون بها عامة الملائكة . مشتقة من (سرف) بمعنى (أحرق)

وهي تسمية مجازية ، لاعتقاد اليهود أن الملائكة مخلوقون من نار . وسرافين : جمع سراف وهو الملك .
وقد جاءت هذه التسمية في سفر يوشع (إيشعيا) في الفصل السادس من كتب العهد القديم . والظاهر أن

المرب من المسلمين نقلوا هذه التسمية فقالوا : (سرافيل) أو (سرافين) عليه أنه مفرد وهو الملك الخاص
٢٠ بالفتح في الصور .



وأما المجلُّ وما قيل فيه - والمجلُّ طائرٌ يسمى: «دجاج البر» وهو صنفان: تجدي، وتيامي. فالنجدى أخضر أحمر الرجلين. والتيامي فيه بياض وخضرة. وتسمى الذكر «يعقوب»، والفرخ الذكر «السلك»، والأثني «السلكة». وهو من الطير الذي يخرج فرخه كاسياً كاسباً. ويقال: إن المجلة إذا لم تُلَقَّح تمزغت في التراب ورشته على أصول ريشها فتلقح. ويقال: إنها تبيض بسمع صوت الذكور ويريح تهب من ناحيته.

قال أبو عثمان الجاحظ: وإذا باضت المجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها، وميزت الأثني الإناث فتحضنها، وكذلك هما في التريسة. قال: وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة. ولا تُلَقَّح الأثني بالبيض، ولا يُلَقَّح الذكر إلا بعد مضي ثلاث سنين. والذكر شديد الغيرة على الأثني. فإذا اجتمع ذكران اقتتلا، فأيهما غلب دل له الآخر؛ وذهبت الأثني مع الغالب. والأثني إذا أصيب بيضها قصدت عش أخرى وغلبتها على بيضها. وقد وصف أبو علي بن ريشيق القيرواني المجل فقال:

ما أغربت في زيها * إلا يعاقب المجل
جاءتك مُثقلة الترا * يب بالحلى وبالخلل
صفر الحفون كأنما * باتت تبر تكجل

(١) كذا في مباح الفكر. وفي الأصلين: «وصفها».

(٢) ورد بعد هذا البيت في مباح الفكر بيان زيادة عما هنا وما:

وتخالها قد وكلت * بالقوت والصوت الزجل

صغرى أنا يهب من ال * حرجان هكمة العمل

مشقوقة شقَّ الرُّجَا * ج لمن تأمل أو عقل
 وصلت مذابحها الرءو * س بجمرة فيها شعل
 لولا اختلاف الجنس والتركيب جاءت في المثل
 كَلِحَى الثمانين التي * خُضِبَتْ ومنها ما نَصَل
 أوكالَّشام أزاله * فَرَطُ التَّلْفِتِ والعَجَل
 وَتَحَالَفَ جَوَارِيَا * لا يُزْدَرَيْنِ من العطل
 رَمَتِ التِّيَابِ الى وِزَا * ء عن المناكب تَجِدِلُ
 وِبدت سرراويلاتها * يَسْحَبَنَ وشيًّا من قُبُل
 حُمُرٌ من الرُّبَاةِ في * لون الشقائق أو أجَلُ
 عَقَدَنَهَا فوق الصدو * ر مَحَالِسَاتِ لِلقُبَل
 وشَدَدَنَ بالأعْضَادِ من * حَذِرَ عليها أن تُحَلَّ
 وكأنا باتت أصا * بَعُها بِجِنَاءِ تَعَلَّ^(١)
 مَنْ يَسْتَحِلُّ لصيدها * فانا أمرؤُولا أَسْتَحِلَّ



وأما الكركي وما قيل فيه — ويقال : إنه "الغرينق"؛ ويقال :
 إن الغرينق صنف منه . وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين . وسفاده
 في السرعة كالصفرور . وله مشاتٍ ومصايف . وفي طبعه التناصر؛ ولهذا أنه
 لا يطير منقطعاً ولا متباعدًا بل صفاً واحداً، يقدمها واحدٌ منها كالرئيس لها المقدم

(١) تل بجنا : تخضب مرة بعد أخرى .

عليها وهي تتبعه، يكون كذلك حيناً، ثم يخلفه آخر منها . وفي طبع الكركي وعادته
أَن أبويه إذا كبرا عالهما .

وقال أرسطو : إن الغرائيق من الطير القواطع وليست من الأوايد، وإنها
إذا أحست بتغير الزمان أعتزمت على الرجوع إلى بلادها . وكل منها ينام على إحدى
رجليه قائماً . ويقال : إن الكراكي إذا كبرت أسود ريشها وهو في شيتها رمادي .
وقد ظهر بالديار المصرية في شهور سنة خمس عشرة وسبعائة صنف من الكراكي
أبيض اللون ناصع البياض حسن الصورة ، وهو أكبر جثة من الكركي المعتاد .
وقال الناصبي في وصف الكراكي :

وموريد يُجِذَل قلب الوامق * مُنظَّم بالغر والغرائيق
وكل طير صافر أو ناعق * مكتمل وبالغ ولاحق
موشية الصدر والعواتق * بكل وشي فانحر وفائق
تخال في أجنحة خوافق * كأنما تخال في قراطق
يرفلن في قيص وفي يلامق * كأنهن زهر الحدائق^(١)
حمر الحداق كل الحالِق * كأنما يجلن في تخائق^(٢)



وأما الإوز وما قبل فيه — والإوز ثلاثة أصناف : بطانحي وهو
الطويل الأسود [بزرقة]^(٣)، وتركى وهو المدور المائل إلى البياض، وخبي وهو

(١) يلامق : جمع بلنق ، وهو القباء المحشوق .

(٢) الخائق : القلائد .

(٣) الزيادة عن مباح الفكر .

(٤) كذا في الأصلين . ولم نجد في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا ما نعتد عليه في بيانه .

- الضخم الكبير منها . ويقال : إن الإوز إذا فرغ من السِّفاد وسبَح في الماء فإنما يفعل ذلك لتَمَامِ اللدَّة . والأثني تحضن بيضها ثلاثين يوما . والذكور تنحو على الفراخ . ولكل منها قَصِيبٌ يَسْفِدُ به كالبَطِّ . والإوزُ البطائحيُّ ، وهو المعروف بمصر بالعراق ، يخالف الحبيُّ في الصباح ؛ لأن الحبيَّ تصيح ذكورها ولا تصيح إناثها ، والبطائحيُّ بخلاف ذلك . والحبيُّ من الطير الأوابد التي لا تَبْرَحُ من الأماكن التي تُربِّي فيها لِثِقَلِ أجسامها ، وإذا نهضت فلا ترتفع من الأرض إلا سيرا . والعراقيات من الطير القَوَاطِعِ التي تنتقل من مكان إلى آخر ، وتُرى في وقت دون وقت .

وقال ابن رَشِيقٍ يَصِفُ فِجْلَ إوزٍ :

- ١٠ نظرتُ إلى فِجْلِ الإوزِ يَفْتُهُ * من الثَّقَلِ في وَحْلِ وما هو في وَحْلِ
يُنْقَلُ رِجْلِيهِ على حينِ قَتْرَةٍ * كَمُتَعَلٍ لا يُحْسِنُ المشى في النَعْلِ
له عُنُقٌ كالصَّوْبِحَانِ وَنَحْطُمٌ * حكي طَرَفُ العُرْجُونِ من يانِعِ النَخْلِ
يُدَاخِلُهُ زَهْوٌ فيلحظ من عِلٍّ * جوانِبُهُ الحَاظُ مَتَّهِمِ العَقْلِ
يَضُمُّ جَنَاحِيهِ إليه كما آرْتدى * رداءً جَدِيدًا من نَبِيِّ البَدْوِ ذو جَهْلِ

١٥



- وأما البَطُّ وما قيل فيه — وهو أصناف : منها الوَحْشِيُّ ، والأهْلِيُّ .
ومن الوَحْشِيِّ "اللَّقَاقُ" ^(٢) ، ومن الأهْلِيِّ "الصَّيْنِيُّ" . وفراخُهُ تَخْرُجُ كاسِيَةً كاسِيَةً .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « من على * جوانبه ... » .

(٢) اللقاق : طائر أعجمي طويل العنق . وكنيته عند أهل العراق أبو خديج . وهو يأكل الحيات ،

٢٠

والمجع اللقاق . وربما قالوا : اللقغ بالعين المعجمة .

وقيل : إن بالزجاج بظا بيضا وحمرا ورقطا طوال الأعناق قصار الأرجل . والبط يطير على وجه الماء ، وليس من طير الماء ، لأنه لا يأويه دائما ولا يعتدي بالسمك . وهو يأكل النبات والبذور؛ وله قضيب يخرج من دبره كذكر الكلب عظيم جدا بالنسبة إليه؛ في رأسه زر كالفلكة^(١)؛ فإذا سفد لم يخرج حتى ينقلب لجنيه؛ ويحصل له عند السفاد من الالتحام ما يحصل للكلب .

وقال أبو علي بن سينا: وطبع البط حار أسخن من جميع الطيور الأهلية . قال بعضهم : هو يسخن المبرود ويورث المحرور حتى . قال : وشحمه عظيم في تسكين الوجع وتسكين اللذع من عمق البدن؛ وهو أفضل شحوم الطير . ولحمه يكثر الرياح ، وقانصته كثيرة الغذاء ، ولحمه يسمن ، وهو بطيء في المعدة ثقيل ، وإذا أنهضم كان أعذى من جميع لحوم الطير؛ وهو يزيد في الباه ويكثر المنى .



وأما النحام وما قيل فيه — قالوا : والنحام يكون أفرادا وأزواجاً . وإذا أراد المبيت اجتمع رفوقا فنام ذكوره ولا تنام إناثه . وتعد لها مباتات ، إذا دُعرت في واحد منها طارت إلى آخر . ويقال : إنه لا يسفد ولا يخرج فراخه بالحضن وإنما تبيض الأثني من ذق الذكر . وإذا باضت تغربت وبقى الذكر عند البيض بذرق عليه ليس إلا ، فيقوم ذرقه مقام الحضن . فإذا تمت مدة ذلك خرجت

(١) فلكة المنزل : رأسه .

(٢) كذا في كتاب القانون لابن سينا . وفي الأصلين : « المبرود » بالبدال المهملة .

(٣) النحام كغراب : طائر أحمر كالإوز . قال الجوهري : يقال له بالفارسية « سرخ آوى » وهكذا

ضبطه الأزهري وابن خالويه وغلط الجوهري في فتحه وشده . (انظر الفاموس وشرحه مادة نحم) .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو القطيع من الطير .

الفراخُ لا حَرَكَ بها ؛ فتجىء الأثني فتَنفُخُ في مناقيرها حتى يُجرى ذلك النفخُ فيها رُوحًا، ثم يتعاون الذكورُ والأثني جميعًا على التربية . وإذا قويت الفراخُ على الطعم وأمكنها التكسُّبُ لنفسها طردها الذكر .



- وأما الأنيس وما قيل فيه — فقال أرسطو: إنه حادُّ البصر، وصوته يُشبه صوتَ الجملِ ومحاكيه . ومأواه في قرب الأنهار وفي الأماكن الكثيرة المياه الملتفة الشجر . وله لونٌ حسنٌ وتديروا في معاشه . والناس يتغالون به إذا وقع لهم ويعملونه في بيوتهم .



- وأما القَاوِنْدُ وما قيل فيه — قال صاحبُ كتاب مباحِ الفكرِ ومناهِجِ العِبَرِ في كتابه : كنتُ أسمعُ بشخْمِ القَاوِنْدِ ولم أدْرِ ما هو : حيوانٌ هوائِيٌّ أم مائِيٌّ أم أرضِيٌّ، حتى وقفتُ على كتابِ موضوعِ في طبائع الحيوانِ وخواصِّه ليس عليه اسمُ المُصنِّفِ، فرأيتُه قد قال : « القَاوِنْدُ طائرٌ يتخذُ وكره على ساحلِ البحرِ ويحضنُ بيضه سبعةَ أيَّامٍ، وفي اليوم السابع يُخرجُ فراخه ثم يزُقُّها سبعةَ أيَّامٍ . والمسافرون في البحرِ يَتِمَنُّونَ بهذه الأيامِ ويوقنونَ بِطيبِ الرِّيحِ وحلولِ أيامِ السفرِ » .
- ١٥



- وأما الخَطَّافُ وما قيل فيه — والخَطَّافُ يسمَى "زَوَّارَ الهندِ" . وهو من الطيورِ القواطعِ التي تَقطعُ البلادَ البعيدةَ إلى الناسِ رغبةً في القربِ منهم والإلفِ بهم، وهو مع ذلك لا يَبْنِي بيتهُ إلا في أبعدِ المواضعِ حيث لا تتاله أيديهم . ومن عجيبِ حاله أن عينه تُقَلَعُ فترجعُ؛ وهو لا يرى أبدًا يقفُ على شيءٍ يأكله،
- ٢٠

ولا يرى يُسافِدُ ولا يجتمع بأنثاه . والأثني تبيض مرة واحدة في السنة ، وقيل :
مرتين ؛ وكلاهما قاله الجاحظ . والحُقَاش عدو الخُطَاف ؛ فهو إذا فرخ وضع
في أعشاشه قُضبان الكرفس ، فلا يؤذي فراخه إذا شم رائحة الكرفس . وهو لا يُفرخ
في عُش عتيق حتى يُطينه بطين جديد . وهو يبنى عُشه بالطين والتبن . فإذا لم يجد
طيناً مهيأً ألقى نفسه في الماء ثم تمزغ في التراب حتى يمتلئ جناحاه ثم يجمعه بمثاقره .
وهو يُسوى في الطعم بين فراخه . ولا يترك في عُشه زبلاً بل يلقيه خارجاً .
وأصحاب اليرقان يُطخون فراخ الخُطَاف بالزعفران ؛ فإذا رآها صُفراً ظن أن اليرقان
أصابها من شدة الحر ، فيذهب ويأتيها بججر اليرقان فيطره على الفِراخ ، وهو حجر
أصفر ، فيأخذه المحتال فيعلقه على نفسه أو يحكُّه ويشرب من مائه [يسيراً] ^(١) فيبأ .
والخُطَاف متى سمع صوت الزعد مات .

(١٢)

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : قال ديسقوريدوس : إن أول بطن
للخُطَاف إذا شقَّ وجد فيه حصانان ، إحداهما ذات لون واحد والأخرى ذات
ألوان كثيرة ، إذا جُعِلتا في جلد عجول قبل أن يصبية تراباً ورُبط على عَضد المصروع
ورقبته أنتفع به ، قال : وقد جربت ذلك وأبرأ المصروع . قال : وأكل الخُطَاف
يُجِدُّ البصر ، وقد يُجفِّف ويُسقى . والشربة منه مثقال . وقيل : إن دماغه بعسل
نافع من ابتداء الماء ، وكذلك دماغ الحُقَاش . قال : وإن مَلَّح الخُطَاف وجفَّف
وشرب منه درهمان نفع من الخُنَّاق . قال بعض الأطباء : المشهور عند الأطباء أن
عُش الخُطَاطيف إذا حُلَّ في ماء وصُفِّي وشرب سهل الولادة .

(١) الزيادة عن مباح الفكر .

وقد ألم الشعراءُ في أشعارهم بوصف الخُطاف ؛ فن ذلك ما قاله أبو إسحاق الصَّابي :

وهنديّة الأوطان زنجية الخلق * مسوودة الأنواب مُحمّرة الحدق
 كأن بها حُرنا وقد ليست له * حدادا وأذرت من مدامعها العلق^(١)
 إذا صرصرت صرت بأخر صوتها * كما صرملوى ألعود بالوتر الخزق^(٢)
 تصيفُ لدينا ثم تستو بأرضها * ففي كل عام نلتقى ثم نقترق

وقال السرى الرّقاء يصفها من أبيات ويذكر غرفة :

وغرفتنا بين السحائب تلتقى * لمن عليها كلةٌ ورواق^(٣)
 تقسم زواراً من الهند سقفاها * خفاف على قلب النديم رشاق
 أعاجم تلتد الخصام كأنها * كواعب زنج راعهن طلاق
 أنسن بنا أنس الإمام تحببت * وشيها غدر بنا وإباق
 مواصلةً والورد في شجراته * مفارقةً إن حان منه فراق

وقال أيضا :

وغرفتنا الحساء قد زاد حسنها * بزائرة في كل عام تزورها
 مبيضة الأحشاء حمر بطونها * من برجة الأذنان سود ظهورها
 من لغات معجمات كأنها * صرير نعال السبت عالٍ صريرها^(٤)

(١) العلق : الدم الشديد الحمره .

(٢) كذا في آاب حياة الحيوان للدميري . والخزق (بالتحريك) : اسم من حرق الشيء يحرقه حرقا

إذا شدّه وضمّنه . وفي الأصلين : « الخلق » . وهو تحريف .

(٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « علينا » .

(٤) نعال السبت : نعال تخذ من جلود البقر المدبوغه بالقرظ .

وقال أبو هلال العسكري :

وزائرة في كل عام تزورنا * فيخبر عن طيب الزمان مزارها
 تُخبر أن الحورق قميصه * وأن رياضاً قد توشى لزارها
 وأن وجوه الغدير راق بياضها * وأن متون الأرض راع أخضارها
 تمنح إلينا وهي من غير شكنا * فتدنو على بعيد من الشكل دارها
 ويمنجنا وسط العراص وقوعها ^(١) * ويؤنسنا بين الديار مطارها
 أغار على ضوء الصباح قميصها * وفاز بالوان الليالي نمارها
 تصيح كما صرت نعال عرائس * تمشت إلينا هندا ونوارها
 وقال آخر :

أهلاً بمخطف أانا زائراً * غير دأ يدكر بالزمان الباسم
 لبست سراويل الصباح بطونه * وظهوره ثوب الظلام العاتم
 وقال أبو نؤاس :

كان أصواتها في الحو طائرة * صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا ^(٢)



وأما القيق والزُرزور وما قيل فيهما - والقيق : طائر في قدر الحمام
 اللطيف ، وأهل الشام يُسمونه "أبا زريق" ^(٣) . وفي طبعه كثرة الإلف بالإناس ،
 وقبول التعليم ، وسرعة الإدراك لما يلقن من الكلام مبيّنا حتى لا يشك سامعه

(١) في أ : « وبقوعها » .

(٢) الجلام (بالكسر) : جمع جلم ، وهو المقص .

(٣) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصلين : « زريق » .

إذا لم يره أنه إنسان ؛ وربما زاد على البيّغاء . وله حكايات وأخبار في الذكاء
والفطنة يطول شرحها ، وهو طائر مشهور بذلك .



وأما الزرزور — فيقال : إنه ضربٌ من الغراب يسمى "الغداف" ؛ ويقال :

- إنه "الزاغ" . وهو يقبل التعليم ، ولا يرى إلا في أيام الربيع . ولونه أرقط لكن
السواد أغلب . وقد يوجد في لونه الأبيض ، وهو قليل جدا .

وقال بعض شعراء الأندلس :

- يَارُبِّ أَعْجَمٍ صَامِتٍ لَقْتُهُ * طُرَفَ الْحَدِيثِ فَصَارَ أَفْصَحَ نَاطِقِ
جَوْنِ الْإِهَابِ أُعِيرَ قُوَّةَ صُفْرَةٍ * كَأَلْيَلِ طَرْزِهِ وَيَبِيضَ الْبَارِقِ
حِكْمٌ مِنَ التَّدْيِيرِ أَعْجَزَتِ الْوَرَى * وَرَأَى بِهَا الْمَخْلُوقُ لُطْفَ الْخَالِقِ

وقال آخر :

أَمْسِرُ ذَاكَ أَمٍ قَضِيبٌ * يَفْرَعُهُ مِضْمَعٌ خَطِيبٌ
يَخْتَالُ فِي بُرْدَى شَبَابٍ * لَمْ يَتَوَخَّعْ بِهَا مَشِيبٌ
أَحْرَسُ لِكُنْهَ فَصِيحٌ * أَبْلَهُ لِكُنْهَ لَيْبٌ

- ١٥ وقال الوزير أبو القاسم بن الجند الأندلسي من رسالة كتبها إلى الوزير أبي الحسن
ابن سراج جواباً عن رُقعة وصلت منه إليه ، يشفعُ لرجل يُعرف بالزرزير ؛ ابتدأها
بأن قال :

(١) في الأصلين : « الحداد » . والتصويب عن الذخيرة لابن بسام .

(٢) في هذه الرسالة تحريف كثير في الأصلين . وقد صححناها عن كتاب الذخيرة لابن بسام (يوجد منها

جزآن الأول والثاني مخطوطان بدارالكتب المصرية برقم ٢٣٤٧ أدب . والرسالة تقع في الجزء الثاني

حَسُنْتَ لَكَ أبا الحسن ضرائب الأيام ، وتشوّفتْ نحوكَ غرائب الكلام ،
 وأهترتْ لمكاتبتك أعطاف الأقاليم ، وجادت على محلك الطاف الغمام ، وأشادت^(٣)
 بفضلك ونُبلك أصناف الأنام . فإن كان روض العهد أعزك الله لم يُصبه من^(٤)
 تَمهدنا طُلًّا ولا وابل ، ولا سَجَمَتْ على أَيْكِهِ وُرُقٌ ولا بلايل ؛ فإن أزهاره على^(٥)
 شَرَبِ الصِّفاء نابتَه ، وأشجارَه في تُربِ الوفاء راسِخةٌ ثابتَه . وقد آن الآن لنعْم شجره^(٦)
 أن تُطَلِّع من الثمر ألوانا ، ولعُجِم طيره أن تسجَع من النعم الحانا ؛ بما سقط لدى^(٧)
 ووقع على من طائر شهيّ الصفير ، مبنى الأسم على التصغير ؛ فإنه رجّع بأسمك^(٨)
 حيناً ، وأبتدع في نوبة شكرك تلحيناً ، وحرّك من شوق إليك سكونا ، ودمت^(٩)
 في قلبي لودك وكونا . ثم أسمعني أثناء ترنمه كلاماً وصف به نفسه ، لو تغنّت به^(١٠)
 الورقاء ، لأذنت له العتقاء ؛ أو ناح بمثله الحمام ، لبكى لشجوه الغمام ؛ أو سمعه قيسُ^(١١)
 ابن عاصم في نادية ، وبين أعاديهِ ، حلل الزمغ حباه ، وأستردَّ الطربُ صباه :
 كلاماً لو آن البقل يُزهِى بمثله * زها البقل وأخضر الغضا بمصيف^(١٢)
 فنلّقيتُ فضل صاحبه بالتسليم ، وأعترفتُ بسبقه أعراف الخبير العليم .

- ١٥
- (١) في الأصلين : « لمكاتنتك » . (٢) في الأصلين : « نحكك » .
 (٣) في الأصلين : « أشارت » . (٤) في الأصلين : « إن كان » .
 (٥) في الأصلين : « بعدها » . (٦) في الأصلين : « سمعت » .
 (٧) في الأصلين : « كان » . (٨) في الأصلين : « نعم » .
 (٩) دمت : هيا وسهل . يقال : دمت لى هذا الحديث أى اذكر لى أوله حتى أعرف وجهه .
 (١٠) في الأصلين : « ركونا » بالراء . (١١) أذنت : أصفت وأسمعت .
 ٢٠ (١٢) الزمغ : الخفة والطيّش . ويعنى بهذا أن قيس بن عاصم ، وهو أحد حلفاء العرب المشهورين ،
 لو سمع هذا الكلام لاستخفه وبادر إليه .
 (١٣) قد سقط هذا البيت من النسخة .

وبعد، فإني أعود إلى ذكر [ذلك] ^(١) الحيوان الغريد، والشيطان المرید؛ فأقول:
 لئن سُمِّي بالزَّرِيرِ، لقد صَغُرَ للتكبير؛ كما قيل: حَرِيقِيصٌ ^(٢) وَسَقَطُهُ ^(٣) يَحْرِقُ الْحَرَجَ،
 ودَوِيهَةٌ وهي تلتهم الأرواحَ والمُهَجَ. ومعلوم أن هذا الطائر الصافر فوق جميع
 الطيور في فهم التلقين، وحسن اليقين. فإذا علم الكلام لهج بالتسبيح، ولم ينطق
 لسانه بالصبيح، وتراه يقوم كالنصيح، ويدعو للتغير بلسان فصيح. فن أحب الأتعاض،
 لقي منه قس إِيَادٍ بِمُكَاطٍ؛ أو مال إلى سماع البسيط والنشيد، وجد عنده مَحَبَّ
 الموصلي للرشيد. فطوراً يُبَكِّكُ بأشجى من مرأى آربد، ^(٥) وحيناً يَسْلِكُ بأحلى من
 أغاني معبد. فسبحان من جعله هادياً خطيباً، وشادياً مطرباً مطيباً. ولما طار ببلاد
 الغرب ووقع، وورق في أكافها وصقع؛ وعين ما أتفق فيها في هذا العام من عدم
 الزيتون، في تلك البطون والمتون؛ أزمع عنها فراراً، ولم يجد بها قراراً؛ لأن هذا الثمر
 بهذا الأفق هو قوام معاشه، وملاك أنتعاشه؛ إليه يَقَطَعُ، وعليه يقع؛ كما يقع
 على العسل الذباب، وتقطع إلى العرَادِ الضَّبَابُ؛ ^(٩) فأستخفه هائج التذكار، نحو تلك

(١٢٥)

(١) الزيادة عن الذخيرة . (٢) في الأصلين : «الكبر» . (٣) السقط : ماسقط

بين الزندين قبل استحكام الوري . والحرج : جمع حرجة ، وهي الفيضة لضيقها أو هي الشجر المنف .

(٤) هو قس بن ساعدة الإباضي حكيم العرب وخطيبها ، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم بمكاظ على جبل أحر

يخطب خطبته المعروفة . (٥) هو آربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم

وأراد به بشر فأصابته صاعقة فزناه أخوه لبيد بقصائد عدة . (راجع الأغاني ج ١٥ ص ١٣٦ - ١٤٠ طبع

بولاق) . (٦) هو معبد بن وهب المعنى المعروف (راجع ترجمته في الأغاني طبع دار الكتب المصرية ج ١

ص ٣٦ - ٦١) . (٧) في الأصلين والذخيرة : «أفق» . (٨) في الأصلين : «الثرن» .

(٩) العرَاد : حشيش طيب الريح . قال أبو الهيثم : تقول العرب : قيل للضب وِرْدًا وِرْدًا ؛ فقال :

أصبح قلبي صردا * لا يشتهي أن يردا

إلا عرادا عردا * وصلينا نأردا

* وعكنا مطبدا *

الأوكار؛ حيث يَكْنَسِي ريشه حريرا، وَيَحْتَشِي جوفه بريرا، وَيَحْتَسِي قَرَاخا نيرا،
 وَيَعْتَدِي على رَهْطِه أميرا . نغذه إليك، نازلًا لديك، مائلًا بين يديك؛ يترتم بالثناء،
 ترتم الذباب في الروضة الغناء؛ وقد هنّ قوادِمَ الجناح، لعادة الاستمناح؛ وجبر
 من مَعِ الأَنْجَاعِ، ما يصلح للائتجاج؛ واثقًا بأن ذلك القطر الناضر سَتَنْفِحه حدائقه^(٤)،
 ولا تَلْفِحه ودائته^(٥)؛ لا سيما وفضلك دليله إلى ترع رياضه، وفرض حياضه؛ مع أنه
 لا يَعمَدُ في جنابك حبًّا نثيرا، وخصبًا كثيرا، وعشًّا وثيرا ..

فإذا ما أراد كُنْتَ رِشَاءً * وإذا ما أراد كُنْتَ قَلِيْبًا

والله تعالى يَكْفِيه فيما ينوبه شرّ الجوارح، ويقيه شؤم السانح والبارح؛ بمنه وكرمه.



وأما السَمَائِي وما قيل فيه — يقال: إن السَمَائِي هو السَمْلَوِي . وهو
 من الطيور القواطع التي لا يُعْلَمُ من أين تأتي . ويقال: إنه يخرج من البحر المالح؛
 فإنه يرى وهو يطير عليه أو أن ظهوره وأحد جناحيه . يغمس في الماء والآخر منتشر
 كالقَلْع . وأكثر من يعتنى بتربيته أهل مصر ويتغالون في ثمنه ويحتفلون بأمره،
 حتى يتهى ثمن جيده إلى ألف درهم بعد أن يباع كل عشرة منها بدرهم وأرخص .
 وهو صنفان: رَيْبَعِي وطِرْمَاهِي؛ فالرَيْبَعِي القادم الراحل . والطِرْمَاهِي القاطن
 في الأرض والبلاد الخصبية، ويبيض ويفرخ فيها كالحجل . وسبب مغالاتهم
 في أثمانها لأجل كثرة صياحها وعدد أصواتها . وقد وجد فيها ما صاح في الليلة

(١) في أ: « صوفه » . وفي ب: « هونه » والبرير: أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو .

(٢) في الأصلين: « فراخه » . (٣) في الأصلين: « رهط » . (٤) في الأصلين:

« تستحقه » . (٥) في الأصلين: « تلحته » . والوديقة: حرّ نصف النهار، وقيل: شدة

الواحدة إلى الثانية من النهار أربعة آلاف وستائة صوت . والصوتُ عندهم أن يُفصلَ بينه وبين الصوت الثاني بسكّنة . وهم في تربيته يبدون بإطعامه دُقاق القمح (وهو القمح الصغير الذي لا يُمسكه الغُرْبَال لِصِغَرِهِ) مدّة شهر ؛ وتكون ذلك الوقت مجتمعةً في قفص كبير يسمونه "المرح" ؛ ثم يُفردُ بعد ذلك كلُّ سُمَانِيٍّ بمفرده في قفص ويُطعمُ الدُّخْنَ والشَادَاتِيَّ ^(١) . ويصبح في مبتدأ أمره مقدار شهر ثم يسكت مدّة شهرين . ويُنقلُ إلى أقفاصٍ أُخرى يعتنون بمجودتها ويرفعونها على البرّاريد (والبرّاريدُ عِصِيٌّ تُعلَقُ عليها الأقفاص) فيصبح بعد تلك السكّنة أربعة أشهر . فإذا دخل فصل الخريف وهبَطَ الماءُ سكت مدّة شهرين وتقرّنص ، ثم يصبح أحياناً ويسكت أحياناً . وهو لا يطولُ عمره أكثر من سنة ونصف . وأوّل ما يصبح قبل أن يتفصّح بالوعوّة ، وحكاية صوته : "وَعَّ وَعَّ" ؛ ثم يصبح بعد ذلك : "شَقَشَقَ" .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في كتاب الأدوية المفردة : إنه يُخاف من أكل لحوم السُمَانِيَّ من التمدد والتشنج .



١٥ وأما الهدُّهُدُ وما قيل فيه — والهدهُدُ طائرٌ معروف . وقال الجاحظ فيه : والعرب كانوا يزعمون أن القُرْزَعَةَ التي على رأسه ثوبٌ من الله عزّ وجلّ على ما كان من بزه لأُمَّه ، لما ماتت جعل قبرها في رأسه ؛ فهذه القُرْزَعَةُ عِوَضٌ عن تلك الوهدة . وهو طائرٌ مُنْبِنٌ البَدَنِ من جوهره وذاته . والأعراب يجعلون ذلك

(١) الشاداتي : بزوال العنب .

الَّتِي شَيْئًا خَاسِرَهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْحَيْفَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ . وَيَسْتَدْلُونَ عَلَى ذَلِكَ
بِقَوْلِ أُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ حَيْثُ يَقُولُ مِنْ أَيْيَاتِ :

غَيْمٌ وَظَلْمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ * أَزْمَانٌ كَفَنَ وَأَسْتَرَادَ الْهُدُودُ

يَنْبَغِي الْفَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا * فَبَنِي عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يَمْهَدُ

مَهْدًا وَطَيْئًا فَاسْتَقَلَّ بِحِمْلِهِ * فِي الطَّيْرِ يَجْمَلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ

مِنْ أُمَّهِ بِفَرْزَى بِصَالِحِ حَمْلِهَا * وَلَدًا وَكَلَّفَ ظَهْرَهُ مَا يَعْقِدُ

فَتَرَاهُ يُدَلِّجُ مَاشِيًا بِمِنْزَارَةٍ * بِقَفَاهُ مَا آخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمُسْنَدُ

وزعم صاحبُ الفِرَاسَةِ : أَنْ سَبَبَ تَنَنِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ الزَّبِيلَ ؛ فَإِذَا وَجَدَهُ نَقَلَ

مِنْهُ وَأَبْتَنَى بَيْتًا مِنْهُ ؛ فَإِذَا طَالَ مُكْمَثُهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَفِي مِثْلِهِ وُلِدَ ، آخَتَلَطَ رِيشُهُ

وَبَدَنُهُ بِتِلْكَ الرَّائِحَةِ فَوَرِثَ أَبْنُؤَ النَّتَنِ ، كَمَا وَرِثَهُ هُوَ مِنْ أَبِيهِ ، وَكَمَا وَرِثَهُ أَبُوهُ مِنْ

جَدِّهِ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَأَنْتَ مِنْ هُدُودٍ مَيِّتٍ * أُصِيبَ فَكُفِّنَ فِي جَوْرِبٍ

وَيَقَالُ عَنْهُ : إِنَّهُ يَرَى الْمَاءَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ كَمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي بَاطِنِ الزُّجَاجِ .

وَزَعَمُوا : أَنَّهُ كَانَ دَلِيلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَاءِ وَلِذَلِكَ تَفَقَّدهُ ، عَلَى أَحَدِ

أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ الْجَاهِظُ فِيهِ : إِنَّهُ وَفِي حَفْوِظٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ إِذَا غَابَتْ عَنْهُ أَنْثَاهُ

لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ حَتَّى تَعُودَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعُدْ لَا يَسْفِدْ بَعْدَهَا

أَنْثَى أَبَدًا ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ عَلَيْهَا مَا عَاشَ ، وَلَمْ يَنْسَلْ بَعْدَهَا مِنْ طَعْمِ بِلِ يَنْالُ مِنْهُ

مَا يُمْسِكُ رَمَقَهُ .

ووصفه أبو الشَّيْصِ (١) فقال :

لا تَأْمَنْتِ عَلَى سَرَى وَسِرْمٍ * غَيْرِي وَغَيْرِكَ أَوْطَى الْقِرَاطِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَاجِلِيهِ وَأَنْعَمْتَهُ * مَا زَالَ صَاحِبَ تَقْيِيرٍ وَتَدْسِيسِ
سُودٍ بَرَّائْتِهِ مَيْلِ ذَوَائِبِهِ * صُفْرٍ حَمَّالِقِهِ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هُمْ سَلْيَانٌ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سِعَاعِيَّتُهُ فِي مُلْكٍ يَلْقِيسِ

وقال آخر من أبيات :

كَأَنَّهُ إِذَا أَنَاهُ مِنْ قُرَى سَجِيًّا * مُبَشِّرًا قَدْ كَسَاهُ تَاجَ يَلْقِيسِ
يَبْدُو لَهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَاطِنُهَا * كَمَا تَبَدَّتْ لَنَا الْأَقْدَاءُ فِي الْكُوسِ (٢)



- ١٠ وَأَمَّا الْعَقَّعُ وَمَا قَبِيلُ فِيهِ — وَيَسْمَى الْعَقَّعُ أَيْضًا «كُنْدُشًا» . وَهُوَ طَائِرٌ لَا يَأْوِي تَحْتَ سَقْفٍ وَلَا يَسْتِظِلُّ بِهِ ، بَلْ يُهَيِّئُ وَكْرَهُ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَشْرُفَةِ الْفَسِيحَةِ . وَفِي طَبْعِهِ الزَّانَا وَالْحَيَانَةُ وَالسَّرْقَةُ وَالخُبْتُ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ . وَإِذَا بَاضَتْ الْأُنْثَى أَخْفَتْ بِيضُهَا بَوْرُقَ الدُّبِّ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْخُقَّاشِ ، فَإِنَّهُ مَتَى قَرَّبَ مِنْهُ مِذْرَ وَفَسَدَ وَتَغَيَّرَ مِنْ سَاعَتِهِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَمثالها : « أَمَوْقٌ مِنْ عَقَّعٍ » . وَهُوَ شَدِيدُ الْأَسْتِلَابِ وَالْأَخْتِطَافِ لَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْحَلِيِّ الثَّمِينِ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فِيهِ :

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ * فَلَا بَارِكَ اللَّهُ فِي الْعَقَّعِ

(١) هو محمد بن عبد الله بن رزيق الخزاعي شاعر معروف ، كان في زمن الرشيد ، وهو ابن عم دعبل

ابن علي الخزاعي الشاعر ، توفي سنة ١٩٦ هـ .

(٢) يريد الكؤوس جمع كأس .

(٣) مذر البيض : فسد وتغير .

قصيرُ الذَّنَابِ طَوِيلُ الجَنَاحِ * متى ما يَمِيذُ غَفْلَةً يَسْرِقُ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ * كأنهما قَطْرَتَا زَيْبِقِ

وكان سببُ قوله لهذا الشعرِ فيه ما حكاه إسحاق بن إبراهيم قال : كان لي عَقَقٌ
وأنا صبيٌّ قد ربيتهُ، وكان يتكلم بكلِّ شيءٍ يسمعه ؛ فسرقَ خاتمَ ياقوتٍ كان أبي
قد نَزَعَهُ من إصْبَعِهِ ودخلَ الخَلَاءَ ثم خرج فلم يجدْهُ، فضربَ الغلامَ الذي كان واقفاً،
فلم يَقِفْ له على خبرٍ . فبينما أنا ذاتَ يومٍ في دارنا إذ أبصرتُ العَقَقَ قد نبَسَ تُرَاباً
وأخرج الخاتمَ منه، فَالْعَبَ به طويلاً ثم دَفَنَهُ ؛ فأخذتهُ وجئتُ به إلى أبي، فَسَّرَ به
وقال هذا الشعرُ .



وأما العصافير وما قيل فيها — والعصافير ضروبٌ كثيرةٌ : منها
«العصفور البيوتى» و«عصفور الشوك» و«عصفور التوفر»^(١) . ومن ضروبها «القبرة»
و«حسون» و«الببل» .

فأما العصفور البيوتى — ففى طباعه اختلافٌ : ففيه من طباعِ سباعِ
الطير أنه يُلْقِمُ فراخه ولا يُزَقِّها، ويصيدُ أجناساً من الحيوان كالتمل إذا طار والجراد،
وياكل اللحم . والذي فيه من طباعِ بهائمِ الطير أنه ليس بذى مخْلِبٍ ولا منسِرٍ ؛
وهو إذا سقط على عودٍ قدمُ أصابعه الثلاثِ وأخرُ الدائرةِ ؛ وسباعُ الطير تُقدِّمُ
إصبعين وتؤخِّرُ إصبعين ؛ وياكلُ الحبَّ والبقولَ . ويتميِّزُ الذكورُ منها من الأنثى
بِلِجَةِ سوداء . وهو لا يعرفُ المشى وإنما يرفعُ رجله ويثبُ . وهو كثيرُ السِّفادِ،

(١) كذا في الأصلين . وقد أورده المؤلف هنا على لجة العامة . والفصح فيه : « نيلوفر »

٢٠ « وينوفر » بابدال اللام نونا . والنيلوفر : ضرب من الرياضين ينبت في المياه الزاكمة ، ويسميه أهل

مصر البشنين . (راجع القاموس وشرحه مادة نيلوفر) .

وربما سفد في الساعة الواحدة خمسين مرة ، ولذلك عمره قصير فإنه لا يعمر غالباً أكثر من سنة ؛ وإنها تُعمر أكثر من ذكورها . والمثل يضرب في التحقير والتصغير بأحلام العصافير .

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّةِ :

يا آلَ سَفِيانَ ما بالي وبألكم * أتم كبير وفي الأحلام عصفور^(١)

وقال حَسَّانُ بن ثابت :

لابأس بالقوم من طولٍ ومن عَظِيمٍ * جِسمُ البغالِ وأحلامُ العصافير



وأما عصفور الشوك — فزعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوة ، لأن الحمار إذا كان به دبر حكة بالشوك الذي يأوي إليه هذا العصفور فيقتله ؛ وربما نبق الحمار فتسقط فراخه أو بيضه خوفاً منه ؛ لذلك هذا العصفور إذا رأى الحمار رَفَرَفَ فوق رأسه وعلى عنقه وآذاه ونقره في عنقه أنى كان .^(٢)



وأما عصفور النيلوفر — وهو لا يوجد غالباً إلا بتغردمياط ، وشأنه غريب ؛ وذلك أنه عصفور صغير جداً ، فإذا كان قبل غروب الشمس جاء إلى برك^(٣) التوفر فيجد التوفرة وهي طائفة على وجه الماء مفتوحة فيقعدها في وسطها ، فإذا

(١) كذا ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٧٣) والأغاني (ج ٩ ص ٧ طبع بولاق) .

وفي الأصلين : * أتم كثير وفي أحلام عصفور *

(٢) في الحيوان للملاحظ : « ذرق » . وفي مباحج الفكر : « قرب منه فوق رأسه » .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤٩ من هذا الجزء .

حَصَلْ فِيهَا أَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِ وَأَنْعَمَسَتْ فِي الْمَاءِ طَوْلَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ طَفَّتِ النَّوْفَرَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَنْفَتَحَتْ ، فَيُخْرَجُ مِنْهَا وَيَطِيرُ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَيَأْتِي وَيَفْعَلُ كَفَعَلِهِ .



٥. وَأَمَّا الْقَبْرَةُ — فَقَدْ عَدَّوْهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَصَافِيرِ . وَهِيَ غَبْرَاءُ كَبِيرَةُ الْمُنْقَارِ عَلَى رَأْسِهَا قُبْرَةٌ . وَهَذَا الضَّرْبُ قَاسَى الْقَلْبِ . وَفِي طَبَعِهِ أَنَّهُ لَا يَهْوُلُهُ صَوْتُ صَاحِحٍ بِهِ ، وَرُبَّمَا رُمِيَ بِالْحَجَرِ فَاسْتَخَفَّ بِالرَّامِي وَلَطَى إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَتَجَاوَزَهُ الْحَجَرُ . وَهُوَ يَضَعُ وَكْرَهُ عَلَى الْجَادَّةِ رَغْبَةً فِي الْأُنْسِ بِالنَّاسِ .



١٠. وَأَمَّا حَسُونٌ — وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ « أُمَّ الْحَسَنِ » وَالْمَصْرِيُّونَ « السَّقَايَةَ » لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْقَفْصِ آسَتْقَى الْمَاءَ مِنْ إِيْنَاءٍ بَالَةٍ لَطِيفَةٍ يُوضَعُ لَهُ فِيهَا خَيْطٌ ، فَيَقْرَاهُ يَرْفَعُ الْخَيْطَ بِأَحَدِي رَجْلَيْهِ وَيَضَعُهُ تَحْتَ رِجْلِهِ الْأُخْرَى حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْإِيْنَاءَ اللَّطِيفَ فَيَشْرَبُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ حَسَنَةٍ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ مِنَ الْحَمْرَةِ وَالصَّفْرَةِ وَالسَّوَادِ وَالْبِيْضِ وَالْخَضْرَى وَالزَّرْقَةِ . وَلَهُ صَوْتُ حَسَنٌ مُطْرَبٌ . وَوَصَفَهُ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فَقَالَ :

وَمُفْتَنَّةِ الْأَلْوَانِ بِيْضِ وَجُوهِهَا * وَتُسْرِ تَرَاقِيْهَا وَصَفْرِ جُنُوبِهَا (٢)
كَأَنَّ دَرَارِيْعًا عَلَيْهَا قَصِيْرَةٌ * مَرْقَعَةٌ أَعْطَانَهَا وَجُوبِهَا (٣)

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ... مِنْ إِيْنَاءٍ إِلَى إِيْنَاءٍ بِأَلَةٍ ... الخ » . وَعِبَارَةٌ مَبَاهِجُ الْفِكْرِ : « وَرُبَّمَا عَلِمَ اسْتِقَاءَ الْمَاءِ مِنْ إِيْنَاءٍ بِأَلَةٍ لَطِيفَةٍ ، يَطْبِقُ حَلْهَا دَبْرَتْ لَهُ » .

(٢) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مُوَافِيَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) الدَّرَارِيْعُ : جَمْعُ دَرَاعَةٍ ، وَهِيَ جَبِيْةٌ مُشَقَّقَةٌ الْمَقْدَمُ .



وأما البُلبُلُ - وهو "العندليب"، وتُسميه أهل المدينة "النُّغْر".
وهو طائرٌ أغبرُ الرأس لطيف القَدِّ، ماواه الشجرُ.

(١) قال الجاحظ : البلبُلُ موصوفٌ بحسن الصوتِ والحنجرة . ومن شأنه إذا
كان غير حاذقٍ أن يطارحه إنسانٌ بشكلِ صوته، فيتدرب ويتعلم ويحسن صوته .
وقد وصف أبو هلال العسكري البلبُلَ فقال :

مررتُ بدُكْنِ القُميصِ سُودِ العمام * تُغني على أطرافِ غِيَدِ نواعِمِ
زُهَيْنِ بأصداغِ تَرُوقِ كأنها * نجومٌ على أعضادِ أسودِ فاحِمِ
ترى ذهبًا منهمنٌ تحتِ ما حِرِّ * لها ولجُنينا نُظنُه بالقَوادمِ

وقال آخر :

كيف أُلحِي وقد خَلَعْتُ على الله * ووعِذارِي وقد هَتَكْتُ قِناعِي
وتعشقتُ بلبلاً أنا منه * في أنزعاجِ إلى الصِّبا والتَّباعِ^(٢)
أنا من ريشه المديحُ في زَه * ير ومن شَجْوِ صوته في سماعِ

ومن رسالة ذكرها العباد الأصفهاني الكاتب في الخريدة، وهي لبعض فضاء

أصبهان، ذكر فيها وصفَ الرِّياضِ ومفاخرةَ الرِّياحين، وفضلَ فيها الوردِ، وأتتهى
بعد ذكر الوردِ إلى وصفِ البلبُلِ، فقال :

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « ومن شأنه أنه إذا ... الخ » بزيادة كلمة « أنه »

ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « والتباع » .

«فلما أرتفع صدر النهار، وأقطع جدال الأزهار؛ سُمِعَ من خلل الحديقة زقزقة^(٢)
عندليب، قد آتخذ وكراً على حاشية قلب؛ كان يستتر به عن الجمع، ويعمله دريئة^(٣)
لأستراق السمع . وحين أتقن ما وعاه، وأودعه سمعه وأرعاه؛ انتهى غصناً رطيباً،
فاوقى عليه خطيباً؛ ثم قال : يا فتنة الخليفة، لقد جئت بالشنعاء الفليقة؛ ورب^(٤)
بسم أستحال أحتداما، ولن تعدم الحسناء ذاما . لإم ترقل في دلال زهوك، وتغفل^(٥)
عن رذائل سهوك ! وحتام نتيه على الأكفاء والأقران، كأنك أنت صاحب القرآن !
ألست من محجيك بنفسك، وأسترايتك بأبناء جنسك؛ لاتزال مشتتلاً شوك الغصون،
معتصماً منها بأشباه المعامل والحصون ! . لكك متى أنقضى مهب الشمال، وعدل عن
اليمن إلى الشمال؛ خيف عليك نفع الإحراق، وتعريت من حلال الأوراق؛ وأصبحت
للأرض فراشاً، وتلعب بك الهواء فعدت فراشاً . ثم ما قدر جورتك حتى تيجور !
وهل ينتج حضوره إلا الفجور ! . هذا إذا كنتم على الأصل الثابت، وعرفتم في أكرم^(٦)
المغارس والمنابت؛ فكيف وأتم بين رملي وجبلي، ونهورى أو تهورى . وهب^(٧)
أنك ورهطك تفزذتم بمأيلة القدود، وتوحدتم بمشابهة الحدود؛ وصرتم درر البحور،
وعلقتم على الجباه والنحور؛ وتحوّلتم جماناً ومرجاناً، وحلّيتم مناطق وتيجاناً؛ أقدرتم على

(١) في الأصلين : « حلك الحديقة » ، وهو تحريف .

(٢) الزقزقة : صدح الطائر عند الصبح . وقد وردت هذه الكلمة في أ : « زهرهه » وفي ب :

« زهرهه » . ولعلها محرفة عما أبتناه .

(٣) القلب : البئر . والحاشية : الجانب .

(٤) في الأصلين : « وأدماه » .

(٥) الفليقة : الأمر العجب والداهية . وفي الأصلين : « القليقة » بالقاف ، وهو تصحيف .

(٦) لعلها « حضورك » .

(٧) النهور : واحد النهاير ، وهي جبال رمال مشرفة . والنهور من الرمل : ماله جرف .

(٨) في الأصلين : « واتحدتم » ، وهو لا يستقيم به الكلام .

مباراة الشَّحَارِيرِ، ومجارة القَهَارِي النَّحَارِيرِ! أم ملكتم تَهَيِّجَ البَلَابِلِ، قبل أصوات
 البَلَابِلِ! أم وجدتم سبيلًا إلى ولوج القلوب والأسماع، وأتخذ الطَّرَبَ والسَّمَاعَ؟!
 هيات هيات، بُعد عنكم ما فات! بل نحن ذوات الأطواق، وبنات الغُصُونِ
 والأوراق؛ إنما يَجَلُّ صِيَتِكُمْ بِنَغَمَاتِ أصواتنا، ويزهو غناؤكم بصحة غنائنا؛ ويحسُن
 تَمَائِلُ دَوْحِكُمْ بِتَرَمْنَانِ وَنَوْحِنَا، وَيُرِوقُ غَدِيرُكُمْ بِهَدِيرِنَا، وَيَسُوقُ تَهْدِيلِكُمْ بِهَدِيلِنَا.^(٤)
 لم تزلوا حَمَلَةَ أَثْقَالِنَا، رَمُودَ أَطْفَالِنَا؛ وَجِيَادَ شُجْعَانِنَا، وَمَنَابِرَ خُطْبَائِنَا. فُرُوعُكُمْ
 مَحْطُ أَرْحُنَا، وَرَمُوسِكُمْ مَسَاقِطُ أَرْجَلِنَا. إِذَا أَوْفَى مُطْرِبُنَا عَلَى عُوْدِهِ، وَعَيْثُ
 بَلَوَى عُوْدِهِ؛ وَشَدَّ المِثَالِثَ وَالمِثَالِي، شَدَّ التَّقِيلِينَ الأَوَّلَ وَالثَّانِي؛ فَقَدَ أَحْيَا بِالمِخْنِ
 الأَيْبِيَّ، وَبَدَّ يَحْيَى المَكْتَى؛ وَأَعَادَ إِبْرَاهِيمَ، كحَاطِبِ اللَّيْلِ البَّهِيمِ؛ وَخَرَقَ لَهُ أَثْوَابَ^(٧)

- ١٠ (١) الشحارير: جمع شحرور، وهو طائر أسود فوق العصفور يصوت أصواتا .
 (٢) البلابل: الأثجان .
 (٣) لعل الصواب فيها: «وإيجاد الطرب...» فإنها أنسب بالمقام .
 (٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة عن: «تهويلكم» . والتويل: ما يعلو الرياض من نورها
 وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر . ويجمع على تهاويل . ويحتدل أيضا أن يكون صوابه:
 «ويشوق تهديلكم» . وتهدل الشجر: تدل أغصانه وثمره .
 ١٥ (٥) هو يحيى بن مرزوق مولى بني أمية، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء . من بني العباس خوفا من أن
 يجنبوه ويحتشموه؛ فاذا سئل عن ولاته اتى الى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤه لهم واستغنى من سأله
 عن ذلك . ويكنى أبا عثمان، عمر مائة وعشرين سنة، وأصاب بالفتنة ما لم يصبه أحد من نظرائه .
 (راجع ترجمته في الأغاني ج ٦ ص ١٦ - ٢٤ طبع بولاق) .
 ٢٠ (٦) هو إبراهيم الموصلي المعنى المعروف . (راجع ترجمته في الأغاني ج ٥ ص ١٥٤ - ٢٦٧ طبع
 دار الكتب المصرية) .
 (٧) كذا في الأصلين . ولعل صوابه: «وخرق له الأثواب مخارق... الخ» .

(١) مُحَارِقٌ طَرِبًا وَحَسَدًا، وَلَمْ يَسَلِّمْ مِنْهُ سُلَيْمٌ غَيْظًا وَكَمَدًا؛ وَأَخَذَ قَلْبَ ابْنِ جَامِعٍ بِجَامِعِهِ،
 وَطَوَّقَهُ مِنَ الْإِقْرَارِ غَلًا بِجَامِعِهِ؛ حَتَّى كَانَتْهُ بِصِحَّةٍ ضَرَبَهُ وَإِتْقَانِ أَوْتَارِهِ، يَطْلُبُ
 عَنْدَهُمْ قَدِيمَ أَحْقَادِهِ وَأَوْتَارِهِ .

(٤)
 فَهِيَ تُصَيِّبُ الْأَبْصَارَ لَوْنًا قَرِيبًا * وَتَسْرُّ الْأَسْمَاعَ ضَرْبًا بَعِيدًا
 خَضِبَ الْكَفَّ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَأَبْتَزَ سُوَيْدَاءَهُ فَطَوَّقَ جِيدًا
 أَعْجَمِيَّ اللِّسَانَ مُسْتَعْرِبُ اللِّه * مِنْ يُعِيدُ الْخَلِيَّ صَبًّا عَمِيدًا
 كُلُّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ فَرْطِ شَجْوِي * مُظْهِرًا فِي الْغِنَاءِ لِحْنًا جَدِيدًا
 نَارَةٌ يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطًا * وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوْرًا نَشِيدًا
 مَعْبُدٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا * وَلَيُيَدُّ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيدًا
 ضَلَّ عَنْ أَلْفِهِ وَأَقْلَقَهُ الْوَجْدُ * مَدُّ فَامْسَى بِكَأْوِهِ تَغْرِيدًا

(١) هو محارق بن يحيى الجزار المعنى المشهور . كان أبوه جزارا مملوكا لعاتكة بنت شهدة ، وهي من
 الغنيمات المحنات المتقدّمات في الضرب . وكان محارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان
 طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلي منها وأهداه للفضل
 ابن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم اعتقه . وكانت له مكانته العظيمة في الغناء وعند الرشيد . وكناه الرشيد
 أبا المهنا . (راجع الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٠ - ٢٤٩ طبع أوروبا) :

(٢) هو سليمان بن سلام الكوفي ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان حسن الوجه حسن الصوت ، انقطع الى
 إبراهيم الموصلي قال اليه وعلمه وناصحه . (راجع ترجمته في الأغاني ج ٦ ص ١٢ - ١٥ طبع بولاق) .
 (٣) هو أبو القاسم إسمايل بن جامع ، وهو من قرين . وكان أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وكان
 مغنيا مجيدا . قال : لولا أن القهار وحب الكلاب قد شغلاني لتركت المغنين لا يأكلون الخبز . وكان إبراهيم
 ابن المهدي يفضلّه فلا يقدم عليه أحدا . (راجع ترجمته في الأغاني ج ٦ ص ٦٨ - ٩١ طبع بولاق) .
 (٤) كذا في الأصلين . ولعله : « فهو يصي الأَبْصَارَ لَوْنًا قَرِيبًا * ويسر الخ » وأول الكلام
 وآخره مرشح ذلك .

(٥) قد تكون هذه الكلمة محرفة عن « عيد » . وعيد اسم ابن سريج المعنى المشهور ؛ فإن المقام
 مقام ضياء وجمع ، وليد كان شاعرا .

لو عارض الخليل في عروضه لبكتته ، أو ناظر ابن السكيت في إصلاحه لسبكته ؛
أو جادل الفارسي لفرسه وجذله ، أو نازل الكوفي لأكفاه عن رتبته وأنزله .

(١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ،
وكان آية في الذكاء . وهو أستاذ سيويه والأصمعي والنضربن شميل . توفي سنة ١٧٥ هـ . (راجع
ترجمته في بقية الوعاة للسيوطي ووفيات الأعيان لابن خلكان) .

(٢) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، كان عالماً بخوا الكوفيين وعلم القرآن واللغة
والشعر ، وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن التديم في الفهرست ، ومنها كتاب « إصلاح المنطق » . توفي
في رجب سنة ٢٤٤ هـ . (راجع ترجمته في بقية الوعاة للسيوطي وفهرست ابن التديم) .

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي واحد زمانه في علم العربية . كان أعلم من المبرد
وهو أستاذ ابن جنى . توفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ . (راجع ترجمته في بقية الوعاة للسيوطي) .

(٤) لعله يريد إسحاق بن مرار أبا عمرو الشيباني الكوفي راوية أهل بغداد ، كان واسع العلم باللغة
والشعر . توفي سنة ٢٠٦ هـ . (راجع ترجمته في بقية الوعاة للسيوطي) .

الباب الرابع من القسم الخامس

من الفن الثالث في بَغَاث الطير

(١٢٩)

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في القُمرى، والدُّبىسى، والورشان، والفواخت والشُفنين، واليعتبط، والنَّواح، والقَطَا، وإيمَام وأصنافه، والبيَّغاء . وهذه الأصناف قد عدّها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أو أكثرها في الحمام، فقال : الحمام وَحْشِيٌّ، وأهليٌّ، ويُّوتِيٌّ، وطُورَانِيٌّ . وكلُّ طائر يُعرف بالنَّواح وحسن الصَّوت والدَّعاء والتَّرجيع فهو حَمَامٌ وإن خالف بعضه بعضًا في الصُّورة واللون وفي بعض النَّوح ولحن الهديل .

قال : وزعم أفليمون صاحبُ الفِرَاسة أن الحمام يُتخذ لضروب، منها ما يُتخذ للأُنس والنِّساء والبيوت ، ومنها ما يُتخذ للفِراخ، ومنها ما يتخذ للزَّجَال والسِّبَاق . والزَّجَال : إرسال الحمام الهَوَادِي . ثم ذكر من أوصاف الحمام وما فيه من ضروب المعرفة والمنافع ما نُورِدُه عند ذكرنا للحمام المشتهر بهذه التسمية ، وهو الذي أشار الجاحظ إليه . فلنذكر تفصيلًا ما قدمناه من هذه الأصناف، فنقول وبالله التوفيق :

(١) كان فاضلا كبيرا عالما في فن من فنون الطبيعة وكان معاصرا لبقراط . قال القفطي : وأظنه شامئ الدار . وكان خيرا بالفِرَاسة عالما بها ، إذا رأى الشخص وتركبه أستدل بتركبه على أخلاقه ؛ وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية ، وهو كتاب الفِرَاسة . (راجع تاريخ الحكماء للقفطي ص ٦٠ طبع أوروبا وفهرست ابن النديم) .

(٢) أورد الجاحظ في باب الحمام في غير هذا الموضع عن أفليمون قال : اجعل حمام النساء المسرولات العظام الحسان ذوات الاختيال والتبختر والهدير . ثم ساق هو بعد ذلك قصة لرجل علق فتاة فتزوجها فامتعت عليه فشكا ذلك لبعض معارفه فأشار عليه أن يتخذ لها حماما بحيث تراه، ففعل فإزال الحمام يثيرها بفزله ومطاعته وتشككه حتى أجابت . (انظر ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ من كتاب الحيوان) .



أما القمري وما قيل فيه - فقد قالوا : إنما سُمي القمري بهذه التسمية لبياضه ، والأقر : الأبيض . وحكاية صوته تشبه ضحك الإنسان . وهو شديد المودة والرحمة . أما مودته فإنه يُفرخ على فنن من أفنان شجرة عليها أعشاش لأبناء جنسه ، فيصاحبها في كل يوم . وأما رحمته فإنه يربي ولده ويعف عن أُنثاه مادام ولده صغيراً . ومن عادته أنه يعمل عُشه في طرف فنن دائم الاهتزاز ، احترازاً على فرخه لئلا يسعى إليه من الحيوان الماشي ما يقتله .

وقال أبو الفتح كُشَاحِم [يصفه من أبيات رثاه بها أوطأ]^(١) :

ومطوق من حسن صنعة ربه * طوقين خلتهما من النوار^(٢)

[منها :^(١)]

لمني على القمري لهما دائماً * يكرى الحشا بجوى كلذع النار
لون الغامة لونه ومناسب * في خلقه الأقالام بالمنقار



وأما الدبسي وما قيل فيه - وإنما سُمي الدبسي بذلك لونه ، لأن الدبسة حمرة في سواد . قالوا : والدبسي أصناف ، منها المصري ، والمجازي ، والعراقي . وأنقر هذه الأصناف المصري [ولونه الدكنة]^(١) . وهو لا يرى ساقطاً على وجه الأرض ، بل له في الشتاء مشتي ، وفي الصيف مصيف . ولا يعرف له ذكر .

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) يحتمل أيضاً أنه « صبغة ربه » .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ذكر » ، وهو تحريف .



وأما الورشانُ وما قيل فيه — والورشان أصناف منها النوبيّ وهو ورشان أسود؛ ومنها الحجازيّ . والنوبيّ أشجأها صوتاً . وهذا الطائر يوصف بالحنوّ على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص .^(١)

وقال أبو بكر الصنوبريّ فيه :

أنا في زهتين من بستاني * حين أخلّوبه ومن ورشان^(٢)
 طائر قلب من يغيته أولى * منه عند الغناء بالطيران
 مُسمع يودع المسامع ما شا * عت وما لم تشأ من الألحان^(٣)
 في رداء من سوسن وقميص * زررتّه عليه تشرينان^(٤)
 قد تغشى لون السماء قرأه * وترأى في جيده الفرقدان^(٥)



وأما الفواختُ وما قيل فيها — والفواختُ عراقيةٌ ليست حجازية . وفيها فصاحةٌ وحسنُ صوت . وفي طبعها أنها تأنس بالناس، وتُعشش في الدور .

(١) في أ : « في أيدي الناس » .

(٢) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « بستان » بدون ياء .

(٣) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : « سمع » ، وهو تحريف .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مباح الفكر : « زررتّه عليه بمرمتان » . ولم نوفق مع البحث الى

مانظمتين الى أنه الصواب .

(٥) كذا في مباح الفكر . والقرا : الظهر . وفي الأصلين : « تراه » .

والعرب تضرب بها في الكذب المثل ، فيقولون : « أ كذبُ من فاخْتِ » ؛ فإن حكاية صوتها عندهم : « هذا أوانُ الرُّطْبِ » . قال شاعرٌ :

أ كذبُ من فاخْتِ * تقول وسط الكَرَبِ
والطَّلَعُ لم يَبْدُ لنا * هذا أوانُ الرُّطْبِ

وهو يُعْمَرُ . وحكى أرسطو أن منه ما عاش أربعين سنة .

وقال أبو هلال العسكري :

مَرَرْتُ بِمَطْرَابِ الغَدَاةِ كأنها * تَمَلُّ من الإِشْرَاقِ رَاحًا مُقَلِّفَا
مُتَمَرَّةٌ كَكَدْرَاءِ تَحَسَّبُ أنها * تُجَلُّ من جِلْدِ السَّحَابِ مُفَصِّلا^(١)
بَدَتْ تَجَلِّي للعين طَوْقًا مَسْكًا * وطَرْفًا كما تَرنو الغَزَالَةُ أَحْكَا
لها ذَنْبٌ وافي الجَوَانِبِ مثلها * تُقَشِّرُ طَلْعًا أو تَجْرِدُ مُنْصَلَا^(٢)
إِذَا حَلَّقَتْ في الجَوْحِ خَلَّتْ جَنَاحَهَا * يَرُدُّ صَفِيرًا أو يَجْرِكُ جُلْجُلَا^(٣)



وأما الشُّفَيْنِ وما قيل فيه — والشفنين من الطير التي تترنم ؛ وصوته في ترنمه يُشْبِهُ صوتَ الرَّبَابِ . وفي طبعه أنه إذا فقد أُنثاه لم يزل أعزب^(٤) ، يَأْوِي إلى بعض فراخه حتى يموت ؛ وكذلك الأُنثى إذا فقدت الذَّكَرَ . وهو متى سمن سقط ريشه وأمتنع من السَّفَادِ ؛ فهو لذلك لا يَشْبَعُ . وهو طائر يُؤثِرُ الغَزْلَةَ^(٥) .

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري في الكلام على الطير . وفي الأصلين : « السحابة » ،

وهو تحريف . (٢) كذا في ديوان المعاني . وقد جاءت في الأصلين محرفة .

(٣) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « صياحها » . (٤) في اللسان مادة

عزب) : رجل عزب وممزابة : لا أهل له . ثم قال : « ولا يقال رجل أعزب ، وأجازته بعضهم » .

(٥) كذا في مباحج الفكر . وفي أ : « يورث » وهو تحريف . ولم ترد في ب :



وأما اليعتبط وما قيل فيه - وإنما سُمِّي اليعتبط بهذه التسمية لصوته ،
وهو شريف في طيور الحجاز . وحاله حال القُمري ، ولكنه أحر منه مزاجاً وأعلى
صوتاً . قال كُشَاجِم :

وناطق لم يَخْشَ في النطق غَلَطٌ * ما قال شيئاً قط إلا يعتبط



وأما التَّوَّاح وما قيل فيه - والتَّوَّاح : طائر كالقُمري ، وحاله كحاله ؛
إلا أنه أحر منه مزاجاً وأرطب وأدمتُ وأشرفُ^(١) . قالوا : يكاد التَّوَّاح يكون للأطيارِ
الدِّمَّةِ مَلِكًا ، وهو يهبجها إلى التصويت لأنه أشجها صوتاً ؛ وجميعها تهوى آسَماعِ
صوته . وهو أيضاً يسُرُّه آسَماعُ صوتِ نفسه . والله أعلم بالصواب .



وأما القَطَا وما قيل فيه - والقَطَا نوعان : "كُدري" و"جُوني" .
والكُدريَّةُ غُبرُ الألوان ، رُقشُ الظهور والبطون ، صُفْرُ الحُلوقِ ؛ قِصارُ الأذنان ؛
وهي ألطف من الجُون . والجُونيَّةُ سُودُ بطونِ الأجنحةِ والقوادِمِ بيضُ اللِّبَانِ^(٢)
وفيه طوقان أسودٌ وأصفرٌ ؛ وظهورها غُبرُ رِقَطٍ تعلوها صفرةٌ . وتسمى الجُونيَّةُ
عُتْمًا ؛ لأنها لا تُفصح بصوتها إذا صوتت إنما تُغرغر بصوتٍ في حلقها . والكُدريَّةُ^(٣)
فصيحةٌ تُنادى بأسمها تقول : قَطَا قَطَا ؛ ولهذا يُضرب بها المثلُ في الصدق .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أترف » .

(٢) في الأصلين : « اللبات » .

(٣) الغنمة (بالضم) : العجة في المنطق .

- وَتُوصَفُ الْقَطَا بِمَحْسَنِ الْمَشْيِ لِتَقَارُبِ خُطَايَاهَا . وَالْعَرَبُ تَشْبَهُ مَشْيَ النِّسَاءِ الْخَفِيفَاتِ بِمَشْيِهَا إِذَا أَرَادُوا مَدَحَهُنَّ . قَالَ شَاعِرٌ يَصِفُ الْقَطَاةَ - وَأَخْتَلَفَ فِي الشَّاعِرِ مِنْ هُوَ ، فَقِيلَ : هُوَ [أَوْسُ بْنُ] غَلْفَاءِ الْهُجَيْمِيِّ ، وَقِيلَ : مُزَارِحِمِ الْعُقَيْلِيِّ ، وَقِيلَ : الْعَبَّاسُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْكِنْدِيِّ ، وَقِيلَ : الْعُجْبَرِيُّ السَّلُولِيُّ ، وَقِيلَ : عَمْرُو بْنُ عَقِيلِ بْنِ الْمَجَاجِ الْهُجَيْمِيِّ ؛ قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ : وَهُوَ أَصَحُّ الْأَقْوَالِ - :

- أَمَّا الْقَطَاةُ فَأَنَّى سَوْفَ أَنْعَمَهَا * نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْتِي بَعْضَ مَا فِيهَا
 سَكَاءٌ مَخْطُوبَةٌ فِي رَيْشِهَا طَرَقٌ * سُودٌ قَوَادِمُهَا صُهْبٌ خَوَافِيهَا ^(١) ^(٢) ^(٣)
 مَنَقَارُهَا كَنَوَاتُ الْقَسْبِ قَلَمُهَا * بِمَبْرَدِ حَاذِقِ الْكَفَّيْنِ بَارِيهَا ^(٤) ^(٥)
 تَمْشِي كَمْشِي فَنَاءِ الْحَيِّ مُسْرِعَةً * حِذَارِ قَوْمٍ إِلَى سِتْرِ يُوَارِيهَا
 تَسْقِي الْفِرَاحَ بِأَفْوَاهِ مَرْقَقَةٍ * مِثْلَ الْقَوَارِيرِ سُدَّتْ مِنْ أَعَالِيهَا ^(٦) ^(٧) ^(٨)
 كَانَ هَيْدَبَةٌ مِنْ فَوْقِ جُوجُجِهَا * أَوْ حِرْوٍ حَنْظَلَةٍ لَمْ يَعُدُّ رَامِيهَا

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسي :

وَلرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى * فَسَلَا بِجَارٍ خَلَفَهُ طَيَّارٍ

- (١) التكملة عن الأغاني (ج ٧ ص ١٥٨ طبع بولاق) .
 (٢) السكك : صفر الأذن ولصوقها بالرأس ، يقال للقطاة : سكاء لأنه لا أذن لها .
 (٣) في الأصلين : «مخطوممة» بالميم ، ولعله محرف عما أبتناه . والخطبة : لون يضرب إلى الكدرة مشرب حمرة في صفرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تبيض وكلون بعض الجمر الوحشية .
 (٤) طرق الريش : أن يغطي الريش الأعلى منه الأسفل .
 (٥) القسب : الثمر اليابس الصلب النواة .
 (٦) الهيدب : نحل الثوب وهدبه واحده هيدبة .
 (٧) الحرو : الصغير من الحنظل .
 (٨) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : «واعيا» . قال في الأغاني : «أى لم يعد عليها فيكسرهما» .

من كل قاصرة الخطأ مُخَالَةً * مَشَى الفتاة تَجْرُ فَضَلَ إِزَارٍ
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كَرَعَتْ عَلَى ظَمِيمٍ بِكَاسِ عَقَارٍ
لا تستقر بها الأيادي خشيةً * من ليل وَيَلٍ أَوْ نَهَارٍ بَوَارٍ

وقال المزار أو العكب التلجي^(٢) - وهي أجود قصيدة قيلت في القطا - :

بلادٌ مَرُورَةٌ يَجَارِبُهَا الْقَطَا * تَرَى الْفَرْخَ فِي حَافَاتِهَا يَتَحَرَّقُ
يَظَلُّ بِهَا فَرْخُ الْقَطَا كَأَنَّهُ * يَتَسَمَّى جَفَا عَنْهُ مَوَالِيهِ مُطْرِقُ^(٤)
بَدِيمِيَّةٍ قَدْ بَاتَ فِيهَا وَعَيْنُهُ * عَلَى مَرِيضَةٍ تُغْضِي مَرَارًا وَتَرْمُقُ^(٥)
شَبِيهِهٖ بِلَا شَيْءٍ هُنَاكَ شَخْصُهُ * يُوَارِيهِ قِيضٌ حَوْلَهُ مُتَفَاتِقُ^(٦)
لَهُ مَحْجَرٌ نَابٍ وَعَيْنٌ مَرِيضَةٌ * وَشِدْقٌ بِمِثْلِ الزَّعْفَرَانِ مَحْتَلِقُ^(٨)
تُعَاجِيهِ كَلَاءُ الْمَدَامِجِ حَرَّةٍ * لَهَا ذَنْبٌ سَاجٍ وَجِيدٌ مُطَوَّقُ^(٩)

(١) كذا في ديوانه (ص ٥٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « الأراسي » .

(٢) كذا في الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٢٠٨ من النسخة الفوتوغرافية) . وفي الأصلين :

« أبو الغلب » . ولم نعرف في المراجع التي بين أيدينا على مسمى بهذا الاسم . وقد صححنا هذه القصيدة عن النسخة الفوتوغرافية والمطبوعة منه .

(٣) في الأصلين : « ثلاث مرورات تجاذبها القطا » . والمروراة : المقازاة التي لا شيء فيها .

(٤) في الأصلين : « تناجيه » بدل « جفا عنه » .

(٥) الديمومة : المقازاة الدائمة البعد .

(٦) في الأصلين : « مررة » . ولعله مصحف عما أثبتناه . والمره : مرض في العين ترك الكحل .

(٧) القبيض : قشرة البيضة العليا اليابسة ، وقيل : هي التي تخرج فرخها أو ماؤها كله .

(٨) محجر العين : ما دار بها . وفي الأصلين : « عجز » ، وهو تحريف .

(٩) كذا في الحيوان النسخة الفوتوغرافية . من معاجاة الفصيل وهو أن يرضع بفسير لبن أمه إذا

كان لا لبن لها أو ماتت أو إذا علته بشيء أو منتمته اللبن وغذيته بالطعام . وفي الأصلين : « نعاجية »

وهو تصحيف . وفي النسخة المطبوعة من الحيوان : « تناجيه » .

سَمَاكِيَّةٌ كُذْرِيَّةٌ عَرَعْرِيَّةٌ * سَكَاكِيَّةٌ عَفْرَاءُ سَمْرَاءُ عَسَلَقُ ^(٤)
 إِذَا غَادَرْتَهُ تَبَتْنَى مَا يُعِيشُهُ * كَفَاهَا رَذَايَاهَا الرَّقِيعُ الْهَبْتِقُ ^(٥)
 غَدَتِ تَسْتَقِي مِنْ مَنَهْلٍ لَيْسَ دُونَهُ * مَسِيرَةٌ شَهْرٍ لِلْقَطَا مُتَعَلَقُ
 لِأَزْغَبَ مَطْرُوحٍ يَجُوزُ تَنْوَفَةً * تَلْظَى سَمُومًا قَيْظُهُ فَهُوَ أَوْرَقُ ^(٦)
 تَرَاهُ إِذَا أَمْسَى وَقَدْ كَادَ جِلْدُهُ * مِنَ الْحَزْرِ عَنِ أَوْصَالِهِ يَتَمَرَّقُ
 غَدَتِ فَاسْتَقَلَّتْ ثُمَّ وَلَّتْ مُغِيرَةً * بَهَا حِينَ يَزْهَاهَا الْجَنَاحَانُ أَوْلَقُ ^(٧)
 تَيْمٌ صَخْضَا حَا مِنْ الْمَاءِ قَدْ بَدَتْ * دَعَا مَيْصُهُ فَا لِمَاءُ أُطْحَلُ أُطْرُقُ ^(٨)
 فَلَمَّا أَتَتْهُ مُقَدِّرًا تَغَوَّثَتْ * تَغَوَّثَ مَخْنُوقٌ فَتَنْظَفُو وَتَغَرَّقَ ^(٩) ^(١٠) ^(١١) ^(١٢)

(١) سماكية : نسبة إلى السباك . والسماكان : كوكبان نيران يقال لأحدهما : السباك الراح ولا تنمر :

السباك الأعزل .

(٢) عرعرية : منسوبة إلى العرعر ، وهو شجر السمر ، فإيسية .

(٣) السكاكية : منسوبة إلى السكاكة كئامة . والسكاكة : الصغير الأذن ، وهي أيضا الهواء الملاق

عنان السماء . (٤) العسلق : الخفيف أو الطويل المتق .

(٥) كذا في اللسان مادة « هبتق » . وقد نسب هذا البيت لذي الرمة ، ولكننا لم نجد في ديوانه .

وقال : قيل : أراد بالرقيع الهبتق القمري ، وقيل : بل هو الكروان وهو يوصف بالحق لتركه بيضه

واحتضانه بيض غيره . وفي الأصلين وتحاب الحيوان : « النجاء الهبتق » .

(٦) الورقة : سواد في غبرة . (٧) الأولق : الجنون .

(٨) الدعاميص جمع دعووص ، وهو دوية أو دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشتت ، وقيل :

دودة لها رأسان تراها في الماء إذا قل .

(٩) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(١٠) الطرق : التراكب .

(١١) المقدر في أصل معناه : المتهيئ للسباب والشر تراها الدهر متفخضا شبه الغضبان ، وهو بالبدال

والذال جميعا . ولعله وصف الماء بهذا الوصف على ضرب من التجوز لثروانه وأضرابه .

(١٢) كذا في الحيوان . وفي الأصلين : « تعوثت تعوث » .

١٠

١٥

٢٠

(١) تَجَزُّ وتُلْقِي فِي سِقَاءٍ كَأَنَّهُ * مِنَ الحَنْظَلِ العَامِي جِرْوٍ مَعْلَقٍ
فلَمَّا آرَتوتُ مِنْ مَائِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا * أَنَاةٌ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الرِّىِّ تَبْصُقُ
طَمَّتْ طَمُوءَةً صُعْدًا وَاوَمَدَّتْ جِرَانَهَا * وَطَارَتْ كَمَا طَارَ الشَّهَابُ المَحَلَّقُ (٢)

ذَكَرَ شَيْءٌ مِنَ الأوصَافِ وَالتَّشْبِيهَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الجَامِعَةِ
لِجَمُوعِ هَذَا النُّوعِ الَّتِي ذَكَرْنَاهُ

مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ :

وَقَبْلِي أَبْيَكِي كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوَى * هَتَوَفُ البَوَاكِي وَالتَّيَارُ البَلَاقُ
وَهَنَ عَلَى الأَفْلاقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ * نَوَائِحُ مَا تَخْضَلُ مِنْهَا المَدَامِعُ
مُزَبَّجَةَ الأَعْنَاقِ تُنْمِرُ ظَهُورَهَا * مُحْطَمَةٌ بِالدَّرِّ خُضْرُ رَوَائِعِ
تَرَى طُرًّا بَيْنَ الحَوَافِي كَأَنَّهَا * حَوَاشِي بُرُودِ زَيْتِهَا الوَشَائِعُ
وَمِنْ قِطْعِ البِاقِوتِ صِبْغَتُ عَيْونِهَا * خَوَاضِبُ بِالحِئَاءِ مِنْهَا الأَصَابِعُ

وَقَالَ أَبُو الأَسودِ الدُّؤَلِيُّ مِنْ أَيْبَاتِ :

وَسَاجِعُ فِي فِرْعَوْنَ الأَيْكِ هَيَجَنِي * لَمْ أُدْرِ لَمْ نَاحِ تَمَابِي وَلَمْ يَبْجِمَا
أَبَايَا لِقَاهُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ * أَمْ جَازَعًا لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَعَا
يَدْعُو حَمَامَتَهُ وَالتَّيْرُ هَاجِعَةٌ * فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلًا وَلَا هَجَمَا

(١) فِي الحَيَوَانَ (النَّسْخَةُ الفُوتُوغْرَافِيَّةُ) : « تَجَزُّ » . وَليست إِحدى الكَلِمَتَيْنِ بِأُولَى مِنْ أختِهَا

فِي اتِّسَاقِ النَّسْخِ .

(٢) طَمَّتْ : ارْتَفَعَتْ .

(٣) كَذَا فِي الحَيَوَانَ (النَّسْخَةُ الفُوتُوغْرَافِيَّةُ) . وَفِي الأَصْلَيْنِ : « السَّحَابِ » .

(٤) الأَفْلاقُ : جَمْعُ فَلَاقٍ ، وَهُوَ المَطْمَئِنُّ مِنَ الأَرْضِ بَيْنَ رِبُونَتَيْنِ .

(١) مَوْشَحٌ سُندَسًا خُضْرًا مَنَّاكِبُهُ * تَرَى مِنَ الْمَسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لُعْمًا
 لَهُ مِنَ الْأَسِّ طَوْقٌ فَوْقَ لَبْتِهِ * مِنَ الْبَنْفَسِجِ وَالْحَيْرِيِّ ^(٢) قَدْ جُمِعَا
 كَأَنَّ عَابَ فِي مُسَوِّدٍ غَالِيَةٍ * وَحَلَّ مِنْ تَحْتِهِ الْكَافُورُ فَأَنْتَقِمَا ^(٣)
 كَأَنَّ عَيْنِيهِ مِنْ حَسَنِ أَصْفَرَارِهِمَا * فَصَّانٍ مِنْ حَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ قُطِعَا
 كَأَنَّ رَجْلِيهِ مِنْ حَسَنِ أَحْمَرَارِهِمَا * مَا رَقَّ مِنْ شُعْبِ الْمَرْجَانِ فَأَنْتَسَعَا
 شَكَا النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسِيِّ فَرَمَى * بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَمَا
 وَالرِّيحُ تُخَفِّضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ * طَوْرًا فَنُخَفِّضُهَا يَدْعُو وَمَرْتَفَعَا
 كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعِيَةٍ * يَتَلَوُ الزُّبُورَ وَنَجْمَ الصُّبْحِ قَدْ طَلَعَا

(٥) وَقَالَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ الْأَنْدَلُسِيُّ :

١٠ وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَادٍ يَخْتَوِي * طَرَفِي لِأَحْرَ تَخْتَوِيهِ الْأَضْلَعُ
 يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَعْتَدِي * وَيُظِلُّهُ وَرَقُّ الْغُصُونِ فَيَجْعُ
 تَمْتَدُّ الْأَرَاكُ أُرَيْكَةً لِمَنَامِهِ * فَالهِ إِلَى الْأَشْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ
 حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهَ نَفْسُ الصَّبَا * وَالصُّبْحِ، هَزَّكَ مِنْهُ شَدُو مَبْدَعُ
 فَكَأَنَّ تِلْكَ الْأَرَاكَةَ مِنْبَرٌ * وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مَضْعُ

(١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَوْشَحًا » .

(٢) الْخَيْرِيُّ : نَوْرٌ ، مَرْعَبٌ (عَنْ الْجَوْهَرِيِّ) . وَقَدْ شَرَحَ خَوَاصَهُ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ ، فَرَاجِعْهُ .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « غَبٌ » بِالْعَيْنِ الْمَعْجَمَةِ . وَفِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : « غَابٌ » .

(٤) انْتَفَعَ الرَّجُلُ وَامْتَقَعَ وَابْتَقَعَ (عَلَى صِيغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْجَهُولِ) : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَبِالْمِيمِ أَجْوَدٌ .

(٥) هُوَ الْوَزِيرُ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ بِنُ اللَّبَّانَةِ الدَّنَاقِيُّ أَحَدُ شُعْرَاءِ دَوْلَةِ الْمُتَمَتِدِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، الْمُرْتَضِعِينَ

دَرَرَهَا ، وَالْمُتَمَتِعِينَ دُرَّرَهَا . وَكَانَ الْمُتَمَتِدُ — رَحِمَهُ اللَّهُ — يُمَيِّزُهُ بِالشُّفُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، وَيَجُوزُهُ فِي فَرَسَانِ

هَذَا الشَّانِ . (رَاجِعْ: نَضْحَ الطَّيِّبِ ص ٤١٣ ، ٥٧٨ مِنْ الْمَجْلَدِ الثَّانِي طَبْعَ أَوْرَبَا) .

(١) وقال بعض الأعراب [يصف مطوّفة]:

دَعَتْ فَوْقَ سَاقِ دَعْوَةٍ لَوْ تَنَاوَلَتْ * بِهَا الصَّخْرَ مِنْ أَعْلَى أَبَانَ تَحَدَّرًا (٢)
 تُبَكِّي بَعِينَ لَيْسَ تُدْرِي دَموعَهَا * وَلَكِنَّهَا تُدْرِي الدَّمْعَ تَذَكُّرًا
 حَمَلَةٌ طَوَّقَ لَيْسَ تَحْتَمِي أَنْفِصَامَهُ * إِذَا هُمْ أَنْ يَبْلَى مُجَدِّدٌ آخِرًا
 لَهَا مُرُوحٌ دُونَ الْأَتْرَاقِ وَفَوْقَهَا * وَصَدْرٌ كَقَطُوفِ الْبَنْسَجِ أَخْضَرًا (٣)
 تَنَازَعُهَا الْأَلْوَانُ شَتَّى صِقَامًا (٤) * بَدَا لَتَلَالِي الشَّمْسِ فِيهِ تَحْيَا (٥)

وقال شاعر أندلسي:

وَمَا شَاقَنِي إِلَّا أَبْنُ وَرْقَاءِ هَائِفٍ * عَلَى قَنَنِ بَيْنِ الْجَزِيرَةِ وَالْحَسِيرِ
 مُفْتَقٌ طَوَّقَ لَا زُورْدِي كُلِّكِلِ * مَوْشَى الطَّلَى أَحْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهْرِ
 أَدَارَ عَلَى الْبِقَاوَتِ أَجْفَانَ لَوْلُؤِي * وَصَاغَ عَلَى الْأَجْفَانِ طَوْقًا مِنَ التَّبْرِ
 حَدِيدٌ شَبَابًا الْمِقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ * شَبَابٌ قَلِمٍ مِنْ فِضَّةٍ مَدٌّ مِنْ حَبْرِ
 تَوَسَّدَ مِنْ فِرْعِ الْأَرَاكِ أَرِيكَةً * وَمَالَ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ مَعَ التَّحْرِيرِ
 وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقًا أَرَابَهُ * بِكَأَنِّي فَاسْتَوْلَى عَلَى الْغُصْنِ النَّضْرِ
 وَحَثَّ جَنَاحِيهِ وَصَفَّقَ طَائِرًا * فَطَارَ بَقْلِي حَيْثُ طَارَ وَمَا يَدْرِي

وقال آخر:

كَأَنَّ بَحْرَهَا وَالْجَدِيدَ مِنْهَا * إِذَا مَا أَمَكَنْتَ لِلنَّاطِرِينَا
 حَمَطًا كَانَ مِنْ قَلِمٍ لَطِيفٍ * نَخَطٌ بِجِيدِهَا وَالتَّحْرِيرُ نُونَا

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) أبان : جبل .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « له » .

(٤) في الأصلين ومباحج الفكر : « ألوان » .

(٥) كذا في الأصلين ومباحج الفكر ، ولعله محرف عن « محبرا » أي مزينا .

وقال ابن الرومي :

مُطَوَّقَةٌ تَبْكِي ولم أرَ بَاطِنًا * بدا ما بدا من شجوها لم يُسَلِّبْ^(١)

وقد أوردنا في باب الغزل والنسب من هذا المعنى فيما قيل على لسان الوراق ما يُستغنى عن تكراره .



وأما اليمامُ وأصنافه وما وُصف به وما قيل فيه — فالعربُ تقول : إن هذه التسمية واقعةٌ على النوع الذي تسميه عامة الناس الحمام؛ وهو أصنافٌ مختلفة الأشكال والألوان والأفعال، منها "الرواعب" و"المراعيش" و"العَدَاد" و"الميساق" و"الشَّدَاد" و"القلاب" و"الشَّقَاق" و"المنسوب".



فأما الرواعبُ — وهو ألوان كثيرة . وزعم الجاحظ أنه تولد بين ورشانٍ ذكوريٍّ وحمامٍ أنثويٍّ، فأخذ من الأب الجئنة ومن الأم الصوت، وفاته سرعة الطيران فلم يشبههما فيه؛ وله من عظم البدن وكثرة الفراخ والهديل والقرقرة ما ليس لأبويه، حتى صار ذلك سبباً للزيادة في ثمنه والحريص على اتخاذه .



وأما المراعيشُ — وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الحق كالنجم .

(١) سلبت المرأة : إذا لبست ثياب الحداد .



وأما العَدَادُ — فهو طير ضخم، قليل الطيران [كثير الفِراخ] ^(١).



وأما المِيسَاقُ — وهو أضخم من العَدَادِ وأنبِل، ثقيل الجسم لا يستطيع الطيران إلا قليلاً.



وأما الشَّدَادُ — فهو لا يلزم الطيران في الجوّ، وله قوّة في جَنَاحه [حتى يقال إنه ربما يكسر الجوّز به، ولا يأتي من الغاية ليلَه فيه] ^(١). وأصحاب الرِّغَبَات في تربية هذا الصَّنَفِ يلقونه على البَصْرِيَّات فيخرج من بينهما حمام يُسَمَّى "المضرب" يجتمع فيه هداية البصرى وشدة الشَّدَادِ. والشَّدَادُ يطير صُعْدًا حتى يرى كالتجم. وفي ذنبه إحدى وثلاثون ريشة.



وأما القَلَابُ — فتسميه العراقيون "المَلّاح"؛ وسمّى بذلك لتقلبه في طيرانه. والشَّقَاقُ — وطيْرَانُهُ تَحْوِيمٌ ^(٢).



وأما المنسوب ^(٣) — ويسميه العراقيون "الهُوَادِي" ^(٤)، والمصريون يسمونه "البصاري" [يعنون البصرية] ^(١)، وهو بالنسبة إلى ما تقدم ذكره كالتعاق من

(١) زيادة عن مباح الفكر. (٢) تدل عبارة مباح الفكر على أن العراقيين يسمون «القلاب» «الملاح» و «الشقاق» وأن الشقاق ليس بضرب آخر. (٣) زاد في مباح الفكر عند الكلام على هذا الصنف من الحمام زيادات كثيرة عما هنا، فراجعها. (٤) في مباح الفكر: «والمصريون».

الخليل، وما عداها فيها كالبراذين . وفيها "العلوي" وهو الطف حرمًا وأسرع طيرانًا؛ وهو يطلب وكره ولو أرسل من مسافة ألف فرسخ، ويجمل البطائق ويأتي بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة . قالوا : وفيه ما يقطع ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد . وسبأ الطير تطلبه أشد طلب . وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره . وهو أظير منه ومن سباع الطير كلها؛ لكنه يُدعر فيجهل باب الخلص .
والمحمود منه ما وصفه الجاحظ عن أفليمون صاحب الفراسة أنه قال :

جميع الفراسة لا تخرج عن أربعة أوجه : أولها التقطيع ، والثاني المجسة ،
والثالث الشمائل ، والرابع الحركة .

فأما التقطيع — فانتصاب العنق والخلقية ، وأستدارة الرأس من غير عظيم ولا صغير، وعظم القيرطتين ونقاؤهما، وآتساع المنخرين، وأنهرات الشدقين ،
وسعة الجوف ، ثم حسن خلقة العينين مع توقدهما ، وقصر المنقار في غير دقة ،
ثم آتساع الصدر ، وأمتلاء الجؤجؤ ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ،
وأنكاش الجناحين ، وطول القوادم في غير إفراط ، ولحوق بعض الخوافي ببعض ،
وصلابة القصب في غير آتسافخ ولا يئس ، وأجتماع الخلق في غير الجعودة
والكزازة ، وعظم الفخذين ، وقصر الساقين والوظيفين ، وأفتراق الأصابع ، وقصر
الذنب وخفته من غير تفنين وتفريق ، ثم توقد الحدقتين وصفاء اللون . فهذه
علامة الفراسة في التقطيع .

(١) في الأصلين : « من » . (٢) القرطمانان : نقطتان على أصل منقار الحمام .

(٣) كراشي : يس وأقبض . (٤) في المخصص ومباح الفكر : « وعظم الفخذين والساقين » .

(٥) من غير تفنين : من غير اختلاط . يقال : فن الشيء إذا خلطه . وعبارة المخصص : « وقصر

الذنب وخفته في غير تفريق من الريش ولا تفنين » . وقد أورد المخصص هذا الموضوع مع اختلاف

يسير في بعض الكلمات فراجعه (ج ٨ ص ١٧٠) طبع بولاق .

وأما علامة المحبسة — فوئاقة الخلق، وشدة القم، ومثانة العصب، وصلاحه
القصب، ولين الريش في غير رقة، وصلاحه المنقار في غير دقة .

وأما علامة الشئال — فقلة الأختيال، وشفاء البصر، وثبات النظر، وشدة
الحذر، وحسن التلفت، وقلة الرعدة عند الفرع، وخفة النهوض إذا طار، وترك
المبادرة إذا لقط .

وأما علامة الحركة — فالطيران في علو، ومد العنق في سمو، وقلة الاضطراب
في جو السماء، وضم الجناحين في الهواء، ونتابع الركن في غير اختلاط، وحسن
القصدي في غير دوران، وشدة المد في الطيران . فإذا أصبته جامعا لهذه الصفات
فهو الطائر الكامل .

وقد وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان وبسط فيه القول ووسع المجال .
ونحن الآن نورد ملخص ما قاله فيه، قال :

ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به، وهو من الطير الميامين . وهو إذا
علم الذكر منه أنه قد أودع رحم الأنثى ما يكون منه الولد، تقدما في إعداد العش،
وتقبل القصب وشقق الخوص، وأشبه ذلك من العيدان الخوارة الدقاق، حتى
يعمل الأخصوة وينسجها نسجا متداخلا في الموضع الذي آتخذاه وأصطنعاه عشا
يقدر جثمان الحمامة؛ ثم أشخصها لتلك الأخصوة حروفا غير مرتفعة لتحفظ البيض
وتمنعه من التدرج، وتلتزم كنفني الجوجو، وتكون رفا لصاحب الحزن،
وسندا للبيض؛ ثم يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأخصوة يسحنانها

(١) كذا في كتاب الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وشقق : جمع شقة . وفي الأصلين وكتاب

الحيوان المطبوع : «وتشقق» .

(٢) الخوارة : الضعيفة الرخوة .

- (١) وَيُدْفَتَانِهَا وَيَطْبَيَانِهَا وَيَنْفِيَانِ عَنْهَا طَبَاعَهَا الْأَوَّلَ وَيُجَدِّثَانِ لَهَا طَبِيعَةً أُخْرَى مُشْتَقَّةً مِنْ طَبَائِعِهِمَا وَمُسْتَخْرَجَةً مِنْ رَائِحَةِ أَبْدَانِهِمَا وَقَوَاهُمَا، لَكِي تَقَعَّ الْبَيْضَةُ إِذَا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعٍ يَكُونُ أَشْبَهَ الْمَوَاضِعِ طَبَاعًا بِأَرْحَامِ الْحَمَامِ مَعَ الْحَضَانَةِ [وَالْوَثَارَةِ] (٢)، كِي لَا تَنْكَسِرَ الْبَيْضَةُ بِيُسِّسِ الْمَوْضِعِ، وَلِثَلَا تُتَكَرَّرَ طَبَاعُهَا طَبَاعَ الْمَكَانِ، وَلِيَكُونَ عَلَى مَقْدَارٍ مِنَ الْبَرْدِ وَالسُّخُونَةِ وَالرَّخَاوَةِ وَالصَّلَابَةِ. ثُمَّ إِنْ ضَرَبَهَا الْمَخَاضُ وَطَرَقَتْ بِبَيْضِهَا، بَدَرَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ أَعَدَّتْهُ وَتَحَامَلَتْ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَرَعَرَعَهَا رَعْدٌ قَاصِفٌ أَوْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَإِنَّهَا رُبَّمَا رَمَتْ بِهَا دُونَ الْأَفْصَةِ. وَالرَّعْدُ رُبَّمَا أَفْسَدَ الْبَيْضَ. فَإِذَا وَضَعْتَ الْبَيْضَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَّاهُ لَا يَزَالَانِ يَتَعَاقَبَانِ الْحَضْنَ وَيَتَعَاوَرَانِهِ حَتَّى تَنْتَهِيَ أَيَّامُهُ وَيَتِمَّ مِيقَاتُهُ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْصَدِعُ الْبَيْضُ عَنِ الْفَرْخِ، فَيَخْرُجُ عَارِي الْجِلْدِ صَغِيرَ الْجَنَاحِ مُسْتَدًّا الْحُلُقُومِ؛ فَيَعْلَمَانِ أَنَّهُ لَا يَتَّسِعُ حَلْقُهُ وَحَوْصَلَتُهُ لِلْغِذَاءِ، فَلَا يَكُونُ لَهَا هُمٌّ إِلَّا أَنْ يَنْفُخَا فِي حَاقِ الْفَرْخِ الرَّيْحَ لِتَتَّسِعَ الْحَوْصَلَةُ بَعْدَ اتِّحَامِهَا. ثُمَّ يَعْلَمَانِ أَنَّهُ وَإِنْ أَتَّسَعَتِ الْحَوْصَلَةُ لَا يَجْمَلُ فِي أَوَّلِ اغْتِنَائِهِ أَنْ يُزَقَّ بِالطَّعْمِ، فَيُزَقُّ بِاللُّعَابِ الْمُخْتَلِطِ بِقَوَاهِمَا وَقُوَى الطَّعْمِ. ثُمَّ يَعْلَمَانِ أَنَّ الْحَوْصَلَةَ تَضَعُفُ عَنِ اسْتِمْرَاءِ الْغِذَاءِ وَهَضْمِ الطَّعْمِ فَيَا كِلَانِ مِنْ شُرُوجِ
- ١٠
- أَصُولِ الْحَيْطَانِ - وَهُوَ شَيْءٌ مِنَ الْمِلْحِ الْمُخْتَضِ وَالتَّرَابِ الْخَالِصِ، وَهَذَا هُوَ السَّبِيخُ - فَيُزَقَّانِهِ بِهِ. حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أُنْدِغَ (٤) وَأَشْتَدَّ زَقَّاهُ بِالْحَبِّ الَّذِي قَدْ غَبَّ فِي حَوَاصِلِهِمَا؛ ثُمَّ يُزَقَّانِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحَبِّ وَالْمَاءِ. حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أَطَاقَ
- ١٥

(١) كذا في الحيوان للباحظ . وفي الأصلين : « ويطبئانها » بالنون بدل الباء الموحدة .

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان .

(٣) الشروج : الشقوق والصدوع .

(٤) كذا في كتاب الحيوان للباحظ (ج ٣ ص ٤٧) طبع مصر . وفي الأصلين : « اندغ » .

اللَّقْطُ منعه بعضُ المنع لِيَحْتَاجَ إلى اللَّقْطِ فيتَعَوَّدُه . فإذا علم أن إرادته قد تمت وأنه قد قَوِيَ على اللَّقْطِ وبلغ بنفسه مُنتهى حاجته ، ضَرَبَاهُ إذا سألها الكفاية ، ونَفِيَاهُ متى رجع إليهما ، وتَشَرَّعُ تلك الرحمة العجيبةُ منهما وَيَنْسِيَانِ ذلك التعطف . ثم يتدنان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المُقَدِّمات . فسبحان الهادي الملهم .

قال : ثم يبتدئ الذِّكْرُ بالدعاء والطَّرَادِ ؛ وبتبدي الأثني بالثاني والاسْتِدْعَاءِ ، ثم تَرْيِيفٌ وَتَشْكَلٌ ، وَتُمْكِّنٌ ^(٢) وَتَمْنَعٌ ، وَتُجِيبُ وَتَصْدِفُ بوجهها ؛ ثم يَتَعَاشِقَانِ وَيَتَطَاوَعَانِ ويكون بينهما قُبْلٌ وَآرْتِسَافٌ وإِدْخَالٌ فِيهَا في فمه ؛ وذلك هو التَّطَاعُمُ والمُطَاعَمَةُ . قال الشاعر :

لم أعطها يدي إذ بَتُّ أَرَشْفُهَا * إِلَّا تَطَاوَلَ غُضْنِ الْجِيدِ بِالْجِيدِ
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءِ نَاعِمَةٍ * مُطَوَّقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ

قال أبو عثمان : ومما أشبه فيه الحمامُ الناسُ أن ساعات الحُضْنِ على البيض أكثرها على الأثني ، وإنما يحُضْنُ الذِّكْرُ حُضْنًا يسيراً . والأثني كالمراة في كفالة الصبي ، حتى إذا ذهب الحُضْنُ وصار البيضُ رِاحًا كالأطفال في البيت يحتاجون إلى الطعام والشراب صار أكثر ساعات الزقِّ على الذِّكْرِ .

وقال : قال مُنَنَّى بن زُهَيْرٍ — وهو إمام الناس في البصرة بالحمام — : لم أر شيئاً قط في رجلٍ ولا امرأةٍ إِلَّا وقد رأيتُ مثله في الذِّكْرِ والأثني من الحمام . رأيتُ حمامةً لا تُرِيدُ إِلَّا ذِكْرَهَا ، كالمراة لا تُرِيدُ إِلَّا زوجها أو سيدها . ورأيتُ حمامةً لا تَمْنَعُ شيئاً من الذِّكْرِ ؛ ورأيتُ امرأةً لا تمنع يدَ لأميس . ورأيتُ

(١) يقال : زافت الحمامة تزييف إذا مشت مدلةً متبخرة بين يدي الحمام الذِّكْرِ .

(٢) شككت المرأة : كانت ذات شكل أي غنج ودلال وغزل .

(٣) حفا فلان الشيء . يعطوه : أخذه وتناوله .

- حمامة لا تزيّف إلا بعد طرادٍ شديدٍ وشدةٍ طلبٍ ، ورأيتهَا تزيّف لأوّل ذكر يريدها ، ورأيت من النساء كذلك . ورأيتُ حمامةً لها زوج وهي تُمكن ذكرًا آخر لا تعدّوه ، ورأيت مثل ذلك في النساء . ورأيتهَا تزيّف لغير ذكرها وذكراها يراها ، ورأيتهَا لا تفعل ذلك إلا وذكراها يطير أو يحضن . ورأيت الحمامة تَقْمِطُ الحمامة ، ورأيتُ الحمامَ الذكَرَ يَقْمِطُ الذَكَرَ . ورأيتُ أنثى كانت لا تَقْمِطُ إلا الإناث ، ورأيتُ أخرى تَقْمِطُ الإناثَ فقط ولا تدعُ أنثى تَقْمِطُها ، ورأيتُ ذكرًا يَقْمِطُها ويدعُها حتى تَقْمِطَها . ورأيتُ ذكرًا يَقْمِطُ الذَكَرَ وتَقْمِطُها ؛ ورأيتُ ذكرًا يَقْمِطُ الذَكَرَ ولا يدعُها تَقْمِطَها ؛ ورأيتُ أنثى تزيّف للذكور ولا تدعُ شيئًا منها يَقْمِطُها ؛ ورأيتُ هذه الأصنافَ كلّها في السحافات والألطة . قال : وأمنتعت على خصلة فوالله لقد رأيتهَا ؛ لأنني رأيتُ من النساء من تزني أبدًا وتزاحقُ أبدًا ولا تتزوج ؛ ومن الرجال من يلوّطُ أبدًا ويزني أبدًا ولا يتزوج ، ورأيتُ حمامًا ذكرًا يَقْمِطُ ما لقي ولا يُزَوجُ ، ورأيتُ حمامةً تُمكنُ كلّ حمامٍ أرادها من ذكر أو أنثى وتَقْمِطُ الذَكَرَ والإناثَ ولا تُزَوجُ ، ورأيتهَا تُزَوجُ ولا تبيضُ ، وتبيضُ فيفسدُ بيضُها ، كالمراة . قال : ورأيتُ ذكرًا له أنثيان وقد باضتا منه ، وهو يحضنُ مع هذه ومع تلك ويزقُ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيضُ بيضةً ، ورأيتُ أنثى تبيضُ في أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات . قال : ورأيتُ حمامةً تُزَوجُ هذا الحمامَ ثم تتحوّلُ منه إلى آخر ، ورأيتُ ذكرًا فعل مثل ذلك في الإناث ، ورأيتُ الذكَرَ كثيرَ النسلِ قويًّا على القمط .

قال الجاحظ : والحمام يبيضُ عشرةَ أشهرٍ من السنة ؛ فإذا صانوه وحفظوه

وأقاموا له الكفايةَ وأحسنوا تعهدهَ باض في جميع السنة . والفواخت والأطرغلاتُ^(١)

(١) قال في اللسان نقلًا عن التهذيب : « ... في كتاب شمر : الأطرغلات هي الدباسي والقاري

والصلاصل ذات الأطواق ، قال : ولا أدري أمعرب هو أم مرعي . »

والحمام البرى تبيض مرتين في السنة. قال: ويَم خَلقُ الحمام في أقل من عشرة أيام. والحمامة في أكثر أمرها يكون أحد فرخها ذكراً والآخر أنثى؛ وهي تبيض أولاً البيضة التي فيها الذكر ثم تُقيم يوماً وليلةً وتبيض الأخرى. وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين. والأنثى أبر بالبيض، والذكر أبر بالفراخ. ولقد أطنب أبو عثمان الجاحظ وأوغل وبسط القول في ذكر الحمام وأوصافه ومناقبه والمغلاة في ثمنه والحرص على اقتنائه، حتى إنه قال: وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمام الواحد يباع بمجسمائة دينار؛ ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا عقاب. قال: وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة، وجدت ذلك بلا معاناة. وهذا يدل على أن قوله فيه كان مشهوراً عندهم في وقته. ثم قال: والحمام إذا جاء من الغاية يبيع الذكر من فراخه بعشرين ديناراً وأكثر، ويبيع الأنثى بعشرة دنانير وأكثر [ويبيع البيضة بمجسمائة دنانير]؛ فيقوم الزوج منها من الغلة مقام صبيعة، حتى ينهض بمؤونة العيان وبقضاء الدين، وتبني من غلاته وأثمان رقباه الدور والحنان وتبتاع الحوانيت. ثم وصف حُجْر الحمام ومقاصيرها المبينة في ذلك الزمان وما يعانیه أهلها من حديثها والاحتفال بها في المسابقة وغيرها. وأطال في ذلك. وقال: وللحمام من حُسن الأهنداء، وجودة الاستدلال، وثبات الحفظ والذكور، وقوة النزاع إلى أربابه، والإلف لوطنه، أن يكون طائراً من بهائم الطير يحمي من مسافة كذا إلى مسافة كذا. قال: ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً

(١) في الأصلين: « والحمامة في أكثر أمرها إبد أن يكون ... الخ ». ولا يستقيم الكلام

بهذه الزيادة.

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان.

(٣) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ. وفي الأصلين: « من غلات رقباه ... الخ ».

(٤) لعله محرف عن « خدمتها ».

إِذَا كَثُرْنَ مِنَ الْحَمَامِ؛ فَإِنَّهُنَّ كَمَا أَلْتَفَنَ وَضَاقَ مَوْضِعُهُنَّ كَانَ أَشَدَّ لَطِيْرَانَهُنَّ .
قال النابغة :

وَأَحْكُمُ حُكْمَ فَنَاءِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرْتُ * إِلَى حَمَامٍ شِرَاجٍ وَإِرِيدَ التَّمِيدِ^(٣)
يُحْفَهُ جَانِبًا نَيْقِي وَتُبْعُهُ^(٤) * مِثْلَ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمِيدِ^(٥)
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا * إِلَى حَمَامَتِنَا وَنَصَفَهُ فَقَدِ
لِحَسَبِهِ قَالَفَوْهُ كَمَا حَسَبَتْ * تَسْعًا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ
فَأَكْمَلْتَ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتُهَا * وَأَسْرَعَتْ حِسْبَةً فِي ذَلِكَ الْعَدَدِ

قال الأصمعيّ : لما أراد أن يمدح الحاسب وسرعة إصابته شدد الأمر وضيقه عليه ليكون أحمده له إذا أصاب؛ فجعله حرر طيرا والطيْر أخف من غيره؛ ثم جعله

١٣٦

- ١٠ (١) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : «التفنن» .
(٢) فناء الحى هي بنت الحسن ، عن الأصمعيّ . وعن أبي عبيدة : هي «زرقاء البمامة» . ولقبت الزرقاء لزرقه في عينيها . قولوا : إنه كان لها قطة ومرّ بها صرب من القطاين جبلين فقالت :
ليت الحمام له * إلى حمامتيه
ونصفه قديه * تم الحمام ميه
١٥ وهي التي يضرب بحمده بصرها المثل ، وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وقد أذرت قومها بمجيء العدو فلم يصدقوها ولم يستعدوا لملاقاته حتى صبحهم وأعمل فعم حتى هلكوا وأخذ كبيرهم الزرقاء فشق عينيها فاذا فيهما عروق سود من الإثمء ، وكانت أول من اكتحل به من العرب .
(٣) شراع (بالشين المعجمة) : مجتمعة . ويروى «سراع» بالسين المهملة . والثمد : الماء القليل الذي يكون في الشتاء ويحجف في الصيف .
(٤) يحفه : يحيط به .
(٥) النيق : الجبل . قال الأصمعيّ : إذا كان الحمام بين جانبي نيق ضاق عليه فركب بعضه بعضا فكان أشد لعدوه ووزره ، وإذا كان في موضع واسع كان أسهل لعدوه فكان أحكم لها ، إذا أصابه في هذه الحال . ويريد بقوله : «مثل الزجاج» عينا صافية لم يصها رمد قط فحتاج إلى كحل (عن شرح ديوان النابغة للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطليومى ضمن مجموعة طبع مصر رقم ١٧٨٥ أدب) .

حماما والحمامُ أسرعُ الطير وأكثرَ اجتهادا في السرعة إذا كثر عددُهِنَّ، وذلك أنه يشتد طيرانه عند المسابقة والمنافسة . وقال : « يحفه جانباً نيقٍ وتبعه » ، فأراد أن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء كان أسرع من أن يتسع عليه الفضاء . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في طوق الحمامة

يقال : إن نوحاً صلى الله عليه وسلم لما كان في السفينة بعث الغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضعٌ، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه ؛ فبعث بالحمامة ، فاستجعلت على نوح الطوق الذي في عنقها فجعل لها ذلك جُعلاً . وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت :

وأرسلت الحمامة بعد سبع * تدلُّ على المهالك لا تهاب^(١)
تلمس هل ترى في الأرض عيناً * وعائنه من الماء العباب^(٢)
بغيات بعد ما ركضت يقطف * عليه التَّاطُ والطَّينُ الكُجَابُ^(٣)
فلما فرسوا الآيات صاغوا * لها طوقاً كما عقد السحاب^(٤)
إذا مات نُورُهُ بيها * وإن تُقتل فليس لها استلاب^(٥)

(١) كذا في الأصلين . على أنه ورد في كل الشعر الذي أورده المؤلف لأمية بن أبي الصلت بعض كلمات غير واضحة المعنى ؛ وقد ورد أكثر هذا الشعر في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ١١٧ - ١٢٠) وآثرنا أن نثبتها كما وردت في الأصلين لأنها غير واضحة كذلك في الحيوان .

(٢) كذا في اللسان . وفي الأصلين : « عليها » .

(٣) كذا في لسان العرب (مادة تاط) . والتَّاطُ : الحمامة . وفي الأصلين : « الناط » بالنون ،

وهو تصحيف . (٤) الكجَابُ : الثرى والتراب والطين اللازب .

(٥) السحاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسكٍ ومحب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء .

(٦) لعله : « فليس له » اذ الظاهر أن مرجع الضمير الطوق .

وقال أيضا فيها :

سَمِعَ اللهُ لَابْنِ آدَمَ نَوْحَ * رَبَّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ
حِينَ أَوْقَى بَذَى الْجَمَامَةِ وَالنَّاسِ * سُبْحَانَكَ فِي فُكْرِكَ كَالْعِيَالِ
حَائِسًا خَوْفَهُ عَلَيْهِ رَسُولًا * مِنْ خِيفَةِ الْحَمَامِ كَالْتَمْتَالِ
فَرَشَاهَا عَلَى الرَّسَالَةِ طَوْقًا * وَخِضَابًا عِلْمًا غَيْرَ بَالِ
فَأَنَّهُ بِالصَّدْقِ لَمَّا رَشَاهَا * وَيَقْطِفُ لَمَّا بَدَأَ عِنْدَكَ^(١)

قوله : ”فرشاهها“ أى جعل لها جعلا .

وقال فيها :

وَمَا كَانَ أَصْحَابُ الْجَمَامَةِ خِيفَةً * غَدَاةَ غَدَتْ مِنْهُمْ تَضُمُّ الْخَوَافِيَا
رَسُولًا لَهُمْ وَاللَّهُ يُحْكِمُ أَمْرَهُ * يُبَيِّنُ لَهُمْ هَلْ بَرَسَ التُّرْبُ بِأَدْيَا
بِفَاءَتِ يَقْطِفُ آيَةً مَسْبِينَةً * فَأَصْبَحَ مِنْهَا مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا^(٢)
عَلَى خَطْمِهَا وَأَسْتَوْهَبَتْ تَمَّ طَوْقُهَا * وَقَالَتْ أَلَا لَا تَجْعَلِ الطُّوقُ حَالِيَا
وَلَا ذَهَبًا إِنِّي أَخَافُ نَيْبَاهُمْ * يَخَالُونَهُ مَالِي وَلَيْسَ بِمَالِيَا
وَزِدْنِي عَلَى طَوْقِي مِنَ الْحَلَى زِينَةً * تُصِيبُ إِذَا أَتَبَعْتُ طَوْقِي خِضَابِيَا
وَزِدْنِي لِطَرْفِ الطَّيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ * وَوَرَّثَ إِذَا مَا مِثُّ طَوْقِي حَامِيَا
يَكُونُ لِأَوْلَادِي جَمَالًا وَزِينَةً * وَعِنْوَانُ زَيْنِي زِينَةً مِنْ تَرَابِيَا

(١) العنكال : العنق ، وقيل : هو الشراخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكجاسة ، وهو في النخل

بمثلة العنقود في الكرم .

(٢) الجادى : الزعفران .

ذكر شيء مما وصف به هذا النوع نظماً وثرأ

قال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران والسبق :

يَحْتَابُ أَوْدِيَةَ السَّحَابِ بِخَافِقِ * كَالْبَرْقِ أَوْمَضَ فِي السَّحَابِ فَأَبْرَقَا
 لَوْ سَابَقَ الرِّيحَ الْجَنُوبَ لِفَايَةِ * يَوْمًا لَجَاءَكَ مِثْلَهَا أَوْ أَسْبَقَا
 يَسْتَقْرِئُ الْأَرْضَ الْبَسِيطَةَ مَدَهَبًا * وَالْأَفْقَ ذَا السَّقْفِ الرَّفِيعَةِ مُرْتَقَى
 وَيَظَلُّ يَسْتَرِقِي السَّمَاءَ بِخَافِقِ * فِي الْجَوِّ تَحْسِبُهُ الشَّهَابَ الْمُحْرِقَا
 يَيْدُو فَيُعْجَبُ مَنْ رَأَاهُ لِحُسْنِهِ * وَتَكَادُ آيَةُ عُنُقِهِ أَنْ تَنْطَلِقَا
 مُتَرَفِّقًا مِنْ حَيْثُ دُرَّتْ كَأَنَّمَا * لَيْسَ الرِّجَاجَةَ أَوْ تَجَلْبَبَ زَيْبِقَا

وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق :

وَمُنْفَقَاتِ الشَّكْلِ مُخْتَلِفَاتِهِ * لَيْسَ ظَلَامًا بِالصَّبَاحِ مُرْقَمَا
 أَخَذَنُ مِنَ الْكَافُورِ أَنْفًا وَمَنْسِرًا^(١) * وَخَضَبِنَ بِالْحِنَاءِ كَفًا وَإِصْبَعَا
 وَتَرَوُ بِأَبْصَارِ إِذَا مَا أَدْرَتْهَا * جَلَوْنَ عَقِيقًا لِلْعَيُونِ مُرْصَعَا
 تَطِيرُ بِأَمْثَالِ الْجِلَامِ كَأَنَّهَا * جِنَادِلُ تَدْحُوهَا ثَلَاثًا وَأَرْبَعَا
 تَبُوعُ بِهَا فِي الْجَوِّ مِنْ غَيْرِ قَتْرَةٍ * كَأَنَّ مَجَادِيْقًا تَبُوعُ بِهَا مَعَا^(٢)
 إِذَا هِيَ عَبَّتْ فِي الْغَدِيرِ حَسِبَتْهَا * تَرُقُّ فِرَاحًا فِي الْمَغَاوِرِ جُوعَا

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيهقي من رسالة يصف طائرا جاء من غايه :

”وكان هذا الطائر أحد الرسل المسيرة بل المبشرة، والجنود المجردة بل المسخرة؛
 فإنها لاتزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه، وتجهز من جيوش المقاصد والاقلام

(١) المنسر: مطار الطائر .

(٢) تبوع بها ، أى تبسطها في الجو ، يقال : باع يبيع إذا بسط باعه .

- أسلحه ؛ وتحمل من الأخبار ما تحمل الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الحناح الطائر؛ وتزوى لها حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الأئمة، وتقرب بها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همه؛ وتكون مراكب للأغراض لما كانت الأجنحة قلوغا، وتركب الجوّ بجزراً يصفق فيه هبوب الرياح موجاً مرفوعاً ؛ وتعلق الحاجات على أعجازها، فلا تعرف الإيرادات غير إنجازها. ومن بلاغات البطائق استعارت ما هي به مشهورة من السجع، ومن رياض كتبها ألقت الرياض فهي إليها دائمة الرجوع. وقد سكنت البروج فهي أنجم، وأعدت في كائناتها فهي للحاجات أسهم. وقد كادت تكون ملائكةً فإذا نبطت بالرفاع، صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع. وقد باعد الله بين أسفارها وقربها، وجعلها طيف اليقظة الذي صدق العين وما كذبها. وقد أخذت عهد الأمانة فهي في أعناقها أطواقا، فأدتها من أذناها أوراقا ؛ فصارت خوافي وراء الخوافي، وغطت سرها المودع بكتانٍ سمحت عليه ذيول ريشها الضواقي ؛ ^(١) تُرغم النوى بتقريب اليهود، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود ؛ فهي أنبياء ^(٢) الطير لكثرة ما تأتي به من الأنبياء، وخطباؤها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء. والله أعلم بالصواب.

١٥



وأما البيغاء وما قيل فيها — والبيغاء طائرٌ هندی، وحشيشة. حسن الخلق، ديمت الخلق، ناقب الفهم، له قوة على حكاية الأصوات بالتلقين والتعليم؛ تتخذ الملوك وأكابر الناس في منازلهم. وفي لونه الأخضر والأغبر والأسود والأحمر

(١) الضواقي : السابقة الكبيرة .

(٢) في الأصلين : «أثناء» وهو تحريف .

٢٠

والأصفرُ والأبيضُ . وهذه الألوان كلها قليلة نادرة الوجود إلا الأخضر والأغبر .
 وقد شاهدتُ أنا بالقاهرة المعزّية ^(١) دُرّة بيضاء . وحكى أنه أُهدى إلى معزّ الدولة ^(٢)
 ابن بويه ببغداد هديّة من اليمن كان فيها بَغَاءُ بيضاء ، سوداء المتقار والرجلين ، وعلى
 رأسها ذؤابة فُسْتَيْقِيَّة . وهذا الطائر يتناول الطعم برجله . وله منقار مُعَقَّف قصير
 يكسره ما صلَّب ويَنقُب به ما تعرّسَ نَقَبه . وهو في ما كله ومشربه كالإنسان
 التَّرفِ الظريف . والناس يحتالون على تلقينه بأن ينصبوا تجاهه مرآة يرى خياله
 فيها ويتكلّم الإنسان من ورائها ، فيتوهم الطائر أن خياله في المرآة هو المتكلّم فيأخذ
 نفسه بحكاية ما يسمعه من ذلك الصوت .

وقال المولى تاج الدين عبد الباقي اليماني رحمه الله فيها مُلغِزًا :

ياسيدًا أبداع في المقال * ويارئيسًا فاق في المعال
 ما حيوانٌ مشبه الإنسان * مرّتُل الآيات في القرآن
 ذو ميسمٍ صيغ من النضار * ومقلّة قد رُكبت من قار
 ومخلّب يكسر الصّايبا * ومنطيق يقاخر الخطيبا
 ذو حلة بنديّة البرود * منسوجة من أخضر البنود
 كروضة قد أينعت أزهارها * وأدهشتنا بالنعنا أطيّارها

(١) الدرّة : البيغاء .

(٢) هو معز الدولة أحمد بن أبي شجاع بويه أحد ملوك الديلم ، ملك العراق والأهواز . وكانت مدّة
 ملكه إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا . وكان في أوّل أمره يحمل الحطب على رأسه ، ثم ملك هو
 وأخواه : عماد الدولة على بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه البلاد وآل أمرهم الى ما آل . وكان
 معز الدولة أصغر الإخوة الثلاثة . ولد سنة ثلاث وثلاثمائة وتوفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة ودفن في داره ثم
 نقل الى مشهد بنى له في مقابر قرقيش .

قد جمعت في ذاته ألوان * كأنه في خلقه بستان
 فدأته من ناصع الزبرجد * ونوره مُرَّكَبٌ من عَسَجِدِ
 وتارة يُبصرُ من أقاصي * خلقتَه في سائر النواحي ^(١)
 وعرفه من خالص المداد * ونطقه مُستَحِمْ الإيراد
 يأكل بالكفّ خلاف الطير * ويفتدي وهو قديرُ السَّيرِ
 إن لَقَطَ الحَبَّ لدى تفريقه * رأيتُ دُرًّا جال في عَقِيقِهِ
 يحفظ بيتَ المرء في المغيب * ويفتدي كالحارس المرهوب
 سمَّيه في أسفل البطار * مُستودِعٌ في آخر التَّيار
 إليه يُعزى الشاعرُ المَجدُ * والكاتبُ النحريرُ والمُجيدُ
 فأكشف مُعَمَّى ما لغزتُ يا إمام * وأسلم على مرِّ الدهور في الدوام

١٠

(١) في أ : « حلقه » . وفي ب : « حلقه » وكلاهما تحريف .

الباب الخامس من القسم الخامس

من الفن الثالث في الطير الليلي

ويشتمل هذا الباب على ذكر ما قيل في الخفّاش ، والكروان ، والبوم ،
والصدى .



فأما الخفّاش وما قيل فيه — فالخفّاش ليس من الطير في شيء؛
فإنه ذو أذنين ظاهرين وأسنان وخطم وخصيتين بارزتين، ويبول كما تبول ذوات
الأربع، ويمبيض، ويولد، ويرضع، ولا ريش له . قال بعض المفسرين لكتاب الله
عز وجل : إن الخفّاش هو الطائر الذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام بإذن الله
تعالى ؛ ولذلك هو مبين لصنعة الخالق ؛ ولهذا سائر الطير تقهره وتبغضه ؛ فما كان
منها يأكل اللحم أكله ، وما لا يأكل اللحم قتله ؛ فلذلك لا يطير إلا ليلا . وطعامه
البعوض والفرأش يصيدهما وقت طيرانه ، ولا يبلغ ذلك إلا بما فيه من سرعة
الاختطاف وشدة الطيران ولين الأعطاف . وهو مع ذلك ليس بذي ريش وإنما هو
لحم مغشّي بجلد صلب كأنه جلد ضفدع ، وهو يطير بغير ريش ؛ وهذا من العجيب .
وهو لا يطير في ضوء ولا ظلمة . وسبب ذلك أنه ضعيف حاسة البصر ، قليل
شعاع العين ؛ فالشمس تضعف بصره عن التحديق في شعاعها ، والظلمة تغمر ضياء
بصره ؛ فهو يجعل طيرانه لطلب قوته وقت غروب الشمس وظهور الشفق . [وذلك
وقت هيج البعوض وانتشاره] .^(١) ومنازله تكون في الجبال وصُدوع الصخور وبسيط

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

- القيافي وجزائر البحر والأماكن الخربة المهجورة . وهو يطلب قرب الناس ؛ فإذا كان في بيوتهم قصد أرفع مكان وأحصنه فيكون فيه . ويذكر بطول العمر ، ويكبر حتى يكون في قدر الحدأة وأكبر . وهو يلد ما بين الثلاثة إلى التسعة . ويسفد غالباً وهو طائر في الهواء . وهو يحمل ولده تحت جناحه ، وربما قبض عليه يفیه لإشفاقه عليه . وربما أرضعت الأثني ولدها وهي طائفة . أخبرني من شاهد ذلك ممن يعتمد على نقله . وهو متى أصابه شجر الدُّلب خدير .

- قال الجاحظ : والخفّاش يأتي الرّمانة وهي على شجرتها فينتب عنها وياكل جميع ما فيها حتى لا يدع إلا القشر وحده . قال : ولحوم الخفافيش موافقة للشواهي والصقور والبوازي ولكن كثير من جوارح الطير، وهي تسمن عنها وتصح أبدانها عليها، ولها في ذلك عمل محمود ناجع عظيم النفع بين الأثر .

وقال بعض الشعراء في الخفّاش مُلغزاً :

وطائر جناحه في رجليه * أبعد شيء قصه من وصيله^(١)
لم يوصف الله بخلق مثله * وهو على تآلف في شكله^(٢)
لو يبع في سوق له لم أغله

- وقال آخر :

أبي علماء الناس أن يخبروني * وقد ذهبوا في العلم في كل مذهب
بجملدة إنسان وصورة طائر * وأظفار يربوع وأنياب تغلب

(١) الوصل (بالكسر والنصب) : كل غم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره ، جمعه أوصال .
وقال الجوهري : الأوصال المفصل . وقال غيره : مجتمع العظام .

(٢) كذا في مباحث الفكر . وفي الأصل « لو يوصف » وهو محرف .



وأما الكروان وما قيل فيه — والكروان طائرٌ من طبعه وعادته الطيران في الليل، والإدلاجُ والصباحُ بالأسحار، والإشراف على مواضع العساكر. ويوصف بالحمق؛ ومن حمقه أنه يقال له: أطرق كراً، فليصق بالأرض حتى يرمى. وتقول العرب: «أطرق كراً أطرق كرا إن النعامَ في القرى»^(١).



وأما البوم وما قيل فيه — ويقال: إنه الصدى، ويقال: بل الصدى ذكر البوم، وللبوم ذكر له منه. ويقال: إنه خمسة أصناف: منه ما يصيد الأرنب. ومنه صنف له لوانان يأوى الاكام والبرية. ومنه المدبج بالصفرة، وله حواجب وقرون من ريش، ويسكن الجدران. ومنه الهام ويسمى «الغبشية»^(٢). ومنه «الغن» وهو يصيح كالهام لكن صوته أدق. وكل هذه الأصناف تحب الخلو بنفسها. وهي تبغض الغربان، وسائر أصناف الطير تبغضها؛ فإن الطيور إذا رأينا يطرن حولها وينتفن ريشها؛ فلذلك صيادو الطيور يجعلونها في مصابدهم؛ لأن الطيور إذا رأوها اجتمعوا عليها، فتصاد عند ذلك.

(١) يضرب مثلا للرجل يتخذ بكلام يطف له ويراد به الغائلة. وقيل: يضرب مثلا للرجل يتكلم عنه فيظن أنه هو المراد بالكلام، أي اسكت فاني أريد من هو أميل منك وأرفع منزلة. وقال أحمد بن عبيد: يضرب للرجل الحقيير إذا تكلم في الموضع الذي لا يشبهه وأمثاله الكلام فيه؛ فيقال: اسكت يا حقيير فان الأجلاء أولى بهذا الكلام منك. والمراد بقولهم: «إن النعام في القرى» تخويفه بأن النعام حاضرة فتدوسه بأخفافها. (راجع اللسان مادة كرا وجمع الأمثال).

(٢) كذا في مباحج الفكر. ولعل الغبشية: نسبة إلى الغبشة (بالضم) أي الظلام، على أن يكون قد نسب هذا الضرب من البوم إلى ظلام الليل. وفي أ: «العفشة». وفي ب: «الغفشة».



وأما الصَّدى وما قيل فيه - فالعرب تزعم أن الإنسان إذا مات أو قُتِل يُتصوَّر نفسه في صورة طائرٍ تصرخُ على قبره مستوحِشةً لجسدها . وفي ذلك يقول توبة :

• ولو أن ليلى الأَخيلية سَلِمَتْ * على ودُوني جَنْدَلٌ وصفائِحُ
لَسَلِمْتُ تسليماً البَشاشةِ أوزَقاً * إليها صَدَى من جانب القبرِ صائِحُ

ويحكون على ذلك حكاية^(١) . وتقول العرب : إن هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير في قدر البوم ، ويسمونه الهام ، واحده هامة . وهو يتوحش ويصيح ويوجد في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع القتلى وأجدات الأموات . ويقولون : إنه لا يزال عند ولد الميت ومُخْلِفيه ليعلم ما يكون بعده فيخبره . وهذا كله أراه من خرافات العرب وأكاذيبها . وما زالوا على ذلك حتى جاء الإسلام فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : " لا عدوى ولا طيرة ولا هامة " الحديث . والله أعلم .

(١) جاء في الأغاني أن هذا الشعر كان سبياً في مقتل ليلى هذه ، وذلك أنها حُرمت على قبر توبة بن الحمير وذكرت هذا الشعر وقالت : والله ما عرفت له كذبة قبل هذه فما باله لم يسلم على ! ؛ وكانت يومئذ إلى جانب القبر كامة ، فلما رأت هودجها فرعت وطارت في وجه الجمل فرمى بها على رأسها فانت . (انظر الأغاني ج ١٠ ص ٨٢ طبع بولاق) .

(٢) النواويس : مقابر النصارى ، مفردة ناووس .

الباب السادس من القسم الخامس من الفن الثالث في المصحج

وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فيه : إنه ليس من الطير، ولكنه
 مما يطير كالحشرات مما يمشي . والذي أُطلق عليه اسمُ المصحج هو مما يشتمل عليه
 هذا الباب ، وهو النحل ، والزنبور ، والعنكبوت ، والجراد ، ودودُ القز ، والدُّباب ،
 والبعوض ، والبراغيث ، والحرقوص .

فَأَمَّا النحل وما قيل فيه - قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
 النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ
 الشَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
 لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
 عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أُنحى يشكى بطنه يا رسول الله ؛
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اسقيه عسلاً » . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال :
 « اسقيه عسلاً » . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال : « اسقيه عسلاً » . ثم أتاه
 في الرابعة ؛ فقال : « صدق الله وكذب بطن أخيك اسقيه عسلاً » ؛ فسقاه
 فبرئ الرجل .

وقال أرسطو : النحل تسعة أصناف : ستة منها يأوى بعضها إلى بعض ،
 وذكر أسماءها باليونانية . وغذاء النحل^(١) من الفضول الحلو^(٢) والرطوبات . والنحل

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري ومباحج الفكر . وفي الأصلين : « وعدة » وهو تحريف .

(٢) في مباحج الفكر : « من الطل الحلو والرطوبات » .

لا تقعد على أزهارٍ مختلفة بل على زهرٍ واحدٍ ؛ وإن قعدت على زهرٍ آخر فإنما تقعد عليه بعد أن تنصرف إلى الخلية . وبيوتها من أعجب المباني ؛ لأنها مبنية على الشكل الذي لا يتهك ولا يتحرق ، كأنه حرر بالة وقياس هندسي . وإذا هلك شيء من النحل في باطن الخلايا أخرجه الأحياء إلى خارجها . وهو يعمل في فصل الربيع والخريف . والربيعي أجود من الخريفي . والصغير منه أعمل من الكبير . وهو يشرب من الماء النقي العذب الصافي ، ويطلبه حيث كان . وهو يسأل جلدته كالحيات . وتوافقه الأصوات المطربة . ويجمع للتصفيق بالأيدي والرقص . والسوس يضره . ودواؤه أن يطرح في كل خلية كُف من الملح ، وأن تفتح في كل شهر مرة وتدخن بأخنة البقر .

١٤٠

- ١٠ وقد وصف الشعراء الشهد والعسل في أشعارها ؛ فمن ذلك قول إبراهيم بن خفاجة الأندلسي يصف شهدة بعث بها إليه بعض أصدقائه :
- لله ريقَةٌ نحيل * رعى الربي والشعاباً
 وجاب أرضاً فأرضاً * يغشى مصاباً مصاباً^(١)
 حتى آرتوى من شفاء * يمّج منه رُضاباً
 إن شئتَ كان طعاماً * أو شئتَ كان شراباً

وكتب مع هذه الأبيات رسالة ، جاء منها : ” وكفى النحلة فضيلة ذات ، وجلالة صفات ؛ أنها أوحى إليها ، وأثنى في الكتاب عليها ؛ تعلم مساقط الأنداء ، وراء البيداء ؛ فتقع هناك على توارية عبقه ، وبهارة أبقه ؛ ثم تصدر عنها [بما تطبعه

(١) المصاب : موقع العيث .

(٢) البهار : نبت طيب الريح جعل له فقاحة صفراء ينبت وقت الربيع .

شمعه، وتُبدعه صنعه؛ وترتشف منها^(١) ما تحفظه رُضابا، وتلفظه شرابا؛ وتنجاف بعد منه عن أكرم مجتنى، وأحكم مُبتنى .



وأما الزنبور وما قيل فيه - والزنبور يُسمى "الدبر" . وهو جليّ وسُهليّ . فالجليّ يأوي الجبال والأماكن الخشنة، وقد يُعشش على الشجر، ولونه إلى السواد . والسُهليّ أحمر اللون ويتخذ عشه تحت الأرض ويُخرج التراب منه كما يفعل التملّ، وهو يختفي في الشتاء فلا يظهر، وأكثره يهلك . ومن السُهليّ صنف مختلف الألوان مستطيل؛ وفي طبعه الشره يطلب المطامح ويأكل اللحم، ويطير مفردا ويسكن بطن الأرض .

وصنف الزنبور جميعه مقسوم في وسطه؛ وهو لذلك لا يتنفس من جوفه ألبته، ومتى عُمس في الدهن سكنت حركاته وذلك لضيق منافذه .

وقد وصفه الشعراء . فن ذلك قولُ السّلامي :

وليس لون واحد وهو طائر * ملنونة أبرأده وهو واقع
أغر تردى طيلسانا مديجا * وسود المنايا في حشاه ودائع^(٣)
إذا حك أعلى رأسه فكأنما * بسالفته من يديه جوامع^(٢)
يُحاف إذا ولي ويؤمن مقيلا * ويخفي عن الأقران ماهو صانع^(٤)
بدا فارسيّ الرّي يعقد خصره * عليه قباء زينتّه الوشائع

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «حل» باللام وهو تحريف .

(٣) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

(٤) الوشائع : جمع وشعة وهي الطريقة في البرد .

فِعْجَرُهُ الْوَرْدِيُّ أَحْمَرٌ نَاصِعٌ * وَمِثْرُهُ التَّبْرِيُّ أَصْفَرٌ فَاقِعٌ
يَرْجِعُ الْحَانَ الْفَرِيضَ وَمَعْبِدٌ * وَيَسْقِي كَوْوَسًا مِلْوَاهَا السَّمَّ نَاقِعٌ

وقال السري الرفاء يصفه :

وَمُخْطَفِ الْخَصْرِ بُرْدُهُ حَبِيرٌ ^(٣) * نَحْذَرُهُ وَهُوَ خَائِفٌ حَذِرٌ
مُجْنَحٌ طَارَ فِي مُجْنَحِيَةٍ * تَصْعَدُ طَوْرًا بِهِ وَتَحْتَدِرُ
كَأَنَّهَا وَالرِّيَّاحُ تَنْثُرُهَا * غَرَائِبُ الزَّهْرِ حِينَ تُنْتَشِرُ ^(٤)
لَهَا حُمَاتٌ كَأَنَّهَا شَعْرٌ * تَظْهَرُ مَسْوَدَةً وَتَسْتَرِ
قَدْ أَذْهَبَتْ فِي الْجَيْنِ غُرَّتُهُ ^(٥) * إِذْ فُضِّضَتْ فِي جِيَادِنَا الْغَرَرِ
سِلَاحُهُ الدَّهْرَ فِي مُؤْتَرِهِ * يَطْعَنُ طَوْرًا بِهِ وَيَنْتَصِرُ
كَأَنَّ شَطْرَ الَّذِي يُجْرَدُهُ * مِنْ بَيْنِ فَكَيْهِ حَيَّةٌ ذَكَرُ



وأما العنكبوت وما قيل فيه — قد ضرب الله عز وجل المثل في الوهن
بالعنكبوت ؛ فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
أَتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . والعنكبوتُ
أصنافٌ : منها صنفٌ يُسَمَّى «الرَّبِّيلا» ^(٦) من ذوات السموم القاتلة ، وهو عنكبوتٌ

(١٤١)

(١) المجر : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها .

(٢) مخطف الخصر : لاحقه وضامره .

(٣) الحبر (ككتف) : الناعم الجديد .

(٤) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : «... تنثرها * ... تنثر» بالثين المعجمة في الكلمتين .

(٥) كذا في ديوانه . وفي أ : «الجين» . وفي ب : «الحين» وكلاهما تحريف .

(٦) كذا في الأصلين والمخصص واللسان وشرح القاموس مادة «رئل» . وقد ضبطها الديرى

بالعبارة في كتابه حياة الحيوان (بضم الراء المهملة وفتح التاء المثناة . وهو يمد ويقصر) .

صغير. ومنه صنف طويل الأرجل. ومنه صنف يُسمى "الليث" يصيد الذباب، وله ست عيون وثمانى أرجل. وقال الجاحظ: ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يُولد، وذلك من غير تلقين ولا تعليم. وأول ما يولد دوداً صغيراً، ثم يتغير ويصير عنكبوتاً. وهو يطاول في السفاد. ومنه ما هو كبير ونسجه ردىء، ومنه ما هو دقيق. وهو في نسجه يمد السدى ثم يعمل اللحمة، ويتدئ من الوسط؛ ويهيئ موضعاً لما يصيده يكون له كالحزانة. والأثنى منه هي التي تنسج، والذكر يحل وينقض. والتي تنسجه لا تُخرجه من جوفها بل من خارج جسدتها. وفم العنكبوت مشقوق بالطول. وهو إذا صاد الذباب يثب عليه وتوبب الفهد.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: إن نسج العنكبوت يقطع نرف الدم إذا جعل على الجراحة، وإذا وضع نسجه على القروح منعها أن ترم وعلى الجراحات. وإذا طبخ العنكبوت الذى هو غليظ النسج أبيضه بدهن الورد وقطر في الأذن سكن وجعها. قال: وقال بعضهم: إن نسج العنكبوت إذا خلط ببعض المراهم ووضع على الجبهة والصدغين أبرأ حمى الغب. قال: وزعم بعضهم أن نسج الصنف الذى يكون نسجه كثيفاً أبيض إذا شد في خيط وعلق على العنق والعضد أبرأ حمى الغب.

وقال ابن الرومي يصف فهد العنكبوت:

أعجبُ مُستَفَادٍ * أفادنى زمانى
من الفهود فهدٌ * فى الآسَمِ والعِيَانِ

(١) إذا أراد العنكبوت السفاد جذب الذكر بعض خيوط نسج الأثنى من الوسط، فاذا فعل ذلك

فعلت الأثنى مثله فلا يزالان يتدانيان حتى يشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأثنى.

(٢) كلمة «وعلى الجراحات» ليست فى القانون. وهى نافية فى السياق، فلعلها من زيادات النسخ.

تلك ذوات أربع * وذات ثمان
 كأنما أرجله * مخالب النّثران^(١)
 سيفاه سيفاً بطل * والدرع درع جان
 مستأنس ما إن نبي * والإنس في مكان^(٢)
 وصائد وهو من ال * مصيد في أمان
 ذبابه في كفه ال طائر مثل العان
 وليس يعني بدلاً * بطائر الخوان
 إذا دنا فلم يكن * بينهما عقدان
 عانقه أسرع من * تعانق الأجنان
 بخفة الوثوب بل * يجرأة الجنان
 فهو عزيز عزّة * في غاية الهوان

وقال خلف الأحمر في الرّتيلاء :

ابعث له ياربّ ذات أرجل * في فيها أجن من مثل المنجل^(٣)
 دهماء مثل العنكبوت المحول * تأخذه من تحته ومن علي



وأما الجراد وما قيل فيه — فالجراد أحد جند الله الذي عذب الله به
 قوم فرعون ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

(١) النثران : جمع نثر، وهي فراخ العصافير، وقيل : البليل أيضا .

(٢) في مباحث الفكر : « من الصائد » .

(٣) الأجن : الموج ويعني به السن .

وَالضَّفَادِعَ) . والعرب تقول : سَرَّاءِ الجُرَادَةُ إِذَا بَاضَتْ . فَإِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْضِهِ فَهُوَ "دَبِّي" ، وَيُخْرَجُ دَوْدًا أَصْهَبَ إِلَى الْبِيَاضِ . فَإِذَا تَلَوَّتْ فِيهِ خَطُوطٌ صُفْرٌ وَسُودٌ وَبَيْضٌ فَهُوَ "الْمُسِيحُ" . فَإِذَا ضَمَّ جَنَاحَيْهِ فَذَلِكَ "الْكَيْفَانُ" ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَكْتِفُ [فِي] الْمَشْيِ . فَإِذَا ظَهَرَتْ أَجْنَحَتُهُ وَصَارَ أَحْمَرَ إِلَى الْعُبْرَةِ فَهُوَ "الْعَوَّاءُ" ^(١) وَالوَاحِدَةُ عَوَّاءَةٌ ؛ وَذَلِكَ حِينَ يَسْتَقَلُّ فَيَمُوجُ بَعْضُهُ فِي بَعْضٍ وَ[لَا] يَتَوَجَّهُ إِلَى جِهَةٍ . فَإِذَا بَدَتْ فِي لَوْنِهِ الْحُمْرَةُ وَالصَّفْرَةُ وَآخْتَلَفَ فِي أَلْوَانِهِ فَهُوَ "الْخَيْفَانُ" . فَإِذَا أَصْفَرَتِ الذُّكُورُ وَأَسْوَدَتِ الْإِنَاثُ سُمِّيَ حِينَئِذٍ "جَرَادًا" .

[وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصلدة والصحخور الصلبة التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتفرج له ، ثم يلقي بيضه في ذلك الصدع فيكون له كالأخوص ويكون حاضنا له ومربيا ^(٢)] .

والجرادة لها ست أرجل : يَدَانِ فِي صَدْرِهَا ، وَقَائِمَتَانِ فِي وَسْطِهَا ، وَرِجْلَانِ فِي مَوْجِرِ جَسَدِهَا . وَطَرَفَا رِجْلَيْهَا مَنَشَارَانِ . وَالْجَرَادُ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي يَنْقَادُ إِلَى رَيْسِهِ [يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ كَالْمَسْكَرِ ، إِنْ طَعَنَ أَوَّلَهُ تَتَابَعُ كُلُّهُ طَاعِنًا ؛ وَإِذَا نَزَلَ أَوَّلُهُ نَزَلَ جَمِيعُهُ] ^(٢) . وَلِعَابُهُ سَمٌّ عَلَى الْأَشْجَارِ ، لَا يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا أَهْلَكَهُ . وَالْجَرَادَةُ فِيهَا شَبَهٌ مِنْ عَشْرَةِ مِنْ جَبَابِرَةِ الْحَيَوَانِ ، وَهِيَ : وَجْهُ فَرَسٍ ، وَعَيْنَا فَيْلٍ ، وَعَنْقُ ثَوْرٍ ، وَقَرْنَا إِبِلٍ ، وَصَدْرُ أَسَدٍ ، وَبَطْنُ عَقْرَبٍ ، وَجَنَاحَا نَسْرٍ ، وَنِخْدَا بَحْلٍ وَرِجْلَا نَعَامَةٍ ، وَذَنْبُ حَيَّةٍ . قَالَ شَاعِرٌ ^(٣) :

لَهَا نِخْدَا بَكْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ * وَقَادِمَتَا نَسِيرٍ وَجُوجُؤُ ضَيْعِيمٍ
حَبَّتْهَا أَفَاعِي الرَّمْلِ بَطْنًا وَأَنْعَمَتْ * عَلَيْهَا جَيَادُ الْخَيْلِ بِالرَّأْسِ وَالْقَمَمِ

(١) زيادة يقتضها السياق . (٢) زيادة عن مباحث الفكر . (٣) هو القاضي محي الدين الشهرزوري المتوفى سنة ست وثمانين وخمسة . (انظر حياة الحيوان للدميري في الكلام على الجراد) .

وقال أبو علي بن سينا: أجودُ الجرادِ السمينُ الذي لا جناح له؛ وأرجلُ الجرادِ تَقْلَعُ النَّائِلَ فيما يقال. قال: يؤخذ من مُسْتَدِيرَاتِهَا اثنتا عشرة وتُتْرَعُ رؤوسُها وأطرافُها ويُجْعَلُ معها قليلُ آيسٍ يابسٍ وتُشْرَبُ للاسْتِسْقَاءِ كما هي. قال: والجراد نافع لتقطير البول؛ وإذا مُجِّخِرَّ به نفع عسرُه وخصوصا في النساء. ويُبَخَّرُ به من البواسير. والذي لا أجنحة له يُسَوَّى ويؤكل لِلسَّعِ العُقْرَبِ.

وقال بعضُ الأعرابِ وذكر فساده: «بَاكَرْنَا وَسَمِيَّ» ثم خَلَفَهُ وَلِيٌّ؛ حتى كَانَتِ الأَرْضُ وَشْيً مُنْشُورًا، عليه لَوْلُوٌّ مُنْشُورٌ؛ ثم أَتَتْهَا غَيُومٌ جَرَادٌ، بِمَنَاجِلِ حَدَادٍ، فَأَنْحَرَبَتِ البِلَادُ، وأهلكت العباد. فسبحان من يُهْلِكُ القَوِيَّ الأَكُولَ، بالضعيف المأكول.

وقال العسكري يصف جرادة:

أجنحةٌ كأنها * أريديةٌ من قَصَبٍ
لكنها منقوطة * مثل صدور الكُنُبِ
بأرجلٍ كأنها * مناشيرٌ من ذَهَبٍ

وقال أيضا:

وأعرابيةٌ تَرْتَادُ زادا^(٢) * فتمرق من بلاد في بلادِ
غَدَّتْ تَمْشِي بِمَنْشَارِ كَلِيلٍ * تبوع به قرارة كلِّ وادٍ^(٣)
وتنشر في الهواءِ رِداءَ شَرِيٍّ * على أطرافه نُقْطُ المِدَادِ^(٤)

(١) الرسمى: أزل المطر. والولى: المطر بعده.

(٢) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري. وفي الأصلين: «ترداد دارا».

(٣) باع الشيء يبعه: أدرك غايته.

(٤) كذا في ديوان المعاني. والشري: الحنظل. وفي الأصلين: «وتنشر في المراعي عذبات شرب».

وقال يعلى بن إبراهيم الأندلسي :

وخيفانة صفراء مسودة القرا^(١) * أنتك بلون أسود فوق أصفر
وأجنحة قد ألحقتها لرؤية^(٢) * تقاصر عن أشاء برود محبر

وقال آخر :

جرادة حنت القلوب لها^(٣) * حين أشارت بناظري ررب
صفراء جسم يشوبها رقط * في نقط من غيرها الأشهب
كانها والجناح حلتها * راقصة في ممسك مذهب^(٤)

ووقفت على حكاية عجيبة في أمر الجراد، نقلها ابن حلب راغب في تاريخه

في حوادث سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، قال : قال القاضي الفاضل عبد الرحيم

البيساني : حدثنا القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب في يوم الثلاثاء من عشر

[شهر] ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، وقدم علينا في صفر منها ، قال : كان

الجراد بالشام قد زاد أمره وعظم خطبه وأحلت السنة بعد السنة ولم يسلم من الزرع

إلا أقله ، فأعلم الملك الظاهر غازي صاحب حلب عن طائريسمى "السمندل" ،^(٥)

(١) القرا : الظهر . (٢) كذا في الأصلين . وفي مباحج الفكر : « كَرْدِيَّة » .

والرَدِيَّة : أمم من الارتداء . ولعله « ألحفها كَرْدِيَّة » من ألحفه الحفاف : ألبسه إياه .

(٣) كذا في مباحج الفكر ، وقد وردت هذه الكلمة محرفة في الأصلين .

(٤) لم نجد في كشف الظنون فيمن ألفوا في التاريخ هذا الاسم .

(٥) هو أبو الفتح غازي الملقب بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . كان

ملكا مهيبا حازما متيقظا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، عالي الهمة ، حسن التدبير

والسياسة ، باسط العدل ، محبا للعلماء ، مجيزا للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة ٥٨٢ هـ بعد أن

كانت لعنه الملك العادل فنزل عنها وتموض غيرها . ولد بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ٥٦٨ هـ وهي

السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وتوفي بقلعة حلب في جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هـ

(راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٧٢ طبع بولاق) ٨٠ هـ

إذا ظهر الجرادُ ببلادٍ أُحْضِرَ إليها ماءٌ من مكانٍ مخصوصٍ فتبعه ذلك الطائرُ ووقع على الجرادِ فألتفه وأستخرج بيضَه من الترابِ ونظَّفَ البلادَ منه . قال : فنسب ثلاثة نفرٍ من العجم ذوى قوَّة في أبدانهم وصَبَرٍ على مشقَّةِ المَشْيِ في أسفارهم ، وأزاحَ عليهم بنفقةٍ وسَّعها عليهم ، وساروا على خوزستان ، واستدلوا على الضيعة التي هي من عملها وفيها هذا الماءُ ، فوصلوا إليها وحملوا من الماء ، ووجدوا هذه العين على وجه الأرض لا تبلغ إلى أن تفيضَ قنسيح ولا إلى أن تفيضَ قُنسْتَقَى . ومن تدير هذا الماء إلى أن يتم به المرادُ ان يحمِّله الماشي ولا يركب ، وإذا نزل بمنزلةٍ علَّقه ولا يضعه على الأرض ؛ وكان الملك الظاهر قد سیر معهم دوابَّ يركبها من لم يحمل الماء بالنوبة ويمشي من يحمِّله ؛ ومن عادة من يحمِّله ألا ينفرد بنفسه وألا يسيرَ إلا في قافلةٍ وأن يُعلم أهلها بما معه ويُشهِدَهم أنه ما ركبَ ظهرَ دابةٍ في حال حمله ، وأنه مشى والماءُ في إنائه في يده ؛ وكلما وصلت قافلةٌ إلى بلدٍ أدى شهودُ القافلة ما شهدوا به عند الحاكم ؛ ويتنجزُ حاملُ الماءِ كتباً حُكِيَّةً من قضاة البلاد في أمر الماء بصحة نسبه وكيفية حمِّله . قال : ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب ، فعلَّقَ ذلك الماء ووصل ذلك الطائرُ في جمعِ الجرادِ وأكثره ، وهو يشبه السَّمَانِيَّ في قدره ولونه ، ووقع على الجرادِ فألتفه وأستاصله . قيل : إنه كان يأكل الجرادَةَ والثنتين والثلاث والأربع في دَفْعَةٍ ويرميها في الحال من بطنه ، وإنه يتتبع مكانَ بيضه في الأرض فيبحث عنه بمناقيره وأخرجه ، حتى صارت الأرض كالغُرْبَالِ من أثر نقره ، وإن الجرادِ أرتفع من الشام وكشفت به البلوى . قال : وأمْرُ هذا الماء مشهورٌ معلومٌ مستفيضٌ .



وأما دود القز وما قيل فيه - ودود القز وإن لم يكن من الهمج الذي له جناح، فآل أمره أن يصير له جناح؛ ولذلك أوردناه في هذا الباب وألحقناه بهذا النوع .

• ودود القز أول ما يكون بزراً في قدر حب التين، وهو البيض الذي يتكون فيه الدود . ويكون خروجه منه في أول فصل الربيع . ويخرج أصغر من الذر، وفي لونه . وإذا تأخر خروجه وضعه النساء تحت ثديين في صرر . فإذا خرج غدي بورق التوت . ويأخذ في النمو إلى أن تصير الدودة منه في قدر الإصبع ويتقل من السواد إلى البياض [أولاً فأولاً] ^(١)، وذلك في مدة ستين يوماً فما دونها . وله في غضون هذه المدة نومات لا يأكل فيها شيئاً ألبتة، كل نومة يوماً؛ فإذا أستيقظ أكل أضعاف ما كان يأكل قبل النوم . فإذا أكل المدة امتلاً حريراً فلا يبقى فيه مساع لما أكل، فيقطع الأكل عند ذلك ويهيج للنسج؛ فأى شيء تعلق به نسج عليه . وهو ينسج ^(٢) على نفسه بما يخرج من فيه إلى أن يخرج ^(٣) ما في جوفه، وهو أرق من المنكبوت، ويكمل عليه ما بينه، فيكون كهيئة اللوزة . ويبقى محبوساً في غزله هريماً من عشرين يوماً، ثم يتقب عن نفسه ويخرج فرأشاً أبيض ذا جناحين لا يسكنان عن الاضطراب وقرنين وعينين . وهو إذا تقب عن نفسه ونرج لا يفتع من نسجه بحريراً لأنه يقطع طاقاته . وعند خروجه

(١) زيادة من مباح الفكر وسياة الحران للدمري .

(٢) كذا بالأصلين . ولله يرد : « من نسج المنكبوت » .

(٣) في مباح الفكر وسياة الحران : « الجوزة » .

يهيج للسفاد فيلصق الذكر ذنبه بذنب الأثني ويلتجان ساعة زمانية ثم يفترقان ،
وتثر الأثني الزر على الصفة التي ذكرناها على خرق بيض تكون قد فرشت له .
فإذا نفذ ما فيها من السفاد والزر ماتا . هذا إذا أريد من الدود الزر . وإذا
أريد منه الحرير ترك ذلك النسج في الشمس بعض يوم فيموت .

وقد جعله بعض الشعراء مثلاً للحريص على جمع المال ، فقال :

يُفني الحريصُ لجمع المال مُدَّتَهُ * وللحوادثِ والوراثِ ما يدعُ
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه يتفعُ

وهو كثير العوارض . وأكثر ما يعرض له الفساد إذا اطعم ورق الثوت
الحامض . ويهلك من صوت الرعد وضرب الطست والهاون ، ومن رائحة الخلل
والدخان . وكثرة الخزئله وتذيبه ، وكذلك البرد الشديد فإنه يبطن به . ويؤذيه
مس الجنب والحائض ، ويحشى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوزغ .



وأما الذباب وما قيل فيه — فقد ضرب الله عز وجل به المثل فقال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاذْكُرُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ
الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) . فهذا مثل ضرب به الله تعالى لضعف الناس وعجزهم عن الإتيان
بمخلوق . وجاء في الحديث : «إِذَا سَقَطَ الذُّبَابُ فِي طَعَامِ أَحَدِكُمْ أَوْ شَرِبَهُ فَلْيَغْمِسْهُ
فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَفِي الْآخَرِ شِفَاءٌ» . ويقال : إنه يغمس جناح الداء ويرفع
جناح الشفاء ، فلماذا نذب إلى غمسه . والعرب تجعل النحل والقراش والذب من
الذباب .

قال الجاحظ : ”والذبابُ ضروبٌ سوى ما ذكروا من الفَرَاشِ والنحل والزَّناير“ ؛ فمنها الشَّعراء . قال الراجز :

* ذبابُ شعراءَ ونبتٌ مائلٌ *^(٤)

وللكلاب ذبابٌ على حدة يتخلَّق منها فلا يريد سواها . ومنها ذباب الكَلَّاء والرياض ؛ وكلُّ نوع منها يألف ما خُلِق منه“ .

ومنها الذباب الذى يقتل الإبل وهو أزرق . والذباب الذى يسقط على الدواب وهو أصفر . ويقال : إن الذباب يكثر إذا هاجت ريحُ الجنوب وإنه يُخلق فى تلك الساعة ؛ وإذا هبت ريحُ الشمال خَفَّ وتلاشى . وهو من ذوات الخراطيم ، وكذلك البعوض . ويقال : إن الذباب لا يُعمَّر أكثر من أربعين يوماً .

قال الجاحظ : ”وليس بعد أرض الهند أكثرُ ذباباً من واسِط، وربما رأيت الحائظَ وكأنت عليه مسحاً شديدَ السواد من كثرة [ما عليه من]“^(٦) الذباب .

ويقال : إن اللَّبَنَ إذا ضُرِبَ بالكُنْدُسِ^(٧) ونُضِجَ به بيتٌ لم يدخله ذبابٌ . ومن عجيب أمر الذباب أنه يُلقِي رجيعةً على الشيء الأبيض أسودَ وعلى الأسود

(١) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع مصر، لوحة ١٤٣ من النسخة الفوتوغرافية) .
وفى الأصلين : « سوى ذلك » .

(٢) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « ذباب الشعراء » .

(٣) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « قال الشاعر » .

(٤) كذا فى النسخة الفوتوغرافية من الحيوان للجاحظ . وفى النسخة المطبوعة : « وبيت ماذل » .

وفى الأصلين : « ونبت ماذل » بالبدال المهملة .

(٥) واسط : بلد متوسط بين البصرة والكوفة بناها الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) زيادة عن الحيوان للجاحظ .

(٧) الكندس : الخرشف البستانى ، وهو عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

أبيض . ويقال : إنه لا يظهر إلا في مواضع العفونات والقاذورات ، ومبتدأ خلقه منها ، ثم يكون من السفاد .

قال الجاحظ : ويقال : إن الذباب لا يقرب قدراً فيه كماءً .

والذباب بطيء في سفاده ، وربما بقي الذكر على ظهر الأنثى عامة النهار ، فهو يتجاوز في ذلك البعير والخنزير . وهو من الحيوان الشمسي لأنه ينجى في الشتاء ويظهر في الصيف . وللذباب يدان زائدتان في مقدم يديه يتق بهما الأذى عن عينيه فإنهما بغير أجفان .

والعرب تضرب به المثل في الزهو فتقول : « أزهى من ذباب » . قالوا : لأنه يسقط على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه ويطرده فلا ينطرد . ويضرب به المثل في القدر واستطابة التنين . فإذا عجز الذباب عن شم شيء فلا شيء أتن منه .

وقال ابن عبدل في محمد بن حسان بن سعد ورماه بالبحر :

وما يدنو إلى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقند^(٢)
يرين حلاوة ويخفن موتاً * ذعافاً إن هممن له بورد

ويقال لكل أبحر : أبو ذبان ؛ وكانت من كنى عبد الملك بن مروان .

وقد وصف الشعراء الذباب ؛ فمن ذلك قول عنترة :

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديفة كالدرهم^(٣)
فترى الذباب بها يغنى وحده * هزجا كفعل الشارب المترم
غرداً يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الأجدم

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين « من » .

(٢) القند (بالفتح) : عسل قصب السكر .

(٣) ويروي « كل قرارة » (انظر اللسان مادتي « ثروحدق » .

وقال العسكري - وجمع بين البراغيث والبعوض والذباب :
وبدا ففتاني البعوض تطرباً * فهرقت كأس النوم إذ غناني
ثم أنبرى البرغوث ينقط أضلعي * فقط المعلم مشكل القرآن
حتى إذا كشف الصباح قناعه * قرأت لي الذبان بالأحان



وأما البعوض وما قيل فيه - والبعوض صنفان: صنف يُشبه القراد،
لكن أرجله خفية ورطوبته ظاهرة، يُسمى بالعراق والشام "الحرجس"
و"الفسافس"، وبمصر "البق". ويشم رائحة الإنسان ويتعلق به. وله لسع شديد.
ولدمه إذا قتل رائحة كريهة. ويقال: إنه يتولد من النفس الحار [ولشدة رغبته
في الإنسان لا يتمالك إذا شم رائحته، فإذا كان في السقف رمى بنفسه عليه فلا يخطئه].^(١)
وهذا الصنف ليس من الطير. والصنف الثاني طائر ويُسمى أهل العراق "البق"
و"البعوض". ويسميه أهل مصر "الناموس". وهو يتولد من الماء الزاكد،
فإذا صار الماء رقيقاً استحال دعاميص،^(٢) ثم تستحيل الدعاميص فرأنا. والبعوض
في حلقه الفيل إلا أنه أكثر منه أعضاء، فإن للفيل أربع أرجل وخرطوماً وذنبا،
وله مع هذه الأعضاء يدين زائدتان وأربعة أجنحة. وخرطوم البعوض [أجوف]^(١)
نافذ الحرق؛ فإذا طعن به جلد الإنسان استقى به الدم وقذف به إلى جوفه. وفيه
من الشره أن يمتص من دم الإنسان إلى أن ينشق ويموت، أو يمتص إلى أن يعجز
عن الطيران. ومن عجيب أمره أنه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع، فيبقى

(١) زيادة عن مباحج الفكر.

(٢) الدعاميص: جمع واحدة دعموص، وهو درية أو دودة سوداء. تكون في الغدران إذا انشت.

(يس ماؤها).

طريحا في الصحراء فيجتمع حوله السباع والطيور التي تأكل الحيف، فمن أكل منها منه مات لوقته في موضعه . ويقال : إن بعض جبابرة الولاة بالعراق كان يقتل بالبعوض ، فيأمر بمن يريد قتله أن يُجرد من ثيابه ويُربط ويُخرج إلى بعض الآجام التي بالبطائح فيوجد في أسرع وقت عظاما عارية من جلدٍ ولحم .

- وقال الجاحظ : بعوض البطائح بحرارات الأهواز وعقارب شهرزور . وربما ظفر بالسكران النائم فلا يبقى فيه إلا العظام العارية .

وقد أكثر الشعراء في وصف البعوض؛ فمن ذلك قول فرج بن خلف الأندلسي:

بعوضٌ جَعَلَنَ دمي قهوةً * وغنَّيَنِي بصنوف الأغانِ^(٢)
كَأَنَّ عُرُوقِي أوتارُهُنَّ * وجسْمِي الرَّبَابُ وهنَّ القِيَانِ^(٣)

(١٤٥)

وقال آخر:

إذا البعوض زَجَلَتْ أصواتُها * وأخذَ الحنَّ مُغْنِيَاتُها
لم تُطْرِبِ السامِعَ خافِضَاتُها * وأزقَ العينينَ رافِعَاتُها
صغيرةٌ كبيرةٌ أذَاتُها * تنفُضُ عن بُغْيَتِها بُغْيَاتُها
ولا يُصِيبُ أبداً رُمَاتُها * راعِمةٌ خرطومُها قَنَاتُها

وقال أبو هلال العسكري:

غناءٌ يُسِخِنُ العينَ * وَيَنفِي فَرَاحَ القلبِ
ولا يَأْتِي على الزَّمْرِ * ولا يَجْرِي مع الضربِ
غناءٌ البسَقُ بالليلِ * يُنَافِي طَرَبَ الشَّرْبِ

(١) الجزائر، جمع جراحة: عقرب صفراء على شكل التينة تجر ذنبها .

(٢) في الأصلين: «الأغانى» بالياء .

(٣) في مباحث الفكر: «البيان» .

إذا ما طرَقَ المَرَّةَ * جرى في طَلْقِ الكَرَبِ
إذا ما نَقَبَ الجِلْدَ * ةَ أَخْفَى أثرَ النَّقَبِ
سوى حَمْرِ حَفِيَّاتٍ * تُحَاكِي نُقْطَ الكُتْبِ



وأما البراغيث وما قيل فيها — والبرغوث أسودٌ أحذبٌ . وهو من الحيوان الذي لا يمشى؛ وإنما أوردناه مع ذى الجناح لأنه ذو وئبٍ لا يقصُر عن الطيران؛ ومنه أيضا ما يمشى ولا يتبُّ . وقالوا : إنه يطيل السَّفَادَ ، ويبيض ويُفْرِخُ . وأصله متولّد من التراب في المواضع المظلمة . وهو يكثر ويستطيل ويؤدّي في أواخر الشتاء وفصل الربيع . وإذا أشتد عليه الحرُّ هلك .

ومن جناس الكلام فيه قولهم : أذى البراغيث إذا ألبرى غيث . يعنون بالبرى التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوث يُكُنُّ بالنهار ويظهر بالليل . ويستند أذاه للإنسان إذا أخذ مضجعه . وهو يطول بُنْته بمصر؛ ولا يوجد في البلاد الحارة مثل صعيد مصر ولا في البلاد الشديدة البرد .

وقد أكثر الشعراء في وصف البراغيث وأفعالها؛ فمن ذلك قول أبي الرّماح الأسدّيّ وكان قد سكن مصر :

تَطاول بالْفُسْطاط ليلي ولم أكن * يَجْنُو النَّصِي ليلي على يطولُ
يُورِقني حُذْبُ صَفارٍ أذِلَّةٍ * وإمّ الذي يُوقِظنه لذليلُ
إذا ما قتلناهن أضعفن كثرةً * علينا ولا يَنْسَى لهن قَتيلُ
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلةً * وليس لبرغوث إلى سبيلُ

وقال العسكري من أبيات :

ومن براغيث تَتَفَى النَوْمَ عن بصرى * كَأَنَّ جَفْنِيَّ عن عيني قصيرانِ
يَطْلُبْنَ مِنِّي نَارًا لَسْتُ أَعْرِفُهُ * إِلَّا عداوةِ سِودانِ لِيَيْضَانِ

وقال أبو [الحسن أحمد بن] أيوب البصرى المعروف بالناهي :

لا أَعْدُلُ اللَّيْلَ في تطاوله * لو كان يَدْرِي ما نحن فيه نَقَصُ
لى في البراغيث والبعوض إذا * يُلِحِفُنَا حِنْدِسُ الظلامِ قَصَصُ
إذا تَفَنَّى بَعُوضُهُ طَرَبًا * ساعد برغوثه الغنا فَرَقَصُ

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني :

بات البراغيثُ في الفراشِ معي * تَقَسُّمِي قِسْمَةَ المِوارِيثِ
أكلتني بعد ما شَرِبَ دمي * فَمَنْ مَغِيثِي مِنَ البراغِيثِ

وقال أيضا فيها :

إِنَّ البراغِيثَ إذا ساورت * من كَنَها تَرَقُّصُ أو تَرُقُّصُ
وكما غَنَّتْ بَعُوضٌ لها * فهى على شُرْبِ دمي أَحْرَصُ
تَهْفِزُ من تَمَّ إلى هاهنا * كأنها زِنْجِيَّةٌ تَرُقُّصُ

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري :

ومحس القوائم حُذِبَ الظهورِ * طَرَقْنَ فِرَاشِي على غِرَّةِ
ويَنقُطنَنِي بخراطيمهن * كَنَقَطِ المِصاحفِ بالْمُحْمَرَةِ

وقال ابن المعتز :

وبراغيثَ إن ظَفِرَنَ يَجسِمِي * خِلَّتْ في كُلِّ موضعٍ منه خالا

(١) في الأصلين : « أبو أيوب النصرى » . والنصحح والزيادة من نيمية الدهر .



وأما الحرقوص وما قيل فيه - فقد ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان فقال : وزعموا أنه دويبة أكبر من البرغوث ؛ وأكثر ما ينبت لها جناحان بعد حين . وعَضَةُ الحرقوص أشدُّ من عَضَةِ البرغوث . قالوا : والحرقوص يُسمى النُهَيْك . وأكثر ما يعض أحرّاح النساء وحُصَى الرجال . قال أعرابي وقد عضَّ الحرقوصُ حُصيتيه :

لقد منع الحرقوصُ القرّارا * فلا ليلاً تقتر ولا نهارا
يغالين الرجال على حُصاهم * وفي الأخرّاح دسا وأنجحارا

وقالت امرأة تشير إلى زوجها :

يقارن الحرقوص إن عضَّ عَضَةً * بفخذى منها ما يحدُّ غُور^(١)
لقد وقع الحرقوصُ مِنِّي موقِعاً * أرى لذة الدنيا إليه تصير

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

الباب السابع من القسم الخامس

من الفن الثالث في أنواع الأسماك

قال ابن أبي الأشعث : السمكُ يَسْتَنَشِقُ الْمَاءَ بأصداغه فيقوم له مقامُ الهواء للإنسان . والسمكُ كُلُّهُ شَرُّهُ كَثِيرُ الْأَكْلِ ، وحاسَةُ السَّمْعِ والشَّمِّ فيه أقوى منها في الإنسان . وأستدلُّ على ذلك بأدلة يطول شرحها . وحاسَةُ البصرِ فيه ليست كالسمع والشَّمِّ وإنما أضعف . ولسانه غليظ قصير شبيه باللسان وليس لسانا . وله أضرار ليست للضغ عليها وإنما لقتل ما يفترسه من حيوان الماء، ويُفْرِغُ فِيهِ مِمَّا يَكُونُ سَبِيحًا لِقَتْلِهِ . وصِنَارُ السَّمَكِ تَحْتَرِزُ مِنْ بَجَارِهِ بِأَنْ تَطْلُبَ الْمَاءَ الْقَلِيلَ الَّذِي لَا يَجْمَلُ الْكِبَارَ .

١٠ وأختلف الناس في سِفَادِ السَّمَكِ ، فالأكثرُ على أنه يَسْفِدُ مِثْلَ الْحَيَّةِ . وقال الجاحظ : وفي السمك القواطعُ والأوابدُ كالطير . ومن أصناف السمك ما هو في شكل الحيات . قال : وهي إما أن تكون كانت بَرِّيَّةً أَوْ جَبَلِيَّةً فَأَكْتَسَحَتْهَا السَّيُولُ وألقتها في الماء الدائم فتوالدت فيه ؛ وإما أن تكون أمهاتها وآبؤها من دواب الماء .

١٥ وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في الأدوية المفردة : أفضل السمك في جنته ما كان ليس بكبير جدًا ولا صلَّب اللحم ولا يابس، لا دُسُومَةٌ فِيهِ كَأَنَّهُ يَتَفَتَّتْ ، والذي لا مَخْطِيطَةٌ ولا سُهْوَكَةٌ فِيهِ وَطَعْمُهُ لَذِيذٌ ، فَإِنَّ اللَّذِيذَ مُنَاسِبٌ ، وَمَا هُوَ دَسِيمٌ دَسُومَةٌ غَيْرَ مُفْرَطَةٍ وَلَا غَلِيظَةٍ وَلَا شَحْمِيَّةٍ وَلَا حَرِيْفَةٍ ، وَالَّذِي لَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ النَّتْنُ إِذَا فُصِّلَ عَنِ الْمَاءِ . وَيُخْتَارُ مِنَ السَّمَكِ الصُّلْبِ اللَّحْمِ مَا هُوَ أَصْفَرٌ ، وَمِنَ الرَّخِيصِ

اللحم ما هو أكبر إلى حدِّ ما . وصلب اللحم مملوحاً خيراً منه طرياً . وأما في الأجناس فالشبايط أفضلها ، ثم البني ، والبياح البحري لا بأس به . وأما في ماواه فالذى يأوى الأماكن الصخرية ثم الرملية والمياه العذبة الحارئة التى لا قدر فيها ولا حماة وليست بطيحية ولا نزيّة ولا من البحيرات الصغار التى لا تسمى الأنهار ولا فيها عيون . قال : والسماك البحري محمود لطيف ؛ وأفضل أصنافه الذى لا يكون إلا فى البحر والبلية . والذى يأوى ماء مكشوفاً ترفرف الرياح عليه أجود من الذى بخلافه . والذى يأوى ماء كثير الاضطراب والتموج أجود من الذى يأوى الماء الراكد . والسماك البحري لطيف اللحم لا سيما إذا كان ماواه فى الشواطىء صخراً أو رملاً ؛ والذى يصير من البحر إلى أنهار عذبة يعارض جرية الماء بالطبع لطيف كثير الرياضة .

وأما غذائه ، فالذى يغتذى بالحشيش وأصول النبات خيراً من الذى يغتذى الأقدار التى تطرح من البلاد إلى المستنقعات . وأفضل ما يؤكل السمك اسفيداجا ثم المشوى على الطابق . وأما المقلبي فيصلح لأصحاب المعد القوية ومعه الأباذير . والمشوى أغذى وأبطأ نزولاً ، والمطبوخ بالزند . وأفضل طيبخه أن يطبخ الماء حتى يغلي ثم يلقى فيه .

(١) ضبطه فى القاموس ككتاب وتكان .

(٢) كذا فى قانون ابن سينا . وفى الأهلين : « مياحه » .

(٣) البطيحية : نسبة إلى البطيخة وهى الماء المستنقع .

(٤) الاسفيداج : نوع من طعام السمك . (راجع طريقة صنعه فى كتاب الأطلعة النسخة

الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ علوم معاشية) .

(٥) الأباذير : التوابل التى منها الكسبرة والمسطكا والفلفل والدارصنى والكراويا والزنجبيل

وأما المالح، فغيره ما كان طرياً قريب العهد بالتمليح . وأحمد المَقْمُورُ بالخَلِّ^(١)
والتَّوَابِلِ .

وأما طبعه ، فجميعُ السمك باردٌ رطبٌ ، لكن بعضه أسخنُ بالقياس إلى
مزاج السمك مثل الكَوَسِجِ^(٢) والمارماهيح^(٣) .

- وأما أفعاله وخواصه ، فالطَّيرِيّ منه يوَلِّدُ البِلغمَ المائِيَّ مُرَخِّجاً للأعصاب ، غيرُ
موافقٍ إلا لَعِدَةِ الحارَّةِ جداً . قال : وَجِلْدُ السمكِ المعروف «بِسِفْيَانُوس»^(٤) في ناحية
بيت المقدس إن تَرَّ رَمَادُ جِلْدِهِ في عيون المواشي أذهبَ بياضها . والمالحُ من^(٥)
أصناف السمك يُنْجِزُ السَّلاةَ^(٦) من المناشب^(٧) . قال : ورأس «سمماريس»^(٨) مُحْرَقاً يَقْلَعُ اللَّحْمَ

(١) المقمور : المتقوع .

- ١٠ (٢) الكوسج : نوع من السمك له خرطوم كالمشار يقترس ، وهو في الماء شرّ من الأسد في البرّ .
والحيوانات البحرية تنفر منه .

(٣) المارماهيح : هو السليناج المعروف بالنون ، وهو حوت طويل .

(٤) كذا في القانون طبع يولاق . وفي الأصلين : «سفياس» .

(٥) كذا في القانون . وفي الأصلين : «عق» ، وهو تحريف .

- ١٥ (٦) السلاء : شوك النخل ، الواحدة سلاءة . وذلك أنه إذا تضمد بلحم السمك المالح وخصوصاً
«الجرى» منه أخرج السلاء من عمق البدن . ويقال : إن لحم «الجرى» قوته قوة جاذبة ، فإذا قَدِّد
ودق ووضع من خارج أخرج السلاء كما أنه يخرج النصول والزجاج . (راجع مفردات ابن البيطار في اسم
«جرى») . وفي الأصلين : «السل» وهي لفظة عامة مصرفي السلاء .

(٧) المناشب : جمع منشب ، وهو اسم مكان من النشوب .

- ٢٠ (٨) وردت هذه الكلمة في الأصلين هنا : «سمارس» ، وفيما يأتي : «سماريوس» . وقد أثبتناها
كما وردت في مفردات ابن البيطار (طبع مصر سنة ١٢٩١ هـ) . ووردت في آاب القانون لابن سينا :
«سمارييس» و«سماروس» في أكثر من موضع .

الزائد في القروح ويمنع سعتها ويقلع التآليل وآليوث^(٢) . وماء السمك المالح ينفع من القروح العفنة ويسهلها . قال : وإذا آحتقن^(٣) بسلاقة المالح مراراً نفع من وجع الورك . والسمك الصغار الذي تسميه أهل الشام ومصر "الصير" إذا تتمعض صاحب القلاع الخبيث بالمزى^(٤) الذي يتخذ منه نفعه . و"الرعاد" الحى إذا قرب من رأس المصدوع أخدره [عن الحس بالصداع]^(٥) . قال : وجلد "سيفيانوس" تحك به الأوجفان الجربة فينفع ، وجلده المحرق أيضا يدخل في أدوية العين ، ويذهب الأكتحال به مع الملح الظفرة^(٦) ، وأكله مقلياً يورث غشاوة العين بل جميع السمك ؛ ورءوس

- (١) التآليل : جمع تؤلول . قال العلامة السمرقندى : هى بثور صغيرة شديدة الصلابة مستديرة ، وهى على ضروب شتى فيها متكوسة ، ومنها متشققة ذات شظايا ، ومنها مسارية وهى عظيمة الزروس مستديرة الأصول تأخذ الى داخل العضو وكأنها مسبار (عن قاموس الأطباء للقيصونى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣٢ طب) . (٢) وردت هذه الكلمة فى الأصلين غير واضحة الإجماع . وقد أعجمناها كما وردت فى مفردات ابن البيطار . ونص عبارته : «... سمارىس وهو صنف من السمك رأس المملوح منه اذا أحرق قلع اللحم الزائد فى القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسمى فى البدن ، ويقلع التآليل التى يقال لها أبلو والحلم الزائد فى الأبدان الذى يقال له باليونانية بومو وتسميه الأطباء بالعربية اليوث ... » . (٣) كذا فى القانون . وفى ١ : « أهل مصراخ » . وفى ب : « أهل الشام الخ » . (٤) القلاع (كفراب) : قرحة تكون فى جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع ، وتعرض للصبيان كثيرا الرذاعة اللبن أولسوه انهضامه فى المعدة . (عن قاموس الأطباء للقيصونى) . (٥) فى مفردات ابن البيطار : « المرى المعمول من السمك المالح والحوم الجحافة اذا صب على القروح الخبيثة منعها أن تسمى فى البدن ويرى عضة الكلب الكلب ويحتقن به لقرحة الأمعاء لتكوينها » . (٦) زيادة عن القانون . (٧) فى القانون : « ويذيب » . (٨) الظفرة (بالتحريك) : جلدية تنبت عند المآق وقد تمتد الى السواد فتعشى ؛ وكذا فى كتب اللغة . وفى كتب الأطباء : الظفرة زيادة من المنتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين يتبدى فى الأكثر من المآق الإنسى ، وهى ثلاثة أنواع : نوع منها عشائى رقيق يتبدى من جوانب المنتحمة . والثانى يتبدى من لحمه المآق وينبسط الى أن يلحق حد السواد فيقف هناك ويفلظ . والثالث يقشى فيضرب بالبصر بل يبطله البتة (عن قاموس الأطباء للقيصونى) . (٩) كذا فى القانون . وفى الأصلين هكذا : « وأكل طر يغلا » ، وهو تحريف .

- (٢) السَّمَكَاتِ الْمَمْلُوحَةِ الْمُحْفَفَةِ تَتَفَعُّ اللَّهَاءُ الْوَارِمَةَ، وَعِلَاجٌ جَيِّدٌ مِنْ شُقَاقِ الْمَقْعَدَةِ .
 وَغِرَاءُ السَّمَكِ يُلْقَى فِي الْأَحْسَاءِ فَيَنْفَعُ نَفَثَ الدَّمِ . قَالَ : وَحَوْصَلَةُ سَيْفِيَانُوسِ تُكَلِّبُ
 الْبَطْنَ مَعَ صَعُوبَةِ انْهِضَامِهَا . قَالَ : وَرَأْسُ الْمَالِحِ [مِنْ] سَمَارِيسٍ مُحْرَقًا يُجْعَلُ
 عَلَى عَضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَلَسَعَةِ الْعَقْرَبِ فَيَنْفَعُ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ سَمَكَةٍ . وَمِرْقَةٌ
 كُلِّ سَمَكٍ تَنْفَعُ مِنَ السَّمُومِ الْمَشْرُوبَةِ وَالنُّهُوشِ . قَالَ : [وَالسَّمَكُ يَنْفَعُ مِنْ عُسْرِ
 النَّفْسِ وَالرَّبْوِ وَالْبِرْقَانِ وَيَسْهَلُ الْبَلْغَمَ وَيَنْفَعُ مِنْ خُنَاقِ الرَّحِمِ] .

وقد وصف الشعراء السمك في أشعارها ؛ فمن ذلك قول ابن الرومي يخاطب
 رئيساً ويستدعي منه سمكاً :^(٥)

- عَسَرْتُ عَلَيْنَا دَعْوَةَ السَّمَكِ * أَنَّى وَجُودِكَ ضَامِنِ الدَّرَكِ^(٦)
 ١٠ اعْلَمْ وَقَيْتَ الْجَهْلَ أَنْكَ فِي * قَصْرِ تَلْتَهَ مَطَارِحُ الشَّبَكِ
 وَبَنَاتِ دِجَالَةَ فِي فِنَائِكُمْ * مَأْسُورَةٌ فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ^(٧)

- (١) اللهأة : الهمة المشرقة على الخلق . وقيل : هي لحمه حمره في الحنك معلقة على عكدة اللسان ،
 ومغتمتها تدرج الهواء لسلا يقرع برده الزنة بخافة وتمنع الدخان والغبار وتكون مقرعة للصوت يقوى بها
 ويمظف كأنها باب موصل .
 (٢) كذا في القانون . وفي الأصلين : « المعدة » ، وهو تحريف .
 (٣) التكللة عن القانون .
 (٤) هذه العبارة المحصورة بين مرتبين ذكرها المؤلف ضمن منافع السمك ونسبها لابن سينا . وقد راجعنا
 ما قاله ابن سينا عن السمك فلم نجد فيها بل ذكرها أثناء كلامه على « سفيدوليون » أو « سفندوليون »
 كما قال ابن البيطار في مفرداته وهو اسم نبات .
 (٥) هو ابن أبي بشر المرندى ، كافي ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .
 (٦) كذا في ديوانه ومباح الفكر . وفي الأصلين : « عودة » وهو تحريف .
 (٧) قال العالبي في ثمار القلوب (ص ٢٢٠ طبع مصر) : ويجعل ابن الرومي السمك بنات دجلة
 واستشهد بهذا البيت .

(١)
 بِيضٌ كَأَمْثَالِ السِّبَاكِ بِل * مَشْحُونَةٌ بِالشَّحْمِ كَالْعُكَّكِ
 حَسَنَتْ مَنَاطِرُهَا وَسَاعَدَهَا * طَعِمَ كَلَّ مَعَاقِدِ التُّكَّكِ
 فَلْيَصْطَدِ الصَّيَادُ حَاجَتَنَا * يَصْطَدُّ مَوَدَّتَنَا بِلَا شَرِكِ

وقال أبو الفتح كُشَّاجِمُ :

ومحجوبة بالماء عن كل ناظرٍ * ولكنها في حجبها تُخَطِّفُ
 أَخَذْنَا عَلَيْنَ السَّبِيلِ بَاعِينَ * رَوَّاصِدِ إِلَّا أَنَّهُا لَيْسَ تَطْرِفُ
 بَحْنَتِهَا بِيضَ المَتُونِ كَأَنَّهَا * خَنَاحِرُ فِي أَيْمَانِنَا تَتَعَطَّفُ ^(٢)

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ وذكر بركة :

لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ المَقْصُورُ غَايَتَهَا * لِيُعَدَّ مَا يَبِينُ قَاصِيَهَا وَدَانِيَهَا ^(٣)
 يَعْمُرَنَّ فِيهَا بِأَوْسَاطِ مَجْنَحَةٍ * كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا

وقال أبو طالب المأموني في المقلبي منه :

مَآوِيَةٌ فِضِيَّةٌ لِحُمُهَا * أَلْدُ مَا يَأْكُلُهُ الْآكِلُ
 يَضُمُّهَا مِنْ جِلْدِهَا جَوْشَنٌ * مُدِيلٌ ^(٤) فَهوَ لَهَا شَامِلٌ ^(٥)
 لَوْنَتْ مِنْ فِضَّتِهَا عَسْجَدًا * بِالْقَلْبِيِّ لِمَا ضَافَنِي نَازِلٌ

(١) العكك : جمع عكة ، وهي وعاء للسمن من الجلد .

(٢) في الأصلين : « بغاء بها » وهو لا يلتزم مع بقية الشعر . وقد بجننا عن هذا الشعر في عدة نسخ

خطية ومطبوعة من ديوان كُشَّاجِمِ فلم نجده .

(٣) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه : « المحصور » بالحاء المهملة .

(٤) الجوشن : الدرع .

(٥) كذا في بيتمة الدهر للعالجي . وفي الأصلين : « مدبل » بالذال المهملة والباء الموحدة .

وقال أيضا :

مائة في النار مَضَلِيَّةٌ * يُصَيِّغُ من فَضْطِهَا عَسَجِدٌ
كأَنَّمَا جَلَدَتْهَا جَوْشَنٌ * مُزْرِفِنُ الصَّنْعَةِ أو مِبْرَدٌ

وقال عطاء بن يعقوب يصف سمكةً من رسالة يستدعى بها صديقا ، جاء

- منها : ” قد أهدى لنا صديق سمكه ، قد ليست من جلدها شبكه ؛ تُشْبِهُ حَمَلًا
شَكْلًا وَقَدًا ، أو جِرَابًا قد أمتلا زُبْدًا ؛ كأنها أرادت أن تحاربَ نِجْمَ السَّمَاءِ ،
أو حُوتَ الأَفْلاكِ ؛ فليست من جلدها جَوْشَنًا مُزْرَدًا . وسَلَّتْ من ذَنبِهَا سِيفًا
مَجْتَرِدًا “ .

وقال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب يصف سمكا : ” أتيتُ بِنَاتٍ بِيضِ

- البطون ، زُرْقِ العيون ، سُودِ المتون ، حُذْبِ الظهور ، مُعَقَّاتِ الأذنان ، صِغَارِ
الرءوس ، غِلَاطِ القصر ، عِرَاضِ السَّررِ “ .

هذا ما آتفق إيرادُه في السمكِ المُطْلَقِ . فلنذكر أصنافا من أنواع الأسماك .

ذكر شيء من أنواع الأسماك

وأنواع الأسماك كثيرة جدًا ، منها ما يعرفه الناس ، ومنها ما لم يعرفوه ، ومنها

- ما يكون في أماكن من البحار دون غيرها . وقد ذهب بعضهم أن كل حيوانٍ

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصلين : « مصلوبة » .

(٢) الزرفين (بالكسر والضم) : حلقة الباب أو هوام ، والجمع : زرافين . ومنه الحديث :
كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين إذا علقت بزرافيتها سرت وإذا أرسلت مست

الأرض ، وهو معرب كما في الصحاح .

(٣) في الأصلين : « موردًا » .

(٤) القصر : جمع قصرة وهي أصل العتق .

في البر يكون مثله في البحر . فثور في هذا الفصل ما أمكن إيرادُه ، وهو الدَّفِين ،
والرَّعَاد ، والتَّسَاح ، والسَّقَنْقُور ، والسَّلْحَفَاة ، والجَّهَّاء ، والفرس النهرى ، والجندبيدستر
والقندس^(١) ، والقائم ، والضَّفَادِع ، والسَّرَطَانُ ، وشيء من عجائب الحيوان المائى ،
على حكم الاختصار حيث تعذر الاستيعاب .

فأما الدَّفِين — وهو كالزَّق المنفوخ ، وله رأس صغير جدا . وهو يوجد
في بحر النيل يقذفه البحر الملح إليه . ويقال : ليس في دواب البحر ماله رنة^(٢) غيره ؛
فذلك يُسمع له التنفس والتفخ ، وهو إذا ظفر بالفرق كان أقوى الأسباب
في نجاته ؛ فإنه لا يزال يدفعه الى البر [حتى ينجيه] . وهو من أقوى الدواب المائية .
ولا يؤذى ولا يأكل غير السمك . وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميت .
وهو يلد ويرضع . وأولاده تتبعه حيث ذهب ؛ ولا يلد إلا في الصيف . وفي طبيعه
الأشس بالناس وخصوصا الصبيان . وإذا صيد جاءت الدلافين لقتال صائده ، فإذا
أطلقه لها أنصرفت . وأهل المراكب في البحر الفارسي إذا رأوه أستبشروا به وأيقنوا
ببلوغ الأرب سيما الغزاة .



وأما الرَّعَاد — ويكون في نيل مصر ، ولم أسمع به في غيره . وفيه من
الخاصية أنه لا يستطيع أحد من الناس أن يمسه . ومتى وضع الانسان يده عليه

(١) في الأصلين : « القندر » بالزا بدل السين ، وهو تحريف ؛ إذ القندر من أسماء الجندبيدستر ،
فلا معنى إذا تكراره . والتصويب عن مباحج الفكر وحياة الحيوان في كلاهما على « القندس » .
(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « آية » وهو تحريف .
(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

نزعها بحركته وصاح صيحةً مُنكرةً ربما دهش الإنسان لها؛ ويجد الرجل في فؤاده خفقاناً من ذلك . وهو متى وقع في شبكة الصياد ارتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب الجبل ، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرقاد .



- وأما التمساحُ — وهو أيضاً لا يكون إلا في نيل مصر؛ وزعم قوم أنه يوجد في مهران السند،^(١) لزعمهم أنه من النيل . وهو شديد البطش في الماء . وهو يعظم إلى أن ينتهي في الطول إلى عشرين ذراعاً في عرض ذراعين . ويفترس الفرس والإنسان . ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس . وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف . وهو لا يصاد إلا أن يضرب في إبطيه، ومنهما مقتله . ويقال : إنه إذا أراد السفاد نرج هو والأثني إلى البر فيقلبها على ظهرها ويستبطنها؛ فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب ليقصر يديها ورجليها ويئس ظهرها . وهي تبيض في البر، فما وقع في الماء صار تمساحاً وما بقي في البر صار سقنقورا . والتمساح يحرك فكّه الأعلى دون الأسفل، ولسانه معلق به . ويقال : إنه ليس له نخرج ، وإن جوفه إذا امتلأ نخرج إلى البر وفتح فمه فيجىء طائرٌ صغير أرقط فينقر بمنقاره ما في جوفه ويخرجه ، وذلك غذاء الطائر وراحة للتمساح .^(٢)
- ١٥ • وفي رأس هذا الطائر شوكةٌ فإذا غلق التمساح فمه عليه تحسه بها فيفتحه . ويقال : إن للتمساح ستين سنّاً وستين عرقاً ، ويسفد ستين مرةً ، ويبيض ستين بيضةً .

(١٤٩)

(١) مهران السند : نهر عظيم بالسند بقدر دجلة تجري فيه السفن ويسقي بلاداً كثيرة ويصب في البحر عند الديبل (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند) . وماؤه عذب جداً . وهو مثل النيل في الكبر وجريه

٢٠ مثل جريه ، ويرتفع على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع بأرض مصر .
(٢) غلق (بالضعيف) كأغلق ، وغلق (بالتحفيف) لفه نادرة أو رديئة متروكة .

ويوجد في جلده مما يلي بطنه سلعة كالبيضة فيها رطوبة لها رائحة كالمسك، وتقطع روائحها بعد أشهر .

ووصفه شاعر فقال :

وذي هامة كالتريس يفغر عن فم * يضم على مثل الحسام المثلم
ويقترب عن مثل المناشير ركب * على مشفر مثل القلب المهتم
مشى في شواة من فقارة غيلم * وسقف لحيا عن مناكب شيم



وأما السقنقور — ويسمى الحردون البحرى . ويقال : إنه ورل مائي .
ومنه ما هو مصرى ، وما هو هندي ، وما يتولد في بحر القلزم وبلاد الحبشة . وهو
يقتدى في الماء بالسمك وفي البر بالقطا . وأثناء تبيض عشرين بيضة وتدفيها
في الرمل ، فيكون ذلك حضنها . وجلده خشن مديج بالسواد والصفرة . وهو إذا
عض إنسانا وسبقه الإنسان إلى الماء فاعتسل منه مات السقنقور ؛ وإن سبق
السقنقور الإنسان إلى الماء مات الإنسان . وبين السقنقور وبين الحية عداوة
عظيمة ، متى ظفر أحدهما بصاحبه قتله .

وقال الشيخ الرئيس : أجود السقنقور ما صيد في الربيع وقت هيجانه .
وأجود أعضائه الشرة . وهو ينفع من العلل الباردة في العصب . وملحه يهيج الباه
فكيف لحمه ، وخصوصا لحم سريته وما يلي كليتيه وخصوصا شحمها .

(١) السلعة : زيادة تحدث في الجسد مثل القدة .

(٢) كذا في ب . وورد في أ مهمل الإجمام . ولعله يريد به أنه طول لحيا من قولم :

لحي سقف أى طويل مسترخ والمسقف كعظم : الطويل . والنيلم : السلخاة الذكر . والشيم : ذكر
القنفاذ أو ما عظم شوكة من ذكورها .



وأما السُّلْحَفَاءُ وَاللِّجَاءُ - يقال : إنَّ اللَّجَاءَ تَبْيِضُ فِي الْبَرِّ ، فَمَا أَقَامَ بِهِ سُمِّي سُلْحَفَاءً ، وما وقع في البحر سُمِّي لَجَاءً . فإِذَا مَا يَبْقَى فِي الْبَرِّ فَإِنَّهُ يَعْظُمُ حَتَّى لَا يَكَادُ الرَّجُلُ الشَّدِيدُ يَحْمِلُهُ . وقد رَأَيْتُ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ بِالْقَاهِرَةِ الْمُعَرَّبِيَّةِ سُلْحَفَاءً تَحْمِلُ الرَّجَلَ وَتَمْشِي بِهِ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى ظَهْرِهَا . وما يَنْزِلُ الْبَحْرَ يَعْظُمُ حَتَّى لَا يَكَادُ الْخَمَارُ يَحْمِلُهُ ؛ وَرَبْمَا وَجِدَ مِنْهَا مَا زَيْتُهُ أَرْبَعِمِائَةٌ رَطِيلٌ . وَتَبْيِضُ أَثْنَاءَ أَرْبَعِمِائَةٍ بَيْضَةً . وَهِيَ تَحْمَضُ بَيْضَهَا بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالرَّصْدِ لَهُ لَا غَيْرُ . وَلِلذِّكْرِ زَكَانٍ وَالثِّي فَجْرَانٍ . وَالذِّكْرُ يُطِيلُ الْمُكْتَبَ فِي السَّفَادِ . وَالْعَرَبُ تَكْنِيهَا « أُمُّ طَبِيقٍ » . وَيَزْعَمُونَ أَنَّهَا تَبْيِضُ تِسْعًا وَتَسْعِينَ بَيْضَةً ، وَتَبْيِضُ تَمَامَ الْمِائَةِ بَيْضَةً يَخْرُجُ مِنْهَا أَسْوَدٌ (أَيُّ ثَعْبَانٍ) . وَهُوَ مَوْلَعٌ بِأَكْلِ الْحَيَاتِ ؛ وَإِذَا أَكَلَ الْأَفْعَى أَكَلَ صَغِيرًا جَبَلِيًّا ؛ فَإِذَا أَكَلَ مِنْ أَكْلِ الْحَيَاتِ وَالصَّغِيرِ هَلَكَ . وَهُوَ نَحِيلٌ فِيمَا يَصِيدُهُ مِنَ الطَّائِرِ ، وَهُوَ أَنَّهُ يَصْعَدُ مِنَ الْمَاءِ وَيَتَمَرَّغُ فِي التَّرَابِ وَيَأْتِي مَوْضِعًا قَدْ سَقَطَ الطَّيْرُ عَلَيْهِ لِيَشْرَبَ ، فَيَخْفَى عَلَى الطَّيْرِ بِكُدْرَةِ لَوْنِهِ الَّتِي آكَتْسَبَهَا مِنَ الْمَاءِ وَالتَّرَابِ ، فَيَصِيدُ مِنْهَا مَا يَكُونُ لَهُ قُوَّةً وَيَدْخُلُ بِهِ الْمَاءَ فَيَمُوتُ الطَّائِرُ فَيَأْكُلُهُ .

١٥

ووصفها شاعر فقال :

وَسُلْحَفَاءُ سَمِيجٌ * سَكُونُهَا وَالْحَرَكَهَ

شَبَّهْتُهَا بِدَيْلَمِيٍّ سَاقِطٍ فِي مَعْرَكَةٍ

مُسْتَتِرٍ بِرُؤْسِهِ * عَمَّنْ عَسَى أَنْ يَهْلِكَهُ ^(١)

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « بَرَّه » . وَالتَّصْوِيبُ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ .

وقال أبو بكر الخوارزمي يصف لحاة :

بُنْتُ ماءٍ بَدَتْ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ * مِثْلَ مَا قَد طَوَى الْعَارِي سَفْرَةَ^(١)
رَأْسَهَا رَأْسَ حَيَّةٍ وَقَرَاهَا * ظَهْرُ تُرْسٍ وَجِلْدُهَا جِلْدُ صَخْرَةَ^(٢)
مِثْلُ فِهْرِ الْعَطَارِ دُقُّ بِهِ الْعِطْ * رُخِلَتْ طَرَائِقُ الطَّيْبِ ظَهْرَةَ^(٣)
يَقْطَعُ الْحَوْفَ رَأْسَهَا إِذَا مَا * أَمْتَتْهُ فِرَاسُهَا مَسْتَقْرَهُ^(٤)

وقال آخر :

لِحَى اللَّهِ ذَاتَ فِيمَ أَنْحَرِسِ * تُطِيلُ مِنَ الْعِيِّ وَسَوَاسِمَا
تَكْبُّ عَلَى ظَهْرِهَا تُرْسَهَا * وَتُظْهِرُ مِنْ جُلِّهَا فَاسِمَا^(٥)
إِذَا الْحِذْرُ أَفْلَقَ أَحْشَاءَهَا * وَضَيْقُ بِالْحَوْفِ أَنْفَاسَهَا
تَضُمُّ إِلَى تَحْرِهَا كَفِّهَا * وَتُدْخِلُ فِي جَوْفِهَا رَأْسَهَا



وأما الفرسُ النَّهْرِيُّ — وهو عظيم الجثة، وخلقته خلقُ الفرس، إلا أن وجهه أوسع؛ وله أظلاف كالبقرة؛ وذنبه مثل ذنب الخنزير؛ وصوته يُشبه صوت الفرس. وهو لا يوجد إلا في نيل مصر. وهو يخرج من الماء إلى البر، ويرعى

(١) كذا في أ وفي ب هكذا « الجادى » ولم نعين المراد منها .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وقفاها » .

(٣) الفهر : الحجر الرقيق الذى تسحق به الأدوية على الصلابة .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بخلت » بالجيم .

(٥) كذا في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٩٢ طبع بيروت) . وفي الأصلين ومباحج الفكر وحياة

الحيوان : « وتظهر من جلدها رأسها » . وقد أثرنا رواية الألفاظ الفارسية لتحاى الإبطاء الظاهر بين

البيت الثانى والرابع . والفاص : طرف مؤخر الرأس المشرف على التقفا .

الزرع . و إذا قصد الزرع لا يتدئ من أوله ، ولكنه يجوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويتدئ منها بحيث يكون وجهه إلى البحر . وهو يقتل التمساح ويقهره . وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره في البر تباشروا بزيادة النيل وكثرة الخصب . وفي سنة اثنتين وسبعائة طلع الفرس النهري إلى البر بالحيزة وأبعد عن البحر ، فحجّل عليه وقيل . وأهل الثوبة يصيدونه كثيرا ، ويتخذون من جلده سياطا يسوقون بها الإبل .



وأما الجندبيدستر — وهو السمور ، ويسمى "كلب الماء" . ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها . وهو على هيئة الثعلب ، أحمر اللون ، لا يدان له ، وله رجلان وذنب طويل ، ورأسه كراس الإنسان ، ووجهه مستدير . وهو يمشى متكئا على صدره كأنه يمشى على أربع ، وله أربع خصى : ثناتان ظاهرتان وثنان باطنان . وهو إذا رأى الصيادين يجذون في طلبه لأجل الجندبيدستر ، وهو خصيته الظاهرتان ، قطعهما فيه ورمى بهما إليهم ؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما . فإن لم يرمها الصيادون وداموا في الحد في طلبه استلقى على ظهره ليريمهم الدم ، فيعلمون أنه قطعهما فيصرفون عنه . وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنات وعوض عنهما غيرها . وفي داخل الخصية شبه الدم أو العسل زهم الراحة سريع التفرك إذا جف . ويقال : إنه يوركر على الأرض ويولد عليها ويرعى فيها ، ويهرب إلى الماء ويعتصم به ؛ ويمكنه أن يلبث في قعره حابساً لنفسه زمانا ثم يخرج [إلى الهواء] .

(١) القفجاق : قوم كانوا يعرفون بالخفشاخ غربوا إلى بلاد القسطنطينية وكان لهم ملوك كثيرة في بلاد

المغرب ففرق الترشلهم (عن تميم البلدان ص ٢٠٦ طبع أوروبا) . (٢) وكرا : اتخذ وكرا .

(٣) يقال : أولدت الشاة إذا وضعت . (٤) زيادة عن مباح الفكر .



وأما حيوان القُنْدُس والقَاقِمُ ^(١) — فالقُنْدُس يفتنِذى بالسّمك والنبات .
 ويقال: إن فيه سادةً وعبيداً؛ وإنه يتخذ مساكنَ مرتبةً على ترتيب مساكنِ الناسِ .
 والسادةُ يتخذون في بيوتهم صُففاً ^(٢) مُرتفعةً يكونون عليها، وفي أسفلها مواضع للعبيد،
 وليبوتهم أنفاقاً إلى البرِّ وأبوأبا إلى النهر . وبعضُ هذا الحيوان يُغير على بعض .
 والسادةُ لا يتكسّب، وإنما يتكسّب لها العبيد . ويُعرف جلدُ السيد من جلد العبد
 بحسن لونه وبصيصه . وأهلُ تلك البلاد يسُلخون خراطيمَ القُنْدُس والسّمور ويتعاملون
 بها كما يتعامل بالذنانير والدرهم بحيث يكون عليها ختمُ الملك . وجلدُ هذا الحيوان
 هو الذى يُعمل شرايش الأُمراء وأطواق التّشاريف ودوائرها . ^(٤)

والقَاقِمُ : حيوان يُشبه السّنجابَ إلا أنه أبردُ منه وأرطبُ ؛ ولهذا هو أبيضُ
 يقق . وهو يُجلب من بحر الخزر . وجلده يُشبه جلدَ الفَنك ^(٥) .



وأما الضفداع — وهى أصناف كثيرة، تكون من سفادٍ وغيرِ سفادٍ . وهى
 تبيض في البرِّ وتعيش في الماء . والذى من غيرِ سفادٍ يتولد من المياه الضعيفة ،
 ومن العُقونات ، وغبُّ الأمطار الغزيرة ، حتى يتوهم المتوهم أنه يسقط من السّحاب
 لكثرة ما يرى منه على الأسطحِ عقيب المطر . ويقال: إنه يُخلق في تلك الساعة .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٣ من هذا الجزء .

(٢) الصفة من البنان : شبه البهو الواسع الطويل السمك .

(٣) البصيص : البريق والمان .

(٤) الشرايش : جمع شربش (كحفر) وهو هذب الثوب .

(٥) الفنك : دابة يؤخذ منها القرو .

والضفدع من الحيوان الذى لا عظم له . وفيه ما يبتق وما ليس يبتق . وليس صوت ما يبتق من فيه ولكنه من جلود رفاق تكون إلى جانب أذنيه ؛ فإذا أراد التقيق أنفتحت فيخرج الصوت منها . وهى تطيق فى زمن الشتاء فلا تفتتح حتى يعتدل الجو .

قال الجاحظ : والضفدع لا يصبح ولا يمكث الصياح حتى يدخل حنكه الأسفل الماء ، فإذا صار في فيه بعض الماء صاح ؛ ولذلك لا تسمع للضفادع تقيقاً إذا كن خارجات من الماء . قال : والضفادع تبتق ، فإذا أبصرت النار أمسكت . وتوصف بجملة السمع إذا كانت خارج الماء . ويضرب بها المثل فى السمع والحذر ، يقال : « أهدر من ضفدع » و « أسمع من ضفدع » . وقال شاعر يصف الضفادع :

ومقعدات زانهن أرجل * كقعدة الناكح حين ينزل
* يكسبن وشياً وعيون تكحل *

وقال آخر :

دعتك فى فاضة مدرة ^(١) * ليس لها طرة ولا هذب
قد نسجت من زبرجد بجرى * بين تضاعيف نسجها الذهب
يظل صمتاً نهاره فإذا * أدركه الليل بات بصطحب
وهو وإن لم يغط مقلته * جفن ولا أمتد خلفه ذنب
يعبجنى ما أراه منه ففى * خلقته وأخلافها عجب

(١٥١)

(١) الفاضة : القميص الواسع البراق . ومدرة : يشبه وشها المدانير .



وأما السَّرَطَانُ وما قيل فيه — وهو ذوقَيْنِ وَخَالَبٍ وَأظْفَارِ حَدَادٍ،
كثيرُ الأَسنانِ، صُلْبُ الظَّهْر، سريعُ العَدْو، وعيناهُ على كَتِفَيْهِ، وقُمُهُ في صدره،
وفكاهُ مشقَّةٌ وقانٍ من جانِبَيْنِ . وله ثَمَانِي أَرْجُلٍ . وهو يمشي على جانِبٍ واحدٍ؛
ويستنشِقُ المَاءَ والهَوَاءَ مَعًا . وهو يسلُخُ جِلْدَهُ في السَّنَةِ سِتِّ مَرَاتٍ . ويتخذُ
يُجْحِرُهُ بايِنَ، أحَدُهُما إلى المَاءِ والثَّانِي إلى البَرِّ . فإذا سلَخَ جِلْدَهُ سَدَّ عَلَيْهِ ما يلي
المَاءَ خوفاً من السمكِ وترك ما يلي البَرِّ مفتوحاً؛ فإذا جَفَّتْ رطوبتُهُ وأشدَّتْ، فتح
ما يلي المَاءَ وطلب مَعاشَهُ .

قال شاعر يصفه :

في سَرَطانِ المَاءِ أَعْجوبةٌ * ظاهرةٌ لِخَلْقٍ لا تَخْفَى
مُسْتَضَعْفُ المُنَّةِ لِكَتْهِ * أَبْطَشُ من حارِبَتِهِ كَكْفَى
يُسْفِرُ لِلناظِرِ عن جِملَةٍ * متى مشى قَدْرُها نِصْفَا

وقال أبو عبيد البكري^(١) في كتابه المترجم بالمسالك والممالك : إن ببحر الصين
سَرَطاناتٍ تخرج كالذراع والشبر، فإذا صارت إلى البرِّ عادت حجارةً وأُتْقِلت عن
الحَيوانِيَّةِ؛ والأطباءُ يتخذون منها حَلًّا يجلو البياضَ .

(١) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٥٤٨٧هـ، وكان مولده سنة ٤٣٢هـ (١٠٤٠م) . وقد طبع جزء من كتابه المسالك والممالك هذا في الجزائر سنة ١٨٥٧م بعنوان "كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب" . وقد نقل إلى الفرنسية وطبع تباعاً في المجلة الأسبوعية الباريزية في سنتيها ١٨٥٨م و١٨٥٩م . وله مؤلفات كثيرة : منها "كتاب معجم ما استعجم" و"أعيان النبات والشجيرات الأندلسية" وغيرها . (راجع ترجمته بتفصيل في كتابه "التنبه على أولهام أبي علي في أماليه" طبع دار الكتب المصرية) .

ذِكْرُ شَيْءٍ مِنْ عَجَائِبِ الْحَيَوَانَ الْمَائِيَّةِ

- وعجائبُ البحرِ كثيرةٌ جدًا لا يُستغربُ ما نذكرُ منها؛ ولذلك قيل : « حدث عن البحرِ ولا حرج » . وقد حكى صاحبُ كتابِ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ وَمَنَاهِجِ الْعِبَرِ فِي كِتَابِهِ ، قال : رأيتُ في بعضِ الجوامعِ المجهولةِ أن في بعضِ البحارِ شاةٌ شعراءٌ تكونُ في البرِّ مع البهائمِ حين الرِّعي؛ فإذا فرغت من رعيها عادت إلى الماءِ، وتأكلُ السمكَ .
- قال : وذكر لها خواص . قال : وذكر بعضهم دابةً سماها "نحر الماء" ولم يُسمَّ المكانَ الذي تكونُ فيه ، وقال : إنها مثلُ ابنِ عريسٍ أو أكبرُ قليلاً ، سباحها في الماءِ بجزئها في البرِّ، لها وبرٌّ ناعمٌ تُعملُ منه ثيابُ الخرزِ، وهذا البرُّ موجودٌ تأتي به التجارُ من البحرِ الروميِّ يُباعُ بالقاهرةِ، ويُسمونه صوفَ السمكِ؛ وهو أخضرُ اللون؛ ويقال : إنه إذا طلع من البحرِ يكونُ أبيضَ يققاً، فإذا صار إلى البرِّ وأصابه النسيمُ انقلبَ إلى الخُضرةِ . وهم يَغزِلونه ويُلحِمون به الثيابَ المُسددةَ بالحريرِ، وقيمتُه لا تقصرُ عن قيمةِ الحريرِ وربما يزيدُ عليه . وأرخصُ ما أبتعتُه أنا حساباً عن وزن كلِّ مائةِ درهمٍ أربعين درهماً . وبه تُنخَقُ الأفاعيُ بمصرَ، تُقتلُ منه خيوطٌ تُسمى إذا خُتِقَ بها الأفاعيُ جبالَ الخنَاقِ ، لها نفعٌ في تحليلِ مرضِ الخنَاقِ .

١٥

ويقال : إن يبحر الروم - وربما بغيره أيضاً - حيواناً يُسمونه "بناتِ الماء" يُشبهن^(١) النساءَ، لهنَّ شعورٌ سباط^(٢)، ألوانهنَّ إلى السُّمرةِ، ذواتُ فروجٍ عظامٍ وثديٍّ، ولهنَّ فهقهةٌ وصحكٌ وكلامٌ لا يفهمُ؛ وربما يقعن لأصحاب المراكب وغيرهم

(١) في الاصلين ومباهج الفكر : « يشيون » . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٦ طبع

٢٠

بولان) : « شبيبة بالنساء » .

(٢) في الأصلين : « سبط » .

فَيَنكِحُونَهُنَّ فَيَجِدُونَ لِنِكَاحِهِنَّ لَذَّةً عَظِيمَةً ثُمَّ يَعِيدُونَهُنَّ إِلَى الْبَحْرِ . وَفِي الْبَحْرِ
 أَيْضًا أَمْثَالُ الرِّجَالِ ، يُقَالُ : إِنَّهُمْ يَظْهَرُونَ [بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَ^(١) بِالْبُرْلُسِ وَرَشِيدِ
 فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ بِمَجْلُودِ لَزِجَةٍ ، لَمْ يَبْكَأْ وَعُوِيلُ إِذَا وَقَعُوا فِي أَيْدِي النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ
 أَنَّهُمْ رُبَّمَا بَرَزُوا عَنِ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ يَتَشَمَّسُونَ فَيَقَعُ بِهِمُ الصَّيَّادُونَ] ؛ فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ^(١)
 بَكَاءَهُمْ أَطْلَقُوهُمْ رَحْمَةً لَهُمْ .

(١) زيادة عن مباحث الفكر .

الباب الثامن وهو الذيل على القسم الخامس

من الفن الثالث

(١) ويشتمل هذا الباب [على ذكر شيء مما وُصفت به آلات الصيد في البر والبحر

ووصف رُماة البندق، وما يجري هذا المجرى .

• ذكر شيء مما قيل في رُماة البندق - وما وُصفت به الجُلاهِقُ (٢)

وهو قسيّ البندق . من ذلك ما كتب به أبو إسحاق الصّابي من رسالة إلى

[أبي الفرج] (٣) محمد بن العباس [بن فُسابجُش]، جاء منها : "أقبلت رُققة الرُماة (٤)

قد برزت قبل الذُرور والشروق، وشمّرت عن الأذرع والسُوق ؛ مقلّدين خرائط (٥)

شاكلت السيوف بجائلها ونياطاتها، وناسبتّها في آثارها ونكاياتها ؛ تجلّ من البندق (٦)

الملموم ، ما هو في الصّحة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم ؛ كأنما نُحِط بالجهر، بجاء (٧)

١٥٢

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) الجلاهق : قوس تتخذ من القنا ويلف عليها الحرير وتغزى . وفي وسط وترها قطعة دائرة

تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرى .

(٣) زيادة عن رسائل الصّابي المخطوطة والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٢٧ أدب .

(٤) زيادة عن رسائل الصّابي ومباهج الفكر .

(٥) كذا في مباهج الفكر . وذرت الشمس تذر ذرورا (من باب نصر) : طلعت وظهرت . وفي الأصلين :

«الدود» ، وهو تحريف .

(٦) الذي في كتب اللغة أن النياط الذي هو معلق القوس يجمع على أنوطه ونوط .

(٧) كذا في الأصلين . ولعله يريد بالجهر الراية العليظة ، وبيئات الفهر الحجارة الصغيرة ؛

إذ الفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه، وقيل : هو الحجر ملء الكف .

كبتات الفهر؛ قد آختر طينته، ومُلك عجينه؛ فهو كالكافور المصاعد في اللس^(٢)
 والمنظر؛ وكالعبر الأذفر في الشم والخبر؛ مأخوذ من خير موطنه، مجلوب من أطيب
 معادنه؛ كافل بمطعم حامليه، محقق لآمال آمليه؛ ضامن لحمام الحمام، متناول لها
 من أبعده مرام؛ يعرج إليها وهو سم نافع، ويهبط بها وهي رزق نافع.

ومنها في وصف القيسي: "وأيديهم قيسي مكسوة بأغشية السندس، مشتملة
 منها بأحسن ملابس؛ مثل الكمة في جواشنها ودروعها، والجياذ في جلاها وقطوعها؛
 حتى إذا جردت من تلك المطارف، وأنضيت من تلك الملاحف؛ رأيت منها قدوداً
 مخطفة رشيقه، وألواناً معجبة أنيقه؛ صلبة المكسر والمعاجم، نجية المنابت والمناجم؛
 خطية الأسماء والمناسب، سهرية الأعراق والمناصب؛ ركبت من شظايا الرماح
 الداعسة، وقرون الأوعال الناخسة؛ فحازت الشرف من طرفيها، وأستولت عليه

(١) ملك العجين: مجته فأنم مجته وأجاده .

(٢) الكافور: هو صمغ شجر ولونه أحمر ملع أو أسمر، وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد . وهو
 يوجد في أجواف قلب الخشب في خروق فيها عمدة مع طولها، وهو أنواع، ويكون على قدر الدرهم أو اللوز
 أو الحصى أو النول أو العدس . وهو مختلط فيه شظايا من خشب الكافور . وتصفى هذه الكواوير كلها بالصعيد
 فيخرج منها كافور أبيض صفائح يشبه في شكله صفائح الزجاج التي يصعد فيها .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « فيها » .

(٤) الجلال : جمع جل (بالضم) وهو اللدابة كالثوب للإنسان تصان به . والقطوع : جمع قطع
 (بالكسر) وهو ضرب من الثياب الموشاة .

(٥) في الأصلين : « انبضت » ، وهو تحريف .

(٦) قدود مخطفة : ضامرة قليلة لحم الجنب .

(٧) يقال : فلان صلب المكسر والمعجم إذا كان قويا شديدا عند المختبر .

(٨) الوعل الناخس : هو الذي نخس قرناه استه من طولها . وفي الأصلين : « الباخسة » (بالباء

الموحدة) ، وهو تصحيف .

- بِكُنْتَا يَدَيْهَا ؛ قَدْ أَنْخَبَتْ أَنْخَاءَ الْمَشِيخَةِ النَّسَاكِ ، وَصَالَتْ صِيَالَ الْفِتْيَةِ الْفُتَاكِ ؛
 وَأَسْتَبَدَلَتْ مِنْ قَدِيمِهَا فِي عِزِّ الْفَوَارِسِ ، بِجَدِيثِهَا مِنْ نَقِيسِ الْمَلَابِسِ ؛ وَأَتَقَلَّتْ مِنْ
 جِدِّهَا فِي طِرَادِ الْمَغَارَاتِ ، إِلَى هَزْلِهَا فِي طَرْدِ الْمُسْهَرَاتِ ؛ ظَوَاهِرُهَا صَفْرٌ وَارِسُهُ ،
 وَدَوَاخِلُهَا سُودٌ دَامِسُهُ ؛ كَأَنَّ شَمْسَ أَصِيلٍ طَلَعَتْ عَلَى مُتُونِهَا ، أَوْ جَنَحَ لَيْلٍ أَعْتَكِرَ
 فِي بَطُونِهَا ؛ أَوْ زَعْفَرَانًا جَرَى فَوْقَ مَنَاكِبِهَا ، أَوْ غَالِيَةً جَمَدَتْ عَلَى تَرَائِبِهَا ؛ أَوْ قَضِبَانَ
 فِضَّةٍ أَذْهَبَ شَطْرُهَا وَأَحْرَقَ شَطْرَ ، أَوْ حَبَاتٍ رَمَلٌ أَعْتَقَ السُّودَ مِنْهَا صَفْرًا .^(٦)

وجاء منها في وصف الوتر :

- ”فَلَمَّا تَوَسَّطُوا تِلْكَ الرَّوْضَةَ ، وَأَنْشَرُوا فِي أَكْخَافِ تِلْكَ الْفَيْضَةِ ؛ وَثَبَّتَ لِلزَّمِيِّ
 أَقْدَامُهُمْ ، وَشَخَّصَتْ لِلطَّيْرِ أَبْصَارَهُمْ ؛ وَتَرَوْهَا بِكُلِّ وَتَرٍ فَوْقَ سَهْمِهِ مِنْهُ ، وَهُوَ مَفَارِقٌ
 لِلسَّهْمِ وَخَارِجٌ عَنْهُ ؛ مُضَاعَفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ وَتَرَيْنِ ، كَأَنَّهُ شَخْصٌ ذُو جَسَدَيْنِ ، أَوْ عِنَاقٌ ضَمَّ^(٧)
 ١٠

(١) في مباحج الفكر : « هز الفوارس » بالهاء .

(٢) المغارات : جمع مفارة (بفتح الميم وضمها) : مصدر بمعنى الغارة . والطراد : أن يحمل الأقران بعضهم على بعض ، ويقال : هم فرسان الطراد .

(٣) كذا في مباحج الفكر . والطراد : الصيد . والمسهرات : طيور يلتذ بها كل من يسهمها ويسهر

عليها ولا يشتهي النوم من لذة سماعها . وفي الأصلين : « طرد المستنزعات » .

(٤) أورس الشيء : اصفر فهورارس ، وهو من النوادر ، ويقال : مورس .

(٥) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « تراميا » .

(٦) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أعتق السود منها صفرا » .

(٧) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أب » ، وهو تحريف .

(٨) وتره : أدركه بمكره وأصابه .

(٩) كذا في الأصلين . ولعله يريد « أوقف سهمه منه » أو « فبق سهمه منه » . فانه يقال : فقت

السهم وأوقفته إذا وضعته في الوتر لترى به .

(١٠) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « عنانا » ، وهو تحريف .

ضجيعين؛ في وسطه عينٌ كَشْرَجَةٍ كَيْسٍ مَخْتومٍ، أو سُرَّةٌ بطنٍ تَحْمِيصٍ مَهْضومٍ؛ تروغُ قلب الطير بالإنْبَاضِ، وتُصِيبُ منها مواقعَ الأَغْرَاضِ .“

وقال ضياءُ الدين بن الأثير الجزريّ من رسالة في وصف القسيّ . وذكر الرّماة، جاء منها :

”وإذا تناولوها بأيديهم قلت: أهلةٌ طالعةٌ في أكفٍ أقمار، وإذا بُئِلَ غنَاؤها وغاناؤهم قلت: منايا مسوفةٌ في أيدي أقدار؛ وتلك قسيٌّ وُضِعَتْ لِلْعَبِّ لا لِلنِّضَالِ، ولرَدَى الطير لا لردى الرجال . فإذا نعتها ناعتٌ قال: إنها جمعت بين وصفي اللين والصلابة، وصيغت من نوعين غريبين فحازت معنى الغرابه؛ فهي مركبةٌ من حيوان ونبات، مؤلفةٌ منهما [على] بُند الشّتات؛ هذا من سكان البحر وسواحله، وهذا من سكان البر ومجاهله . ومن صفاتها أنها لا تلتصق من البطش إلا حين تُسَدَّدُ، ولا تتطابق في شأنها إلا حين تُعَطَّفُ وتردّ . ولها بناتٌ أحكم تصويرها، وصحح تدويرها؛ فهي في لونها صندلية الإهاب، وكأنها صيغت لقوتها من حجر لا من تراب؛ فإذا حَدَفَها نحو الأطيّار [أحد]، قيل: وتصدّعت من الأرض من جبال فيها من بردٍ، فلا ترى حينئذٍ إلا قتيلا بالمتقل الذي لا يجب في مثله من قود؛ فهي كافلةٌ من تلك الأطيّار بقبض نفوسها، ومنزلةٌ لها من السماء على أم رء وسها“ .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « مسوفة » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وصبت لونين غريبين » .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « فأوجد منها نحو الأطيّار فند وتصدد... الخ » ، والتعريف

ظاهر في العبارة .

(٥) لعل هذه الكلمة أو ما في معناها ساقطة من العبارة .

ومن إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب —
 أمتع الله ببقائه، وزاد في علوه وأرتقائه — رسالة في رمى البندق، وصف فيها الرّماة،
 ومواضع الرّمي ووقته، والقسيّ، وأفعال الرّماة، وجميع طير الواجب، لم أفف فيما
 طالعه لمتقدّم ولا متأخّر [علي] أجمع لهذا الفن منها؛ وهي مما يستعين بها الكاتب
 على إنشاء ما يقصده من قديم البندق في أي نوع أراد من طير الواجب. وقد أوردتها
 بجملتها؛ لحسن التثامها، وأتساق نظامها؛ وجودة ترتيبها، وبديع تهذيبها. وهي :

١٥٣

”الرياضة — أطال الله بقاء الجناب الفلاني، وجعل حبه كقلب عدوه واجبا،
 وسعده كوصف عبده للساّر جالبا وللضاز حاجبا — تبعث النفس على مجانية الدعة
 والسكون، وتصونها عن مشابهة الحائم في الركون إلى البكون؛ وتحضها على أخذ
 حظها من كل فنّ حسن، وتحضها على إضافة الأدوات الكاملة إلى فصاحة اللّسن؛
 وتأخذ بها طوراً في الحدّ وطوراً في اللّعب، وتضرفها في ملاذّ السموّ في المشاقّ التي
 يستروح إليها التّعب؛ فتارة تحمل الأكارب والعظاء في طلب الصيد على مواصلة
 السّرى، ومقاطعة الكرى؛ ومهاجرة الأوطار، ومهاجمة الأخطار؛ ومكابدة المواجر،

- (١) طيور الواجب أربعة عشر طائرا وهي على ضربين : الضرب الأوّل طيور الشتاء وهي التي يكثر
 وجدانها فيه وهي عشرة طيور : الكركي، والإوز، والفلنج، والحبرج، والتم، والناز، والققاب،
 والنسر، والأنيسة . والضرب الثاني طيور الصيف وهي التي يكثر وجودها فيه، وهي أربعة أطيّار: الكي،
 والفرنوق، والمرزم، والشبيط. (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٢) . (٢) زيادة يقتضها السياق.
 (٣) قدم : جمع قديمة (بكر القاف وسكون الدال المهملة) وهي رسائل تشتمل على حال الرمي
 بالبندق وأحوال الرّماة وأسماء طير الواجب واصطلاح الرّماة وشروطهم . (راجع صبح الأعشى ج ١٤
 ص ٢٨٢) . (٤) الوكون : جمع وكن، وهو عش الطائر في جبل أو جدار .
 (٥) المواجر: جمع هاجرة، وهي نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من زوالها
 إلى العصر، لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

ومبادرة الأوابد التي لا تُدرَك حتى تبلغُ القلوبُ الحناجر؛ وذلك من محاسن أوصافهم التي يَدْمُ المَعْرِضُ عنها، وإذا كان المقصودُ من مثلهم جدَّ الحرب فهذه صورةُ لَبِ يُجْرَجُ إليها منها؛ وتارةً تدعوهم إلى البروز إلى المَلَقِ^(١)، وتحذوهم في سلوكِ طريقها مع من هو دونهم على ملازمة الصدق ومجانبة المَلَقِ؛ فيعتسفون إليها الدجى، إذا سَجَى؛ ويقتحمون في بلوغها حرقُ النهار، إذا أُنْهَارَ؛ ويتعمنون بوغناء السيفر، في بلوغِ الطَّفْرِسِ؛ ويستصغرون ركوبَ الخطرِ، في إدراكِ الوَطْرِ؛ ويؤثرون السهر على النوم، وألَّيلةً على اليوم؛ والبندق على السهام، والوحدة على الأكتام .

ولما عدنا من الصيد الذي اتصل بعلمه حديثه، وشرح له قديم أمره وحديثه؛ تقنا إلى أن نَشَقَّ صيدَ السَّوَانِحِ برمى الصوادح، وأن نفعل في الطير الجوانح بأهتلة القسي ما تفعل الجوارح؛ تفضيلاً لملازمة الأرتحال، على الإقامة في الرِّحال؛ وأخذاً بقولهم:

لا يُصلِحُ النفسَ إذ كانت مُدَبَّرَةً * إلا التَّنْقُلُ من حَالٍ إلى حَالٍ

فبرزنا وشمسُ الأصيلِ تجود بنفسها، وتَسِيرُ من الأفقِ للغربى إلى جانب رَمْسِهَا؛ وتُغَاوِزُ عيونَ النُّوَارِ بِمُقَلَّةِ أَرْمَدٍ، وتنظر إلى صفحات الوردِ نظرَ المريضِ إلى وجوه العُودِ؛ فكأنها كئيْبٌ أضْحَى من الفِرَاقِ على قَرَقٍ، أو عليلٌ يقضى بين صَحْبِهِ بقايا مَدَّةِ الرَّمَقِ؛ وقد أَخْضَلَّتْ عيونُ النُّورِ لوداعها، وهم الروضُ مجلَعُ حَلَّتِهِ^(٤) المُمُوْهَةِ بذهبِ شُعَاعِهَا .

(١) الملق: الصفوح اللينة الملتفة من الجبل، واحدها ملقة، وقيل: هي الآكام المقرشة .

(٢) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل إلى صناعة الترسل: «جرف» .

(٣) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . والرحال: جمع رحل وهو المنزل والمأوى .

وفي الأصلين: «الارتحال»، وهو تحريف .

(٤) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين: «وهم الروضة نخلع ...» .

- والطلُّ في أعين التُّوارِ تحسبه * دمعاً تحير لم يرقاً ولم يكف
 كؤلؤ ظلِّ عطفِ الفصن مئشحا * يعقده وتبدي منه في شنف^(١)
 يضم من سندس الأوراق في صرر * خضير ويحباً من الأزهار في صدف
 والشمس في طفل الإساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفي
 كعاشقٍ سار عن أحبابه وهفاً * به الهوى قراءهم على شرف
 إلى أن نضا المغربُ عن الأفق ذهبَ قلائدها ، وعوضه عنها من النجوم بخدمها
 وولادتها ؛ فليثنا بعد أداء الفرض لبث الأهل ، ومنعنا جفوننا أن ترد النوم^(٢)
 إلا نحلها ؛ ونهضنا وبرد الليل موشع ، وعقدُه مرصع ؛ وإكليله مجوهر ، وأديمه
 معتبر ؛ وبدره في خدر سراره مستكن ، وبقره في حشبي مطالعه مستعجب ؛ كأن
 أمتراج لونه بشفق الكواكب خليطاً مسك وصندل ، وكان ثرياً لامتداده معلقة
 بأمراس تكان إلى صم جندل .

ولاحت نجوم الليل زهراً كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم^(٥)
 مخلقة في الجوت تحسب أنها * طيور على نهر المجزة حوم
 إذا لاح بازي الصبح ولت يؤمها * إلى الغرب خوفاً منه نسر ومرزم^(٦)

- ١٥ (١) الشنف (بالفتح ، ولعله حرك هنا لضرورة الشعر) : الذي يلبس في أعلى الأذن ، والذي في أسفلها يقال له قرط ورمعة ، وقيل : القرط والشنف سواء .
 (٢) الولائد : جمع وليدة وهي الصبية والأمة .
 (٣) وشع الثوب : أعطه .
 (٤) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « معفر » .
 (٥) الخود : الفتاة الحسناء الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً .
 ٢٠ (٦) كذا في مسيح الأعشى . وفي أ : « نوقها » . وفي ب : « نومها » بالنون ، وكلاهما تحريف . والنسر : كوكب وهما اثنان يقال لأحدهما : النسر الواقع ، وللآخر : النسر الطائر . والمرزمان : نجمان مع الشعر بين .

إلى حدائق ملتفه ، وجداول مُحْتَفِه ؛ إذا جَمَسَ النَّسِيمُ غُصُونَهَا أَعْتَقَتْ اِعْتِنَاقَ
 الأَحْبَابِ ، وَإِذَا فَرَّكَ مِنَ المِيَاهِ مَتُونَهَا أَنْسَابَتْ فِي الجَدَاوِلِ أَنْسِيَابَ الحُبَابِ ،
 وَرَقَصَتْ فِي المَنَاهِلِ رَقَصَ الحِبَابِ ؛ وَإِنْ لَمْ تَغُورْ نُورَهَا حَيْثُ بِأَنْفَاسِ المَعشُوقِ ،
 وَإِنْ أَيْقَطْ نَوَاعِسَ وَرُقِيهَا غَتَّهُ بِأَلْحَانِ المَشُوقِ ؛ فَنَسِيمُهَا وَإِنْ ، وَشَمِيمُهَا لَعْرَفَ الحِنَانِ
 عُنْوَانَ ، وَوَرْدُهَا مِنْ سَهَرِ نَرِجِسِهَا غَيْرَانَ ، وَطَلُّهَا فِي خُدُودِ الوَرْدِ مَنبَثٌ وَفِي طُرُرِ
 الرِّيحَانِ حَيْرَانَ ؛ وَطَائِرُهَا غَرْدٌ ، وَمَاؤُهَا مُطْرِدٌ ؛ وَغُصْنُهَا تَارَةٌ يَعْطِفُهَا النَّسِيمُ إِلَيْهِ
 فَيَنْعِطِفُ ، وَتَارَةٌ يَمْتَدِلُ تَحْتَ وَرْقَانِهِ فَتَحْسِبُ أَنَّهَا هَمَزَةٌ عَلَى أَلْفٍ ؛ مَعَ مَا فِي تِلْكَ
 الرِّيَاضِ مِنْ تَوَافُقِ الحَاسِنِ وَتَبَايُنِ التَّرْتِيبِ ؛ إِذْ كَلَّمَا أَعْتَلَّ النَّسِيمُ صَحَّ الأَرَجُ وَكَلَّمَا نَحَرَ
 المَاءُ شَمَخَ القَضِيبُ .

فَكَأَنَّما تِلْكَ الغُصُونُ إِذَا تَنَّتْ * أَعْطَافَهَا رَسَلُ الصَّبَا أَحْبَابُ
 فَلَهَا إِذَا افْتَرَقَتْ مِنْ أَسْتَعْطَافِهَا * صُلُحٌ وَمِنْ سَجِجِ الحَمَامِ عِتَابُ
 وَكَأَنَّهَا حَوْلَ العَيُونِ مَوَاسِيًا * شَرِبٌ وَهَاتِيكَ المِيَاهُ شَرَابُ
 فَغَدِيرُهَا كَأَنَّهَا وَعَدْبُ نِطَافِهَا * رَاحٌ وَأَضْوَاءُ النُّجُومِ حَبَابُ

تُحِيطُ بِمَلَقِي نِطَافِهَا صَافٍ ، وَظِلَالِ دُوحِهَا ضَافٍ ، وَحِصَاها لِصَفَاءِ مَائِهَا فِي نَفْسِ
 الأَمْرِ رَاكِدٌ وَفِي رَأْيِ العَيْنِ طَافٌ ؛ إِذَا دَغْدَغَها النَّسِيمُ حَسِبَتْ مَاءَها بِجَمَائِلِ الظَّلَالِ
 فِيهِ يَتَبَرَّجُ وَيَمِيلُ ؛ وَإِذَا أَطْرَدَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ الصَّبَا ظَنَنْتْ أَيْاءَ تِلْكَ الغُصُونِ

(١) الحباب (بالضم) : الحبة .

(٢) الحباب (بالكسر) : القرط من حبة واحدة .

(٣) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « منبت » .

(٤) في صحيح الأعشى : « ربح الصبا » .

(٥) النطاف : جمع نطفة ، وهي القليل من الماء ، وقيل : هي الماء الصافي قل أو أكثر .

(٦) دغدغها : جشمها وزغزغها .

فيه تارة تتجوج وتارة تسيل ؛ فكانه محب هام بالتصون هوى فتلها في قلبه ، وكان
النسيم يكلف بها غار من دُنُوها إليه فيلها عن قربه .

والسرو مثل عرائس * لفت عليهم الملاء

شمرن فضل الأزر عن * سوق خلاخلهن ماء

والنهر كالمراة تب * صر وجهها فيه السماء

وكان صواف الطير الميضة بتلك الملق خيام ، أو طباء بأعلى الرقتين قيام ،
أو أباريق فضة رعوسها لها فِدام^(٢) ، ومناقيرها الحمرة أوائل ما أنسكب من المدام ؛
وكان رقابها رماح أستبها من ذهب ، أو شموع أسود رعوسها ما أنظفا وأجره^(٣)
ما ألتب . وكما كالطير الجليل عده ، وكطراز العمر الأول جده .

١٠ من ككل أبلج كالنسيم لطافة * عف الضمير مهذب الأخلاق
مثل البذور ملاحه وكعمرها * عددًا ومثل الشمس في الإشراق

ومعهم قيسى كالغصون في لطافتها ولينها ، والأهلة في تحافتها وتكونها ،
والأزاهر في تراقفتها وتلوتيتها ؛ بطونها مدبجة ، ومتونها مدرجة ؛ كأنها الشؤلة^(٤)
في أنعطائها ، أو أرواق الطباء في آلتفافها ؛ لأوتارها عند القوادم أوتار ، ولبنادقها^(٥)

١٥ (١) الصواف من الطير : هي التي تصف أجنتها فلا تحركها .

(٢) الفدام (بالفتح وبالكسر) : المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصنى به ما فيه .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وقد وردت في الأصلين محذرة .

(٤) كذا في مسالك الأبحار ج ٨ قسم أول ص ١١٨ من النسخة القتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة . وفي الأصل وصبح الأعشى : « كأنها كواكب الشؤلة الخ » . والشؤلة :

٢٠ إحدى منازل القمر في برج العقرب ، وهي كوكبان نيران متقابلان ينزلها القمر ، يقال لها : حمة العقرب .

(٥) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « الظبي » .

(٦) أوتار : جمع وتر (بالكسر ويفتح) وهو الذحل أو الظم فيه . وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل .

في الخواصل أوكار؛ إذا أنتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه، وإن أنبضت لرمى^(١)
بدا لها أنها أحق به ممن يصيبه . ولعل ذلك الصوت زجر لئلا يندفعها أن يبطن^(٢)
في سيره ، أو يتخطى الغرض إلى غيره ؛ أو وحشة لمفارقة أفلاذ كيدها، أو أسف^(٣)
على خروج بنينا عن يدها ؛ على أنها طالما نبذت بنينا بالعرءاء، وشفعت لخصمها
التحذير بالإغراء .

مثل العقارب أذنا بامعقدة * لمن تأملها أو حقق النظر
إن مدها قرم منهم وعائنه * مسافر الطير فيها أو نوى سفر^(٤)
فهو المسمى اختيارا إذ نوى سفرًا * وقد رأى طالعا في العقرب القمر

ومن البنادق كرات متفقة السرد ، متحدة العكس والطرْد ؛ كأنما خرطت من
المتدل الرطب أو مجئت من العنبر الورد ؛ تسرى كالشهب في الظلام ، وتسبق^(٥)
إلى مقاتل الطير مسددات السهام .

مثل النجوم إذا ما سرن في أفق * عن الأهلة لكن نونها راء^(٦)
مافاتها من نجوم الليل إن رُمقت * لإثبات يرى فيها وأضواء^(٧)

(١) أنبض الرامى القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوت . وأنبض بالوتر : جذبه ثم أرسله
ليرن وأنبض الوتر : جذبه بغير سهم ثم أرسله .

(٢) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « بدت لها أنها أحق بها من نصيبه » .

(٣) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « أولاد كيدها » وهو تحريف .

(٤) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « وأبرى » .

(٥) المتدل : العود ، وقيل : أجوده .

(٦) يريد أن « النجوم » إذا أبدلت بنونها راء صارت « رجوما » .

(٧) في الأصلين : « سوى ثبات » . ويرتب عليه أن يكون في الشعر إقواء . والتصويب عن

صبح الأعشى وحسن التوسل .

تَسْرِي وَلَا يَشْعُرُ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ بِهَا * كَانَتْهَا فِي جَفُونَ اللَّيْلِ إِغْفَاءً
 وَتَسْمَعُ الطَّيْرَ إِذَا تَهْفُو قَوَادِمُهُ * خَوَافِقًا فِي الدِّيَابِجِ وَهِيَ صَمَاءٌ
 تَصُونُهَا جِرَاوَةٌ كَانَتْهَا جُرْجُ دُرَّرٌ ، أَوْ دُرْجُ غُرَّرٍ ، أَوْ كِيَامَةٌ تَمَرٌ ، أَوْ كَانَتْهُ نَيْلٌ ،
 أَوْ حَمَامَةٌ وَبَيْلٌ ، حَالِكَةٌ الْأَدِيمِ ، كَأَنَّهَا رُقِيَتْ بِالشَّفَقِ حَلَةً لَيْلَهَا الْبَهِيمَ .
 كَانَتْهَا فِي وَصْفِهَا مَشْرِقٌ * تَنَبَّثُ مِنْهُ فِي الدُّجَى الْأَنْجِيمُ^(٢)
 أَوْ دِيمَةٌ قَدْ أَطْلَعَتْ قَوْسَهَا * مُلَوَّنًا وَأَنْبَثَقَتْ تَسْجِمُ^(١)
 فَاتَّخِذْ كُلَّ لَهُ مَرْكَزًا ، وَتَقَاضَى مِنْ الإِصَابَةِ وَعَدَا مُنْجَزًا ، وَصَيَّنَ لَهُ السَّعْدُ
 أَنْ يُصْبِحَ لِمُرَادِهِ مُحْرَزًا .

100

كَانَتْهُمْ فِي يَمِينِ أفعالهم * فِي نَظَرِ الْمُنْصِيفِ وَالْجَاهِدِ

قَدْ وُلِدُوا فِي طَالِعٍ وَاحِدٍ * وَأَشْرَقُوا فِي مَطْلِعٍ وَاحِدٍ

فَسَرَتْ عَلَيْنَا مِنَ الطَّيْرِ عِصَابُهُ ، أَظَلَّتْنَا مِنْ أَجْنَحَتِهَا سَجَابُهُ ؛ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ أَفْلَعُ
 يَرْتَادُ مَرْتَعًا ، فَوْجِدُ وَلَكِنْ مَضْرَعًا ، وَأَسْفُ بِنِغْيِ مَاءٍ جُمَامًا فُورِدُ وَلَكِنْ السَّمُّ مُنْتَقَعًا ،
 وَحَاتِقُ فِي الْفَضَاءِ يَتَنَفَى مُلْعَبًا فَبَاتَ هُوَ وَأَشْيَاءُهُ مُجْبَدًا لِلْقَيْسِيِّ وَرُكَّعًا ؛ فَتَبَرَّكَ بِذَلِكَ
 الْوَجْهَ الْجَمِيلِ ، وَتَدَارَكْنَا أَوْائِلَ ذَلِكَ الْقَبِيلِ .

١٥ (١) الجراوة : آلة من جلد يجعل فيها البندق الطين الذي يرمى به عن الجلاهيقي (انظر ما كتب عن
 الجلاهيقي في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٤ من هذا الجزء) .
 (٢) كُتِبَ فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ (ص ١٠٥) . وَالْجُرْجُ : وَغَاءٌ مِنْ أَوْعِيَةِ النِّسَاءِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ :
 « دَرَجٌ » .

(٣) كَذَا فِي صَبْحِ الْأَعْيُنِ . وَفِي أ : « فِيهَا » . وَفِي ب : « مِنْهَا » .

٢٠ (٤) سَفُّ الطَّائِرِ وَأَسْفُ : دَنَا مِنَ الْأَرْضِ فِي طَيْرَانِهِ حَتَّى كَادَتْ رِجْلَاهُ تَصِيْبَانِهَا .

(١) فَاسْتَقْبِلْ أَوْلَانَا "نَمًّا" تَمَّ بَدْرُهُ، وَعَظُمَ فِي نَوْعِهِ قَدْرُهُ؛ كَأَنَّهُ بَرَقَ كَرَعٍ فِي غَسَقٍ؛
 أَوْ صَبَحَ عَطْفٍ عَلَى بَقِيَّةِ الدُّجَى عَطْفَ النَّسَقِ؛ تَحَسُّبِهِ فِي أَسْدَافِ الْمُنَى غُرَّةَ
 نُبُحْ، وَتَحَالَهُ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى طُرَّةَ صُبْحٍ؛ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيَاضِ حَلَّةٌ وَقَارٌ، وَهُوَ كُرَّةٌ
 مِنْ عَنَبٍ فَوْقَ مِثْقَالٍ مِنْ قَارٍ. لَهُ عُنُقٌ ظَلِيمٌ، وَاللَّفْأَتَةُ رِيمٌ، وَسُرَى غَيْمٍ يُصَرِّفُهُ
 نَسِيمٌ.

كَلَوْنِ الْمَشِيبِ وَعَضْرُ الشَّبَابِ * وَوَقْتِ الْوِصَالِ وَيَوْمِ الظَّفَرِ
 كَأَنَّ الدُّجَى غَارٌ مِنْ لَوْنِهِ * فَأَمْسَكَ مِثْقَالَهُ ثُمَّ فَزَرَ
 فَارْسَلْ إِلَيْهِ عَنِ الْمَلَالِ نَجْمًا، فَسَقَطَ مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ نَجْمًا؛ فَاسْتَبَشَرَ
 بِنَجَاحِهِ، وَكَبُرَ عِنْدَ صِبَاغِهِ، وَحَصَّلَهُ مِنْ وَسَطِ الْمَاءِ بِجَنَاحِهِ.

وتلاه "كُكِّي" نَقِيَّ اللَّبَاسِ، مُشْتَعِلُ شَيْبِ الرَّاسِ، كَأَنَّهُ فِي عَرَائِنِ شَيْبِهِ
 لَاوَيْلَهُ كَبِيرٌ أُنَاسٌ؛ إِنْ أَسْفَ فِي طَيْرَانِهِ فَعَمَامٌ، وَإِنْ خَفَقَ بِجَنَاحِهِ فَقَلَعٌ لَهُ بِيَدِ النَّسِيمِ
 زِمَامٌ؛ ذُو غَيْبَةٍ كَالْحِرَابِ وَمِثْقَالٍ كَالْحِرَابِ، وَلَوْنٌ يَغْتَرُّ فِي الدُّجَى كَالنَّجْمِ وَيَحْدَعُ
 فِي الضَّحَى كَالسَّرَابِ؛ ظَاهِرُ الْمَرَمِ، كَأَنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَيُحَدِّثُ عَنْ إِرَامٍ.
 إِنْ عَامَ فِي زَرْقِ الْغَدِيرِ حَسِبْتَهُ * مُبَيَّضٌ غَيْمٍ فِي أَدِيمِ سَمَاءِ

(١) التَّمُّ (ضَحُّ النَّاءِ وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ) : طَائِرٌ فِي قَدْرِ الْإِرْزِ أَبْيَضُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْعُنُقِ أَحْمَرُ الْمَنْقَارِ
 وَهُوَ أَكْبَرُ طَيُورِ الْوَجَابِ وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا . (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى ج ٢ ص ٦٤) .
 (٢) كَذَا فِي صَبْحِ الْأَعَشَى وَحَسَنُ التَّوَسُّلِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الرَّجَاءُ » بِالرَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيْفٌ .
 (٣) الْكَيِّ (بِضْمِ الْكَافِ) : أَحَدُ طَيُورِ الْوَجَابِ ، وَهُوَ مِنْ طَيُورِ الصَّيْفِ الَّتِي يَكْتَثُرُ وُجُودُهَا فِيهِ .
 وَهُوَ طَيْرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ إِلَى الْبَيَاضِ أَحْمَرُ الْمَنْقَارِ وَالْحَوْصَلَةُ رِجْلَاهُ تَضْرِبَانِ إِلَى السَّوَادِ . (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى
 ج ٢ ص ٦٦) . (٤) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَحْمَرَ الْقَيْسِ :

كَانَ ثَيْرًا فِي عَرَائِنِ وَبَلَهْ * كَبِيرٌ أُنَاسٌ فِي بَجَادِ مَزْمَلِ

(٥) الْغَيْبَةُ : الْهَمُّ الْمَتَدَلِّ تَحْتَ الْخَنْكِ مِنَ الدِّيَكِ وَالْبَقْرِ .

أوطار في أفق السماء ظننته * في الجؤ شيخاً عائماً في ماء
متناقض الأوصاف فيه خفة آل * جهال تحت رزاة العلماء
فنتى الشاني إليه عنان بُدِّقه ، وتوخاه فيما بين رأسه وعُنقه ، فخرَّ جرد أنقض
عليه نجمٌ من أفقه ؛ فتلقاه الكبيرُ بالتكبير ، وأختطفه قبل مصاحفته الماء من وجه
الغدير .

وفارنته "إوزة" حلتها دكاء ، وحليتها حسناء ؛ لها في الفضاء مجال ، وعلى
طيرانها خفة ذوات التبرج وخفر ربات المجال ؛ كأنما عبت في ذهب ، أو خاضت
في لَب ؛ تَحْتَالُ في مشيتها كالكاعب ، وتثأني في خَطْوِها كاللاعب ؛ ^(١) وتَعْطُو بِجِيدها
كالظبي الغرير ، وتبدافع في سيرها مَشَى القِطَاةِ إلى الغدير .

- ١٠ إذا أقبلت تمشي نَفْطَرَةٌ كاعب * رَدَّاج وإن صاحت فصولُهُ حازم ^(٢)
وإن أقلمت قالت لها الريح ليت لي * خفا ذى الخوافي أو قوى ذى القوادم
فأنعم بها في البعد زاد مسافر * وأحسن بها في القرب مُخْفَةٌ قادم
فلوى الثالث جِده إليها ، وعطف بوجه قوسه عليها ؛ فلجَّت في ترفُّعها مُعْنِسه ،
ثم نزلت على حُكْمه مُدْعِنه ؛ فأعجلها عن استكمال الهبوط ، وأستولى عليها بعد
استمرار القنوط .

١٥

(١) لعلها اللاعب (بالعين المعجمة) ، وهو الذي أعبا من التعب فيتأني في خطوه تعبا .

(٢) الرداج : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين : « خادم » بالخاء المعجمة والداد المهمله ، وهو

وحاذتها "لعلغة" ^(١) تنحكي لونَ وشيها ، وتصفُ حُسنَ مَشِيها ؛ وتربي عليها
بغزتها ، وتنافسها في المحاسن كضرتها ؛ كأنها مدامة ^(٢) قُطبتَ بمائها ، أو غمامة ^(٣) شفتُ
عن بعض نجوم سماها .

بِغزَةٍ بيضاءَ ميمونةٍ * تُشْرِقُ في اللَّيْلِ كبدِرِ الأتَمِّامِ
وإن تبدت في الضحى حلتها * في الحلة الدكاء بَرَقَ الغمامِ

فنهض الرابعُ لأستقبالها ، ورماها عن فلكِ سعده بنجم وبالها ؛ فجذت في العلو ^(٤)
مُغذِّه ، وتطاردت أمامَ بُدقيه ولولا طرادُ الصَّيدِ لم تكْ لذه ؛ وانقضَّ عليها من يده
شهابُ حَتفها ، وأدركها الأجلُ لِحفة طيرانها من خلفها ؛ فوقعت من الأُفق في كفه ،
وقر ما في بقايا صفها عن صفه .

(١٥٦)

وأنت في أثرها "أنيسة" ^(٥) آنسه ، كأنها العذراء العائسه ، أو الأدماء الكائسه ؛
عليها خضر الأوبكار ، [وَحِفَّةُ ذَوَاتِ الأوكار] ^(٦) وحلاوة المعاني التي تُجلى على الأفكار ؛
ولها أنس الرِّيب ، وإدلال الحبيب ، وتلفتُ الزائر المريب ، من خوف الرقيب ؛
ذاتُ عنق كالإبريق ، أو العُصنِ الوريق ، قد جمع صُفرة البهار إلى حمرة الشقيق ؛
وصدر بهي الملبوس ، شبي إلى النفوس ، كأنما رُقم فيه النهار بالليل أو نُقش فيه
العاج بالآبنوس ؛ وجناح يُنجيها من العطب ، يحكي لونه المنديل الرطب إلا أنه حطب .

مُدبِجَةُ الصِّدْرِ تَقْوِيْفُهُ * أَضَافُ إِلَى اللَّيْلِ ضَوْءَ النَّهَارِ
لَهَا عُنُقٌ خَالَهُ مَنْ رَأَاهُ * شَقَائِقُ قَدْ سَبِجَتْ بِالْبَهَارِ ^(٧)

- (١) قطبت : مزجت . (٢) مدامة : مسرة . (٣) في الأصلين :
« بحفة » ؛ وهو تحريف . (٤) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين : « من » .
(٥) الكائسة : التي دخلت في كتابها . (٦) زيادة عن صبح الأعشى . (٧) ضبط في شرح
القاموس بكر الباء ، وضبط في الصباح المنبر بضمها . (٨) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « لولا
أنه حطب » . (٩) سبجت بالهراوى جعل لها الهار سباجا . وفي مباحج الفكر : « وسجت » .

فوثب الخامس منها إلى الغنيمه، ونظّم في سلك رمية تلك الدرة اليتيمه؛ وحصل
بتحصيلها بين الرّماة على الرتبة الجسيمه .

وأتى على صوتها "حبرج" تسبق همتة جناحه، ويغلب خفق قوادمه
صياحه؛ مديح المطا، كأنما خلّع حلة منكيه على القطا؛ ينظر من لمب، ويخطو على
رجلين من ذهب .

يزور الرياض ويحفو الحياض * ويشيه في اللون كدر القطا

ويهوى الزروع ويلهو بها * ولا يرد الماء إلا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه، وأعان قوسه بامتداد باعه؛ فخر على الآلاء
كيسطام بن قيس، وأنقض عليه رايه فخصله بحدق وحمله بكيس .

وتعدّر على السابع مرّاه، ونبا به عن بلوغ الأرب مقامه؛ فصعد هو ورب
له إلى جبل، وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتها قبل . فعن له "نسر"
ذو قوادم شداد، وماسر حداد، كأنه من نسور لقمان بن عاد؛ تحسبه في السماء
ثالث أخويه، وتخاله في الفضاء قبته المنسوبة إليه؛ قد حلق كالفقراء رأسه،
وجعل تما قصر من الدلوق الدكن لباسه؛ وأشتمل من الرّياش العسلي لإزارا، وأختار

١٥ (١) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « فيها » .

(٢) في الأصلين وحسن التوسل : « النثية » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى .

(٣) الآلاء (بوزن العلاء) : شجر ورقه وحمله دباغ؛ يمد ويقصر . وهو حسن المنظر مرّ الطعم .
ولا يزال أخضر شتاء وصيفا . واحده آلاء بوزن الآعة . وقال أبو زيد : هي شجرة تشبه الآس لا تتغير
في القيظ ولها ثمرة تشبه سنبل الذرة ومنبتها الرمل والأودية .

٢٠ (٤) يشير بذلك إلى قول عبد الله بن غنم الضبي يري بسطام بن قيس وقد قتله بنو ضبة :

فخر على الآلاء لم يوسد * كأن جينه سيف صقيل

(٥) خصه : أصابه .

العزلة فلا يجد له إلا في قنن الجبال الشواهي مزاراً؛ قد شابت نواصي الليالي وهو لم يشب، ومضت الدهور وهو من الحوادث في معقل أشب .

ملك طيور الأرض شرقاً ومغرباً * وفي الأفق الأعلى له أخوان
له حال فتاك وحلية ناسك * وإسراع مقدم وفترة وأن

فدنا من مطاره، وتوتحي بئدقه عتقه فوق في منقاره؛ فكأنما هد منه صحرا، أوهدم بناء مشمخراً؛ ونظر إلى رفيقه، مبشرا له بما أمتاز به عن فريقه .

وإذا به قد أظنته "عقاب" كاسر، كأنما أضلت صيدا أقلت من المناسر؛
إن حطت فسحاب أنكشف، وإن قامت فكانت قلوب الطير رطباً ويابساً لدى
وكرها العتاب والحشف؛ بعيدة ما بين المناكب، إذا أقلت لحت في علو كأنما
تحاول ثاراً عند بعض الكواكب .

ترى الطير والوحش في كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * إذا طلعت ما تسمت غزاله

فوثب إليها الثامن وثبة ليث قد وثق من حركانه بنجاحها، ورمها بأول بندقة
فما أخطأ قادمة جناحها؛ فأهوت كعود صرع، أو طود صُدع؛ قد ذهب بأسها،
وتذهب بدمها لبأسها؛ وكذلك القدر يُخادع الجوع عن عقابه، ويستترل الأعصم من
عقابه؛ فحملها بجناحها المهيض، ورفعها بعد الترفع في أوج جزوها من الحضيض؛
ونزلا إلى الرفقه، جدلين بريح الصفقه .

(١) في حسن التوسل : « وإن طارت » .

(٢) كذا في حسن التوسل وصبح الأضي . وفي الأصلين : « العصم » .

(٣) المهيض : المكسور .

(١) فوجدنا التاسع قد مرّ به "مُرْكِي" طويل السّفار، سريع النّفار؛ شبه الفراق، كثير الاعتراب يشتم بمصر ويصيف بالعراق؛ لقوادمه في الجوّ هفيف، ولأدبمه (٢) لوّن سماء طراً عليها غيمٌ خفيف؛ تَمَّحَن إلى صوته الجوارح، وتَعَجَّب من قوته الرّيح البوارح؛ له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت ضماد؛ أو فصّ عقيق شفت عنه بقايا ثمد؛ ذو منقار كسنان، وعنق كمنان؛ (٣) كما ينوس، على عودين من أنوس.

إذا بدا في أفقٍ مُقَلِّبًا * والجوُّ كالماء تَفَاوِيفُهُ

حَسْبَتَهُ فِي بِلْحَةِ مَرَجًا * رجلاه في الأفاق مجاديفُهُ

فصبر له حتى جازه مجليًا، وعطف عليه مصليًا؛ نغتر مضرًا بجمه، وسقط مشرفًا على عدمه. وطالما أفلت لدى الكواسير من أظفار المنون، وأصابه القدرُ بجمية من حيا مسنون؛ فكثرت التكبير من أجله، وحمله راميه من على وجه الأرض برجله.

وحاذاه "غمر نوق" حكاة في زيه وقدره، وأمتاز عنه بسواد رأسه وصدره؛

له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى خلفه، معقودتان من أذنيه مكان شفته.

١٥ له من الكركي أوصافه * سوي سواد الصدر والرأس

إن شال رجلًا وأنبرى قائمًا * ألفتة هيئة رجاس

(١) في حسن التوسل: «شديد العراق».

(٢) الهفيف: صوت هبوب الريح.

(٣) في الأصلين: «كعبان». وما أبتناه عن حسن التوسل وصبح الأمشى.

(٤) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٣٧ من هذا الجزء.

(٥) في حسن التوسل: «حتى حاذاه».

(٦) في الأصلين: «فكبر الكبير من أجله». والتصويب عن حسن التوسل وصبح الأمشى.

(١) فأصغى العاشر له مُنصِنا ، ورماه ملتفتا ؛ فخر كأنه صريعُ الألمان ، أو تريفُ بنتِ الحان ؛ فاهوى إلى رجله بيده وأيده^(٢) ، وأنقضَّ عليه أنقضاص الكاسر على صيده .

(٣) وتبعه في المطار "صوغ" ، كأنه من النضار مصوغ ؛ تحسبه عاشقا قد مدَّ صفحته ، أو بارقا قد بثَّ لفحته .

طويلةٌ رجلاه مسودةٌ * كأنما متقارُهُ خنجَرُ
مثلُ عجوزِ رأسها أشمطُ * جاءت وفي فمِّها معجر^(٤) .^(٥)

فاستقبله الحادي عشر ووثب ، ورماه حين حاذاه من كُتب ؛ فسقط كفارسٍ تقطر عن جواده ، أو وابتق أصيبت حبة فؤاده ؛ فحمله بساقه ، وعدل به إلى رفاقه .
واقترن به "مرزم" له في السماء سُمي معروف ، ذو متقارٍ كصدغ معطوف^(٦) ؛
كأن رياشه فلق أتصل به شفق ، أو ماء صافٍ علق بأطرافه علق .

له جسمٌ من الثلج * على رجلين من نارِ
إذا أقلع ليلًا قلدا * مت برق في الدجى سارى

(١) التريف : السركان الذى ذهب عقله .

(٢) الأيد : القوة .

١٥٠

(٣) ذكره صاحب كتاب صبح الأعشى (ج ٢ ص ٦٤) فقال : « الصوغ — بضم الصاد المهملة وضم معجمة فى الآخر — هو طائر مختلط اللون من السواد والياض أحمر الصدر ، وأكثر ميله الى الخضرة والأشجار » .

(٤) كذا فى حسن التوسل ، وهو أصح وزنا وأنسب معنى . وفى الأصلين : « وفى رقبها » .

(٥) المعجر (بالكسر) : ثوب تمنجربه المرأة أى تشده على رأسها .

٢٠٠

(٦) الصدغ : الشعر المتدل على ما بين العين والأذن .

(٧) الفلق (محرركة) : الصبح ، وقيل : الفجر .

فَاتَّحَاهُ الثَّانِي عَشْرَ مِئْمَا ، وَرَمَاهُ مَصْمَمَا ؛ فَأَصَابَهُ فِي زَوْرِهِ ، وَحَصَلَهُ مِنْ قَوْرِهِ ،
وَحَصَلَ لَهُ مِنَ السَّرُورِ مَا نَجَرَ بِهِ عَنْ طَوْرِهِ .

وَأَلْتَقَى بِهِ "شُبَيْطِرٌ" ^(١) كَأَنَّهُ مَذْيَةٌ مَبِيطِرٌ ؛ يَنْخُطُ كَالسَّيْلِ وَيَكْرَهُ عَلَى الْكَوَاسِرِ
كَالْخَيْلِ ؛ وَيَجْمَعُ مِنْ لَوْنِهِ بَيْنَ ضَيْدَيْنِ يُقْبَلُ مِنْهُمَا بِالنَّهَارِ وَيُدْبَرُ بِاللَّيْلِ ؛ يَتَلَوَّى
فِي مِتْقَارِهِ الْأَيْمِ ، تَلَوَّى التَّنِينَ فِي الْغَيْمِ .

تَرَاهُ فِي الْجَوْ مَمْتَدًّا وَفِي فَهٍ * مِنْ الْأَفَاعِي مُجْبَاجٌ أَرْقَمٌ ذَكَرَ
كَأَنَّهُ قَوْسٌ رَايَمٌ عُنُقُهُ يَدَاهُ * وَرَأْسُهُ رَأْسُهَا وَالْحَيَةُ الْوَتْرُ
فَصَوَّبَ الثَّلَاثَ عَشَرَ إِلَيْهِ بِنَدُقِهِ ، فَقَطَعَ لَحْيَهُ وَعُنُقَهُ ؛ فَوَقَعَ كَالصَّرْحِ الْمَرْدُ ،
أَوْ الطَّرَافِ الْمُدَّدِ .

١٠ وَاتَّبَعَهُ "عَنَازٌ" ^(٦) أَصْبَحَ فِي اللَّوْنِ ضَيْدُهُ ، وَفِي الشَّكْلِ نَدَّهُ ؛ كَأَنَّهُ لَيْلٌ ضَمَّ الصَّبِيحَ
إِلَى صَدْرِهِ ، أَوْ أَنْطَوَى عَلَى هَالَةِ بَدْرِهِ .

تَرَاهُ فِي الْجَوْ عِنْدَ الصَّبِيحِ حِينَ بَدَأَ * مُسَوِّدٌ أَجْنَحَةٌ مَبِيضٌ حَبِزُومٌ
كَأَسْوَدٍ حَبَشِيٍّ عَامٍ فِي نَهْرٍ * وَضَمَّ فِي صَدْرِهِ طِفْلًا مِنَ الرُّومِ

(١) الشبيطر (بضم الشين المعجمة وفتح الواو وكسر الطاء المهمله . ويسمى اللقلق . وكنيته عند
أهل العراق أبو خديج) : هو طائر أبيض أسود طرفي الجناحين ورجلاه ومقارحه حمراء . وهو يأكل
الحيات ويوصف بالفطنة والذكاء . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٧) .

(٢) الميطر : معالج الدواب .

(٣) الأيم : الحية .

(٤) في الأصلين : « قطع الحية ... » والتصويب عن حسن التوسل وصبغ الأعشى .

(٥) الطرف : بيت من آدم .

٢٠

(٦) العناز (بضم العين المهمله وتشديد النون وزاى معجمة في الآخرة) : طائر أسود اللون أبيض

الصدر أحمر الرجلين والمقارح . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٤) .

فنهض تمام القوم إلى التَّيمَّة ، وأسفرت عن مُجْح الجماعة تلك الليلة المُدْهَمَّة ؛
 وذا ذلك الطير الواجِبُ وإِجبا ، وَكُلُّ المددُ به قبل أن تَطْلِعَ الشمسُ عِينًا
 أو تُبْرِزَ حاجِبًا ؛ فإلها ليلة حَصَرْنَا بها الصوادِحَ في الفضاء المنسَّع ، ولقيت فيها الطير
 ما طارت به من قبل على كلِّ شَمَلٍ مجتمِع ؛ وأصححت أشلاؤها على وجه الأرض
 كفرائد خانها النظام ، أو شربِ كأت رقابهم من اللين لم يُخلق لمن عظام ؛ وأصبحنا
 مُتَّينين على مقامنا ، مُتَّنين بالظفر إلى مستقرنا ومقامنا ؛ داعين للولى جهدنا ، مُدْعِين
 له قِيلَنَا أوردنا ؛ حامِلين ما صرغنا إلى بين يديه ، عامِلين على التشرف بخدمته
 والانتفاء إليه .

فانت الذي لم يُلَفَّ من لا يودُه * ويدعو له في السرِّ أو يدعى له
 فإن كان رمي أنت توضح طُرقه * وإن كان جيش أنت تحي رعيه^(٢)

والله تعالى يجعل الآمال منوطةً به وقد فعل ، ويجعله كهفًا للأولياء وقد جعل .



ومن إنشاء المولى علاء الدين علي بن عبد الظاهر [في] قَدَمَة بندق .

ابتدأها بأن قال : « الحمد لله مُهَيَّ أسباب الأرتياح ، ومُهَيَّ أوقاتِ
 الأشراح ، ومُطَلِّق الأيدي في الأقتناص فليس عليها في صيد ذوات الجناح جُناح ؛

(١) واجبا : ميتا . يقال : ضربه فوجب ، اذا خرمينا .

(٢) الرعي : مقدمة الجيش والخيال .

(٣) هو علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رئيس الكتاب وسيد
 الرؤساء وجليس الملوك . أورد له المؤلف فيما تقدم من الرسائل البليغة والتقاليد البديعة والعهود الوثيقة
 ما جملة يعتد من التقصير في الاتباء الى وصف محاسنه ويعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه وميامنه .
 (راجع الجزء الثامن من هذا الكتاب ص ١٢٦ - ١٤٩) .

(١) ومزِينِ السماء بمصابيح أنوارها، ومَوْثِي الأرض برَوْضها وتُوَارها ؛ ومنوِّر الأيام
بشموسها والليالي بأفَارها ، ومطرِّز مطاريف الآفاق بمطار أطيارها . والصلاة
والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الذين أنجدهم الله من ملائكته بأولي أجنحه ،
وأهوى بصرائعهم وأوهى قُوَى مُمَانِيهم بعزائمهم المنجحه . (٢)

- وبعد، فإنَّ القنص شغفت به قلوب ذوى العزائم؛ وصيرته عنواناً للحرب إذ
حَمَّ الحِمَام فيه على الفرائس حوائم؛ تلتذ نفوسهم بالمطاردة فيه وترتاح، وتهواه فلو
تمكنت لركبت إليه أعناق الرياح؛ ترد منه مورد الظفر، وتتمتع فيه بئره تقسم الحسن
فيهن بين السمع والبصر، وتمتلى عند السرور لآله رياض ديجها صوب من المطر
لا صوب من الفكر، ويطوي من الأرض ما نشرت أيدي السماء به بروداً أهبى من
الحبر؛ فارة تستزل من العواصم الظباء العواصي، وأونة تقتنص الطير وقد تحصنت
من بروج السحب في الصياصي ببعوثها الدانية من كل قاصي . وأحسن أنواعه
الذى جمع لمعانيه بين روضة ورياضه، وغدير مفاضه؛ ومغازلة عيون النور وهي
تدمع حين طرفها بذيله نسيم الصباح، ومباكرة اللذات من قبل أن ترشف شمس
الضحى ريق الغوادي من ثغور الأفاح؛ رمى البندق الذى هو عقلة المستوفز،
وآتهاز غفلة الطائر المتحرز؛ ونزهة القلوب التى إن طالت لا تمل؛ وإن اجتاز
المتزّه بموطنها لم يؤجر . أحلى من صيد الظباء ، وأشهى من ملح الحساء؛ (٦)

(١) فى الأصلين : « بمصباح » .

(٢) لعله يريد « صرعام » جمع صريع .

(٣) الحبر : جمع حبرة : ضرب من برود اليمن مخطط .

(٤) الصياصي : الحصون وكل شئ امتنع وتحصن به .

(٥) المستوفز : المتبى للوثوب .

(٦) كذا بالأصلين . ولعلها : « لم يوجل » .

لا يحتاج إلى ركض جواد، ولا يحتاج فيه خفض العيش جواد، ولا يهاجر متعاطيه
إلى الهواجر، ولا يجبر على نفسه في الإفضاء إلى المهاجر؛ أربابه يرتاضون في الروضة
الغناء، ويسمعون من قنات الأوتار وشذو الأطيوار مختلف الألحان والغناء، ويمتطون
الليل طرفا، ويستنيرون من النجوم ثموتا لا تقط ولا تظفا، قد آخذ كل منهم
مقاما أكرم به من مقام، وهام باللذة فترك كرائم كراه وكذا عادة المستهام؛ وسبح
في بلج الليل وكرع في نهر النهار، وتجل في حلل الصدق وتجلي عن خلل العار.
يهوون لذة التنص في الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، ويرسلون رسل المنايا
إلى صرائعهم فما تنفس. إذا برزوا عند الغروب توارث شمس الأصيل حياء،
وذهبت في حلتها الذهبية حين بهر لها سنا وسنا، تراهم كالزهرة أو الأزهار، أو عقيد
نظم بالبحين والزمرد والنضار؛ أوجههم في أفلاك قسيهم أقمار، كولدان جنان،
وأعطاف أعصاب؛ قد طاف بهم سياج المسرة وأحدق، وحلوا بتياب سندس خضر
واستبرق؛ كأن الأرض ضاهت بهم السماء، فصيرت قسيهم أفلاكها، وغررهم نجومها،
وعزائمهم صواعقها وبنادقهم رجومها؛ يخفق منهم قلب كل خافقه، وتقدم بعوئهم
على ذوات القوادم فيبنا هي مترافقة إذا بها متفارقة، وكان صوائف الطير لديهم
في جؤ السماء، سطور في صفيحة زرقاء؛ أو كأنها في ألتامها، عقود در في نظامها؛
يفرطون سلكها، ويقربون هلكها، ويغدرون بها في الغدر، ويمسرون عليها
في الجسور، وتقايض بنادقهم فيصير وكر الطير الجراوة وجراوة البنادق
حواصل الطيور. وإذا أسفروا وجه صباح، سمعت للطير صياحا والطرب كله
في ذلك الصباح؛ وإن عشوا مقاماتهم وجه عشاء رأيت الطير وهي لدى محاريب

(١) الجواد (بالضم) : جهد العطش، يريد أنه عيش نام لا يشوبه كدر.

(٢) المهاجر : جمع محجر وهو الحديقة، أو الموضع فيه رمى كثير وما.

- فسيهم وهي مجود ورمح، طرايح من بيض وسويد كان أديم الأرض منهم أبقع .
 وإن تعلقوا بأذيال الليل ويحجفه ، وباتوا في عطفه ؛ احتسى منهم بشهيه ، وتستر
 في حجبه ؛ وتوارى عنهم البدر بذيل الغمام ، وهال هالته أن تبدوا لسيهم الموترة بالجمام .
 إلى غير ذلك مما ألتزموه من محاسن أوصاف وأوصاف محاسن ، ووردوه من مناهل
 مصافاة ماؤها غير أسن ، ووجدوه من طيب عيش مالانوا معه ولا أستكانوا
 إلى المساكن ؛ وحفظوه من صناعتهم من شروط وأوضاع ، ووقفوا في مقاماتهم
 من مطيع ومطاع ؛ يعون قدر كبيرهم ، ولا يرَاع بينهم قلب صغيرهم ؛ ويتناصفون
 في أحكامهم ، فالحكم واحد على أمرهم ومأمورهم . إن تفرقوا فهم على قلب رجل
 واحد ، وإن اختلفت منهم المقاعد فقد آتفت منهم المقاصد . ما خلا جوهم
 من واجب الطاعة ، ولا علا بينهم كبير إلا بدلوا في خدمته جهد الاستطاعة ؛ وأضحوا
 وأمرهم عليهم محتوم ، وأمسوا وما فيهم إلا من له مقام معلوم ؛ بأيديهم قسي قاسيه ،
 قضبانها قاضيه ؛ منعطفة جافيه ، بعوشها في الخوافي خافيه ؛ تمثلها الأفكار في ساحة
 الفضاء ، كروارِق مبنوثة في لجة الماء . وكيف لا ! وهي تحمل المنايا إلى الطير ،
 وإن لم تكن سائرة فلها بعوث سريعة السير ؛ كأن صانعها قصد وضعها كالأهلة
 واقترح ، أوحى بمدح أنوابها قوس قزح ؛ وكان ظهرها وقد تنوعت به من الغروز
 مدارجها ، مدر يحيق ورين دب عليه من النمل دارجها ؛ إذا حطت عنها أوتارها
 كانت عصا لربها فيها مآرب ومغانم ، يوجس الطير في نفسه منها خيفة وكيف لا !
 وهي في شكل الأراقم ؛ متضادة تجفو وتلين ، موتورة وغيرها حزين ؛ تضمها أنامل

من يُسْرَاهِمُ هِيَ أَيْمَنُ مِنْ يَمِينِ عَرَابَةَ بْنِ أَوْسٍ ، وَيَطْلُعُ كُلُّ مِنْهُمْ فِي فَلَكِهَا وَالطَّالِعُ
 الْقَمَرُ فِي الْقَوْسِ ؛ لَا تَعْتَصِمُ مِنْهَا الطَّرَائِدُ بِالْحَبَاءِ فِي وَكْرِ الدَّجَنَةِ ، وَلَا يُخْفِيهَا آتِحَاذُهَا
 الظُّلْمَاءُ جُنْهَ ؛ وَلَا يُوقِيهَا تَرْفُهَا ^(١) ، وَلَا يَنْقِيهَا مَلْقُهَا وَلَا تَنْجَحُ بِخَفَقِ الْجَلْحِاحِ ،
 وَلَا تَسْتَرُوحُ بِمُسَاعَدَةِ الرِّيَاحِ ؛ لَهَا بِنَادِقُ كَأَنَّهَا حَبَاتُ الْقُلُوبِ لَوْنَا ، وَأَشْكَالُ الْعُقُودِ
 كَوْنَا ؛ كَأَنَّهَا صُيِّغَتْ مِنْ لَيْلٍ وَصِيغَتْ مِنْ شُهْبٍ ، أَوْ صُنِعَتْ مِنْ أَدِيمٍ لِلشُّحْبِ ؛
 تُفْرِدُ مِنَ الطَّيْرِ التُّؤَامَ ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ رُوحِهَا وَالْجَمَامِ ؛ قَدْ تَحَامَاهَا النَّسْرَانُ فَاتَّخَذُوا السَّمَاءَ
 وَكُرَا ، وَاتَّفَقُوا أَنْ يَصْبِحَا شَفَعَا وَيُمْسِيَا وَتَرَا ؛ تَقْبِضُ مِنْهَا الْأَيْدِي عِنْدَ إِطْلَاقِهَا رَأْمَةً
 رَابِحَةً ، جَارِحَةً مِنَ الطَّيْرِ كُلِّ جَارِحَةٍ ، لَا تَرَى صَادِحَةً إِلَّا صَبْرَتْهَا صَانِحَةً . قَلْبُ
 كُلِّ طَيْرٍ مِنْهَا طَائِرٌ ، وَكَيْفَ لَا وَهِيَ لِلسَّهَامِ ضَرَّائِرٌ ؛ تُضْرَمُ النَّارُ لِإِشْوَاءِ الطَّرِيدَةِ
 قَبْلَ مَفَارِقَتِهَا لِلْأُوتَارِ ، وَتَقْتَنَصُ مِنَ الْجَوَارِحِ كُلِّ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ؛
 تَبِيحُ كَأَنَّ الْغَنِيمَةَ وَتَسْتَيْرُ ، وَتَبْدُو كَأَنَّهَا مُجْنِتٌ مِنْ صَنْدَلٍ وَعَبِيرٍ .

وَمَا كَانَ مِنْهُ هُوَ وَاسِطَةٌ عَقْدِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَالرَّافِلُ فِي بُرُودِهَا الْمَوْشِيَّةِ
 لِلْأَطْرَافِ ؛ وَالْمُبْدِعُ فِي فَنِّهِ ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ فَضِيلَةِ الرَّمْيِ وَحُسْنِهِ ؛ وَالْمُسْتَنْطِقُ لِسَانَ
 قَوْمِهِ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْحَافِظُ شَرْوَطَهُ فِي طَهَارَةِ الْعَرِضِ وَصِدْقِ اللِّسَانِ ؛ وَالرَّامِي الَّذِي

١٥ (١) هُوَ عَرَابَةُ بْنُ أَوْسٍ بْنِ قَيْظَى الْأَنْصَارِيِّ . وَيَشِيرُ بِهَذَا إِلَى مَدْحِ الشَّيْخِ بْنِ ضَرَّارِ الْمُرِّيِّ لِعَرَابَةِ .
 وَسَبَبُهُ أَنَّ عَرَابَةَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بِغَمَمَةِ الطَّرِيقِ وَالشَّيْخُ فَقَالَ لَهُ عَرَابَةُ : مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ الْمَدِينَةَ ؟ قَالَ :

قَدِمْتُ لِأَمْتَارِ مِنْهَا ، فَلَا لَهُ عَرَابَةُ رَوَّاحِلُهُ بَرًا وَتَمْرًا وَأَتَمَحْفُهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَالَ الشَّيْخُ :

رَأَيْتَ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو * إِلَى الْخَيْرَاتِ مَقْتَلَعِ الْقَرِينِ

إِذَا مَا رَأَيْتَ رَفَعْتَ لِحْجِدَ * تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ

إِذَا بَلَّغْتَنِي وَحَلَمْتَ رَحْلِي * عَرَابَةُ فَاشْرُقْ بِدَمِ الْوَتِينِ

وَمِثْلُ سِرَاةِ قَوْمِكَ لَمْ يَجَارُوا * الدَّرْبِ رِجَالِ الرِّهَانِ وَلَا التَّمِينِ

٢٠ (٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ب : « وَلَا يَنْقِيهَا » . وَلَعَلَّ كِلْتَابَهُمَا مَحْرُوقَةٌ عَنْ : « وَلَا يَنْقِيهَا » .

بلغ بهمته غاية المرام ، وضاهى بِبُنْدُقِهِ السَّهَامَ ؛ وكان يوم كذا وكذا خرج إلى برزته
 المباركة وصرع طيرين في وجه واحد، وأبان عن حُسن الرمي وسَدَادِ الساعد؛ وأضحى
 بينهما كثيراً بين قومه ، وجعلهما لهم وليمةً في يومه ؛ وهما ” تَمَّ “ كأنما صيغ من فضه ،
 أو تَدَّرَع من النهار حُلَّةً مبيَّضه ؛ أو غير بياضه الليل فلطم وجهه بيد ظلماته ، فاقصص
 منه وخاض في أحشائه ؛ بلحاحه هَفِيفٌ في المَطَّارِ ، تسمع منه نغمة الأوتار. و” لَفْلَغَةٌ “
 كأنها كُتوت من شَقِيقٍ وغمام ، أو مُزِج لونها بماء ومُدَام ؛ لها غرَّةٌ لو بدت في الليل
 خلتها بدراً ، وإن أسفرت عند الصباح حَسِبَتْهَا جُفراً ؛ وحملها فلان وفلان ، وقطع
 شِبْقَهُ فلان وأدعى لفلان ؛ وعاد الرامي قَرِيرَ العَيْنِ ، مملوء اليدين ؛ إذا غرَّ غيره بواحدة
 نخر بآنتين ؛ معظما بين أترابه ، مُكْرَماً لدى أحبابه ؛ ألبسه الله من السرور أزهى
 أثوابه . بمنه وكرمه .

١٠

ومما ورد في وصف الجُلاهِقِ نَظْماً — قال أبو الفرج البيهقي يصفها :

ومِرْنَانٍ مُعْبَسَةٍ صُحُوكٍ * مُهْدَبَةِ الطَّبَائِعِ وَالكِجَانِ
 مُغَالِبَةٍ وِلَيْسَ بِهَا حَرَكَ * وِبَاطِشَةٍ وِلَيْسَ لَهَا يَدَانِ
 لَهَا فِي الْجَارِحِ النَّسْبُ الْمَعْلَى * وَإِنْ هِيَ خَالَفَتْهُ فِي الْمَعَانِ
 تَطِيرُ مَعَ الْبُرْزَةِ بِلَا جَنَاحٍ * قَتَسِيْقُهَا إِلَى قَصَبِ الرَّهَانِ
 وَتُدْرِكُ مَا تَشَاءُ بِنَفْسِ رِجْلٍ * وَلَا بَاجٍ يَطْوُلُ وَلَا بَتَّانِ
 وَتَلْحَظُ مَا يَكِلُّ الطَّرْفُ عَنْهُ * بِلَا نَظَرٍ يَصْحُحُ وَلَا عِيَانِ
 لَهَا عُضْوَانٍ مِنْ عَصَبٍ وَحِلْمٍ * وَسَائِرُ جِسْمِهَا مِنْ خَيْرَانِ

١٥

(١) في الأصلين : « صيغ » بالباء الموحدة ، ولعلها مصحفة عما أثبتناه .

(٢) في ب : « سبقه » . (٣) المرتان : القوس وصف من رن إذا صوت .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وعظم » .

٢٠

يُخَاطَبُ فِي الْهَوَاءِ الطَّيْرُ مِنْهَا * بَلْفِظْ لَيْسَ يَصْدُرُ عَنْ لِسَانِ
فَإِنْ لَمْ تُصْغِحْ أَرَدْتَهَا بَطْعِنَ * يَنْوِبُ الطَّيْنُ فِيهِ عَنِ السَّنَانِ
مُقَرَّرَطَةٌ مِمَّنْطَقَةِ خَلُوبٍ * مُهْفَهْفَةٌ مَخْفَفَةٌ الْجِرَازِ
مَذْكُورَةٌ مُؤْتَنَةٌ تَهَادَى * مِنَ الْأَصْبَاغِ فِي حُلِّ الْقِيَانِ
مُعَمَّرَةٌ تَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ * شَبَّيْتُهَا عَلَى مَرَّةِ الزَّمَانِ
كَأَنَّ اللَّهَ ضَمَّنَهَا فَبَانَتْ * لَنَا فِي الرِّزْقِ عَنْ أَوْفَى صَمَانِ
أَعَزَّ عَلَى الْعَيُونِ مِنَ الْمَآقِي * وَأَحْلَى فِي النُّفُوسِ مِنَ الْأَمَانِي
إِذَا مَا أَسْتَوْتُنْتَ يَوْمًا مَكَانًا * تَوَلَّى الْجَدْبُ عَنْ ذَاكَ الْمَكَانِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ :

وَثِيقَةٌ مُدْمَجَةٌ الْأَوْصَابِ * مَحْيِيَةٌ عَوْجَاءُ كَالْهِلَالِ
تَعُودُ إِنْ شِئْتَ إِلَى أَعْتَدَالِ * بَاطِنُهَا لِعَاقِلِ الْأَوْعَالِ ^(١)
وَالظَّهْرُ مِنْهَا لِقَنَّا الْأَبْطَالِ * يَجْمَعُهَا أَسْمَرُ ذُو أَفْتَالِ
فِي وَسْطِهِ مِنْ صِنْعَةِ الْمُحْتَالِ * مِثَالُ عَيْنٍ غَيْرِ ذِي أَحْوَالِ
تَقْدِزِي بِصَدَفَاتٍ مِنَ الصُّلْصَالِ * أَمْضَى مِنَ السَّهَامِ وَالنَّبَالِ ^(٢)
قَدَى يُقْتَرُ أَعْيُنَ الْأَمَالِ * فَاقْعَةُ الصُّفْرَةِ كَالْجِرْيَالِ ^(٣)
رَخِيصَةٌ تَغْنَمُ كُلَّ غَالٍ * تُؤَمِّنُ مِنْهَا وَنِيَّةَ الْكَلَالِ
تَعُولُ فِي الْجَدْبِ وَفِي الْإِحْمَالِ * وَقَدْ يَكُونُ الصُّفْرُ كَالْعِيَالِ

(١) يريد أن وترها منسوب لعاقل الأوعال كما أن ظهرها منسوب لقننا الأبطال . ويؤيد هذا المعنى

فيه الثاني من القصيدة التالية . ويقال : وعل عاقل إذا تحصن بوزره عن الصياد في الجبل العالى .

(٢) يقال : قذت العين تقذى إذا قذفت ما فيها من قذى . وقد شبه الجوزة التي في وسط الوتر بالعين ،
فصح له لذلك أن يستعمل القذى في قذف الجوزة لما فيها من بسدق . وفي الأصلين : « تعدى »

وهو تحريف . (٣) الجريال : الخمر أو لونها .

مَطِيهَا عَوَاتِقُ الرَّجَائِ * فِي غُلْفٍ مَمْدُودَةٍ طَوَالِ
 كَمْ أَفْضَلْتُ عَلَى ذَوِي إِفْضَالِ * وَكَمْ أَنَا لْتَ مِنْ أُنْحَى نَوَالِ
 * وَقَرَّبْتُ لِلطَّيْرِ مِنْ أَجَالِ *

وقال أيضا فيها من أبيات :

٥ وفي يَسَارِي مِنَ الْخَطِّ مُحْكَمَةٌ * مَتَى طَلَبْتُ بِهَا أَدْرَكْتُ مَطْلُوبِي
 لِلوَعْلِ بَاطِنُ شَطْرِيهَا وَمُعْظَمُهَا * مِنْ عُودِ شَجَرَاءَ ظَمِيَاءِ الْإِنَائِبِ
 نَاتِقِ الْقَيْنِ فِي تَرْيِنِهَا فَفَدَّتْ * تُؤَيِّ بِأَحْسَنِ تَفْضِيضٍ وَتَذْهِيْبِ
 فِي وَسْطِهَا مُقَلَّةٌ مِنْهَا تُبَيِّنُ مَا * يُرَى فَمَا مَقْتَلٌ عَنْهَا بِمُحْجُوبِ
 فَقَمْتُ وَالطَّيْرُ قَدْ حُمَّ الْجِمَامُ لَهَا * عَلَى سَبِيلِ فِي عَادِي وَتَجْوِي
 ١٠ حَتَّى إِذَا أَكْتَحَلَّتْ بِالطَّيْنِ مُقَلَّتْهَا * صَبَّتْ طَيْبِينَ حَتْفًا جَدًّا مَضْبُوبِ
 فُرِحْتُ جَدْلَانَ لَمْ تَكْذُرْ مَشَارِبُ لَدَاتِي * وَلَمْ تُنَلِّقْ آمَالِي بِتَحْيِيْبِ

ذَكَرْتُ شَيْءًا مِمَّا قِيلَ فِي سَبْطَانَةٍ

قال أبو الفرج البغواء :

١٥ وَجَوْفَاءَ حَامِلَةٍ تَهْتِدِي * إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَقْرُوحِهِ
 مَقْوَمَةِ الْقَدِّ مَمْشُوقَةٍ * مَهْفَهْفَةٍ الْجَسِيمِ مَمْسُوحِهِ

(١) كذا في مباح الفكر . وفي الأصلين : «عرايق» ولا معنى لها . (٢) القين :

الحداد ويطلق على كل صانع . (٣) في الأصلين : «مقبل» ولا يستقيم بها المعنى .

(٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة من : «في صدرى وتجووي» .

(٥) السبطانة (وتسمى أيضا : الزبطانة بالزاي بدل السين) : آلة من آلات الصيد تتخذ من خشب ،

مستطيلة كالحجوة الداخلة يجعل الصائد بتدقة من طين صغيرة في فيه ، ويثقب بها فيها فتخرج منها بحدة

فصيب الطير قربه ، وهي كثيرة الإصابة (عن صبح الأضنى ج ٢ ص ١٢٨) .

مُتَّقِفَةٌ فِيهَا عَيْنُهَا * تُبَشِّرُ قَلْبِي بِتَصْحِيحِهِ
 فَإِنْ هِيَ وَالْجَارِحُ اسْتُنْهَضَا * إِلَى الصَّيْدِ عَاقَتَهُ عَنْ رِيحِهِ
 إِذَا الْمَرْءُ أَوْدَعَهَا مِرَّةً * لَتُخْفِيهِ بَاحَتْ بِتَصْرِيحِهِ
 مَوَاتٌ تَعِيشُ إِذَا مَا أَعَادَ * لَهَا النَّائِغُ الرُّوحُ مِنْ رُوحِهِ
 هِيَ السَّبَطَانَةُ فِي شَكْلِهَا * فِي الْقَلْبِ جِدُّ تَبَارِيحِهِ
 تَحُطُّ أبا الفَرْخِ عَنْ وَكْرِهِ * وَتَسْتَزِلُّ الطَّيْرَ مِنْ لُوحِهِ^(١)

وقال أبو طالب المأموني :

مُتَّقِفَةٌ جَوْفَاءَ تُحْسَبُ زَانَةٌ^(٢) * وَلَكِنَّا لَا زُجَّ فِيهَا وَلَا نَفْصَلُ
 تُسَدِّدُ نَحْوَ الطَّيْرِ وَهُوَ مَحَلُّهُ * فَيُفْقِدُ عَنْهَا لِلرَّدَى نَحْوَهُ الرُّسْلُ
 يَطِيرُ إِلَى الطَّيْرِ الرَّدَى فِي ضَمِيرِهَا * فَيَجْرِي كَمَا يَجْرِي وَيَعْلُو كَمَا يَعْلُو
 فَيَعْقِلُ مَا تَجْوِبُهُ فَكَأَنَّمَا * يُمَدُّ إِلَيْهِ مِنْ بِنَادِقِهَا حَبْلُ^(٣)

ذكر شيء مما قيل في عيدان الدبق^(٤)

قال عبد الله بن المعتز فيها مُلَغَزًا :

وَمَا رِيْمَاحٌ غَيْرُ جَارِحَاتٍ * وَلَسَنْ فِي الدَّمَاءِ وَالغِيَاتِ^(٥)
 وَلَسَنْ لِلطَّرَادِ وَالغَارَاتِ * يُخَضَّبْنَ لَا مَنْ عَلَى الكِبَاةِ^(٥)

(١) اللوح : الفضاء بين السماء والأرض ، يضم ويفتح والضم أعلى .

(٢) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين « راية » .

(٣) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « إليها » .

(٤) الدبق : شئ . يلتزق كالغراء يصاد به الطير .

(٥) في الأصلين ودبراته : « وليس » .

بريق حنف منجز العِدات * مكتمن ليس بندى إفلات^(١)
 يَنْشَبُ فِي الصَّدُورِ وَاللَّبَاتِ * فَعَلَّ إِسَارَ فُلَيْ السَّبَاتِ^(٢)
 عَلَى عَوَالِيهَا مُرَكَّبَاتِ * أَسِنَّةٌ لَسَنَ مَوْقِعَاتِ^(٣)
 مِنْ قَصَبِ الرِّيشِ مَجْرَدَاتِ * يُحْسَبُنَ فِي الْهَوَاءِ شَائِلَاتِ
 * أَذْنَابَ حِرْدَانٍ مُنْكَسَاتِ *

وقال أبو الفتح كُشَاجِم :

وَإِسْرَاتٍ مِثْلَ مَأْسُورَاتِ * مُمَكَّاتٍ غَيْرِ مُمَكَّاتِ
 مُؤَمَّلَاتٍ غَيْرِ مُكْذِبَاتِ * صَوَادِقِ التَّعْجِيلِ لِلْعِدَاتِ
 نَوَاطِرِ الْأَشْكَالِ ذَاهِبَاتِ * كَوَاسِرِ وَلسِنِ ضَارِبَاتِ
 وَلَا بِمَا يَصِدُنَ عِلْمَاتِ * بِمِثْلِ رِيْقِ النَّحْلِ مَطْلِبَاتِ
 أَقْتَلُ مِنْ سَمَائِمِ الْحَيَاتِ * لَوْ صِلِحَتْ شَيْئًا مِنَ الْآلَاتِ
 وَوُصِلَتْ بِالزُّجِّ وَالشَّبَابَةِ * كَانَتْ مَكَانَ النَّبْلِ لِلرَّمَاةِ
 حَوَامِلِ لِلطَّيْرِ مُمَسِّكَاتِ * تَعَلَّقَ الْأَحْبَابَ بِالْحَبَاتِ
 كَانَهَا فِي النِّعْتِ وَالصِّفَاتِ * أَذْنَابُ مَا دَقَّ مِنَ الْحَيَاتِ
 أَغْدَرُ بِالْوُرُقِ الْمَجْرَدَاتِ * فِيهَا مِنَ الْفَتِيَانِ بِالْقَيْنَاتِ
 فَهِنَّ مِنْ قَتْلَى وَمِنْ عُنَاةِ * بَلَا فَكَّكَ وَبَلَا دِيَاتِ

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين :

تذيق حنف منجر العداة * ممكن ليس بندى إفلات

(٢) الإيسار : ما شذب به وهو الرباط . وسية القوس : ما عطف من طرفها .

(٣) موقعات : محددات . ورواية الديوان : « أسنة غير منكسات » .

ذكر شئ مما قيل في الشباك

قال السري الرفاء يصف شبكة :

وجدول بين حديقتين * مطرد مثل حسام القين
كسوته واسعة القطرين * تنظر في الماء بألف عين
راصدة كل قريب الحين * تبرزه مجنح الجنين
كذبة مصقولة المتنين * كأنما صيغ من الجبين

وقال أبو الفرج البيهقي يصف شبكة المصاير :

رقاقة في السراب تحسبها * على الترى حلة من الزرد
كالدرع لكنها معوضة * عن المسامير كثرة العقيد
سائرها عين مفتحة * لا ترتضى نسبة إلى جسد

ذكر ما قيل في الشص ، وهو الصنابير - قال كاتب أندلسي

يصفه من رسالة : « صنابير ، كأظفار السنابير ؛ قد عطفها القين كالراء ، وصيرها
الصقل كالماء ؛ بغامت أحد من الإبر ، وأرق من الشعر ؛ كأنها مخب صرد ،
أو نصف حلقه من زرد » .

وقال أبو الفتح كشافيم :

من كان يحوى صيده الفضاء * وللبراة عنده نواء
وطال بالكلب له العناء * فإن صيدى ماحواه الماء
مخبط ساعده رشاء * يظل والماء له غطاء

(١) الصرد : طائر أجمع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمقار .

كَمَا طَوَّتْ هِلَالَهَا السَّمَاءُ * كَأَنَّهُ مِنْ الْحُرُوفِ رَأً
 فَهُوَ وَنِصْفُ خَاتِمِ سِوَاءٍ * يَجْمَلُ سَمًا أَسْمُهُ غِذَاءُ
 وَعَطَبًا فِيهِ لَنَا إِحْيَاءُ * تَدَّخِي بِهِ الْقُلُوبُ وَالْأَحْشَاءُ
 عَادٍ إِذَا سَاعَدَهُ الْقَضَاءُ * أَمْتَعْنَا الْقَرِيصَ وَالشَّوَاءُ^(١)



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كل الجزء التاسع من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للشيخ العلامة
 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب البكري التيمي
 القرشي - نسبا المعروف بالنويري رحمه الله . ويليه الجزء العاشر المتعلق بالنباتات،^(٢)
 على يد كاتبه، فقير رحمة ربه المعين، الفقير نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملي -
 بلدا، الشافعي - مذهبا، وذلك في مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٦ هـ .

(١) القرص : سمك يطبخ ويخذه صباغ ويترك فيه حتى يجمد .

(٢) يلاحظ أن الأجزاء المطبوعة من هذا الكتاب اختلفت عن الأجزاء الفتوغرافية المحفوظة

بدار الكتب المصرية ابتداء من الجزء السابع فليعلم .

استدراكات

صواب	خطأ	سطر	صفحة
قال الشيخ رحمه الله ^(٤)	قال الشيخ رحمه الله	١٤	١١
فصل بعد قوله : « إذا كان أبيض العجز » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذي بعده بدون فصل .		٧	١٤
فصل بعد قوله : « وقد تقدم ذكره » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذي بعده بدون فصل .		٩	١٥
ذوات	دواب	٢	١٥٢

(مطبعة الدار ١٠٢٠/١٩٣١/٢٥٠٠)

فهرست

السفر العاشر

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

ذكر ما وصفت به العرب الخليل

من ترتيبها في السن، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها،

وشياتها، وغررها، وحجولها الخ

صفحة

١	أما ترتيبها في السن
١	وأما ما قيل في تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها
٢	وأما الوجه وما فيه مما لم يذكر في خلق الانسان
٣	وأما العنق وما فيه
٤	وأما الظهر وما اتصل به من الوركين
٥	وأما الصدر وما اتصل به من البطن
٥	وأما الذراعان وما دونهما
٥	وأما ألوانها وشياتها وغررها وحجولها وعصمها وما فيها من الدوائر
١٢	وأما الشية
١٦	وأما ما في الفرس من الدوائر
	وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلامات
١٩	الدالة على جودة الفرس ونجابته

صفحة

٢٢ وما يستحب من أوصافها في الخلق
٢٧ وأما عيوبها التي تكون في خلقها وفي جريها والتي تطرأ عليها وتحدث فيها ...
٢٧ فأما التي في خلقها
٣٠ وأما العيوب التي في جريها
٣١ وأما العيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها
٣٣ ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٩ ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب
٤٨ ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها بنظا وثرا
٦٥ طرقت في ذم الخيل بالهزال والحجز عن الحركة
٦٧ ذكر ما وصفت به في الرسائل المشهورة

الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

٧٩ ذكر ما قيل في البغال
٨٠ ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨٥ ذكر شيء مما وصفت به البغال
٩٣ ذكر ما قيل في الحمير الأهلية
٩٥ ذكر ما يمثل به مما فيه ذكر الحمار
٩٧ ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم

١٠٣ ذكر ما قيل في الإبل
١٠٤ أما تسميتها من حين تولد إلى أن تنتهي منها
١٠٥ وأما أسماء ما يركب منها ويحمل عليه

صفحة

- وأما ما اختصت به النوق من الأسماء والصفات ١٠٦
- ومن أوصافها في السير ١٠٧
- وأما ألوان الإبل ١٠٨
- وأما ترتيب سيرها ١٠٨
- وأما ما قيل في المسير عليها والتزول للراحة والإراحة ١٠٩
- ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها ١٠٩
- ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل ١١١
- ذكر شيء مما وصفت به الإبل نظماً وثرأ ١١٥
- ذكر ما قيل في البقر الأهلية ١٢٠
- ذكر ما قيل في الجاموس ١٢٤
- ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز ١٢٥
- ذكر ترتيب سنّ الغنم ١٢٧

القسم الرابع

من الفن الثالث في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

ويشتمل على ما قيل في الحيات والعقارب

- ذكر ما قيل في الحيات ١٣٣
- ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية ١٤٠
- ذكر شيء مما وصفت به الأفاعى ١٤٣
- ذكر ما قيل في العقارب ١٤٧

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلا بفعله من ذوات السموم

ويشتمل على ما قيل في الخنافس والوزغ والضب وأبن عرس

والحرباء والقنافذ والفئران والقراد والنمل والذر والقمل والصوآب

صفحة

١٥٢	فأما الخنافس وما قيل فيها
١٥٤	وأما الوزغ وما قيل فيه
١٥٥	وأما الضب وما قيل فيه
١٥٩	وأما الحرباء وما قيل فيها
١٦١	وأما ابن عرس وما قيل فيه
١٦٢	وأما القنافذ وما قيل فيها
١٦٦	وأما الفئران وما قيل فيها وأنواعها
١٦٦	فأما الجرذ والفأر
١٧٠	وأما الزباب
١٧٠	وأما الخلد
١٧٠	وأما اليربوع
١٧١	وأما فأرة المسك
١٧٢	وأما فأرة الإبل
١٧٢	وأما القراد وما قيل فيه
١٧٣	وأما النمل والذر وما قيل فيهما
١٧٧	وأما القمل والصوآب وما قيل فيهما

القسم الخامس

في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير وباب في السمك وذيل لذكر شيء

مما قيل في آلات صيد البر والبحر وهو باب ثامن

الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير، ويشتمل على ما قيل

في العقاب والبزاة والصقور والشواهين وأصناف ذلك

صفحة	
١٨١	ذکر ما قيل في العقاب
١٨٤	وأما الزنج وهو الصنف الثاني من العقاب... ..
١٨٦	ذکر ما قيل في البازي وأصنافه
١٨٦	فأما البازي
١٩١	وأما الزرق
١٩١	وأما الباشق
١٩٣	وأما العفصى
١٩٤	وأما البيدق
١٩٥	ذکر ما قيل في الصقر وأصنافه
١٩٥	فأما الصقر
١٩٨	وأما الكونج وهو الصنف الثاني من الصقر
١٩٩	وأما اليؤر وهو الصنف الثالث من الصقر
٢٠٠	ذکر ما قيل في الشاهين وأصنافه
٢٠٠	فأما الشاهين
٢٠٣	وأما الأنبيق وهو الصنف الثاني من الشاهين
٢٠٤	وأما القطامي وهو الصنف الثالث من الشاهين
٢٠٤	فصل في ذكر ما ناسب الجوارح في الاقتراس وأكل اللحم الحى

صفحة

٢٣٧	وأما النحام وما قيل فيه
٢٣٨	وأما الأينس وما قيل فيه
٢٣٨	وأما القاوند وما قيل فيه
٢٣٨	وأما الخطاف وما قيل فيه
٢٤١	وأما القيق والزرزور وما قيل فيهما
٢٤١	ما قيل في القيق
٢٤٢	وأما الزرزور
٢٤٥	وأما السمانى وما قيل فيه
٢٤٦	وأما الهدهد وما قيل فيه
٢٤٨	وأما العقق وما قيل فيه
٢٤٩	وأما العصافير وما قيل فيها وأنواعها
٢٤٩	فأما العصافير البيوتى
٢٥٠	وأما عصفور الشوك
٢٥٠	وأما عصفور النيلوفر
٢٥١	وأما القبرة
٢٥١	وأما حسون
٢٥٢	وأما البليل

الباب الرابع

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بغاث الطير
ويشتمل على ما قيل فى القمرى والدبسى والورشان والقواخت
والشفنين واليعتبط والنواح والقطا واليمام وأصنافه والبيغاء

٢٥٨	أما القمرى وما قيل فيه
٢٥٨	وأما الدبسى وما قيل فيه
٢٥٩	وأما الورشان وما قيل فيه

صفحة	
٢٥٩	وَأما الفواخت وما قيل فيها
٢٦٠	وَأما الشفنين وما قيل فيه
٢٦١	وَأما اليعتبط وما قيل فيه
٢٦١	وَأما التوايح وما قيل فيه
٢٦١	وَأما القطا وما قيل فيه
٢٦٥	ذكر شيء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة لمجموع هذا النوع
٢٦٨	وَأما الأيام وأصنافه وما وصف به وما قيل فيه
٢٦٨	فَأما الرواعب
٢٦٨	وَأما المراعيش
٢٦٩	وَأما العذاد
٢٦٩	وَأما الميساق
٢٦٩	وَأما الشداد
٢٦٩	وَأما القلاب
٢٦٩	وَأما المنسوب
٢٧٧	ذكر ما قيل في طوق الحمامة
٢٧٩	ذكر شيء مما وصفت به هذا النوع نظماً وثرأ
٢٨٠	وَأما البيغاء وما قيل فيها

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الثالث في الطير الليل ويشتمل على ما قيل في الخفاش والكروان والبوم والصدى

٢٨٣	فَأما الخفاش وما قيل فيه
٢٨٥	وَأما الكروان وما قيل فيه

صفحة

٢٨٥	وأما اليوم وما قيل فيه
٢٨٦	وأما الصدى وما قيل فيه

الباب السادس

من القسم الخامس من الفن الثالث في الهمج وهو مما يطير كالنحل
والزنبور والعنكبوت والجراد ودود القز والذباب
والبعوض والبراغيث والحرقوص

٢٨٧	فأما النحل وما قيل فيه
٢٨٩	وأما الزنبور وما قيل فيه
٢٩٠	وأما العنكبوت وما قيل فيه
٢٩٢	وأما الجراد وما قيل فيه
٢٩٧	وأما دود القز وما قيل فيه
٢٩٨	وأما الذباب وما قيل فيه
٣٠١	وأما البعوض وما قيل فيه
٣٠٣	وأما البراغيث وما قيل فيها
٣٠٥	وأما الحرقوص وما قيل فيه

الباب السابع

من القسم الخامس من الفن الثالث في أنواع الأسمك

٣١٢	ذكر شيء من أنواع الأسمك
٣١٣	فأما الدلفين
٣١٣	وأما الرطاد
٣١٤	وأما التمساح
٣١٥	وأما السقنقور

صفحة	
٣١٦	وأما السلاحف والجأة
٣١٧	وأما الفرس النهري
٣١٨	وأما الجندبيدستر
٣١٩	وأما حيوان القندس والفاقم
٣١٩	وأما الضفادع
٣٢١	وأما السرطان وما قيل فيه
٣٢٢	ذكر شيء من عجائب الحيوان المائي

الباب الثامن

وهو الذيل على القسم الخامس من الفن الثالث ويشتمل على ذكر شيء

مما وصفت به آلات الصيد في البر والبحر ووصف

رماة البندق وما يجرى هذا المجرى

٣٢٤	ذكر شيء مما قيل في رماة البندق
٣٤٨	ومما ورد في وصف الجلاهدق نظماً
٣٥٠	ذكر شيء مما قيل في سبطانة
٣٥١	ذكر شيء مما قيل في عيدان الدبق